التسهيل لعلوم التنزيل

تأليف العلامة المفسر أبي القاسم

محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الأندلسي الغرناطي

رحمه الله وتقبله في الشهداء (٦٩٣-٧٤١هـ)

ومعه تقريرات لفضيلة الشيخ العلامة

عبد الرحمن بن ناصر البراك

حفظه الله تعالى ونفع به

على المواضع المشكلة في العقيدة والسلوك

تحقيق

علي بن حمد الصالحي

عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى







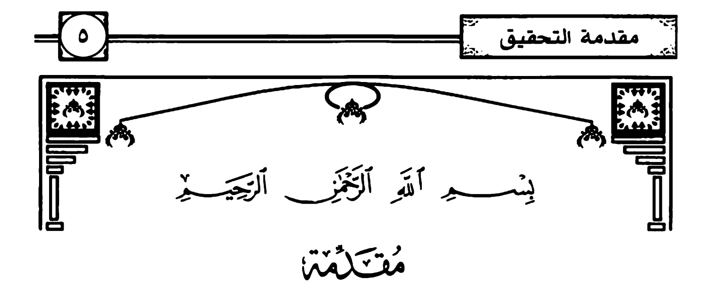
حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م



دار طيبة الخضراء
للنشر والتوزيع | علم ينتفع به
0125562986 I yyy 01@hotmail com
dar taiba · dar taibagreen123 · @dar_tg · dar taibaa
مكة المكرمة - العزيزية - خلف مسجد فقيه
0503568771 I 0550428992 I yyy.01@hotmail.com I 0125562986


بسم الله الرحمن الرحيم



مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على مَن بعثه الله رحمةً للعالمين، محمد بن عبد الله خاتم النبيين والمرسلين، وسيد ولد آدم أجمعين، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن أشرف العلوم قدْرًا، وأجلَّها ذكرًا، وأرفعها شأنًا، وأولاها عرفانًا؛ علمُ تفسير كتاب الله تعالى، وتفهُّم معانيه، وهو أولى العلوم بالتحصيل، وخير ما صُرفت فيه الأعمار، وأُنفقت فيه الأوقات، وكُدَّتْ فيه القرائح والفهوم؛ إذ هو متعلِّقٌ بأشرفِ كلام، وهو كلام رب العالمين، فنال هذا العلمُ قصب السَّبق بهذه المزيَّة، وأعظم بها من مزيَّة، ومن رُتبةٍ عليَّة، وحريٌّ بعلمٍ هذه خَلَّته وخَصلته أن يكون سيِّدَ العلوم وكبيرها، وأن تكون سائرُ العلوم له جندًا وتبَعًا، وقَمَنٌ به أن يكون في ذِرْوة المعارف والعلوم التي يقصِدها وُرَّادُها، ويرومها قُصَّادُها، ويطلبها شُدَاتها؛ ليرتعوا في رياضه، ويَكرعوا من حياضه، ويقتبسوا من أنواره، ويتأرَّجوا من نفحاته، وما أجملَ ما دبَّجته يراعة الإمام المطَّلبي، محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله حيث يقول مستحِثًّا طلبة العلم على العناية بكتاب الله، ومُذْكيًا هِمَمهم في الانكباب

على تحصيل علمه-: «فكلُّ ما أنزل في كتابه - جل ثناؤه - رحمةٌ وحجة، عَلِمه مَن علمه، وجهله من جهله، لا يعلم مَن جهله، ولا يجهل من علمه، والناس في العلم طبقاتٌ، موقعُهم من العلم بقَدْر درجاتهم في العلم به، فحُقَّ على طلبة العلم بلوغُ غاية جهدِهم في الاستكثار من علمه، والصبرُ على كل عارضٍ دون طَلَبِه، وإخلاصُ النية لله في استدراك علمه: نصًّا واستنباطًا، والرغبةُ إلى الله في العون عليه؛ فإنه لا يُدرَك خيرٌ إلَّا بعونه، فإن مَن أدرك علم أحكام الله في كتابه نصًّا واستدلالًا، ووفَّقه الله للقول والعمل بما عَلِم منه: فاز بالفضيلة في دينه ودنياه، وانتفت عنه الرِّيَب، ونَوَّرت في قلبه الحكمةُ، واستوجب في الدين موضع الإمامة، فنسأل اللهَ المبتدئَ لنا بنِعَمِه قبل استحقاقها، المُدِيمَها علينا، مع تقصيرنا في الإتيان على ما أوجب به من شكره بها، الجاعِلَنا في خير أمة أخرجت للناس: أن يرزقنا فهمًا في كتابه، ثم سنة نبيه، وقولاً وعملاً يؤدِّي به عنَّا حقَّه، ويوجب لنا نافلةَ مَزيدِه»[1].

وإن من أنفع الكتب المؤلفة في علم تفسير كتاب الله تعالى: كتاب «التسهيل لعلوم التنزيل» للشيخ الشهيد أبي القاسم محمدِ بن أحمد ابنِ جُزَيٍّ الكلبي الغرناطي رحمه الله، فقد امتاز هذا الكتاب بعدة مميزات، تجعله من أولى كتب التفسير التي يجدر بطالب العلم أن يُقبل على تحصيلها، ومن تلك المميزات:

١- سهولة أسلوب ابن جزيٍّ ووضوح عبارته وجودتها، وحسن ترتيبه

---

(١) الرسالة (ص: ١٩-٢٠).

وعرضه للمسائل، وهذه الميزة يجدها الطالب بجلاء عند مطالعته لسائر كتب ابن جزي، فعبارته يمكن أن توصف بأنها من السهل الممتنع، حيث يجد القارئ سلاسةً عند قراءتها، لكن يصعب على الشخص أن يحاكيَها.

٢- صِغَر حجم الكتاب نسبيًّا؛ مما يسهِّل تحصيله، ويقرِّبه إلى الراغبين، مع غزارة مادته العلمية، فابن جزيٍّ اختصر العبارة، مع غاية الدقَّة في انتقاء العبارة، فالمطالع لتفسيره يجد العبارة المختصرة المركَّزة، لكن لو فتَّش فيما تحتها من المعنى لوجده معنًى غزيرًا، وقد نبه رحمه الله على ذلك فقال: «ثم إني عزمتُ على إيجاز العبارة وإفراط الاختصار، وترك التطويل والتكرار».

٣- نقاوة هذا التفسير وخلوصه وصفاؤه من الأقوال الباطلة والساقطة، كما نبَّه على ذلك في المقدمة فقال: «وإذا كان القول في غاية السقوط والبطلان لم أذكره؛ تنزيهًا للكتاب عنه، وربَّما ذكرته تحذيرًا منه»، إضافةً إلى تحقيقه لأقوال المفسرين والتفرقة بين السقيم منها والصحيح، وتمييزه بين الراجح والمرجوح، فهو بحقٍّ عسلٌ مصفًّى، ولبنٌ خالصٌ سائغ للشاربين.

٤- أنه يُعدُّ كتابًا تطبيقيًّا لمن درس علوم الآلة -كعلوم اللغة من نحو وتصريف وبلاغة وعلم الأصول- ويروم أن ينمِّي ملكته في تطبيق هذه العلوم على فهم كتاب الله، فابن جزيٍّ يبيِّن بوضوحٍ الأوجه الإعرابية في الآية والمعنى المبنيَّ على كل وجه، وما فيها من النكات البلاغية، ويبين تصاريف الكلمات وأبنيتها.

٥- قدَّم له ابن جزيٍّ بمقدِّمتين، إحداهما في أبواب من علوم القرآن

وأصول التفسير، وهي بمثابة كتاب مستقلٍّ في علم علوم القرآن وأصول التفسير، والأخرى في اللغات التي يكثر ورودها في القرآن، وهي بمثابة كتاب مستقل في علم غريب القرآن، وهذا الصَّنيع قلَّ أن يوجد مثله في كتب التفسير.

٦- جودة المصادر التي استمدَّ منها ابن جزيٍّ تفسيره - وسيأتي الحديث عنها بإذن الله -، وأهم تلك المصادر: تفسير ابن عطية، وتفسير الزمخشري، وهذان التفسيران من أجلِّ كتب التفسير العُمَد الكبار، فالدارس لتفسير ابن جزي كأنه قرأ لُباب هذين التفسيرين وصِفوتهما.

وقد نوَّه أهل العلم بمزيَّة تفسير ابن جزي، وأشادوا بمنزلته، وأوصوا به طلاب العلم، فهذا الشيخ أبو حامد محمد العربي بن يوسف الفاسيّ (ت ١٠٥٢هـ) من عيون علماء المغاربة في القرن الحادي عشر يوصي أولاده حين قدموا فاس لطلب العلم بها ويقول في ضمن وصيَّته: «ومن أحسن التفاسير التي أحبُّ لكم مطالعتها وتفهُّمَها: تفسير ابن جزيٍّ، ولا أَقبلُ قولَ من يخالف في ذلك»[١].

ويقول فضيلة الشيخ الدكتور خالد السبت -نفع الله به-: «فهذا كتاب في غاية الأهمية، لا يستغني عنه طالب العلم، وهو مع إيجازه، فالمؤلف يحرص فيه على الوفاء بالمعنى، يختصر جدًا مع ذكر الأقوال، وهو كتاب ملخَّص، لكنه عميق ودقيق قلَّ أن يوجد مثله»، ويقول أيضًا: «ويصلح أن

---

(١) نقل نصَّ هذه الوصية د. محمد عوامة في كتابه: معالم إرشادية لصناعة طالب العلم (ص ٤٣٤).

يكون هذا الكتاب أصلًا يُعتمد عليه، بحيث يكون عند طالب العلم، يضبطه، ويضيف عليه ويُعلِّق عليه، ويرجع إليه حينًا بعد حين، ويراجعه ويكرره»[١].

ومع جلالة هذا الكتاب وقيمته العلمية ومزاياه العَلِيَّة؛ إلَّا أنه لم تخرجْ له طبعةٌ صحيحة سليمة من الأخطاء تليق بمكانته، فجميع الطبعات التي خرجتْ له بخَستْه وهضمته حقَّه بكثرة ما فيها من الأخطاء الشنيعة والتحريفات والسقط الكثير الذي يصل أحيانًا إلى عدَّة أسطر!؛ مما يجعل استفادةَ الدارس من هذا الكتاب صعبةً ومحدودة، ومعاناتَه شديدةً في القراءة فيه، فحداني ذلك إلى أن أستعين اللهَ تعالى في تحقيق هذا الكتاب تحقيقًا علميًا يليق بمكانته ويخلِّصه وينقيه من التحريفات والأخطاء، ويُعيد إلى حوزته ما نقص منه وما سقط من عباراته، معتمدًا في ذلك على أصول خطيَّة لهذا الكتاب انتخبتها مما جمعته جهدَ استطاعتي.

هذا؛ وقد حلَّى جيدَ هذا الكتاب، ووشَّى حُلَله، تعليقاتٌ نفسية، وتقريراتٌ فريدة، لفضيلة الشيخ العلامة: عبد الرحمن بن ناصر البراك -أمتع الله به-، وفيها استدراكاتٌ على مواضع من الكتاب جانَب المؤلف فيها الصوابَ في العقيدة والسلوك وغير ذلك، وقد كنتُ في أثناء عملي في التسهيل تَعرِض لي مواضع يقرِّر فيها ابن جزيٍّ تقريرًا مشكلًا على منهج أهل السنة والجماعة وسلف هذه الأمة، فعرضتُ هذا الأمر على شيخنا

---

(١) راجع: المادة الصوتية رقم (١) من شرح فضيلته لتفسير ابن جزي، على الموقع الرسمي لفضيلته في الشبكة العنكبوتية، من الدقيقة (٢٥) وما بعدها.

الأستاذ الدكتور: عبد المحسن العسكر - نفع الله به -، فاقترح عليَّ - جزاه الله خيرًا - أن أُرسل له هذه المواضع المشكلة ويقوم هو بعرضها على شيخه الشيخ عبد الرحمن البراك، وهكذا عُهد شيخنا - جزاه الله خيرًا - باذلًا للخير مبادرًا نفَّاعًا.

وكلُّ امرىءٍ يُولي الجميلَ محبَّبٌ وكل مكانٍ يُنبتُ العِزَّ طيِّبُ

وعَرض شيخُنا هذا الأمر على فضيلة الشيخ عبد الرحمن البراك فأجاب إلى ذلك كرمًا منه وتفضُّلًا -جزاه الله خيرًا- على عادته في الجود بالعلم وبذل الخير والنصح، والشيء من معدنه لا يُستغرب، وكأنَّ زهيرًا عناه حين قال في هَرِم بن سِنان:

قد جعل المبتغُونَ الخيرَ في هرِمٍ والسائلون إلى أبوابِه طُرُقَا

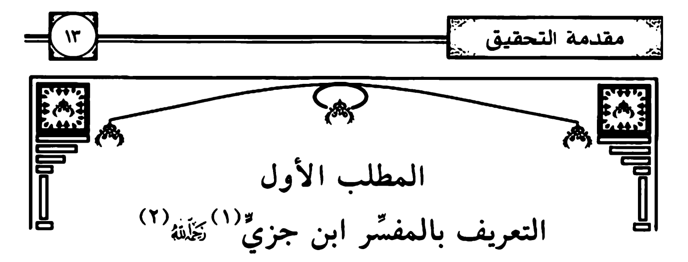
وأملى هذه التعليقات على الشيخ عبد المحسن العسكر، وهي بحقٍّ -كما يقول شيخنا عبد المحسن- «تعليقاتٌ تشدُّ إليها الرحال، وتضرب بها الأمثال، وترخص في تحصيلها كرائم الأموال؛ فإنها معقد الآمال، ومتنافس كرام الرجال، وإنها لحلية في جيد (التسهيل) تستوجب الثناء الجزيل والذكر الجميل».

فأسأل الله أن يجزي الشيخ العلامة: عبد الرحمن بن ناصر البراك خير ما يجزي به العلماء الناصحين والأئمة الصادقين، وأن يبارك في مسعاه ويبلغه من الخير منتهاه.

وأسأله سبحانه أن يجزي شيخنا المبارك المفضال الذي كثرت لديَّ فضائله وفواضله الشيخ الأستاذ الدكتور : عبد المحسن العسكر خير الجزاء على جهده في عرض هذه القضايا المشكلة على فضيلة الشيخ : عبد الرحمن البراك وتقييده لها ومتابعته للعمل في ذلك ، ولا يفوتني أن أشكر كل من أعان في هذا العمل بمراجعة أو نقد أو إفادة ، جزاهم الله تعالى على إحسانهم خير الجزاء .

وبعد؛ فهذا كتاب «**التسهيل لعلوم التنزيل**» أقدِّمه للقارئ الكريم وقد بذلتُ الجهد في تحقيقه وتنقيحه واستفرغت الوسع ، وحرصت على حسن الإخراج والتنسيق ، فما كان فيه من صواب فمن الله وحده فله الحمد والشكر ، وما كان فيه من خطإ وزلل -وقلَّما ينجو امرؤٌ من الزَّلل- فمن نفسي والشيطان ، والله ورسوله منه بريئان ، وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم وزلفى لديه في جنات النعيم المقيم ، وأن يبارك فيه وينفع به ، وأسأله سبحانه أن يجزي الشيخ ابن جزيٍّ خير الجزاء على هذا السِّفْر العظيم ، وأن يتغمده برحمته وأن يتقبَّله في الشهداء ، إنه سميع مجيب ، وأسأله سبحانه أن يجزي والديَّ ومشايخي وكلَّ من له فضلٌ عليَّ خير الجزاء ، وأن يعلي درجاتهم في عليين ، إنه خير من سئل وأجود من أعطى والحمد لله رب العالمين .

وكتبه
علي بن حمد الصالحي
مكة المكرمة
ali.h.s.32@gmail.com



المطلب الأول
التعريف بالمفسِّر ابن جزيٍّ(١) رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢)

★ اسمه ونسبه:

هو محمدُ بنُ أحمدِ بنِ محمد بن عبد الله بن يحيى بن الأمير

---

(١) يقول الحضرمي -تلميذ المترجَم له- في ضبط هذا الاسم في «فهرسته»: «ابن جزيءٍ بضمِّ الجيم وفتح الزاي بعدها ياء ساكنة بعدها همزة» نقله التنبكتي في نيل الابتهاج (ص: ٣٩٨)، إلَّا أنه جرى على الألسنة «جزيّ» بطرح الهمزة، على مذهب أهل الحجاز من تخفيف الهمزة المتطرفة الساكن ما قبلها، كما ذكر ذلك الحسن بن عبد العزيز القادري التلمساني في تحقيقه لمقدمة الغريب في اللغات لابن جزي، والتي أخرجها في كتاب مستقل باسم «القاموس الوجيز للقرآن العزيز» وطُبع في فاس سنة ١٣٤٨هـ.

(٢) انظر في ترجمته: الإحاطة في أخبار غرناطة، لتلميذه لسان الدين ابن الخطيب (٣/ ٢٠) والكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، لابن الخطيب أيضا (٤٦)، والديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لابن فرحون المالكي (٢/ ٢٧٤)، وأعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن لابن الأحمر (ص: ١٦٥)، وغاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري (٢/ ٨٣)، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني (٥/ ٨٨)، وطبقات المفسرين للداوودي (٢/ ٨٥)، ودرة الحجال في أسماء الرجال، لأبي العباس المكناسي الشهير بابن القاضي (٢/ ١١٧)، ونيل الابتهاج بتطريز الديباج، لأحمد بابا التنبكتي (ص: ٣٩٨) ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، لشهاب الدين المقري التلمساني (٥/ ٥١٤)، وأزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، للمقري أيضًا (٣/ ١٨٤)، وفهرس الفهارس للكتاني (١/ ٣٠٦)، وشجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لمخلوف (١/ ٣٦٠).

أبي بكر عبد الرحمن بن يوسف، ابنُ جُزَيٍّ الكلبيُّ الأندلسي الغرناطي، أبو القاسم، ينتسب إلى قبيلة كَلْبِ القُضاعية اليمانية، والكلبيون منهم من دخل الأندلس واليًا عليها كعنبسَة بن سحيم الكلبي الذي دخلها عام ١٠٣هـ، ومنهم من دخَلها مجاهدًا فاتحًا، ومن هؤلاء سلَف ابن جزيٍّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كما قال ابن الخطيب: «أصل سلفه من ولبة من حصون البراجلة، نزل بها أولهم عند الفتح صحبة قريبهم أبي الخطار حسام بن ضرار الكلبي» وكان أبو الخطار قد دخل الأندلس سنة ١٢٥هـ.

وكانت لجدِّه السلطان الأمير أبي بكر عبد الرحمن ابن جزي بجيَّان رئاسةٌ وانفراد بالتدبير، حيث بويع له فيها سنة (٥٣٩هـ).

★ مولده ونشأته:

ولد ابن جزيٍّ يومَ الخميس تاسع ربيع الثاني عام (٦٩٣هـ).

وقد نشأ في بيت علم وفضل وجلالة وديانة ونباهة، وأسرة ابن جزيٍّ من الأسر الرفيعة في غرناطة ومنها تخرّج أعلام في الفقه والقضاء والخطابة، وكانت نشأة ابن جزيٍّ في طلب العلم منذ وقتٍ مبكر.

★ مكانته العلمية وأخلاقه:

يقول عند تلميذه ابن الخطيب: «كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ على طريقة مُثلى من العكوف على العلم، والاقتصاد على الاقتيات من حُرِّ النَّشَب، والاشتغال بالنَّظر والتَّقييد والتَّدوين، فقيهًا، حافظًا، قائمًا على التدريس، مشاركًا في فنون من العربية، والفقه، والأصول، والقراءات، والحديث، والأدب، حافظًا للتفسير، مستوعبًا للأقوال، جمَّاعة للكتب، مُلوكيَّ الخِزانة، حسَن

المجلس، ممتع المحاضرة، قريب الغَوْر، صحيح الباطن، تقدَّم خطيبًا بالمسجد الأعظم من بلده على حداثة سنِّه، فاتُّفق على فضله، وجَرى على سنن أصالته».

ويقول عنه ابن الأحمر: «كان خطيب الجامع الأعظم بغرناطة، وكان فقيهًا إمامًا عالمًا بجميع العلوم، محصِّلًا، قارب درجة الاجتهاد، ودوَّن وصنف في كل فن، وكان أحد أهل الفتيا بغرناطة».

ويقول تلميذه الحضرمي: «كان رجلًا ذا مروءة كاملة، حافظًا متفننًا، ذا أخلاق فاضلة، وديانة وعفة وطهارة، وشهرته دينًا وعلمًا أغنتْ عن التعريف به».

★ شيوخه:

أخذ العلم عن عدد من علماء عصره وفضلاء بلده، من أشهرهم:

١) الأستاذ أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨هـ)، وأخذ عنه العربية والفقه والحديث والقرآن.

٢) الأستاذ النظّار المتفنّن أبو القاسم قاسم بن عبد الله بن الشّاط الأنصاري السبتي (ت٧٢٣هـ)، صاحب كتاب «أنوار البروق في تعقُّب مسائل القواعد والفروق» للقرافي.

٣) الأستاذ المقرئ الرَّاوية المكثر أبو عبد الله محمد بن أحمد اللخمي، المعروف بابن الكمّاد (ت ٧١٢هـ).

٤) الخطيب أبو عبد الله محمد بن عمرٍو الفهري السبتي، المعروف بابن رُشَيد (ت ٧٢١هـ).

٥) عبد اللَّه بن يوسف بن رضوان بن يوسف بن رضوان النجاري المالقي الفاسي، قرأ عليه ابن جزي كثيرًا من كتب القراءات وأبعاضًا من الموطأ ومسلم والترمذي والنسائي وأبي داود والشمائل والشفا، وسراج ابن العربي وتلقين عبد الوهاب وكثيرًا من تآليفه وغيرها.

وأخذ أيضًا عن عدد من علماء عصره وروى عنهم، منهم: الشّيخ الوزير أبو محمد عبد الله بن أحمد ابنُ المؤذن، والراوية المسنُّ أبو الوليد الحضرمي، والشيخ الرَّاوية أبو زكريا البرشاني، والرَّاوية الخطيب أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي الأنصاري، والقاضي أبو المجد بن أبي علي بن أبي الأحوص، والقاضي أبو عبد الله بن برطال، والشيخ الوزير ابن أبي عامر بن ربيع، والخطيب الولي أبو عبد الله الطَّنجالي.

★ تلاميذه:

من تلاميذه أبناؤه الثلاثة:

١) أبو محمد عبد الله بن أبي القاسم محمد بن أحمد ابن جزي، الأديب الحافظ.

٢) أبو بكر أحمد بن أبي القاسم ابن جزي، الفقيه المتفنن، تولى الكتابة السلطانية، والقضاء بغرناطة، والخطابة بجامعها (ت ٧٨٥هـ).

٣) أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم ابن جزي (ت ٧٥٧هـ)، كان بارعًا في النظم والنثر، وهو الذي جمع رحلة أبي عبد الله محمد بن عبد الله الطنجي المعروف بابن بطوطة.

ومن أبرز تلاميذه أيضًا:

٤) لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله السلماني الغرناطي، المعروف بابن الخطيب (ت ٧٧٦هـ).

٥) أبو محمد عبد المهيمن بن محمد الحضرمي، صاحب «الفهرسة» (ت ٧٤٩هـ).

٦) أبو القاسم محمد بن محمد بن يوسف الأنصاري، المعروف بابن الخشاب (ت ٧٧٤هـ).

٧) أبو عبد الله محمد بن قاسم الأنصاري، المعروف بالشُّدَيِّد (٧٧٦هـ).

★ مصنفاته:

خلَّف المفسِّر ابن جزيٍّ رحمه الله ثروة من الكتب في شتى الفنون، منها ما هو مطبوع، ومنها ما هو في عِداد المفقود، ومن أبرز تلك المؤلفات:

١) التسهيل لعلوم التنزيل، وهو هذا الذي بين يدي القارئ الكريم.

٢) وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم.

٣) الأنوار السَّنية في الكلمات السُّنِّية.

٤) الدَّعوات والأذكار المخرجة من صحيح الأخبار.

٥) القوانين الفقهية، في تلخيص مذهب المالكية والتنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية.

٦) تقريب الوصول إلى علم الأصول.

٧) النُّور المبين في قواعد عقائد الدين.

٨) المختصر البارع في قراءة نافع.

٩) أصول القُرَّاء الستة غير نافع.

١٠) الفوائد العامة في لحن العامة.

١١) فهرسة كبيرة اشتملت على جملة من أهل المشرق والمغرب.

★ شعره:

لابن جزيٍّ أشعار رائقة مستحسنة، تدلُّ على ذائقة أدبية رائعة، منها قوله:

لكلِّ بني الدنيا مراد ومقصد وإنّ مرادي صحّة وفراغ

لأبلغ في علم الشّريعة مبلغا يكون به لي للجنان بلاغ

وفي مثل هذا فلينافس أولو النّهى وحسبي من الدنيا الغَرور بلاغ

فما الفوز إلّا في نعيم مؤبّد به العيش رغْد والشّراب يساغ

وقوله في مدح النبي ﷺ:

أروم امتداح المصطفى ويردّني قصوريَ عن إدراك تلك المناقب

ومن لي بحصر البحر والبحر زاخر؟ ومن لي بإحصاء الحصى والكواكب

ولو أنّ أعضائي غدت ألسنا إذَن لما بلغت في المدح بعض مآربي

ولو أنّ كلّ العالمين تألّفوا على مدحه لم يبلغوا بعض واجب

فأمسكت عنه هيبة وتأدّبا وخوفا وإعظاما لأرفع جانب
وربّ سكوت كان فيه بلاغة وربّ كلام فيه عتب لعاتب

وقوله - مشفقًا من ذنبه -:

يا ربّ إنّ ذنوبي اليوم قد كثرت فما أطيق لها حصرا ولا عددا
وليس لي بعذاب النّار من قِبَلٍ ولا أطيق لها صبرا ولا جلدا
فانظر إلهي إلى ضعفي ومسكنتي ولا تذيقنّي حرّ الجحيم غدا

وقوله:

وكم من صفحةٍ كالشمس تبدو فيُسلي حُسْنها قلبَ الحزين
غضضتُ الطَّرف عن نظري إليها محافظةً على عرضي وديني

وقوله:

وقائلةٍ لِمْ هجرتَ التصابي وسِنُّك في عنفوان الشبابِ
يمر زمان الصبا ضائعًا ولم تَلْهُ فيه ببيض الكعاب
ولم تدر لذة طيب الهوى ولم تَرْوَ من سلسبيل الرُّضاب
فقلت: أبى العلمُ إلا التقى وهجرَ المعاصي ووصلَ المتاب
ومن لم يفده طلاب العلوم رجاء الثواب وخوف العقاب
فخيرٌ له الجهل من علمه وأنجى له من أليم العذاب

وقوله:

أيا من كففتُ النفس عنه تعفُفاً ... وفي النفس من شوقي إليه لهيب

ألا إنما صبري كصبرٍ، وإنما ... على النفس من تقوى الإله رقيب

★ وفاته:

توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معركة طَرِيف، وهي واقعة شهيرة وقعت بين المسلمين والنصارى، استشهد فيها عدد من علماء المسلمين، وكانت هذه الوقعة في يوم الاثنين السابع من جمادى الأولى سنة (٧٤١هـ)، وفُقِد فيها ابن جزيٍّ وهو يشحذ الناس ويحرِّضهم، ويثبِّت بصائرهم، وقد نقل صاحب نيل الابتهاج عن الحضرمي في فهرسته نصًا تاريخيًا يتعلَّق باللحظات الأخيرة من حياة ابن جزي فيقول: «قال الفقيه المحدث الوزير أبو بكر ابن ذي الوزارتين ابن الحكيم: أنشدني [يعني: ابن جزي] يوم الوقيعة من آخر شعره قولَه:

قصدي المؤمل في جهري وإسراري ... ومطلبي من إلهي الواحد الباري

شهادةٌ في سبيلِ اللّه خالصةٌ ... تمحو ذنوبي وتنجيني من النّار

إن المعاصي رجسٌ لا يطهرها ... إلا الصوارمُ من أيمان كُفَّار

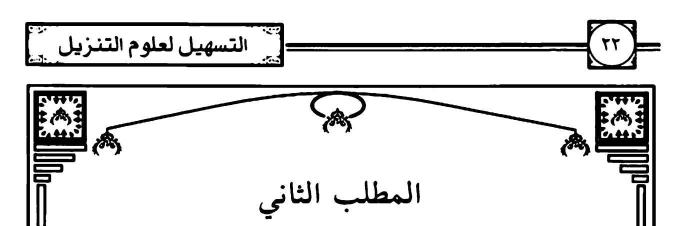
ثم قال: في اليوم أرجو أن يعطيني الله ما سألته في هذه الأبيات، قال الوزير: فقلت له: وجعلتَ للكفار يمينًا؟! فلو كان غيرُ هذا اللفظ موضعَه!، فقال لي: والحُطَمة في الناس من أيدي الكفار، قال: فكان آخر عهدي به رَحِمَهُ ٱللَّهُ»[1].

---

(١) نيل الابتهاج: (٣٩٨-٣٩٩).

فرحم الله ابن جزي وتقبله في الشهداء، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجمعنا به في جنات النعيم، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسُن أولئك رفيقًا.

* * *



المطلب الثاني

التعريف بكتاب التسهيل لعلوم التنزيل(١)

★ **اسم الكتاب ونسبته إلى مؤلفه:**

اسم هذا الكتاب «**التسهيل لعلوم التنزيل**»، هكذا صرَّح المؤلف رَحِمَهُ اللهُ باسمه في مقدمته، فقال: «**وسمَّيتُ هذا الكتاب: كتاب التَّسهيلِ لعلومِ التَّنزيلِ**».

وأما نسبته إلى مؤلفه فهي ثابتة لا شك فيها، فقد ذكر لسان الدين ابن الخطيب تلميذ ابن جزي أنه شيخَه صنَّف في التفسير(٢)، ولم يذكر ابن الخطيب اسم كتابه الذي صنفه في التفسير، لكننا نجد محمد بن عبد الملك القيسي الغرناطي (ت ٨٣٤هـ) تلميذ ابني ابنِ جزي -أحمد وعبد الله- صرَّح باسم الكتاب وبنسبته إلى مؤلفه، ويعتبر هو أول من صرَّح بنسبة الكتاب إلى مؤلفه فيما وقفت عليه، حيث يقول في مقدمة كتابه: «منهاج العلماء الأخيار

(١) ينظر في ذلك: كتاب ابن جزي ومنهجه في التفسير، للباحث: على محمد الزبيري، فهذا الكتاب دراسة مسهبة عن ابن جزي وتفسيره، وهي دراسة عميقة وقوية ورصينة لهذا الكتاب، وتعد من أجود الدراسات التي تكلمت عن ابن جزي ومنهجه -وعن منهج مفسر عمومًا-، وهي رسالة علمية تقدم بها الباحث لنيل درجة الماجستير من الجامعة الإسلامية بالمدينة، عام ١٣٩٨هـ.

(٢) الإحاطة في أخبار غرناطة، لتلميذه لسان الدين ابن الخطيب (٣/ ٢٠).

في تفسير أحاديث كتاب الأنوار» -وهو شرح لكتاب ابن جزي «الأنوار السَّنية في الألفاظ السُّنية»-: «من شيوخنا جماعة منهم الشيخ الإمام العلامة بحر البيان وأوحد الزمان، أبو محمد عبد الله بن الإمام المحدث الحافظ أبي القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن جزيٍّ الكلبي رحمه الله. . وشرعتُ عليه في قراءة التفسير المسمى بكتاب التسهيل لعلوم التنزيل، من تأليف السيد والده المذكور»[1].

ويعتبر هذا النص كافيًا في نسبة الكتاب إلى مؤلفه، فهو نصٌّ قريب العهد من المؤلف، وإسناده عالٍ؛ إذ هو تلميذ ابنَي المؤلف.

★ منهج ابن جزي في تفسيره:

ذكر ابن جزي رحمه الله في مقدمة تفسيره شيئًا من منهجه وطريقته في كتابه، حيث يقول: «وصنَّفتُ هذا الكتاب في تفسير القرآن العظيم، وسائرِ ما يتعلَّق به من العلوم، وسلكتُ به مسلكًا نافعًا، إذ جعلتُه وجيزًا جامعًا، قصدتُ به أربعَ مقاصدَ، تتضمَّن أربعَ فوائدَ:

الفائدةُ الأولى: جمعُ كثيرٍ من العلم في كتاب صغير الحجم؛ تسهيلًا على الطَّالبين، وتقريبًا على الرَّاغبين، فلقد احتوى هذا الكتاب على ما تضمّنته الدواوينُ الطويلة من العلم، ولكن بعد تلخيصِها وتمحيصها، وتنقيح فصولها، وحذف حَشْوها وفُضولها، ولقد أودعتُه مِن كلِّ فنٍّ من فنون علوم القرآن اللبابَ المرغوبَ فيه، دون القشرِ المرغوبِ عنه، من غير

(١) انظر منهاج العلماء الأخيار (مخطوط) (ل: ٣).

إفراطٍ ولا تفريط، ثم إني عزمت على إيجاز العبارة، وإفراط الاختصار، وتركِ التطويل والتَّكرار.

الفائدة الثانية: ذكْرُ نُكَتٍ عجيبةٍ، وفوائدَ غريبةٍ، قلَّما توجد في كتاب؛ لأنها من بنات صدري، ونتائج فِكْري، أو مما أخذته عن شيوخي ﷺ، أو مما التقطتُه من مُستظرفات النوادر، الواقعة في غرائب الدفاتر.

الفائدة الثالثة: إيضاحُ المشكلات، إمَّا بحلِّ العُقَدِ المقفَلات، وإما بحسنِ العبارة، ورفعُ الاحتمالات، وبيانُ المجملات.

الفائدة الرابعة: تحقيقُ أقوال المفسرين، والتفرقةُ بين السقيم منها والصحيح، وتمييزُ الرَّاجح من المرجوح.

وذلك أنَّ أقوال الناس على مراتبَ:

فمنها: الصحيح الذي يُعوَّلُ عليه.

ومنها: الباطل الذي لا يُلتفتُ إليه.

ومنها: ما يَحتمل الصحةَ والفساد، ثم إنّ هذا الاحتمالَ قد يكون: متساويًا، أو متفاوتًا، والتفاوتُ قد يكون: قليلًا أو كثيرًا.

وإني جعلتُ لهذه الأقسام عباراتٍ مختلفة، يُعرَفُ بها مرتبةُ كلِّ قولٍ:

فأدناها: ما أصرِّحُ بأنه «خطأٌ»، أو «باطلٌ».

ثم: ما أقول فيه: إنه «ضعيفٌ»، أو «بعيدٌ».

ثم: ما أقول: «إن غيرَه أرجحُ منه»، أو «أقوى»، أو «أظهرُ»، أو «أشهرُ».

ثم: ما أقدّمُ غيرَه عليه؛ إشعارًا بترجيح المتقدِّم، أو ما أقولُ فيه: «قيل: كذا»؛ قصدًا للخروج عن عُهدته.

وأمَّا إذا صرَّحتُ باسم قائل القول فإني أفعل ذلك لأحد أمرين:

إما للخروج عن عهدته.

وإما لنُصرته، إذا كان قائله ممن يُقتدَى به.

على أني لا أَنسبُ الأقوالَ إلى أصحابها إلَّا قليلًا، وذلك لقلَّةِ صحةِ إسنادها إليهم، أو لاختلافِ الناقلين في نسبتها إليهم.

وأمَّا إذا ذكرتُ شيئًا دون حكايةِ قوله عن أحدٍ: فذلك إشارة إلى أني أتقلَّدُه وأرتضيه، سواءٌ كان من تلقاءِ نفسي، أو مما أختاره من كلام غيري.

وإذا كان القول في غاية السقوط والبطلان لم أذكرْه؛ تنزيهًا للكتاب، وربما ذكرتُه تحذيرًا منه».

ومن خلال تأمل هذا النص والاطلاع على تفسيره وطريقته فيها، يمكن ذِكر أهم معالم منهج ابن جزي في النقاط التالية:

١- ابتدأ ابن جزي تفسيره بذكر مقدِّمتين في غاية النفاسة، جعل المقدمة الأولى في ذكر مسائل تتعلق بعلوم القرآن وأصول التفسير والعلوم التي يحتاج إليها المفسر، والكلام عن المفسرين وكتب التفسير، ومواقف القرآن والقراءات وغير ذلك، وجعلها في اثني عشر بابًا، وجعل المقدمة الثانية في غريب القرآن، وذكر فيها الكلمات الغريبة التي ترد في موضعين

فأكثر من القرآن، فجمَعها في موضع واحد، ورتبها على حروف المعجم؛ ليسهل على الدارس مراجعتها وحفظها واستذكارها، وهاتان المقدمتان لا بد للدارس لهذا الكتاب أن يدمن النظر فيها وأن يراجعها مرة بعد أخرى؛ فكثيرًا ما يحيل إليها ابن جزي في تفسيره، أو يستغني بما ذكره فيها من المسائل عن تكرار ذكره في ثنايا كتابه.

٢- سلك ابن جزي رحمه الله في تفسيره مسلك الاختصار والإيجاز مع الشمول والاستيعاب كما قال: «إذ جعلتُه وجيزًا جامعًا»، وهذا المقصد جعل ابن جزيٍّ يأتي بالعبارة المفرطة في الاختصار، ولكنها عميقة في معناها إذا تأملها القارئ كما قال: «ثم إني عزمت على إيجاز العبارة، وإفراط الاختصار، وتركِ التطويل والتَّكرار».

٣- طريقته في تفسير الآية: أنه يذكر رأس الآية، أو الجملة التي تحتاج إلى بيان في الآية ثم يذكر سبب نزولها إن كان، ويشرح غريبها، وتصاريف الكلمات التي فيها إن اقتضت الحاجة ذكرها، ويبين إعرابها إن كان إعرابها مشكلاً، أو كان فيها أوجه إعرابية، ويذكر المعنى على كل وجه إعرابي، ويذكر المعنى الإجمالي للآية، ومقصدها، وهو لا يسير في ذلك على ترتيب واحد في تفسيره للآيات، فأحيانًا يبدأ بشرح الغريب، ثم ذكر الإعراب، ثم ذكر المعنى الإجمالي، ثم ذكر المقصد، وأحيانًا يذكر المعنى الإجمالي ثم الإعراب، ثم يشرح الغريب، وأحيانًا يبدأ بذكر سبب النزول وأحيانًا يؤخره، وهكذا.

٤ - عملًا بمنهج الاختصار الذي أخذه ابن جزي على نفسه؛ فإن كانت الكلمة الغريبة الواردة في الآية سبق أن شرَحها في المقدمة أو في موضع متقدم من التفسير فإنه يكتفي بذلك عن إعادة بيانها، وربما أحال إلى موضعها، بأن يقول: «قد تقدَّم اللغات»، أو «قد ذكر في سورة كذا»، أو «قد ذُكر» أو نحو ذلك؛ حرصًا منه على الاختصار وعدم التكرار، وهكذا يصنع إن كان سبق أن بيَّن تفسير الآية ومعناها في موضع متقدم، وأيضًا؛ إذا كان إعراب الآية واضحًا لم يتعرض له؛ طلبًا للاختصار، كما قال في المقدمة: «وقد ذكرنا في هذا الكتاب من إعراب القرآن ما يحتاج إليه؛ من المشكل، أو المختلف فيه، أو ما يفيد فهم المعنى، أو يختلف المعنى باختلافه، ولم نتعرَّضْ لما سوى ذلك من الإعراب السهل الذي لا يَحتاج إليه إلا المبتدئ؛ فإن ذلك تطويلٌ بغير كبيرِ فائدةٍ»، ومن هنا يلحظ القارئ لتفسيره أنه قد يتجاوز الآية والآيتين دون أن يتكلم عن تفسيرها، إما لأن واضحة الإعراب والمعنى وليس فيها غريب يحتاج إلى شرح، وإما لأنه سبق أن تكلم عن الغريب الذي فيها في المقدمة، أو في موضع متقدم من التفسير، وهذا يستدعي الدارس لتفسيره إلى أن يعتني بمقدمة ابن جزي في غريب القرآن وأن يعيد مطالعتها وقراءتها بشكل مستمر؛ فابن جزي يعتمد عليها ويحيل عليها كثيرًا في ثنايا تفسيره، وبناءً على منهج الاختصار أيضًا؛ ففي كثير من الأحيان إذا كان تفسير الآية المعيَّنة له نظائر فيما يأتي من الآيات، فإنه يبين المعنى في أول موضع ويقول: «وهكذا تفسيره حيث وقع» أو نحو هذه العبارة؛ أي: هكذا تفسير هذه الكلمة أو الجملة حيث وقعت في كتاب الله.

٥ - في ذكر أقوال المفسرين والاختلاف في تفسير الآية، يُعَدُّ تفسير ابن جزيٍّ من أنقى التفاسير وأكثرها خلوًّا من الأقوال الباطلة والساقطة التي تذكر في كثير من كتب التفسير، وقد ذكر في مقدمة كتابه أن من مقاصده في هذا التفسير: تحقيق أقوال المفسرين والتميز بين الصحيح منها والسقيم، وذكَر منهجه في ذكر الأقوال في هذا الكتاب، وذكر أن القول إذا كان في غاية السقوط والبطلان؛ فإنه نزَّه الكتاب عن ذكره فيه، وقد يذكره أحيانًا؛ لأن الحاجة تدعو إلى التنبيه على بطلانه، وقد بين طريقته في ذكر مراتب الأقوال، وطرق الترجيح بينها، ومن المهم لدراس الكتاب أن يستحضر منهجيته في ذكر الأقوال؛ حتى يعرف مغزى ابن جزي في سردها وترتيبها، وفي نسبة الأقوال من عدمها، وعبارته في الترجيح بينها، وما القول الذي يختاره ويرتضيه.

٦ - آيات الأحكام يقف عندها ابن جزيٍّ؛ ليذكر الأحكام الفقهية التي لها تعلُّق بالآية، ويذكر خلاف المذاهب فيها، وفي الغالب أنه يذكر مذهب المالكية ومذهبي الحنفية والشافعية، ولم يذكر مذهب الحنابلة إلا نادرًا، وهي أربعة مواضع تقريبًا، وكذلك مذهب الظاهرية يندر أن يذكره.

٧ - بنى ابن جزي تفسيره للآيات على قراءة نافع، برواية راويه ورش تحديدًا؛ وهي الرواية المشتهرة في بلاد المغرب والأندلس، ومع ذلك فإنه لم يقتصر على هذه القراءة، بل إنه يذكر اختلاف القراءات؛ إذا كان في ذكرها فائدة في تفسير الآية، كما قال في المقدمة: «وذكرنا من سائر القراءات ما فيه فائدةٌ في المعنى والإعراب أو غير ذلك، دون ما لا فائدة فيه زائدة، واستغنينا عن استيفاء القراءات؛ لكونها مذكورةً في الكتب

المؤلفة فيها، وقد صنَّفْنا فيها كتبًا نفع الله بها، وأيضًا؛ فإنا لما عزمنا في هذا الكتاب على الاختصار حذفْنا منه ما لا تدعو إليه ضرورةٌ».

٨ - في جانب قصص القرآن، حرَص ابن جزيٍّ أن يكون تفسيره نقيًّا من القصص الباطل وغير الثابت، فاقتصر على ذكر ما صحَّ ثبوته واحتيج إليه في تفسير الآية، كما قال في المقدمة: «وقد أكثر بعض المفسرين من حكاية القَصص الصحيح وغير الصحيح، حتى إنهم ذكروا منه ما لا يجوز ذكره مما فيه تقصيرٌ بمنصب الأنبياء ﷺ، أو حكايةُ ما يجب تنزيههم عنه، وأما نحن فاقتصرنا في هذا الكتاب من القَصص على ما يتوقف التفسير عليه، وعلى ما ورد منه في الحديث الصحيح».

٩ - تعرَّض ابن جزي في تفسيره إلى مقامات السلوك والسير إلى الله تعالى والدار الآخرة، وله في ذلك كلام جيد حرص أن يخلِّصه من إشكالات المتصوفة كما قال: «وقد ذكرنا في هذا الكتاب ما يُستحسَن من الإشارات الصوفية، دون ما يُعتَرض أو يُقدَح فيه»، وإن كان قد وقع في إشكالات المتصوفة في بعض المواضع، وعلَّق عليها الشيخ عبد الرحمن البراك -أمتع الله به-، وقد تكلم ابن جزي على اثني عشر مقامًا؛ بحسب المناسبة التي تعرض له، فإذا كانت الآية في شأن الذكر تكلم عن مقام الذكر، وإذا كانت في شأن الشكر تكلم عن مقام الشكر وهكذا.

١٠- يعتني ابن جزي في تفسيره بعلم البلاغة والبيان، وقد أفرد في المقدمة الأولى بابًا مستقلًا في أدوات البيان التي وردت في القرآن وهي اثنان وعشرون نوعًا بحسَب تتبعه لها في القرآن، وعرَّف بها ابن جزيٍّ في المقدمة،

وفي ثنايا التفسير يشير لها، فيقول مثلًا: «وفي الآية من أدوات البيان: التجنيس»، أو «المقابلة»، أو «التقسيم»، أو «الترديد» ونحو ذلك، فيحتاج الدارس إلى أن يرجع للمقدمة؛ ليعرف معنى هذه الأداة.

١١- يلحظ الدارس لتفسير ابن جزي أن المصنف ﷺ أجاد في توظيف مختلف فنون العلوم في تفسيره، من لغة ونحو وتصريف وبلاغة وأصول فقه وغيرها، فيعدُّ هذا الكتاب بمثابة كتاب تطبيقي يطبِّق فيه الدارس هذه العلوم، وهذا يستدعي من الطالب أن يكون ذا إلمام جيِّد بهذه العلوم؛ حتى يحصِّل فائدةً أكبر من هذا التفسير المبارك.

١٢- يستعمل ابن جزي في تفسيره طريقة السؤال والجواب، ويعرض الإشكالات المتعلقة بالآية في طريقة سؤال، فيقول: «فإن قيل: » ويذكر الإشكال، ثم يذكر جواب الإشكال، وهذه الطريقة تأثر فيها ابن جزيٍّ بالزمخشري في تفسيره، فكثيرًا ما يستعمل الزمخشري هذه الطريقة في عرض الإشكالات، وهي طريقة مفيدة في إيضاح الإشكال في الآية، وفي ترسيخ الجواب في ذهن الدارس، فإن المعلومة إذا عُرضت بطريقة سؤال تشوَّف المرء إلى معرفة جوابها أكثر مما لو ذكرت عرَضًا في ثنايا الكلام.

★ **مصادر ابن جزي في تفسيره:**

استمدَّ ابن جزيٍّ تفسيره من عدد من المصادر من كتب التفسير وغيره، وأبرز المصادر التي ظهر لي اعتماد ابن جزيٍّ عليها في تفسيره ما يلي:

١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق ابن عطية الأندلسي (ت ٥٤٢هـ).

٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت ٥٣٨هـ).

ويعدُّ هذان التفسيران أهم مرجعين لابن جزيٍّ في تفسيره، فقد استمدَّ منهما جُلَّ مادته في تفسيره، ووضع في كتابه زبدةَ ما في هذين الكتابين، وتأثر بهما تأثرًا كبيرًا في ترجيح الأقوال وتوجيه الإعراب ونحو ذلك، فكأنَّ هذين التفسيرين كانا ملازمين لابن جزيٍّ لا يفارقانه أثناء كتابته لتفسيره، ومن المهم لدارس هذا الكتاب أن يكون هذان التفسيران بجانبه؛ يراجعهما كلما أشكل عليه شيء من عبارات ابن جزي.

٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ).

٤) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (ت ٤٣٧هـ)، نقل عنه ابن جزي في بعض المواضع، ويظهر لي أنه نقل عنه بواسطة المحرر الوجيز، ولم تكن لديه نسخة منه.

٥) التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل، لأبي العباس أحمد بن عمار المهدوي (ت بعد ٤٣٠هـ).

٦) تفسير النكت والعيون، للقاضي أبي الحسن علي بن محمد الماوردي (ت ٤٥٠هـ).

٧) عين المعاني في تفسير السبع المثاني، لأبي عبد الله أو أبي الفضل محمد بن أبي يزيد طيفور السَّجاوندي الغزنوي (ت ٥٦٠هـ).

٨) أحكام القرآن، لأبي محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم الأندلسي الغرناطي، المعروف بابن الفرس (ت ٥٩٧هـ).

وهذا الكتاب يعتبر المصدر الأساسي لابن جزي في كلامه عن آيات الأحكام، ويعتمد عليه كثيرًا في عزو الأقوال إلى أصحابها.

٩) أحكام القرآن، للقاضي أبي بكر بن العربي المالكي (ت ٥٤٣هـ).

١٠) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، لشيخ المصنف أبي جعفر ابن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨هـ)، ويعتمد عليه ابن جزيٍّ كثيرًا في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن.

١١) درة التنزيل وغرة التأويل، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي (ت ٤٢٠هـ)، وهو كتاب في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن.

١٢) التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام، لأبي القاسم أو أبي زيد، عبد الرحمن السهيلي (ت ٥٨١هـ)، وهذا الكتاب يرجع إليه ابن جزيٍّ كثيرًا في تسمية الأعلام الواردة في القرآن.

١٣) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، لأبي الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الحميري (ت ٦٣٤هـ)، يعتمد عليه ابن جزيٍّ في ذكر أخبار مغازي النبي ﷺ.

١٤) المقدمات الممهدات في الفقه، لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، ابن رشد الجد (ت ٥٢٠هـ).

١٥) الروض الأنف في شرح سيرة ابن هشام، للسهيلي.

١٦) شرح تنقيح الفصول في علم الأصول، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي المالكي (ت ٦٨٤هـ).

١٧) مشكل إعراب القرآن، لمكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ).

١٨) تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب.

ويظهر لي أنه كان ينقل من هذين الكتابين بواسطة المحرر الوجيز لابن عطية.

١٩) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، لأبي المعالي الجويني (٤٧٨هـ)، ويظهر لي أنه كان ينقل منه بواسطة المحرر الوجيز.

ومن مصادر ابن جزي في تفسيره: كتابٌ للقاضي منذر بن سعيد البلوطي (ت ٣٥٥هـ)، فقد أورد ابنُ جزيٍّ آراءَ القاضي منذر في غير موضع من تفسيره، وقد ذكر في المقدمة أن منذر بن سعيد صنَّف كتابًا في غريب القرآن وتفسيره، وذكر الحميدي (ت ٤٨٨) في «جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس» أثناء ترجمته للقاضي منذر بن سعيد أن له كتابًا اسمه «الإنباه على استنباط الأحكام من كتاب الله»[١]، ولا أدري إن كان هذا هو الكتاب الذي أشار إليه ابن جزي أم غيره؟ وقد بحثت عن هذا الكتاب كثيرًا في فهارس المخطوطات فلم أقف على ذكر له، فيبدو أن في عداد المفقود من تراث الأمة!.

---

(١) جذوة المقتبس (ص: ٣٤٨).

★ طبعات الكتاب السابقة:

- أول طبعة لكتاب التسهيل خرج بها من عالم المخطوطات إلى عالم المطبوعات: طُبِعت في مصر عام ١٣٥٥هـ في أربعة مجلدات، وكُتب على غلافها: «عُني بمقابلتها على عدَّة نسخ مخطوطة بالمكتبة الملكية وصحَّحها نخبةٌ من العلماء».

وهذه الطبعة مشحونة جدًّا بالتحريفات والتصحيفات، وفيها من السقط الشيء الكثير والكثير، ويظهر لي أن السبب في ذلك هو المخطوطات التي اعتمدوها، فلديَّ بعض المخطوطات من دار الكتب المصرية ومن المكتبة الأزهرية كُتِبَتْ بالخط المشرقي المعتاد، وقد قارنتُ بين هذه المخطوطات وبين هذه الطبعة فوجدت توافقًا كبيرًا بينهما في السقط والتحريف؛ فلعلَّ هذا هو مبدأ الخلل، فكتاب التسهيل هو من كتب الأندلسيين، ولا ريب أنه كُتب في مخطوطاته العتيقة على وفق قواعد الخط المغربي والأندلسي، وهذا الخط يصعب على المشارقة قراءته، وتلتبس حروفه كثيرًا، فمن طريقة المغاربة مثلًا أنهم يكتبون حرف الفاء بوضع نقطة في أسفل الحرف، وحرف القاف بوضع نقطة في أعلى الحرف، فيحصل من جرَّاء ذلك التباس كبير عند المشارقة، وهكذا الالتباس بين حرفي الدال والراء والهاء في آخر الكلمة، وبين السين والشين والثاء.. إلخ، فلعلَّ ناسخ المخطوطة عندما رام كتابتها بقواعد الخط المشرقي اعتمد على مخطوطات الكتاب المغربية فالتبس عليه كثيرٌ من حروفها؛ بسبب اختلاف هذه القواعد، وأيضًا حصل له سقط كبير فيها، ثم جاء المعتنون بهذه الطبعة، وعوَّلوا على هذه المخطوطات المشرقية، فحصل فيها هذا السقط والتحريف الكثير.

ثم توالت طبعات التسهيل بعد ذلك، فطُبع عدة طبعات، والحقيقة أن هذه الطبعات في غاية الرداءة، ويظهر أنها إعادة لصفٍّ طبعة ١٣٥٥هـ ليس إلا، فتجد فيها عين السقط والتحريف الذي كان في هذه الطبعة، إن لم يكن أكثر، ولا أرى حاجة للوقوف عندها.

ثم طبع التسهيل في السنوات القريبة، ثلاث طبعات أتحدَّث عنها فيما يلي:

١- طبعة دار الضياء- عام ١٤٣٠هـ:

هذه الطبعة بتحقيق: أ. د: محمد بن سيدي محمد مولاي، وتقع هذه الطبعة في ثلاثة مجلدات، الأول إلى نهاية الأنفال، والثاني إلى نهاية الصافات، والثالث إلى آخر القرآن، وبالمقارنة بين هذه الطبعة والطبعات السابقة للكتاب؛ فقد تجاوزت هذه الطبعة مواضع من السقط والتحريف التي كانت في الطبعات السابقة، إلَّا أنه بقي من السقط والتحريف الشيء الكثير والكثير؛ حيث يصعب على الدارس للكتاب اعتماد هذه الطبعة؛ لما يستغلق عليه بعض مواضعها، وقد قابلت هذه الطبعة على النسخ الخطية التي لديَّ كلمة كلمة، فلا تكاد تخلو صفحة من صفحاتها من سقط أو تحريف!، وقد يصل السقط فيها إلى سطرين وأكثر، فمثلًا: جاء في هذه الطبعة (١/ ٢٠٠): هذا النصُّ:

«﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾: أي: أذهبه وهذه الجملة جواب لما محذوف تقديره طفيت النار ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ جملة مستأنفة».

فهذا النص فيه شيء من الغموض، وهو غير مفهوم، فرجعت إلى المخطوطات فوجدت النص هكذا:

«﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾: أي: أذهبه وهذه الجملة جواب لما، [فالضمير في (بنورهم) عائد على (الذي)، وهو على هذا بمعنى: الذين، وحذْف النون منه لغة. وقيل: جواب لما] محذوف تقديره: طفيت النار، [و] ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ جملة مستأنفة». فما بين المعقوفتين ساقط من هذه الطبعة!.

وأيضًا عند تفسير قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾، جاء في هذه الطبعة هذا النصُّ (١/ ٣٤١): «﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾: تقديره: كمثل صاحب حبة أو يقدر ولا مثل نفقة الذي ينفقون»!.

فهذا كلام غامض وغير مفهوم، فرجعت إلى المخطوطات فوجدت العبارة هكذا:

«﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾: تقديره: كمثل صاحب جنة، أو يقدر أوّلًا: مثل نفقة الذين ينفقون».

ومثل هذا كثير في هذه الطبعة.

٢- طبعة دار الضياء - عام ١٤٣٤هـ:

أُعيد طبع هذا الكتاب في هذه الدار عام ١٤٣٤هـ في أربعة مجلدات، الأول إلى نهاية سورة الأنعام، والثاني إلى نهاية سورة الأنبياء، والثالث إلى نهاية سورة محمد، والرابع إلى آخر القرآن، وقد استعرضت هذه الطبعة وقارنت بينها وبين طبعة الدار عام ١٤٣٠ وبين التصويبات التي صوبتها من

المخطوطات، فأما المجلد الأول من هذه الطبعة والذي ينتهي إلى آخر سورة الأنعام، فقد أعادوا مراجعته، وتجاوزوا الكثير من السقط والتحريف الذي كان في الطبعة الأولى، ومع ذلك فقد بقي أيضًا الكثير من السقط والتحريف لم يُصلح!، فعلى سبيل المثال: نموذج السقط - وهو النموذج الأول الذي أوردته في الطبعة الأولى - تكرر في هذه الطبعة ولم يُصلح!، والنموذج الثاني للتحريف أُصلح إصلاحًا جزئيًا.

وأما المجلدات الثلاثة المتبقية من هذه الطبعة فلم يصلحوا شيئًا مما فيها من الأخطاء والسقط، بل السقط والتحريف الذي كان موجودًا في الطبعة الأولى موجودٌ كما هو في هذه الطبعة!.

وأكتفي بهذا في الكلام عن هاتين الطبعتين.

٣- طبعة المنتدى الإسلامي بالشارقة- ١٤٣٣هـ:

وهذه الطبعة بعناية: أبي بكر بن عبد الله سعداوي، وتقع في مجلد ضخم يقع في (١٠٢٣) صفحة، وقد اعتمد فيها على خمس نسخ خطية، وبعض هذه النسخ موجود لديَّ، وهذه الطبعة يظهر فيها جهد المعتني بها وأنه قابل على المخطوطات مقابلة حقيقية، وقد تجاوز الكثير من الأخطاء التي كانت في النسخ قبله، فلا تكاد تجد فيها السقط الذي كان يوجد في الطبعات السابقة، وأما التحريفات والتصحيفات فقد قلَّت في هذه الطبعة، وإن كان قد بقي فيها شيء من التصحيف فمن خلال مقارنتي بين هذه الطبعة وبين الطبعات السابقة والمخطوطات وقفت على عدد من التصحيفات لبعض الكلمات، ولكنها قليلة مقارنة بالطبعات السابقة، بل بينها وبين الطبعات

السابقة مفاوز!، وأيضًا؛ يَعيب هذه الطبعة -إضافة إلى وجود التصحيفات- بعض الأمور الفنية والشكلية، مثل عدم الاعتناء بالتعليق على ما يحتاج إلى تعليق، من بيان غريب أو إيضاح مشكل، وعدم شَكْلَ ما يُشكل من الكلمات وضبطه بالحركات، وكذلك أهمل الإحالات، وأيضًا؛ من ناحية الإخراج فإن الكلام فيها مرصوص بطريقة تتعب القارئ؛ إضافة إلى دقة الخط.

★ وصف النسخ الخطية المعتمدة:

تيسر لي الحصول -بتوفيق الله تعالى- على خمس عشرة نسخة خطية لكتاب التسهيل، تتفاوت في الجودة، وفي النقص والتمام، انتخبت منها خمس نسخٍ خطيّة، هي أجود ما وقفت عليه من نسخ هذا الكتاب، وبعضها قريب العهد من زمن المصنف، فاعتمدتها في التحقيق، واستأنست بنسختين أُخريين، وجميع هذه النسخ السبع كُتبت بالخط المغربي الأندلسي، وهي أسلم من التحريف وأبعد من السقط؛ مقارنة بالنسخ التي كتبت بالخط المشرقي المعتاد، وفيما يلي وصف هذه النسخ السبع:

النسخة الأولى: نسخة مكتبة تشستر بيتي:

وتوجد مصورتها في قسم المخطوطات في المكتبة المركزية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

رقمها: (٤٠٥٩)، وتقع في (٢٤٧) ورقة، وفي كل صفحة (٣١) سطرًا.

وكتبت بالخط المغربي، وهو واضح ومقروء، وهي نسخة تامة، سوى أنه سقط من المصورة ورقة أو ورقتان، كما سيأتي بيانه في موضعه، وعلى

هوامش بعض صفحاتها تصويبات وذكر فروقات نسخ أخرى (رمز لها بالحرف «خ») واستدراك سقط، وتوجد بها تعليقات يسيرة، ولم تخلُ من سقطِ كلماتٍ في بعض المواضع، ويندر أنه يوجد فيها تصحيف.

وفُرغ من كتابة هذه النسخة في شهر ذي الحجة من عام (٩٥٦هـ) على يد كاتبها سالم بن أحمد بن منصور. .[1]، وهي أقرب النسخ -التي وقفت عليها- إلى عصر المؤلف.

وعلى الصفحة الأولى منها قيد تملك باسم عبد ربه محمد في (٢٧) رمضان ١٣٣٩هـ.

وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز «أ».

النسخة الثانية: نسخة مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية:

وهي محفوظة بقسم المخطوطات بجامعة الإمام برقم (٧٥١٣)، وتقع في (٢٠٥) ورقة، وفي كل صفحة (٣٥) سطرًا.

وهذه النسخة بالخط المغربي، وهو واضح ومقروء، وهي نسخة تامة، وعليها نقولات وتعليقات وحواشٍ كثيرة، لا تكاد تخلو منها ورقة من أوراقها، وأغلب هذه التعليقات مأخوذ من تفسير «البحر المديد في تفسير القرآن المجيد» لأبي العباس ابن عجيبة المغربي الصوفي (ت ١٢٢٤هـ)، ويوجد بها أيضًا مقابلات على أصول خطية أخرى واستدراك سقط في بعض المواطن من النسخة دون بعضها، بيد أنه لم تسلم بعض الكلمات من

---

(١) لم يتضح لي اللقب.

التصحيف، ولم تخلُ من سقط كلمة أو كلمات أو أسطر في بعض المواضع.

وأما تاريخ النسخة: فهو سنة (٩٧٦هـ)، وقد جاء في آخرها ما نصُّه: «وكان الفراغ من هذه النسخة في ظهر يوم الخميس الرابع والعشرين من صفر سنة ستٍّ وسبعين وتسع مئة على يد العبد المذنب الراجي عفوَ ربه ورُحماه أحمد بن عبد الله بن أحمد القبيسي..».

وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز «ب».

النسخة الثالثة: نسخة مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية:

وهي محفوظة بقسم المخطوطات بجامعة الإمام برقم (١١٤٨٠)، وتقع في (٢٤٣) ورقة، في كل صفحة (٣٤) سطرًا.

وكتبت بالخط المغربي، وخطها واضح ومقروء، وهي تامة غير أنه سقط منها ورقات يسيرة يأتي التنبيه لها في مواضعها بإذن الله، ولست أدري هل السقط من التصوير أم من أصل النسخة؟، وهذه النسخة بها مقابلات على أصول خطية أخري واستدراك سقط في بعض مواطنها، ويوجد بها تصحيف قليل، وسقط يصل إلى عدة أسطر.

وأما تاريخ النسخة فهو سنة (٩٨٠هـ)، وقد جاء في آخرها ما نصُّه: «وكان الفراغ منه عند زوال يوم الأحد خامس المحرَّم الحرام، فاتح ثمانين وتسع مئة، على يد العبد الراجي عفو مولاه أبو محمد عبد الله بن مسعود بن عبد الرحمن بن علي الملقب بـ[...][1] غفر الله له ولوالديه ولجميع

---

(١) لم أتمكن من قراءته.

المسلمين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على من لا نبي بعده، وهذه النسخة التاسعة مما نسخنا بأيدينا، والحمد لله على كل حال، آمين آمين آمين يا رب العالمين».

وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز «ج».

النسخة الرابعة: نسخة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلاميه:

وهي محفوظة في المركز برقم (١٠٧٧١)، وتقع في (١٨٢) ورقة، في كل صفحة (٤٠) سطرًا.

وهي بالخط المغربي، وخطها واضح ومقروء، وتمتاز بأنها مشكولة بالكامل، وهي نسخة تامة، ويوجد بها تصويبات كثيرة واستدراك للسقط على حواشيها، ويقلُّ السقط في هذه النسخة مقارنة بالنسخ الأخرى، إلا أنه يوجد بها تصحيف وتحريف لبعض الكلمات.

وأما تاريخ النسخة فهو سنة (١٢٤١هـ)، وقد جاء في آخرها ما نصُّه: «كمل بعون الله وحمده، والصلاة والسلام على نبيه وعبده، والرضا عن آله وأصحابه، وأنصاره وأحزابه، على يد كاتبه لنفسه، ثم لمن شاء الله من بعده، العبد الراجي عفو مولاه، المستغني به عن كل ما سواه، وهو محمد بن عمر [..][1] لطف الله به آمين، بعد صلاة العصر يوم الأربعاء العاشر من شهر الله صفر الخير عام ١٢٤١ غفر الله له ولوالديه ولأشياخه وأحبابه

---

(١) كلمة لم أتمكن من قراءتها.

ولجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات، آمين يا رب العالمين».

وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز «د».

النسخة الخامسة: نسخة جامعة الملك سعود بالرياض:

وهي محفوظة في قسم المخطوطات برقم (٥٣٤٧)، وتقع في (١٧٩) ورقة، في كل صفحة (٤٠) سطرًا.

كتبت بالخط المغربي، وخطها واضح، وهي نسخة تامة، وبها تصويبات واستدراك للسقط على حواشيها، وخاتمة النسخة بها طمس، ويظهر أنه من آثار الترميم، فلم تتبين سوى كلمتي: «كمل كتاب..».

وأما تاريخ النسخة واسم ناسخها، فليس مبينًا عليها، ولعله طُمس عليه أيضًا في آخر النسخة من آثار الترميم، إلا أن مفهرس المكتبة ذكر في بيانات المخطوطة أنها كتبت في القرن الثاني عشر الهجري تقديرًا.

وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز «هـ».

وأما النسختان اللتان استأنست بهما في المقابلة وترجيح الفروق بين النسخ، فوصفهما فيما يلي:

النسخة الأولى: نسخة خزانة جامع القرويين بمدينة فاس بالمغرب:

وهي محفوظة في الخزانة برقم (٢٤)، وتقع في (٤٠٦) ورقة في مجلدين، في كل صفحة (٣١) سطرًا.

وهي نسخة مكتوبة بالخط المغربي المقروء الواضح، ويقل فيها التحريف والسقط.

وأما تاريخ النسخة فهو سنة (١٠٨٩هـ)، وقد جاء في آخرها ما نصُّه: «كمل كتاب التسهيل لعلوم التنزيل بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه الجميل، وبمنه وكرمه وبفضله وإحسانه على يد العبد الفقير إلى رحمة ربه الضعيف الحقير الذليل المنكسر خاطره عُبيد الله تعالى وأصغر عبيد المحتاج إليه عبد القادر بن عبد المولى بن علي بن سعيد بن إبراهيم المطيري ثم التموجري، غفر الله له ولوالديه ولأجداده ولمن علّمه ولجميع المسلمين والمسلمات الأحياء منهم والميتين.. وقد كتبه للفقيه الأجل العالم الأفضل المدرس البركة السيد أحمد بن عبد الله [...][1]، أحمد الله رأيه وأدام عزّه عليه ونفعه بهذا الكتاب.. وكان الفراغ منه يوم الأربعاء، وهو يوم عيد الفطر عام تسعة وثمانين وألف، وسلام على جميع الأنبياء والمرسلين والحمد لله رب العالمين».

النسخة الثانية: نسخة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات بالرياض:

وهي محفوظة في المركز برقم (١٢٨٠٢)، وتقع في (٢٥٣) ورقة، في كل صفحة (٣٧) سطرًا.

وهي مكتوبة بالخط المغربي، وخطها واضح ومقروء، وعلى هامشها تصويبات في بعض الصفحات، وهي قليلة السقط والتحريف، وفي بعض

---

(١) لم يتضح لي الاسم.

صفحاتها حواشٍ وتعليقات ولكن ليست بالكثيرة.

وأما تاريخ النسخة فهو سنة (١٠٨٤هـ)، وقد جاء في آخرها ما نصُّه: «[..][١] التفسير المبارك المسمى التسهيل لعلوم التنزيل بن جزي رحمه الله بحمد الله تعالى وحسن عونه وتأييده على يد العبد المذنب الفقير إلى الله تعالى إبراهيم بن أحمد بن سعيد الوسكري غفر الله له ولأسلافه، وكان الفراغ من نسخه [...][٢] في سنة أربع وثمانين ومئة وألف، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا».

★ عملي في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل:

١) قابلت بين النسخ الخطية الخمس التي اعتمدتها كلمةً كلمة، ولم أعتمد نسخةً منها أصلًا، وإنما رجَّحت من فروقات النسخ ما رأيته أرجح، وأثبتُّ باقي الفروقات في الهامش، وقد استأنست في ترجيح الفروقات بالنسختين الخطيتين الأُخريين، إضافة إلى المصادر التي يستمد منها ابن جزيٍّ تفسيره، وبالأخص المحرر الوجيز والكشاف، وكذلك ما يقتضيه السياق وقواعد اللغة، وكان جُلُّ همِّي أن أُخرج نص التسهيل سليمًا -حسب الاستطاعة- من التصحيف والتحريف، فهذا هو غاية التحقيق الحقيقية، كما يقول الأستاذ عبد السلام هارون: «مع أن العناية بأداء النصّ أقربَ ما يكون إلى السلامة هي المهمة الأولى لمحققي الكتب وناشريها، أما التعليق والتفسير أمرٌ نافلة زائدٌ على طبيعة التحقيق وأمانة الأداء»[٣].

---

(١) كلمة لم أتمكن من قراءتها.

(٢) كلمات لم أتمكن من قراءتها؛ بسبب المداد التي جاء عليها.

(٣) مجلة معهد المخطوطات (٢/ ١٨٨).

٢) جعلت رسم الآيات التي يفسرها ابن جزيٍّ وفق قراءة ورش عن نافع.

٣) طريقة ابن جزيٍّ أنه يذكر رأس الآية أو الكلمة التي تحتاج إلى تفسير في الآية ويفسرها، ولا يذكر مقاطع الآيات التي يروم تفسيرها، ولم يكتب جميع آيات القرآن في تفسيره، فأضفتُ مقاطع الآيات بين معقوفتين هكذا [ ]، وقد اعتمدت في تقسيم مقاطع الآيات -غالبا- على وقوف الركوعات المعلَّمة بعلامة (ع) في المصحف الأوردو الذي طبعه مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، والمصحف الكويتي، فهذه الركوعات تراعي المعنى في الغالب، وكل موقف منها بمثابة مقطع مناسب للركوع عنده، والغرض من إضافة هذه المقاطع التسهيل على الطالب إذا أراد قراءة الآيات كاملة قبل قراءة تفسيرها، وأيضًا؛ فإنها تفيد الدارس للكتاب الذي يريد أن يجعل له وِرْدًا معيَّنًا من الكتاب ليدرسه؛ فكل مقطع يعتبر بمثابة ورد مستقل للدراسة.

٤) أدرجت تقريرات فضيلة الشيخ العلامة: عبد الرحمن بن ناصر البراك -أمتع الله-، على المواضع المشكلة في العقيدة والسلوك، وإذا تكرر الإشكال في الكتاب أحلت إلى الموضع السابق للتعليق، وصنعت لهذه التعليقات فهرسًا في آخر الكتاب؛ ليسهل على مريدها الوصول إليها.

٥) خرَّجت الأحاديث التي أوردها المؤلف في كتابه تخريجًا مختصرًا.

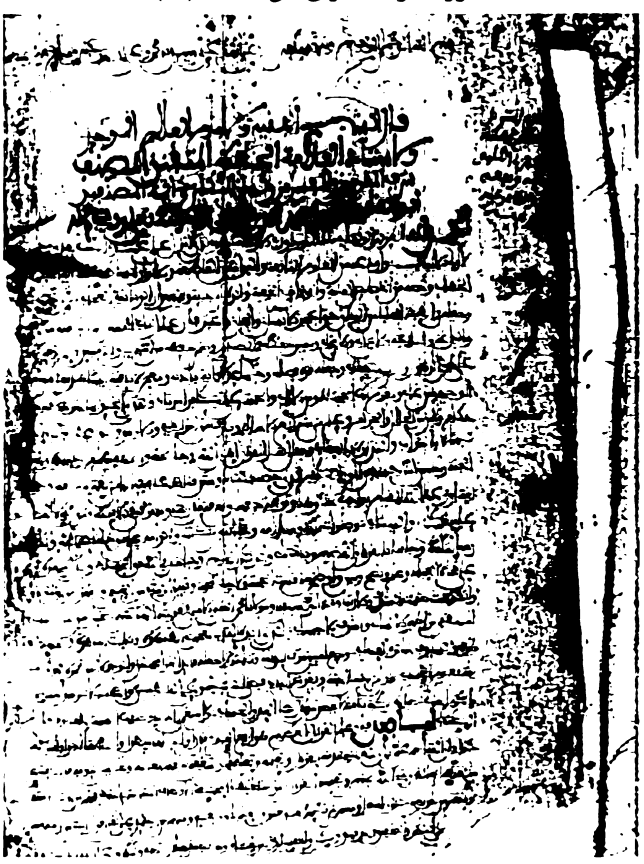
٦) أحلت على المصادر التي ينقل منها ابن جزي؛ فيما أمكن الرجوع إليه.

٧) علقت على ما أرى أنه يحتاج إلى تعليق، من شرح غريب، أو حلِّ مستغلق، أو إيضاح مشكل.

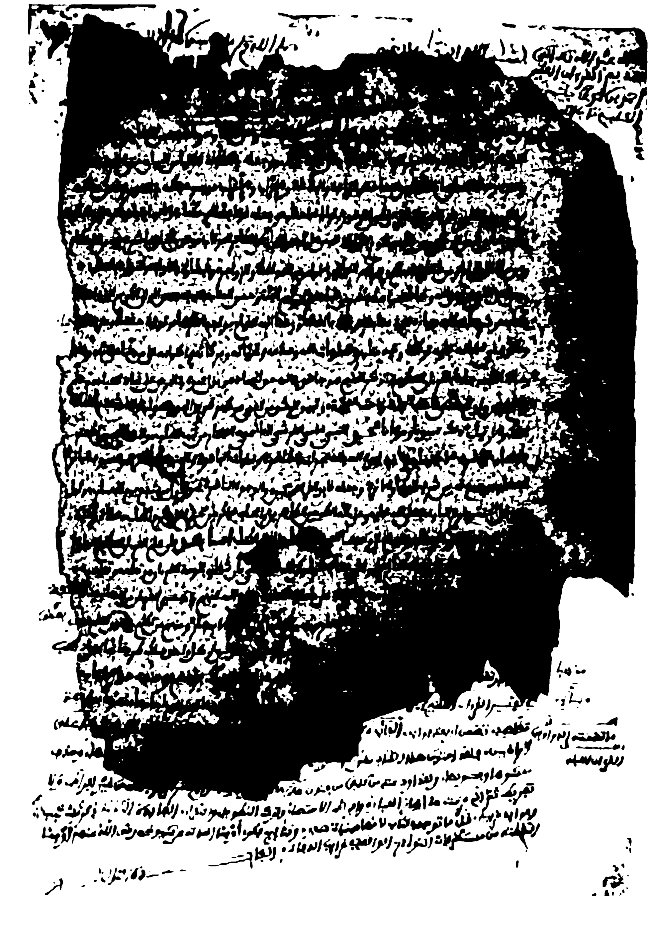
٨) في المقدمة الثانية التي وضعها ابن جزيٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ في غريب القرآن، رقَّمت مواد الغريب التي شرحها ابن جزيٍّ ترقيمًا متسلسلًا، وقد بلغت (٦٠٢) مادة، والغرض من ذلك سهولة الإحالة عليها إذا أحال ابن جزيٍّ في أثناء تفسيره إليها، فقد يذكر ابن جزي الكلمة في أثناء تفسيره ويقول: تقدَّم بيانها في اللغات، فأُحيل إليها في الحاشية بذكر رقم المادة، وأيضًا؛ ففيها تسهيل للطالب الذي يرغب في حفظ غريب ابن جزيٍّ بحيث يجعل له وردًا من المواد كل يوم ونحو ذلك.

★ نماذج من صور النسخ الخطية المعتمدة:

صورة اللوحة الأولى من نسخة (أ)



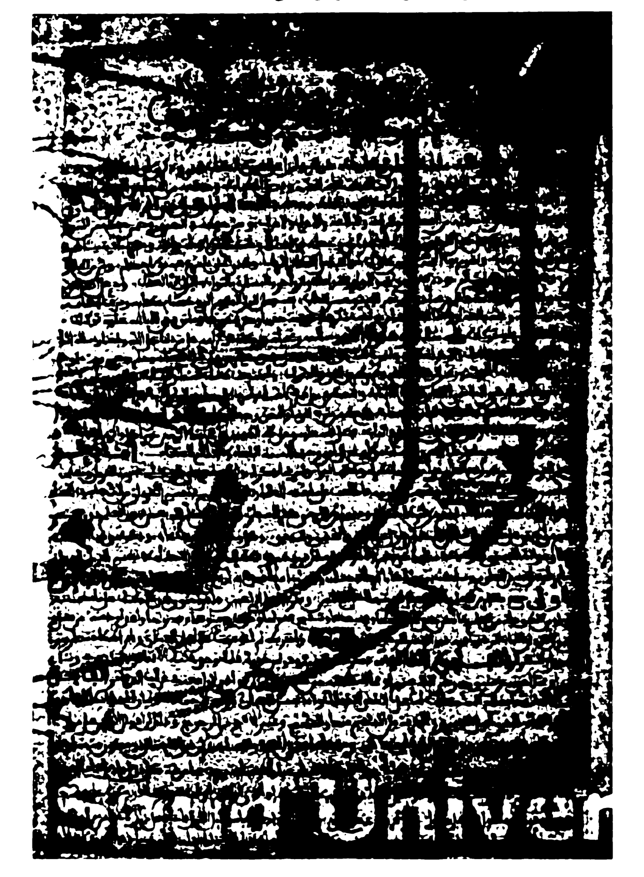
صورة اللوحة الأولى من نسخة (ب)



صورة اللوحة الأولى من نسخة (ج)

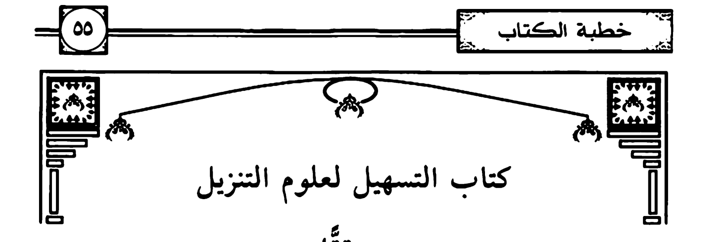
صورة اللوحة الأولى من نسخة (د)

صورة اللوحة الأولى من نسخة (هـ)



صورة اللوحة الأولى من نسخة خزانة جامع القرويين

صورة اللوحة الأولى من نسخة مركز الملك فيصل



كتاب التسهيل لعلوم التنزيل

محققًّا

بسم الله الرحمن الرحيم

قال عُبيد الله تعالى، وخَدِيمُ القرآن العظيم، محمدٌ المدعوُّ أبا القاسم بنِ أحمدَ بنِ محمدٍ بن جُزَيٍّ عفا الله عنه، وغفر له بمنِّه وفضله:

الحمد لله العزيز الوهاب، مالك الملوك وربِّ الأرباب، هو الذي أنزل على عبده الكتاب، هدًى وذكرى لأولي الألباب.

وأَودعه من العلوم النافعة، والبراهين القاطعة، والأنوار الساطعة: غايةَ الحكمة وفصْلَ الخطاب.

وخصَّه[1] من الخصائص العليّة، واللطائف الخفيّة، والدلائل الجليّة، والأسرار الربانية العِجابِ: بكل عَجَبٍ عُجابٍ.

وجعله في الطّبقة العُليا من البيان، حتى أعجز الإنس[2] والجانّ، واعترف زعماءُ أربابِ اللسان بما تضمَّنه من الفصاحة والبراعة والبلاغة والإعراب والإغراب.

---

(١) في ب، هـ: «وخصصه».

(٢) في أ: «الإنسان»، وفي الهامش: «خ: الإنس».

ويسَّر حفظه في الصدور، وضَمِن حفظه من التبديل والتغيير، فلم يتغيرْ، ولا يتغيرُ على طول الدُّهور وتوالي الأحقاب.

وجعله قولًا فصلًا، وحكَمًا عدْلًا، وآيةً باديةً، ومعجزةً باقيةً، يُشاهدها مَن شَهِد(١) الوحيَ ومن غاب، وتَقوم بها الحجةُ للمؤمن الأوَّاب، والحجةُ على الكافر المرتاب.

وهدى الخلقَ بما شَرَع فيه من الأحكام، وبيَّن مِن الحلال والحرام، وعلَّمَ من شرائع(٢) الإسلام، وصرَّف من النواهي والأوامر والمواعظ والزواجر والبِشارة بالثواب، والنِّذارة بالعقاب.

وجعل أهلَ القرآن أهلَ الله وخاصَّتَه، واصطفاهم مِن عباده، وأورثهم الجنةَ وحسنَ المآب.

فسبحان المولى الكريمِ الذي خصَّنا بكتابه، وشرَّفنا بخطابه، فيا لها(٣) نعمةٌ(٤) سابغة، وحجة بالغة، أوزعنا الله القيامَ بواجب شكرها، وتوفيةَ حقِّها، ومعرفةَ قدرِها، وما توفيقي إلا بالله، هو ربي لا إله إلا هو عليه توكّلت وإليه متابِ.

وصلواتُ الله وسلامه وتحيَّاته وبركاته وإكرامه على مَن دلَّنا على الله، وبلَّغنا رسالةَ الله، وجاءنا بالقرآن العظيم، وبالآيات والذكر الحكيم،

---

(١) في ب: «يشهدها من شهد»، وفي د، هـ: «يشاهدها من شاهد».
(٢) في ب، ج، هـ: «شعائر»، وكذا في هامش أ ورمز له بـ«خ».
(٣) في ب، ج، هـ: «فيا له».
(٤) في أ: «من نعمةٍ».

وجاهدَ في الله حقَّ الجهاد، وبذل جُهده في الحرص على نجاة العباد، وعلَّمَ ونصَح، وبيَّن وأوضَح، حتى قامت الحجةُ، ولاحَت المحجَّةُ، وتبيَّن الرشدُ من الغيِّ، وظهر طريقُ الحقِّ والصواب، وانقشعت ظلمات الشكِّ[1] والارتياب، ذلك سيدُنا ومولانا محمدٌ النبيُّ الأميُّ القرشيُّ الهاشميُّ المختارُ مِن لباب اللباب، والمصطفى من أطهر الأنساب وأشرف الأحساب، الذي أيّده الله بالمعجزات الظاهرةِ، والآيات الباهرة، والجنود القاهرة، والسيوف الباترة العِضاب، وجمع له بين شرف الدنيا والآخرة، وجعله قائدَ الغُرِّ المحجَّلِين والوجوهِ الناضرة، فهو أوَّلُ مَن يَشفع يوم الحساب، وأول مَن يدخل الجنة ويقرع الباب.

فصلَّى الله عليه وعلى آله الطيبين، وأصحابه الأكرمين[2]، خيرِ أهل وأكرم أصحاب، صلاةً زاكية ناميةً[3] لا يَحصُرُ مقدارَها العدُّ والحساب، ولا يَبلغ إلى أدنى وصفِها ألسنةُ البلغاءِ، ولا أقلام الكُتَّاب.

أمَّا بعدُ: فإنَّ علمَ القرآن العظيم هو أرفعُ العلوم قدرًا، وأجلُّها خطَرًا، وأعظمها أجرًا، وأشرفها ذكرًا، وإنَّ الله أنعمَ عليَّ بأن شغَلني بخدمة القرآن وتعلُّمه وتعلِيمه، وشغَفني بتفهُّم معانيه وتحصيل علومِه، فاطّلعتُ على ما صنفه العلماء ﷺ في تفسير القرآن من التصانيف المختلفةِ الأوصاف، المتباينةِ الأصناف:

فمنهم مَن آثر الاختصار.

---

(١) في هامش أ: «خ: الشرك».

(٢) في د: «الأكملين».

(٣) في د: «تامة».

ومنهم مَن طوَّل حتى كثّر[1] الأسفار.

ومنهم من تكلَّم في بعض فنون العلم دون بعض.

ومنهم من اعتمد على نقل أقوال الناس.

ومنهم من عوَّل على النظر والتحقيق والتدقيق.

وكلُّ واحدٍ سلك طريقًا نحَاه، وذهب مذهبًا ارتضاه، وكلًّا وعد الله الحسنى، فرغبتُ في سلوك طريقهم، والانخراط في سلك فريقهم، وصنَّفتُ هذا الكتاب في تفسير القرآن العظيم، وسائرِ ما يتعلَّق به من العلوم، وسلكتُ به مسلكًا نافعًا، إذ جعلتُه وجيزًا جامعًا، قصدتُ به أربعَ مقاصدَ، تتضمَّن أربعَ فوائدَ:

الفائدةُ الأولى: جمعُ كثيرٍ من العلم في كتاب صغير الحجم[2]؛ تسهيلًا على الطَّالبين، وتقريبًا على الرَّاغبين، فلقد احتوى هذا الكتاب على ما تضمَّنته الدواوينُ الطويلة من العلم، ولكن بعد تلخيصِها وتمحيصها، وتنقيح فصولها، وحذف حَشْوها وفُضولها، ولقد أودعتُه مِن كلِّ فنٍّ من فنون علوم[3] القرآن اللبابَ المرغوبَ فيه، دون القشرِ المرغوبِ عنه، من غير إفراطٍ ولا تفريط، ثم إني عزمت على إيجاز العبارة، وإفراط الاختصار، وتركِ التطويل والتَّكرار.

الفائدة الثانية: ذكْرُ نُكَتٍ عجيبةٍ، وفوائدَ غريبةٍ، قلَّما توجد في كتاب؛

---

(١) في ج، د: «أكثر».

(٢) في ب، د: «الجِرْم».

(٣) في ب، ج، هـ: «علم».

لأنها من بنات صدري، ونتائج فِكْري، أو مما أخذته عن شيوخي ﷺ، أو مما التقطتُه من مُستظرفات النوادر، الواقعة في غرائب الدفاتر.

الفائدة الثالثة: إيضاحُ المشكلات، إمَّا بحلِّ العُقَدِ المقفَلات، وإما بحسنِ العبارة، ورفعُ الاحتمالات، وبيانُ المجملات.

الفائدة الرابعة: تحقيقُ أقوال المفسرين، والتفرقةُ بين السقيم منها والصحيح، وتمييزُ الرَّاجح من المرجوح.

وذلك أنَّ أقوال الناس على مراتبَ:

فمنها: الصحيح الذي يُعوَّلُ عليه.

ومنها: الباطل الذي لا يُلتفتُ إليه.

ومنها: ما يَحتمل الصحةَ والفساد، ثم إنّ هذا الاحتمالَ قد يكون: متساويًا، أو متفاوتًا، والتفاوتُ قد يكون: قليلًا أو كثيرًا.

وإني جعلتُ لهذه الأقسام عباراتٍ مختلفة، يُعرَفُ بها مرتبةُ كلِّ قولٍ:

فأدناها: ما أصرِّحُ بأنه «خطأٌ»، أو «باطلٌ».

ثم: ما أقول فيه: إنه «ضعيفٌ»، أو «بعيدٌ».

ثم: ما أقول: «إن غيرَه أرجحُ منه»، أو «أقوى»، أو «أظهرُ»، أو «أشهرُ».

ثم: ما أقدِّمُ غيرَه عليه؛ إشعارًا بترجيح المتقدِّم، أو ما أقولُ فيه: «قيل: كذا»؛ قصدًا للخروج عن عُهدته.

وأمَّا إذا صرَّحتُ[١] **باسم قائل القول فإني أفعل ذلك لأحد أمرين:**

إما للخروج عن عهدته.

وإما لنُصرته، إذا كان قائله ممن يُقتدَى به.

على أني لا أنسبُ[٢] الأقوالَ إلى أصحابها إلَّا قليلًا، وذلك لقلَّةِ صحةِ إسنادها إليهم، أو لاختلافِ الناقلين في نسبتها إليهم.

وأمَّا إذا ذكرتُ شيئًا دون حكايةِ قوله عن أحدٍ: فذلك إشارة إلى أني أتقلَّدُه وأرتضيه، سواءٌ كان من تلقاءِ نفسي، أو مما أَختاره من كلام غيري.

وإذا كان القول في غاية السقوط والبطلان لم أذكرْه؛ تنزيهًا للكتاب، وربما ذكرتُه تحذيرًا منه.

وهذا الذي ارتكبتُه[٣] من الترجيح والتصحيح مبنيٌّ على القواعد العلمية، أو على ما تقتضيه اللغة العربية.

وسنذكر بعد هذا بابًا في موجبات التّرجيح بين الأقوال إن شاء الله تعالى.

وسمَّيتُ هذا الكتاب: «كتاب التَّسهيلِ لعلومِ التَّنزيلِ»

وقدَّمتُ في أوَّلِه مقدمتين:

إحداهما: في أبوابٍ نافعة، وقواعدَ كليةٍ جامعة.

---

(١) في د زيادة: «فيه».

(٢) في ب، د: «لست أنسب»، وفي هـ، ج: «أني نسبت»!.

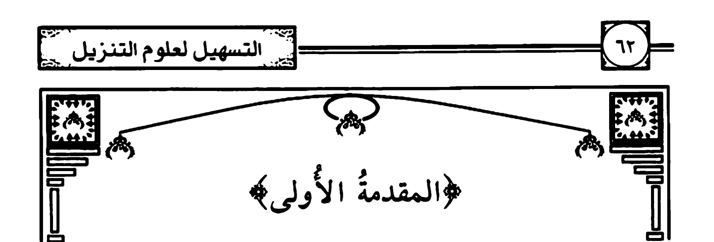
(٣) في ب: «ارتكبتُ»، وفي د: «أرتكبه».

والأخرى: فيما كثر دَوره من اللغات الواقعةِ في القرآن.

وأنا أرغبُ إلى الله العظيم الكريم أن يجعلَ تصنيفَ هذا الكتابِ عملًا مبرورًا، وسعيًا مشكورًا، ووسيلةً توصلني إلى جنات النعيم، وتنقذني من عذاب الجحيم.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

* * *



﴿المقدمةُ الأُولى﴾

فيها اثنا عشرَ بابًا:

﴿البابُ الأول﴾

في نزول القرآن، وجمعِه في المصحف، ونقْطِه، وتحزيبه، وتعشيره، وذكرِ أسمائه(١)

* نزل القرآن على رسول الله ﷺ مِن أوَّل ما بعثه الله بمكة وهو ابنُ أربعين سنة إلى أن هاجر إلى المدينة، ثم نزل عليه بالمدينة إلى أن توفاه الله.

فكانت مدةُ نزولِه عليه:

عشرين سنةً.

وقيل: كانت ثلاثًا وعشرين سنةً.

على حسب الاختلاف في سنِّه ﷺ يوم تُوفِّي هل كان ابنَ ستين سنةً؟ أو(٢) ثلاثٍ وستين(٣)؟

---

(١) انظر: المحرر الوجيز، لابن عطية (١/ ٣٧، ٥١).

(٢) في هـ، د زيادة: «ابن».

(٣) في أ زيادة: «سنة».

وكان ربما تنزلُ[١] عليه سورةٌ كاملة، وربما تنزل[٢] عليه آيات متفرِّقاتٌ[٣] فيَضمُّ ﷺ بعضَها إلى بعض حتى تكمل السورة.

وأولُ ما نـزل من القرآن:

صدرُ سورة العلق، ثم المدثر و[٤]المزمل.

وقيل: أول ما نزل: المدثر.

وقيل: فاتحة الكتاب.

والأول هو الصحيح؛ لما ورد في الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها في حديثها الطويل في ابتداء الوحي قالت فيه: «جاءه الملك وهو بغار حراء، قال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطَّني حتى بلغ مني الجَهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني الثانيةَ حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ [العلق: ١-٥]. فرجع بها رسول الله ﷺ تَرجُف بَوادِرُه[٥]،

---

(١) في د: «نزلت»، وفي هامش أ: «خ: نزل».

(٢) في د وهامش أ: «نزل»

(٣) في أ: «مفترقة».

(٤) في د: «ثم».

(٥) كذا في أ، ب وهي الموافقة لما في رواية مسلم، وفي ج، هـ: «ترجف بها بوادره»، والبوادر جمع بادِرَة، وهي لَحمةٌ بين المنكِب والعُنق، أي: ترعد وتضطرب.
انظر: النهاية لابن الأثير (١/ ٢٥٥).
وفي د: «يرجف بها فؤاده» وهي موافقة لرواية البخاري.

فقال: زمِّلوني، زملوني، فزمَّلوه حتى ذهب عنه ما يجد من الرَّوع»[١].

وفي رواية من طريق جابر بن عبد الله: «فقال رسول الله ﷺ: زملوني، فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾ [المدثر: ١]»[٢].

وأما آخِرُ ما نزل من القرآن:

فسورةُ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾.

وقيل: آية الربا التي في البقرة.

وقيل: الآية التي قبلها.

وكان القرآن على عهد رسول الله ﷺ مفترقًا في الصحف وفي صدور الرجال، فلما توفي رسول الله ﷺ قعد علي بن أبي طالب رضي الله عنه في بيته فجمعه على ترتيب نزوله، ولو وجد مصحفه لكان فيه علمٌ كبير، ولكنه لم يوجد[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠).

(٢) أخرجها البخاري (٤)، ومسلم (١٦١).

(٣) أخرج أبو بكر ابن أبي داود في «كتاب المصاحف» (ص ٥٩): «عن أشعث عن محمد بن سيرين قال: لما توفى النبي ﷺ أقسم على أن لا يرتدي برداء إلَّا لجمعة حتى يجمع القرآن في مصحف، ففعل، فأرسل إليه أبو بكر بعد أيام: أكَرِهْتَ إمارتي يا أبا الحسن؟ قال: لا والله، إلَّا أني أقسمت أن لا أرتدي برداء إلَّا لجمعة، فبايَعَه ثم رجع»، ثم قال ابن أبي داود معلِّقًا على هذا الأثر: «لم يذكر المصحفَ أحدٌ إلَّا أشعث، وهو لين الحديث، وإنما رووا: «حتى أجمع القرآن» يعني: أُتِمَّ حفْظَه، فإنه يقال للذي يحفظ القرآن: قد جمع القرآن»، وأعلَّ هذا الأثر أيضًا ابن كثير في كتابه «فضائل القرآن» (ص ٨٨) بأنه: «فيه انقطاع»، وقال تعليقًا على قول ابن أبي داود: «وهذا الذي قاله أبو بكر أظهر -والله أعلم-، فإن عليًا لم ينقل عنه مصحف -على ما قيل- ولا غير ذلك». وانظر: الاتقان للسيوطي (٢/ ٣٨٠).

فلما قُتِل جماعةٌ من الصحابة يوم اليمامة في قتال مُسيلِمة الكذاب أشار عمر بن الخطاب على أبي بكر الصديق رضي الله عنهما بجمع القرآن؛ مخافةَ أن يذهب بموت القرَّاء، فجمعه في صحف غيرَ مرتَّبِ السورِ، وبقيت تلك الصحف عند أبي بكر الصديق، ثم عند عمر بعده، ثم عند بنته حفصةَ أم المؤمنين.

وانتشرت في خلال ذلك صحفٌ كُتبت في الآفاق عن الصحابة، وكان بينها اختلافٌ، فأشار حذيفة بن اليمان على عثمان بن عفان رضي الله عنهما بجمع الناس على مصحف واحد؛ خِيفةً من اختلافهم، فانتدب لذلك عثمانُ، وأمر زيدَ ابن ثابت بجمعه وجعل معه ثلاثةً من قريش؛ عبد الله بن الزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وسعيد بن العاص بن أمية، وقال لهم: إذا اختلفتم في شيءٍ فاجعلوه بلغة قريش، وجعلوا المصحف الذي كان عند حفصة إمامًا في هذا الجمع الأخير، وكان عثمان رضي الله عنه يتعهَّدهم ويشاركهم في ذلك، فلما كمل المصحف نسخ عثمان رضي الله عنه منه نُسَخًا، ووجهها إلى الأمصار، وأمر بما سواها من المصاحف أن تحرق، أو تخرق -يروى بالحاء المهملة، والخاء المنقوطة-.

فترتيب السور على ما هو الآن عليه: هو من فعل عثمان وزيد بن ثابت والذين كتبوا معه المصحف.

وقد قيل: إنه من فعل رسول الله ﷺ، وذلك ضعيفٌ، تردُّه الآثار الواردةُ في ذلك.

★ **وأما نقْطُ القرآن وشَكْلُه**: فأوَّل من فعل ذلك:

الحجاج بن يوسف، بأمر عبد الملك بن مروان، وزاد الحجاج تحزيبَه.

وقيل: أول من نقَطه يحيى بن يَعْمَرَ.

وقيل: أبو الأسود الدُّؤليُّ.

★ **وأما وضعُ الأعشار فيه:**

فقيل: إن الحجاج فعل ذلك.

وقيل: بل أمر به المأمون العباسيُّ.

★ **وأما أسماؤه:** فهي أربعة: القرآن، والفرقان، والكتاب، والذِّكر.

وسائر ما يُسمَّى به صفاتٌ لا أسماءُ، كوصفه بالعظيم، والكريم، والمبين، والعزيز، والمجيد، وغير ذلك.

فأما القرآن: فأصله مصدر: قرأ، ثم أُطلق على المقروء.

وأما الفرقان: فمصدرٌ -أيضًا-، معناه: التفرقة بين الحق والباطل.

وأما الكتاب: فمصدرٌ، ثم أطلق على المكتوب.

وأما الذكر: فسُمِّي القرآن به؛ لما فيه من ذكر الله، أو[1] مِن التذكير والمواعظ.

ويجوز في «السُّورة» من القرآن: الهمزُ.

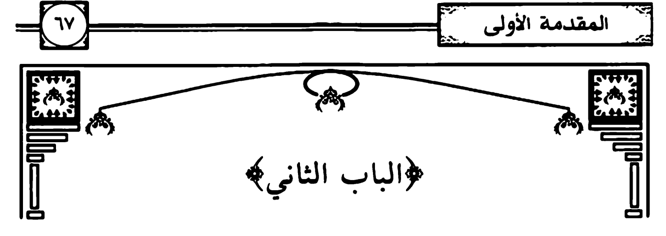
وتركُ الهمزِ لغةُ قريشٍ.

وأما الآيةُ: فأصلها: العلامة، ثم سُمِّيت الجملةُ من القرآن آيةً[2]؛ لأنها علامةٌ على صدق النبيِّ ﷺ.

---

(١) في هـ: «و».

(٢) في ب، هـ: «به».



﴿الباب الثاني﴾

في السور المكية والمدنية

★ اعلمْ:

أنَّ السُّورَ المكيةَ: هي التي نزلت بمكة، ويُعَدُّ منها: كلُّ ما نزل قبل الهجرة وإن نزل بغير مكة.

كما أن المدنيةَ: هي السور التي نزلت بالمدينة، ويُعَدُّ منها: كلُّ ما نزل بعد الهجرة وإن نزل بغير المدينة.

★ وتنقسم السور ثلاثةَ أقسامٍ:

[١-] قسمٌ مدنية باتفاقٍ، وهي اثنتان وعشرون سورةً.

وهي: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنفال، وبراءة، والنور، والأحزاب، والقتال، والفتح، والحجرات، والحديد، والمجادلة، والحشر، والممتحنة، والصف، والجمعة، والمنافقون، والتغابن، والطلاق، والتحريم، و﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾.

[٢-] وقسم فيها خلافٌ؛ هل هي مكية أو مدنية؟ وهي ثلاثَ عشرةَ سورةً.

أم القرآن، والرعد، والنحل، والحج، والإنسان، والمطففين[1]، والقدر، و﴿لَمْ يَكُنْ﴾، و﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾، و﴿أَرَءَيْتَ﴾، والإخلاص، والمعوِّذتان.

[٣-] **وقسمٌ مكية باتفاق**، وهي سائرُ السور.

وقد وقعت آياتٌ مدنية في سور مكية، كما وقعت آيات مكية في سور مدنية، وذلك قليلٌ، مختلَفٌ في أكثره.

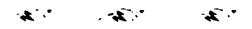
★ **واعلمْ:**

أنَّ السور المكية نزل أكثرُها في: إثبات العقائد، والردِّ على المشركين، وفي قَصص الأنبياء.

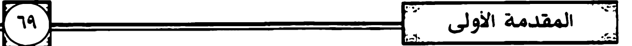
وأن السور المدنية نزل أكثرُها في: الأحكام الشرعية، وفي الرد على اليهود والنصارى، وذكر المنافقين، والفتوى في مسائل، وذكرِ غَزَوات النبي ﷺ.

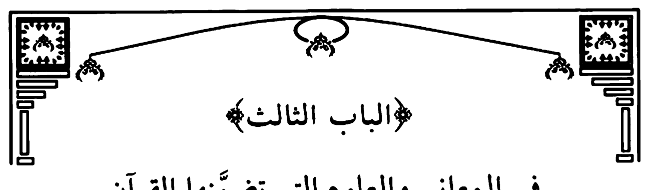
وحيثما ورد: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ فهو مدنيٌّ.

وأما ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ فقد وقع في المكيِّ والمدنيِّ.



(١) في ب، ج، هـ: «والمطففون».





في المعاني والعلوم التي تضمَّنها القرآن

ولنتكلم في ذلك على الجملة والتفصيل.

★ **أما على الجملة**: فاعلم أن المقصودَ بالقرآن: دعوةُ الخلق إلى عبادة الله، وإلى الدخول في دين الله، ثم إن هذا المقصِدَ يقتضي أمرين لا بد منهما، وإليهما ترجع معاني القرآن كله:

أحدهما: بيان العبادة التي دُعِي الخلق إليها.

والآخر: ذكر بواعثَ تبعثهم على الدخول فيها، وتقودهم إليها.

فأما العبادة: فتنقسم إلى نوعين وهما: أصول العقائد، وأحكام الأعمال.

وأما البواعث عليها: فأمران؛ وهما: الترغيب، والترهيب.

★ **وأما على التفصيل**: فاعلم أن معانيَ القرآن سبعةٌ؛ وهي: علمُ الربوبية، والنبوَّةُ، والمعاد، والأحكام، والوعد، والوعيد، والقَصص.

★ **[١-] فأما علم الربوبية:**

فمنه: إثباتُ وجود الباري جل جلاله، والاستدلالُ عليه بمخلوقاته، فكلُّ ما جاء في القرآن من التنبيه على المخلوقات، والاعتبار في خِلْقة

الأرض والسموات والحيوان والنبات والرياح والأمطار والشمس والقمر والليل والنهار وغير ذلك من الموجودات؛ فهو دليلٌ على خالقه.

ومنه: إثبات الوَحدانية، والردُّ على المشركين، والتعريفُ بصفات الله من الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر وغير ذلك من أسمائه وصفاته، وتنزيهُه عما لا يليق به.

★ [٢-] **وأما النبوّة**: فإثبات نبوة الأنبياء عليهم السلام على العموم، ونبوة محمد ﷺ على الخصوص، وإثباتُ الكتب التي أنزلها الله عليهم، ووجودِ الملائكة الذين كان منهم وسائطُ بين الله وبينهم، والردُّ على من كفر بشيءٍ من ذلك.

وينخرط في سِلْك هذا: ما ورد في القرآن من تأنيس النبي ﷺ وكرامته[1]، والثناءِ عليه وعلى سائر الأنبياء صلى الله عليه وعليهم أجمعين.

★ [٣-] **وأما المعاد**: فإثباتُ الحشر، وإقامةُ البراهين عليه، والردُّ على من خالف فيه، وذكر ما في الدار الآخرة من الجنة والنار والحساب والميزان وصحائف الأعمال وكثرة الأهوال وغير ذلك.

★ [٤-] **وأما الأحكام**: فهي الأوامر والنواهي، وتنقسم خمسةَ أنواعٍ: واجب ومندوب وحرام ومكروه ومباح.

ومنها:

ما يتعلق بالأبدان، كالصلاة والصيام.

---

(١) في د: «وكذا أمته»!، ولعله تصحيف.

وما يتعلق بالأموال كالزكاة.

وما يتعلق بالقلوب، كالإخلاص والخوف والرجاء وغير ذلك.

★ [-٥] **وأما الوعد:**

فمنه وعدٌ بخير الدنيا، من النصر والظهور وغير ذلك.

ومنه بخيرِ الآخرة، وهو الأكثر، كأوصاف الجنة ونعيمِها.

★ [-٦] **وأما الوعيد:**

فمنه تخويفٌ بالعقاب في الدنيا.

ومنه تخويفٌ بالعقاب في الآخرة، وهو الأكثر، كأوصاف جهنم وعذابها، وأوصاف القيامة وأهوالها.

وتأمَّل القرآن؛ تجد الوعد مقرونًا بالوعيد، قد[١] ذُكِر أحدهما على إِثْر ذكْرِ الآخر؛ ليجمعَ بين الترغيب والترهيب، وليتبيَّنَ أحدُهما بالآخر، كما قيل:

.... فبضدِّها تتبيَّنُ الأشياءُ[٢]

★ [-٧] **وأما القَصص:** فهو ذكر أخبار الأنبياء المتقدمين وغيرهم؛ كقصة أصحاب الكهف، وذي القرنين.

فإن قيل: ما الحكمة في تكرار قَصص الأنبياء في القرآن؟

---

(١) في أ، ب: «وقد».

(٢) هذا عجُز بيت للمتنبي، وصدره: «ونَذِيمهم وبها عرفْنا فضلهُ»، انظر: شرح أبي البقاء العكبري على ديوان المتنبي (١/ ٢٢).

فالجواب: من ثلاثة أوجهٍ:

الأول: أنه ربما ذُكِر في سورةٍ من أخبار الأنبياء ما لم يُذكَرْ في سورة أخرى، ففي كلٍّ واحدة منهما فائدةٌ زائدة على الأخرى.

الوجه الثاني: أنه ذُكِرتْ أخبار الأنبياء في مواضع على طريقة الإطناب، وفي مواضع على طريقة الإيجاز؛ لتظهر فصاحة القرآن في الطريقتين.

الوجه الثالث: أن أخبار الأنبياء قُصِد بذكرها مقاصد كثيرةٌ[1] فتعدَّدَ ذكرُها بتعدد تلك المقاصد.

فمن المقاصد بها: إثباتُ نبوة الأنبياء المتقدمين؛ بذكر ما جرى على أيديهم من المعجزات، وذكرِ إهلاك من كذبهم بأنواع من الهلاك[2].

ومنها: إثبات نبوة محمد ﷺ؛ لإخباره بتلك الأخبار من غير تعلُّم من أحد، وإلى ذلك الإشارةُ بقوله تعالى: ﴿مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا﴾ [هود: ٤٩].

ومنها: إثبات الوَحدانية، ألَا ترى أنه لما ذكر إهلاك الأمم الكافرة قال: ﴿فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ [هود: ١٠١].

ومنها: الاعتبار في قدرة الله تعالى، وشدَّةِ عقابه لمن كفر به.

ومنها: تسليةُ النبي ﷺ عن تكذيب قومه له؛ بالتأسي بمن تقدم من

---

(١) سقطت هذه الكلمة من ج، هـ.

(٢) في د: «المهالك».

الأنبياء؛ كقوله: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِن قَبْلِكَ﴾ [الأنعام: ٣٤].

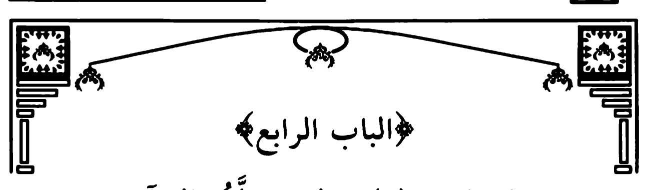
ومنها: تأنيسُه[1] ﷺ، ووعدُه بالنصر كما نُصِر الأنبياء الذين من قبله.

ومنها: تخويف الكفار بأن يعاقبوا كما عوقب الكفار الذين من قبلهم.

إلى غير ذلك مما احتوت عليه أخبار الأنبياء من العجائب والمواعظ واحتجاجِ الأنبياء وردِّهم على الكفار، وغير ذلك، فلما كانت أخبار الأنبياء تفيد فوائدَ كثيرةً ذُكِرت في مواضع كثيرةٍ، ولكلِّ مقامٍ مقالٌ.

---

(١) في ج، هـ: «تسليته».



﴿الباب الرابع﴾

في فنون العلوم التي تتعلَّقُ بالقرآن

اعلمْ: أنَّ الكلامَ على القرآن يَستدعي الكلام في اثني عشَرَ فنًّا من العلوم، وهي: التفسيرُ، والقراءات، والأحكام، والنسخ، والحديث، والقَصص، والتصوف، وأصول الدين، وأصول الفقه، واللغة، والنحو، والبيان.

★ [١-] **فأما التفسير**: فهو المقصود لنفسه، وسائرُ هذه الفنون أدواتٌ تعين عليه، أو تتعلق به، أو تتفرَّع منه.

ومعنى التفسير: شرح القرآن وبيان معناه، والإفصاح بما يقتضيه بنصه أو إشارته أو فحواه.

واعلم: أن التفسير منه متفق عليه، ومختلف فيه، ثم إن المختلف فيه على ثلاثة أنواع:

أحدها: اختلافٌ في العبارة مع اتفاقٍ في المعنى، فهذا عدَّه كثير من المؤلفين في التفسير خلافًا، وليس في الحقيقة بخلاف؛ لاتفاق معناه.

وجعلناه نحن قولًا واحدًا، وعبَّرنا عنه بأحد[1] عبارات المتقدمين، أو بما يقرب منها، أو بما يجمع معانيَها.

---

(١) في د: «بإحدى».

النوع الثاني: اختلاف في التمثيل؛ لكثرة الأمثلة الداخلة تحت معنًى واحدٍ، وليس مثالٌ منها على خصوصه هو المراد، وإنما المراد المعنى العام الذي[١] تندرج تلك الأمثلة تحت عمومه، فهذا عدَّه أيضًا كثيرٌ من المؤلفين خلافًا، وليس في الحقيقة بخلاف؛ لأن كلَّ قولٍ[٢] منها مثالٌ للمراد، وليس بكل المراد.

ولم نَعُدَّه نحن خلافًا، بل عبَّرنا عنه بعبارة عامة تدخل تلك الأقوال تحتها، وربما ذكرنا بعض تلك الأقوال على وجه التمثيل مع التنبيه على العموم المقصود.

النوع الثالث: اختلافٌ في المعنى، فهذا هو الذي عدَدْناه خلافًا، ورجَّحنا فيه بين أقوال الناس حسَبما ذكرناه في خطبة الكتاب.

فإن قيل: ما الفرق بين التفسير والتأويل؟

فالجواب: أن في ذلك ثلاثةَ أقوال:

الأول: أنهما بمعنًى واحدٍ.

الثاني: أن التفسير: للفظ، والتأويل: للمعنى.

الثالث -وهو الصواب-: أن التفسير هو الشرح، وأن التأويل هو حمل الكلام على معنًى غيرِ المعنى الذي يقتضيه ظاهر اللفظ؛ لموجب اقتضى أن يُحمَل على ذلك ويخرج عن ظاهره.

---

(١) في ب، ج، هـ: «التي».
(٢) في ب، ج، هـ: «لأن كلًّا».

★ [٢-] **وأما القراءات**: فإنها في القرآن بمنزلة الرّواية في الحديث، فلا بد من ضبطها كما يضبطُ الحديث بروايته.

ثم إن القراءات على قسمين: مشهورة، وشاذّة.

فالمشهورةُ: هي القراءات السبع وما جرى مجراها؛ كقراءة يعقوبَ[(١)] وابنِ محيصِنٍ[(٢)].

والشاذة: ما سوى ذلك.

وإنما[(٣)] بنينا هذا الكتابَ على قراءة نافعٍ المدنيِّ[(٤)]؛ لوجهين:

أحدهما: أنها القراءة المستعملة في بلادنا بالأندلس وسائر المغرب.

والآخر: الاقتداءُ بالمدينة شرفها الله تعالى؛ لأنها قراءة أهل المدينة، وقال مالك بن أنس: قراءة نافع سنةٌ.

وذكرنا من سائر القراءات ما فيه فائدةٌ في المعنى والإعراب أو غير ذلك، دون ما لا فائدة فيه زائدة، واستغنينا عن استيفاء القراءات؛ لكونها مذكورةً في الكتب المؤلفة فيها، وقد صنَّفْنا فيها كتبًا نفع الله بها، وأيضًا؛ فإنا لما

---

(١) هو يعقوب بن إسحاق الحضرمي، قارئ أهل البصرة في عصره، توفي سنة (٢٠٥هـ). انظر: معرفة القراء الكبار، للذهبي (٩٤).

(٢) هو محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي مولاهم المكي، قارئ أهل مكة، توفي سنة (١٢٣هـ). انظر: معرفة القراء الكبار، للذهبي (٥٦).

(٣) في ب، ج، هـ: «وإنا».

(٤) هو نافع بن عبد الرحمن ابن أبي نعيم الليثي، مولاهم، أبو رويم المقرئ المدني، توفي سنة (١٦٩هـ). انظر: معرفة القراء الكبار، للذهبي (٦٤).

عزمنا في هذا الكتاب على الاختصار حذفْنا منه ما لا تدعو إليه ضرورةٌ، وقد ذكرنا في هذه المقدمات بابًا في قواعد أصول القراءات.

★ [٣-] وأما أحكام القرآن: فهي تفسير ما ورد فيه من الأوامر والنواهي والمسائل الفقهية.

وقال بعض العلماء: إن آيات الأحكام خمسُ مئةِ آيةٍ، وقد تنتهي إلى أكثرَ من ذلك إذا استُقصيَ تتبعها في مواضعها.

وقد صنَّف الناس في أحكام القرآن تصانيفَ كثيرةٍ.

ومن أحسن تصانيف المشارقة فيها: تأليف إسماعيل القاضي[١]، وأبي الحسن كِيَاهْ[٢].

ومن أحسن تصانيف أهل الأندلس[٣]: تأليف القاضي الإمام أبي بكر

---

(١) هو أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد بن درهم بن بابك الجهضمي الأزدي المالكي، وبه تفقه أهل العراق من المالكية، توفي سنة (٢٨٢هـ). انظر: الديباج المذهب، لابن فرحون (١/ ٢٨٢).

(٢) هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي الكيا الهرَّاسي الشافعي، والكيا: لفظة أعجمية معناها: الكبير القدر المقدم بين الناس، توفي سنة (٥٠٤هـ). انظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان (٣/ ٢٨٦)، و«كيا» و«كياه» بمعنى واحد، و«أل» فيها للتعريف، قال العطار في حاشيته على شرح المحلي على «جمع الجوامع» في ضبطه (١/ ٣٣٩): «ضبطه الكورانيُّ بفتحها؛ لأن «كِيَا» معناه: العظيم، وأل حرف تعريف وهمزتها بالفتح؛ لأنها همزة وصلٍ».

(٣) في ب، د زيادة: «فيها».

ابن العربي[١]، والقاضي الحافظ أبي محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم المعروف بابن الفَرَس[٢].

★ [٤-] **وأما النسخ**: فهو يتعلقُ[٣] بالأحكام؛ لأنها محلُّ النسخ؛ إذ لا تُنسَخُ الأخبار.

ولا بد من معرفة ما وقع في القرآن من الناسخ والمنسوخ، والمحكم؛ وهو ما لم يُنسَخ.

وقد صنف الناس في ناسخ القرآن ومنسوخه تصانيفَ كثيرةٍ، أحسنها: تأليف القاضي أبي بكر بن العربي.

وقد ذكرنا في هذه المقدمات بابًا في قواعد النسخ، وذِكْرِ ما تكرَّر[٤] في القرآن من المنسوخ، وذكرْنا سائرَه في مواضعه.

★ [٥-] **وأما الحديث**: فيحتاج المفسِّرُ إلى روايته وحفظه؛ لوجهين:

الأول: أنّ كثيرًا من آيات القرآن نزلت في قوم مخصوصين، ونزلت بأسبابِ قضايا وقعت في زمان النبي ﷺ من الغزوات والنوازل والسؤالات، فلا بد من معرفة ذلك؛ ليُعلَم فيمن نزلت الآية، وفيما نزلت، ومتى نزلت؛

---

(١) الإمام المالكي المعروف، توفي سنة (٥٤٣هـ). انظر: الديباج المذهب، لابن فرحون (٢/ ٢٥٢).

(٢) الخزرجي المالكي، توفي سنة (٥٩٩هـ). انظر: الديباج المذهب، لابن فرحون (٢/ ١٣٣).

(٣) في ب، ج، هـ: «ما يتعلق».

(٤) في ج، هـ: «ما تقرر».

فإن النسخ مبنيٌّ على معرفة تاريخ النزول؛ لأن المتأخر ناسخٌ للمتقدم.

والوجه الآخر: أنه ورد عن النبي ﷺ كثير من تفسير القرآن، فتجب معرفته؛ لأن قوله ﵇ مقدم على أقوال الناس.

★ [٦-] **وأما القَصص**: فهو من جملة العلوم التي تضمنها القرآن، فلا بد من تفسيره، إلَّا أن الضروريَّ منه: ما يتوقف التفسير عليه، وما سوى ذلك زيادةٌ مستغنًى عنها.

وقد أكثر بعض المفسرين من حكاية القَصص الصحيح وغير الصحيح، حتى إنهم ذكروا منه ما لا يجوز ذكره مما فيه تقصيرٌ بمنصب الأنبياء ﵈، أو حكايةُ ما يجب تنزيههم عنه.

وأما نحن فاقتصرنا في هذا الكتاب من القَصص على ما يتوقف التفسير عليه، وعلى ما ورد منه في الحديث الصحيح.

★ [٧-] **وأما التصوُّف**: فله تعلُّقٌ بالقرآن؛ لما ورد في القرآن من المعارف الإلهية ورياضة النفوس وتنوير القلوب وتطهيرها باكتساب الأخلاق الحميدة واجتناب الأخلاق الذميمة.

وقد تكلمت المتصوِّفة[١] في تفسير القرآن، فمنهم من أحسن وأجاد، ووصل بنور بصيرته إلى دقائق المعاني ووقف على حقيقة المراد، ومنهم من توغَّل في الباطنية، وحمل القرآن على ما لا تقتضيه اللغة العربية.

---

(١) في د: «الصوفية».

وقد جمع أبو عبد الرحمن السُّلَمي[١] كلامهم في التفسير في كتاب سماه «الحقائق»، وقال بعض العلماء: بل هو[٢] البواطل، وإذا أنصفْنا قلنا: فيه حقائقُ وبواطلُ.

وقد ذكرنا في هذا الكتاب ما يُستحسَن من الإشارات الصوفية، دون ما يُعتَرض أو يُقدَح فيه، وتكلَّمنا أيضًا على اثني عشر مقامًا من مقامات التصوف في مواضعها من القرآن.

[١-] فتكلمنا على الشكر في «أم القرآن»؛ لما بين الحمد والشكر من الاشتراك في المعنى.

[٢-] وتكلمنا على التقوى في قوله تعالى في «البقرة»: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

[٣-] وعلى الذِّكر في قوله فيها: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾.

[٤-] وعلى الصَّبر في قوله تعالى فيها: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾.

[٥-] وعلى التوحيد في قوله فيها: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾.

[٦-] وعلى محبة الله[٣] في قوله فيها: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾.

[٧-] وعلى التوكُّل في قوله في «آل عمران»: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾.

---

(١) هو محمد بن الحسين بن محمد بن موسى الأزديُّ، السُّلَميُّ الأمّ، النيسابوري، شيخ خراسان، وكبير الصوفية، له كتاب «حقائق التفسير»، و«طبقات الصوفية» وغيرهما، توفي سنة (٤١٢هـ). انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي (١٧/ ٢٤٧).

(٢) في ب، ج، هـ: «هي».

(٣) في أ: «المحبة».

[٨-] وعلى المراقبة في قوله في «النساء»: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.

[٩، ١٠-] وعلى الخوف والرَّجاء في قوله في «الأعراف»: ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾.

[١١-] وعلى التوبة في قوله في «النور»: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾.

[١٢-] وعلى الإخلاص في قوله في «لم يكن»: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾.

★ [٩-] **وأما أصول الدين**: فتتعلق بالقرآن من طريقَين:

أحدهما: ما ورد في القرآن من إثبات العقائد، وإقامة البراهين عليها، والرد على أصناف الكفار.

والآخر: أن الطوائف المختلفة من المسلمين تعلقوا بالقرآن، وكلُّ طائفة منهم تحتجُّ لمذهبها بالقرآن، وترد على من خالفها، وتزعم أنه خالف القرآن، ولا شك أن منهم المحقَّ والمبطلَ.

فمعرفة تفسير القرآن توصل في ذلك إلى التحقيق، مع التسديد والتأييد من الله والتوفيق.

★ [١٠-] **وأما أصول الفقه**: فإنها من أدوات تفسير القرآن، على أنَّ كثيرًا من المفسرين لم يشتغلوا بها.

وإنها لنعْمَ العونُ على فهم المعاني وترجيح الأقوال، وما أحوج المفسرَ إلى معرفة النص، والظاهر، والمجمل، والمبيَّن، والعام، والخاص، والمطلق، والمقيد، وفحوى الخطاب، ولحن الخطاب، ودليل الخطاب،

وشروط النسخ، ووجوه التعارض، وأسباب الخلاف، وغير ذلك من علم الأصول.

★ [١١-] **وأما اللغة**: فلا بد للمفسر من حفظ ما ورد في القرآن منها، وهي غريب القرآن، وهي فنٌّ من فنون التفسير.

وقد صنف الناس في غريب القرآن تصانيفَ كثيرةٍ، وقد ذكرنا - بعد هذه المقدمة - مقدمةً في اللغات الكثيرة الدوران في القرآن؛ لئلا نحتاج أن نذكرها حيثما وقعت، فيطولَ الكتاب بكثرة تكرارها.

★ [١٢-] **وأما النحو**: فلا بد للمفسر من معرفته؛ فإن القرآن نزل بلسان العرب فيحتاج إلى علمِ اللسان[١].

والنحو ينقسم قسمين:

أحدهما: عوامل الإعراب، وهي أحكام الكلام المركَّب.

والآخر: التصريف، وهو أحكام الكلمات قبل تركيبها.

وقد ذكرنا في هذا الكتاب من إعراب القرآن ما يحتاج إليه؛ من المشكل، أو المختلف فيه، أو ما يفيد فهم المعنى، أو يختلف المعنى باختلافه، ولم نتعرَّضْ لما سوى ذلك من الإعراب السهل الذي لا يَحتاج إليه إلا المبتدئ؛ فإن ذلك تطويلٌ[٢] بغير كبيرِ فائدةٍ.

---

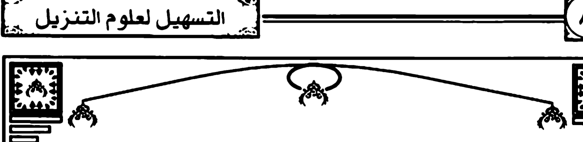
(١) في ب، ج، هـ: «إلى معرفة اللسان»، وفي د: «إلى معرفة علم اللسان».

(٢) في ب، ج، د، هـ: «يطول».

★ [١٣-] **وأما علم البيان**: فهو علم شريف، تظهر به فصاحة القرآن، وقد ذكرنا منه في هذا الكتاب فوائدَ فائقةً، ونكتًا مستحسنة رائقة، وجعلنا في المقدمات بابًا في أدوات البيان؛ ليُفهم به ما يرد منها مفرَّقًا في مواضعَ[1] من القرآن.

* * *

(١) في د: «مواضعه».



﴿الباب الخامس﴾

في أسباب الخلاف بين المفسرين والوجوهِ التي نُرجِّحُ[(١)] بها بين أقوالهم

★ **فأمَّا أسبابُ الخلاف فهي اثنا عشرَ:**

الأول: اختلاف القراءات.

الثاني: اختلاف وجوه الإعراب؛ وإن اتفقت القراءة.

الثالث: اختلاف اللُّغَويين في معنى الكلمة.

الرابع: اشتراك اللفظ بين معنيين فأكثر.

الخامس: احتمال العموم أو الخصوص.

السادس: احتمال الإطلاق أو التقييد.

السابع: احتمال الحقيقة أو المجاز.

الثامن: احتمال الإضمار أو الاستقلال.

التاسع: احتمال كون الكلمة زائدةً أو غيرَ زائدةٍ.

العاشر: احتمال حمل الكلام على الترتيب، أو على التقديم والتأخير.

---

(١) في ج، هـ: «يترجح».

الحادي عشر: احتمال أن يكون الحكم منسوخًا أو محكمًا.

الثاني عشر: اختلاف الرواية في التفسير عن النبي ﷺ، وعن السلف ﷺ.

★ وأما وجوه الترجيح فهي اثنا عشر:

الأول: تفسير بعض القرآن ببعض؛ فإذا دلَّ موضع من القرآن على المراد بموضعٍ آخرَ[١] حملناه عليه، ورجَّحنا القول بذلك على غيره من الأقوال.

الثاني: حديث النبي ﷺ؛ فإذا ورد عنه ﷺ تفسير شيءٍ من القرآن عوَّلنا عليه، لا سيما إن ورد في الحديث الصحيح.

الثالث: أن يكون القول قولَ الجمهور وأكثرِ المفسرين، فإن كثرة القائلين بالقول تقتضي ترجيحَه.

الرابع: أن يكون القول قولَ من يُقتدَى به من الصحابة، كالخلفاء الأربعة، وعبد الله بن عباس؛ لقول رسول الله ﷺ: «**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**»[٢].

الخامس: أن يدل على صحة القول كلامُ العرب؛ من اللغة، أو الإعراب أو التصريف، أو الاشتقاق.

السادس: أن يشهد لصحة القول سياقُ[٣] الكلام، ويدلَّ عليه ما قبله أو ما بعده.

---

(١) في ب، ج، هـ: «على أن المراد بعض آخر»!.
(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢٣٩٧)، (٢٨٧٩)، (٣٠٣٢)، (٣١٠٢).
(٣) في أ: «مساق»، وفي الهامش: «خ: سياق».

السابع: أن يكون ذلك المعنى هو المتبادِر إلى الذهن، فإن ذلك دليلٌ على ظهوره ورجحانه.

الثامن: تقديم الحقيقة على المجاز، فإن الحقيقة أَولى أن يُحمَل عليها اللفظ عند الأصوليين.

وقد يترجَّح المجاز إذا كثر استعماله حتى يصير أغلب استعمالًا من الحقيقة، ويسمى مجازًا راجحًا، والحقيقةُ مرجوحةٌ، وقد اختلف العلماء أيهما يقدَّمُ؟

فمذهب أبي حنيفة: تقديم الحقيقة؛ لأنها الأصل.

ومذهب أبي يوسف: تقديم المجاز الراجح؛ لرجحانه.

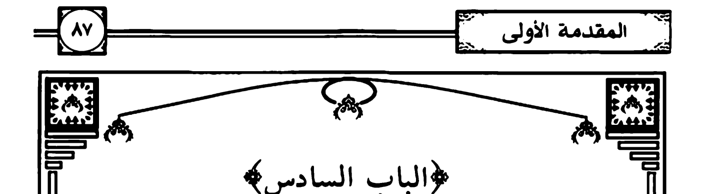
وقد يكون المجاز أفصحَ وأبرعَ، فيكون أرجحَ.

التاسع: تقديم العموم على الخصوص، فإن العموم أولى؛ لأنه الأصل، إلَّا أن يدلَّ دليل على التخصيص.

العاشر: تقديم الإطلاق على التقييد، إلَّا أن يدل دليل على التقييد.

الحادي عشر: تقديم الاستقلال على الإضمار، إلَّا أن يدل دليل على الإضمار.

الثاني عشر: حمل الكلام على ترتيبه، إلَّا أن يدلَّ دليل على التقديم والتأخير.



﴿الباب السادس﴾

في ذكر المفسِّرين[١]

★ **اعلم أن السلف الصالح انقسموا على فرقتين:**

فمنهم من فسَّر القرآن، وتكلَّم في معانيه، وهم الأكثرون.

ومنهم من توقَّف عن الكلام فيه؛ احتياطًا؛ لما ورد من التشديد في ذلك؛ فقد قالت عائشة ﵂: «ما كان رسول الله ﷺ يفسِّر من القرآن إلا آياتٍ بِعَددٍ، علَّمه إياهنَّ جبريل»[٢]، وقال ﷺ: **«من قال في القرآن برأيه وأصاب فقد أخطأ»**[٣].

وتأوَّل المفسرون حديث عائشة ﵂ بأنه في مُغيَّبات القرآن التي لا تعلم إلا بتوقيفٍ من الله تعالى.

وتأولوا الحديث الآخر بأنه فيمن تكلَّم في القرآن بغير علم ولا أدوات، لا فيمن تكلم بما[٤] تقتضيه أدوات العلوم، ونظرَ في أقوال العلماء المتقدمين، فإن هذا لم يقل في القرآن برأيه.

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (١/ ٢٢).

(٢) أخرجه البزار في مسنده (٨/ ١٢٣)، والطبري في تفسيره (١/ ٧٨) وأعلَّ إسناده، وحكم عليه الحافظ ابن كثير في تفسيره (١/ ١٤) بأنه حديث منكر.

(٣) أخرجه أبو داود (٣٦٥٢)، والترمذي (٢٩٥٢).

(٤) في ب: «فيما».

★ **واعلمْ أنَّ المفسرين على طبقاتٍ:**

فالطبقة الأولى: الصحابة ﷺ:

وأكثرهم كلامًا في التفسير: ابن عباس، وكان علي بن أبي طالب ﷺ يثني على تفسير ابن عباس ويقول: «كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق»[١]، وقال ابن عباس: «ما عندي من تفسير القرآن فهو عن علي ابن أبي طالب ﷺ»[٢].

ويتلوهما: عبد الله بن مسعود، وأبيُّ بن كعب، وزيد بن ثابت.

ثم: عبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن عمرِو بن العاص.

وكلُّ ما جاء عن الصحابة من التفسير فهو حسَنٌ مقبول.

والطبقة الثانية: التابعون:

وأحسنهم كلامًا في التفسير: الحسن بن أبي الحسن البصريُّ، وسعيد بن جبير، ومجاهدٌ مولى ابن عباس، وعلقمةُ صاحب عبد الله بن مسعود.

ويتلوهم: عكرمة، وقتادة، والسُّدِّيُّ، والضحاك بن مُزاحم، وأبو صالح، وأبو العالية.

ثم حمل تفسيرَ القرآن عُدولُ كلِّ خلَفٍ، وألَّف الناس فيه، كالمفضَّل[٣]،

---

(١) أخرجه الدينوري المالكي بإسناده في «المجالسة وجواهر العلم» (٢/ ٤١٥).

(٢) لم أقف على إسناده، وأورده ابن عطية في المحرر الوجيز (١/ ٢٣) بغير إسناد.

(٣) هو المفضل بن سلمة بن عاصم، أبو طالب النحوي اللغوي الكوفيّ، له كتاب =

وعبدِ الرزاق، وعبد بن حميد، والبخاري، وعلي بن أبي طلحة، وغيرهم.

ثم إن محمدَ بن جريرٍ الطبريَّ جمع أقوال المفسرين[1]، وأحسن النظر فيها.

وممن صنف في التفسير أيضًا: أبو بكر النقاش[2]، والثعلبيُّ[3]، والماورديُّ[4]، إلَّا أن كلامهم يحتاج إلى تنقيح، وقد استدرك الناس على بعضهم.

وصنف أبو محمدٍ ابنُ قتيبة في غريب القرآن ومشكله وكثيرٍ من علومه.

وصنف في معاني القرآن جماعةٌ من النَّحْويين؛ كأبي إسحاق الزجَّاج[5]،

= «ضياء القلوب» في معاني القرآن، نيف وعشرون جزءًا، توفي بعد سنة (٢٩٠هـ). انظر: السير، للذهبي (١٤/ ٣٦٢)، وطبقات المفسرين، للداودي (٢/ ٣٢٨).

(١) في د: «المتقدمين».

(٢) هو محمد بن الحسن محمد بن زياد بن هارون، إمام أهل العراق في القراءات والتفسير، صاحب تفسير «شفاء الصدور»، توفي سنة (٣٥١هـ). انظر: طبقات المفسرين، للداودي (٢/ ١٣٥).

(٣) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق النّيسابوري الثّعلبيّ، ويقال له: الثعالبي، وهو لقبٌ لا نسب، صاحب تفسير «الكشف والبيان»، توفي سنة (٤٢٧هـ). انظر: طبقات المفسرين، للداودي (١/ ٦٦).

(٤) هو علي بن محمد بن حبيب القاضي، أبو الحسن الماورديّ البصري، صاحب تفسير «النكت والعيون»، توفي سنة (٤٥٠هـ). انظر: طبقات المفسرين، للداودي (١/ ٤٢٧).

(٥) هو إبراهيم بن السري بن سهل، توفي سنة (٣١١هـ). انظر: بغية الوعاة، للسيوطي (١/ ٤١١).

وأبي علي الفارسي[١]، وأبي جعفر النحَّاس[٢].

★ **وأمَّا أهل المغرب والأندلس:**

فصنف القاضي مُنذِرُ بن سعيد البَلُّوطيُّ[٣] كتابًا في غريب القرآن وتفسيره.

ثم صنف المقرئ أبو محمد مكيُّ بن أبي طالب[٤] كتاب الهداية في تفسير القرآن، وكتابًا في غريب القرآن، وكتابًا في ناسخ القرآن ومنسوخه، وكتابًا في إعراب القرآن، إلى غير ذلك من تواليفه؛ فإنها نحو ثمانين تأليفًا، أكثرها في علوم القرآن؛ من القراءات، والتفسير، وغير ذلك.

وأما أبو عمرٍو الدانيُّ[٥] فتواليفه تنيف على مئة وعشرين، إلَّا أن أكثرها في القراءات، ولم يؤلف في التفسير إلا قليلًا.

---

(١) هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان، اتهم بالاعتزال، توفي سنة (٣٧٧هـ). انظر: بغية الوعاة، للسيوطي (١/ ٤٩٦).

(٢) هو أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي المصري، توفي سنة (٣٣٨هـ). انظر: بغية الوعاة، للسيوطي (١/ ٣٦٢).

(٣) هو منذر بن سعيد بن عبد الله البلوطي الأندلسي، أبو الحكم القاضي، توفي سنة (٣٥٥هـ). انظر: طبقات المفسرين، للداودي (٢/ ٣٣٦).

(٤) هو مكي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار أبو محمد القيسي، النحويّ المقرئ، توفي سنة (٤٣٧هـ). انظر: طبقات المفسرين، للداودي (٢/ ٣٣٧).

(٥) هو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الأموي، أبو عمرو الداني، توفي سنة (٤٤٤هـ). انظر: طبقات المفسرين، للداودي (١/ ٣٧٩).

وأما أبو العباس المهدويُّ[١] فمُتْقِنُ التآليف، حسَنُ الترتيب، جامعٌ لفنون علوم القرآن.

ثم جاء القاضيان: أبو بكر بن العربي، وأبو محمد عبد الحق بن عطية، فأبدع كل واحدٍ منهما وأجمل، واحتفل وأكمل.

فأما ابن العربي فصنف كتاب: «أنوار الفجر» في غاية الاحتفال والجمع لعلوم القرآن، فلما تَلِف تلافَاه بكتاب: «قانون التأويل»[٢] إلَّا أنه اخترمتْه المنيّة قبل تخليصه وتلخيصه، وألَّف في سائر علوم القرآن تواليفَ مفيدةً.

وأما ابن عطية فكتابه في التفسير أحسنُ التواليف وأعدلُها، فإنه اطَّلع على تواليفِ مَن كان قبله فهذبها ولخصها، وهو مع ذلك حسن العبارة، مسدَّد النظر، محافظٌ على السنة.

---

(١) هو أحمد بن عمار، أبو العباس المهدوي، نسبة إلى المهدية بالمغرب، ألفه التفسير الكبير «التفصيل الجامع لعلوم التنزيل»، ثم اختصره في «التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل»، توفي بعد سنة (٤٣٠هـ). انظر: طبقات المفسرين، للداودي (١/ ٥٦).

(٢) لابن العربي كتابان بهذا العنوان:
أحدهما: قانون التأويل في التفسير، وقد اختلف الباحثون في تسميته، واستظهر بعضهم أن اسمه: «واضح السبيل إلى معرفة قانون التأويل بفوائد التنزيل»، وهذا هو الكتاب الذي عناه ابن جزي.
والآخر: قانون التأويل، وهو جامع لفوائد شتى من عدة علوم، ولا يختص بالتفسير وعلوم القرآن، وهو مطبوع في مجلد بتحقيق د. محمد السليماني. انظر: قسم الدراسة الذي قدمه د. السليماني لهذا الكتاب ص ١٢٤، ٣٩١.

ثم خُتم علماء القرآن بالأندلس وسائر المغرب بشيخنا الأستاذ أبي جعفر ابن الزبير[١]، فلقد قطع عمره في خدمة القرآن، وآتاه الله بسطةً في علمه، وقوةً في فهمه، وله فيه تحقيق، ونظر دقيق.

★ **ومما بأيدينا من تواليف أهل المشرق:** تفسيرُ أبي القاسم الزمخشريِّ، وأبي الفضل الغَزنويِّ[٢]، وأبي الفضل ابنِ الخطيب[٣].

---

(١) هو أحمد بن إبراهيم بن الزّبير بن محمد بن إبراهيم بن الزّبير الثقفيّ العاصمي، الجيّاني المولد، الغرناطيّ المنشأ، الأستاذ أبو جعفر، صاحب «ملاك التأويل» في المتشابه في القرآن وغيره من المصنفات، توفي سنة (٧٠٨هـ). انظر: طبقات المفسرين، للداودي (١/ ٢٧).

(٢) في أ، ب: «الغزنوني»، وفي ج، هـ: «القزويني» وهو تصحيف.
وهو محمد بن أبي يزيد طيفور السَّجاوندي الغزنوي، أبو عبد الله أو أبو الفضل، اختلفت المصادر في كنيته، المقرئ المفسر النحوي، له تفسير «عين المعاني في تفسير السبع المثاني»، و«الوقف والابتداء» وغيرهما، توفي سنة (٥٦٠هـ) على ما قاله الصفدي، وقد نقَل عنه ابن جزي من تفسيره «عين المعاني» في أربعة مواطن: في سورة الأعراف عند قوله تعالى: ﴿فَٱنۢبَجَسَتۡ﴾، وفي الأنبياء عند قوله: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ﴾، وفي المؤمنون عند قوله: ﴿هَيۡهَاتَ﴾...، وفي العلق عند قوله: (﴿أَرَءَيۡتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ ١١﴾، وهو أحد المصادر التي استمدَّ منها ابن جزي مادة تفسيره، وتفسيره هذا حُقّق في عدة رسائل علمية في جامعة الإمام. انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (١٢/ ٢٠٦)، والوافي بالوفيات، للصفدي (٣/ ١٤٧)، وإنباه الرواة، للقفطي (٣/ ١٥٣)، والروض المعطار، للحميري (٤٢٨).

(٣) هو محمد بن عمر بن الحسين، الرازي، فخر الدين، صاحب تفسير «مفاتيح الغيب»، وكنيته أبو الفضل أو أبو عبد الله على اختلاف بين المصادر. توفي سنة (٦٠٦هـ). انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (١٣/ ١٣٧)، وفيات الأعيان، لابن خلكان (٤/ ٢٤٨)، وأخبار العلماء، للقفطي (٢١٩).

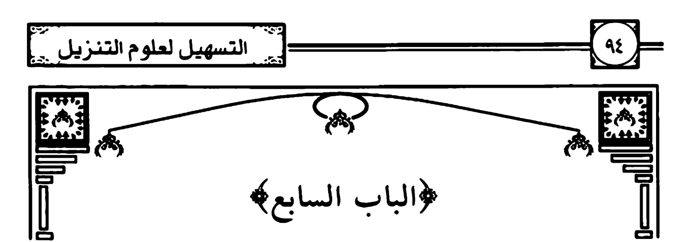
فأما الزمخشري: فمسدَّدُ النظر، بارعٌ في الإعراب، متقنٌ في علم البيان؛ إلَّا أنه ملأ كتابه من مذاهب المعتزلة ونصَرهم، وحمل آيات القرآن على طريقتهم، فتكدَّر صفْوُه، وتمرَّر حُلْوُه، فخذ منه ما صفا، ودع ما كَدِرَ.

وأما الغزنوي: فكتابه مختصرٌ جامع، وفيه من التصوف نكتٌ بديعة.

وأما ابن الخطيب: فتضمَّن كتابُه ما في كتاب الزمخشري، وزاد عليه إشباعَ الكلام في قواعد علم الكلام، ونمَّقه بترتيب المسائل، وتدقيق النظر في بعض المواضع، وهو على الجملة كتاب كبير الجِرم، وربما يحتاج إلى تنخيل وتلخيص.

والله ينفع الجميعَ بخدمة كتابه، ويَجزِيهم أفضلَ ثوابه.

* * *



﴿الباب السابع﴾

في الناسخ والمنسوخ

النسخُ في اللغة: هو الإزالة، أو النَّقل.

ومعناه في الشريعة: رفع الحكم الشرعي بعد تقرُّرِه.

★ **ووقع في القرآن على ثلاثة أوجه:**

الأول: نسخ اللفظ والمعنى، كقوله: «لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفرٌ بكم»[(١)].

والثاني: نسخ اللفظ دون المعنى، كقوله: «الشيخ والشيخة إذا زنيَا فارجموهما ألبتة نكالًا من الله والله عزيز حكيم»[(٢)].

والثالث: نسخ المعنى دون اللفظ وهو كثير، وقع منه في القرآن على ما عدّه بعض العلماء[(٣)] مئتا موضعٍ، ثنتان وعشرةُ[(٤)] مواضعَ منسوخة؛ إلَّا أنهم

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٨٣٠) في ضمن حديث طويل من خطبة عمر رضي الله عنه وفيه: «. . ثم إنَّا كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله: أن لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفرٌ بكم أن ترغبوا عن آبائكم، أو إنَّ كفرًا بكم أن ترغبوا عن آبائكم. . ».

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (١٥٨٥)، وأحمد في مسنده (٢١٢٠٧)، (٢١٥٩٦)، وابن ماجه (٢٥٥٣).

(٣) في ب، د: «بعضهم».

(٤) في د: «واثنان وعشرة».

عَدُّوا التخصيص والتقييد والاستثناء نسخًا!، وبين هذه الأشياء وبين النسخ فروقٌ معروفة، وستكلم على ذلك في مواضعه.

* ونقدِّم هنا ما جاء من نسخ مسالمةِ الكفار والعفو عنهم والإعراض والصبر على أذاهم؛ بالأمر بقتالهم؛ ليُغنيَ ذلك عن تكراره في مواضعه، فإنه وقع منه في القرآن مئة آية وأربعَ عشرة آيةً، من أربع وخمسين سورة[1]:

★ (١-) ففي البقرة:

[١] ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [الآية: ٨٣].

[٢] ﴿وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا﴾ [الآية: ١٣٩].

[٣] ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓا۟﴾ [الآية: ١٩٠]؛ أي: لا تبدؤوا بالقتال.

[٤] ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ﴾ [الآية: ١٩١].

[٥] ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ [الآية: ٢١٧].

[٦] ﴿لَآ إِكْرَاهَ﴾ [الآية: ٢٥٦].

★ (٢-) وفي آل عمران:

[٧] ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾ [الآية: ٢٠].

---

(١) هذه المسألة استمدّها ابن جزي ﷺ من «عين المعاني» للغزنوي، بل هناك تطابق شبه تامٍّ بين النصين، غير أن ابن جزيٍّ ذكر مئة وثلاث عشرة آية من ثلاث وخمسين سورة، حيث فات ابنَ جزيٍّ ذكرُ الآية المئة والرابع عشرة من السورة الرابعة والخمسين التي ذكرها الغزنوي، وهي سورة التين، آية: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾. انظر: «عين المعاني».

[٨] ﴿مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗ﴾ [الآية: ٢٨].

★ (٣-) وفي النساء:

[٩، ١٠] ﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ﴾ في موضعين [الآية: ٦٣ و ٨١].

[١١] ﴿فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾ [الآية: ٨٠].

[١٢] ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ﴾ [الآية: ٨٤].

[١٣] ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ [الآية: ٩٠].

★ (٤-) وفي المائدة:

[١٤] ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ﴾ [الآية: ٢].

[١٥] ﴿عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾[1].

[١٦] ﴿عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ﴾ [الآية: ١٠٥].

★ (٥-) وفي الأنعام:

[١٧] ﴿لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ﴾ [الآية: ٦٧].

[١٨] ﴿ثُمَّ ذَرۡهُمۡ﴾ [الآية: ٩١].

[١٩] ﴿عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ﴾ [الآية: ١٠٤].

[٢٠] ﴿وَأَعۡرِضۡ﴾ [الآية: ١٠٦].

---

(١) كذا ورد في الأصول الخطية!، والواقع أنه لا توجد في سورة المائدة آية بهذا اللفظ، وإنما الذي في المائدة: ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [آية: ٩٢]، و﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾ [آية: ٩٩].

[٢١] ﴿عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗاۖ﴾ [الآية: ١٠٧].

[٢٢] ﴿وَلَا تَسُبُّواْ﴾ [الآية: ١٠٨].

[٢٣، ٢٤] ﴿فَذَرۡهُمۡ﴾ في موضعين [الآية: ١١٢ و١٣٧].

[٢٥] ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ﴾ [الآية: ١٣٥].

[٢٦] ﴿قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ﴾ [الآية: ١٥٨].

[٢٧] ﴿لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ﴾ [الآية: ١٥٩].

★ (٦-) وفي الأعراف:

[٢٨] ﴿وَأَعۡرِضۡ﴾ [الآية: ١٩٩].

[٢٩] ﴿وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ﴾ [الآية: ١٨٣].

★ (٧-) وفي الأنفال:

[٣٠] ﴿وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ﴾ [الآية: ٧٢]؛ يعني: المعاهَدين.

★ (٨-) وفي التوبة:

[٣١] ﴿فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ﴾ [الآية: ٧].

★ (٩-) وفي يونس:

[٣٢] ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ [الآية: ٢٠].

[٣٣] ﴿فَقُل لِّي عَمَلِي﴾ [الآية: ٤١].

[٣٤] ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ [الآية: ٤٦].

[٣٥] ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ [الآية: ٦٥]؛ لما يقتضي من الإمهال.

[٣٦] ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ﴾ [الآية: ٩٩].

[٣٧] ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ [الآية: ١٠٨]؛ لأن معناه الإمهال.

[٣٨] ﴿وَٱصْبِرْ﴾ [الآية: ١٠٩].

★ (١٠-) وفي هود:

[٣٩] ﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ﴾ [الآية: ١٢]؛ أي: تُنذِرُ ولا تُجبِرُ.

[٤٠] ﴿ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ [الآية: ١٢١].

[٤١] ﴿وَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ [الآية: ١٢٢].

★ (١١-) وفي الرعد:

[٤٢] ﴿عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾ [الآية: ٤٠].

★ (١٢-) وفي الحجر:

[٤٣] ﴿ذَرْهُمْ﴾ [الآية: ٣].

[٤٤] ﴿فَٱصْفَحِ﴾ [الآية: ٨٥].

[٤٥] ﴿لَا تَمُدَّنَّ﴾ [الآية: ٨٨].

[٤٦] ﴿أَنَا ٱلنَّذِيرُ﴾ [الآية: ٨٩].

[٤٧] ﴿وَأَعْرِضْ﴾ [الآية: ٩٤].

★ (١٣-) وفي النحل:

[٤٨] ﴿إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [الآية: ٣٥].

[٤٩] ﴿عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾ [الآية: ٨٢].

[٥٠] ﴿وَجَٰدِلْهُم﴾ [الآية: ١٢٥].

[٥١] ﴿وَٱصْبِرْ﴾ [الآية: ١٢٧].

★ (١٤-) وفي الإسراء:

[٥٢] ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ [الآية: ٥٤].

★ (١٥-) وفي مريم:

[٥٣] ﴿وَأَنذِرْهُمْ﴾ [الآية: ٣٩].

[٥٤] ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾ [الآية: ٧٥].

[٥٥] ﴿فَلَا تَعْجَلْ﴾ [الآية: ٨٤].

★ (١٦-) وفي طه:

[٥٦] ﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ﴾ [الآية: ١٣٥].

★ (١٧-) وفي الحج:

[٥٧] ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ﴾ [الآية: ٦٨].

★ (١٨-) وفي المؤمنين:

[٥٨] ﴿فَذَرْهُمْ﴾ [الآية: ٥٤].

[٥٩] ﴿ٱدۡفَعۡ﴾ [الآية: ٩٦].

★ (١٩-) وفي النور:

[٦٠] ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ [الآية: ٥٤].

[٦١] ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ﴾ [الآية: ٥٤].

★ (٢٠-) وفي النمل:

[٦٢] ﴿فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ﴾ [الآية: ٩٢].

★ (٢١-) وفي القصص:

[٦٣] ﴿لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا﴾ [الآية: ٥٥].

★ (٢٢-) وفي العنكبوت:

[٦٤] ﴿أَنَا۠ نَذِيرٌ﴾ [الآية: ٥٠]؛ لما يقتضي مِن عدم الإجبار.

★ (٢٣-) وفي الروم:

[٦٥] ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ [الآية: ٦٠].

★ (٢٤-) وفي لقمان:

[٦٦] ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ [الآية: ١٢].

★ (٢٥-) وفي السجدة:

[٦٧] ﴿وَٱنتَظِرۡ﴾ [الآية: ٣٠].

★ (٢٦-) وفي الأحزاب:

[٦٨] ﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾ [الآية: ٤٨].

★ (٢٧-) وفي سبإ:

[٦٩] ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ﴾ [الآية: ٢٥].

★ (٢٨-) وفي فاطر:

[٧٠] ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ [الآية: ٢٣].

★ (٢٩-) وفي يس:

[٧١] ﴿فَلَا يَحْزُنكَ﴾ [الآية: ٧٦].

★ (٣٠-) وفي الصافات:

[٧٢] ﴿فَتَوَلَّ﴾ [الآية: ١٧٤].

[٧٣] ﴿وَتَوَلَّ﴾ [الآية: ١٧٨].

[٧٤، ٧٥] وما يليهما [الآيتان: ١٧٥، ١٧٩].

★ (٣١-) وفي ص:

[٧٦] ﴿ٱصْبِرْ﴾ [الآية: ١٧].

[٧٧] ﴿أَنَا۠ مُنذِرٌ﴾ [الآية: ٦٥].

★ (٣٢-) وفي الزمر:

[٧٨] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ [الآية: ٣]؛ لما فيه من الإمهال.

[٧٩] ﴿فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم﴾ [الآية: ١٥].

[٨٠] ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟﴾ [الآية: ٣٩].

[٨١] ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ [الآية: ٤١].

[٨٢] ﴿أَنتَ تَحْكُمُ﴾ [الآية: ٤٦]؛ لأن فيه تفويضًا.

★ (٣٣-) وفي المؤمن:

[٨٣، ٨٤] ﴿فَٱصْبِرْ﴾ في موضعين [الآية: ٥٥ و٧٧].

★ (٣٤-) وفي السجدة:

[٨٥] ﴿ٱدْفَعْ﴾ [فصلت، الآية: ٣٤].

★ (٣٥-) وفي الشورى:

[٨٦] ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الآية: ٦].

[٨٧] ﴿لَنَآ أَعْمَٰلُنَا﴾ [الآية: ١٥].

[٨٨] ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟﴾ [الآية: ٤٨].

★ (٣٦-) وفي الزخرف:

[٨٩] ﴿فَذَرْهُمْ﴾ [الآية: ٨٣].

[٩٠] ﴿فَٱصْفَحْ﴾ [الآية: ٨٩].

★ (٣٧-) وفي الدخان :

[٩١] ﴿فَٱرْتَقِبْ﴾ [الآية: ٥٩].

★ (٣٨-) وفي الجاثية:

[٩٢] ﴿يَغْفِرُواْ﴾ [الآية: ١٤].

★ (٣٩-) وفي الأحقاف:

[٩٣] ﴿فَٱصْبِرْ﴾ [الآية: ٣٥].

★ (٤٠-) وفي القتال:

[٩٤] ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ﴾ [الآية: ٤].

★ (٤١-) وفي ق:

[٩٥] ﴿فَٱصْبِرْ﴾ [الآية: ٣٩].

[٩٦] ﴿وَمَآ أَنتَ﴾ [الآية: ٤٥].

★ (٤٢-) وفي الذاريات:

[٩٧] ﴿فَتَوَلَّ﴾ [الآية: ٥٤].

★ (٤٣-) وفي الطور:

[٩٨] ﴿قُلْ تَرَبَّصُواْ﴾ [الآية: ٣١].

[٩٩] ﴿وَٱصْبِرْ﴾ [الآية: ٤٨].

[١٠٠] ﴿فَذَرْهُمْ﴾ [الآية: ٤٥].

★ (٤٤-) وفي النجم:

[١٠١] ﴿فَأَعْرِضْ﴾ [الآية: ٢٩].

★ (٤٥-) وفي القمر:

[١٠٢] ﴿فَتَوَلَّ﴾ [الآية: ٦].

★ (٤٦-) وفي ن:

[١٠٣] ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ [الآية: ٤٨].

[١٠٤] ﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم﴾ [الآية: ٤٤].

★ (٤٧-) وفي المعارج:

[١٠٥] ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ [الآية: ٥].

[١٠٦] ﴿فَذَرۡهُمۡ﴾ [الآية: ٤٢].

★ (٤٨-) وفي المزمل:

[١٠٧] ﴿وَٱهۡجُرۡهُمۡ﴾ [الآية: ١٠].

[١٠٨] ﴿وَذَرۡنِي﴾ [الآية: ١١].

★ (٤٩-) وفي المدثر:

[١٠٩] ﴿ذَرۡنِي﴾ [الآية: ١١].

★ (٥٠-) وفي الإنسان:

[١١٠] ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ [الآية: ٢٤].

★ (٥١-) وفي الطارق:

[١١١] ﴿فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [الآية: ١٧].

★ (٥٢-) وفي الغاشية:

[١١٢] ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝٢٢﴾ [الآية: ٢٢][1].

★ (٥٣-) وفي الكافرين:

[١١٣] ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ [الآية: ٦].

★ نسخ ذلك كلّه: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥]، و﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ [البقرة: ٢١٦].

---

(١) في «عين المعاني» بعد هذه الآية: «(٥٤-) التين: [١١٤] ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ۝٨﴾ معنًى».



﴿الباب الثامن﴾

في جوامع القراءات

★ **وهي على نوعين**: مشهورة، وشاذَّة.

- **فالمشهورةُ**: القراءات السبع؛ وهي: حرف[١] نافعٍ المدنيّ، وابنِ كثير المكي، وأبي عمرِو بن العلاء البصري، وابن عامر الشامي، وعاصمٍ وحمزة والكسائي الكوفيِّين.

ويجري مجراهم في الصحة والشُّهرة: يعقوبُ الحضرمي[٢]، وابن محيصن، ويزيدُ بن القعقاع[٣].

- **والشاذَّة**: ما سوى ذلك، وإنما سميت شاذةً؛ لعدم استفاضتها في النقل، وقد تكون فصيحةَ اللفظ و[٤]قويّةَ المعنى.

---

(١) في د: «حروف».

(٢) هو أبو محمد يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله الحضرمي، قارئ أهل البصرة في عصره، توفي سنة (٢٠٥هـ). انظر: معرفة القراء الكبار، للذهبي (٩٤).

(٣) هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني، اختلف في وفاته قيل: سنة (١٢٧هـ)، وقيل: (١٢٨هـ)، وقيل: (١٣١هـ)، وقيل: (١٣٢هـ)، وقيل: (١٣٣هـ). انظر: معرفة القراء الكبار، للذهبي (٤٠).

(٤) في ب، ج، هـ: «أو».

★ **ولا يجوز أن يُقرَأ بحرفٍ إلَّا بثلاثة شروط:**

١- موافقته لمصحف عثمان بن عفان ﵁.

٢- وموافقته لكلام العرب ولو على بعض الوجوه، أو في بعض اللغات.

٣- ونقْله نقلًا متواترًا، أو مستفيضًا.

★ **واعلم أنّ اختلاف القُرَّاء على نوعين:** أصول، وفَرْش الحروف.

- **فأما الفرشُ:** فهو ما لا يرجع إلى أصل مطَّردٍ، ولا قانونٍ كليٍّ.

وهو على وجهين: اختلافٌ في القراءة:

باختلاف المعنى.

وباتِّفاق المعنى.

- **وأما الأصول:** فالاختلاف فيها لا يغيِّر المعنى.

وهي ترجع إلى ثمانِ قواعدَ:

الأولى: المدُّ، وهو في حروف المد الثلاثة، ويزاد فيها على المد الطبيعي بسبب الهمز، و[1] التقاء الساكنين.

الثانية: الهمزُ، وأصله التَّحقيق، ثم قد يخفَّفُ على سبعة أوجه:

إبدالٌ: واوٌ، وياء، وألف.

وتسهيلٌ: بين الهمزة والواو، وبين الهمزة والياء، وبين الهمزة والألف.

وإسقاطٌ.

---

(١) في أ: «أو».

الثالثة: الإدغام والإظهار، والأصل الإظهار، ثم يحدث الإدغام في المثلين، أو في المتقاربين، وفي كلمة، وفي كلمتين.

وهو نوعان:

إدغامٌ كبير، انفرد به أبو عمرٍو؛ وهو إدغام المتحرِّك.

وإدغامٌ صغير، لجميع القراء، وهو إدغام السَّاكن.

الرابعة: الإمالة، وهي: أن تَنحوَ بالفتحة نحوَ الكسرة، وبالألف نحوَ الياء، والأصل الفتح.

ويُوجِبُ الإمالةَ: الكسر، أو الياء.

الخامسة: الترقيق والتفخيم.

والحروف على ثلاثة أقسام:

[١-] مفخَّمٌ في كل حال، وهي حروف الاستعلاء السبعة.

[٢-] ومفخم تارةً ومرقَّق أخرى، وهي: الراء، واللام، والألف.

فأما الراء: فأصلها التفخيم، وترقق للكسر والياء.

وأما اللام: فأصلها الترقيق، وتفخم لحروف الإطباق.

وأما الألف: فهي تابعة في التفخيم والترقيق لما قبلها.

[٣-] والمرقق على كل حال: سائرُ الحروف.

السادسة: الوقف، وهو على ثلاثة أنواع:

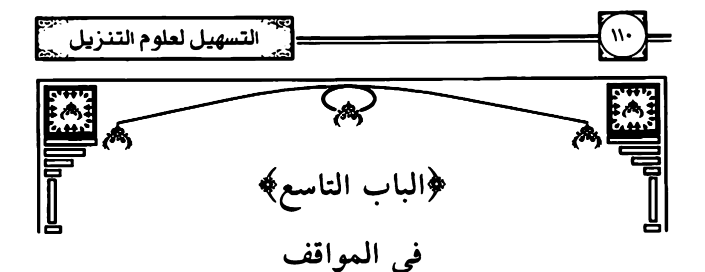
[١-] سكونٌ، جائز في الحركات الثلاث.

[٢-] ورَومٌ في المضموم والمكسور.

[٣-] وإشمامٌ في المضموم خاصةً.

السابعة: مراعاة الخطّ في الوقف.

الثامنة: إثباتُ الياءات وحذفُها، وتسكينُها، وفتحها.



«الباب التاسع»

في المواقف

★ وهي أربعة أنواع: موقفٌ تامٌّ، وحسنٌ، وكافٍ، وقبيحٌ، وذلك بالنظر إلى الإعراب والمعنى.

- فإن كان الكلام مفتقرًا إلى ما بعده في إعرابه أو معناه، وما بعده مفتقرٌ[١] إليه كذلك= لم يجز الفصل بينهما، والوقف على الكلام الأول قبيح.

وذلك الفصلُ بين كلِّ معمولٍ وعامله، وبين كلِّ ذي خبرٍ وخبره، وبين كلِّ ذي جوابٍ وجوابه، وبين كلِّ ذي موصولٍ وصلته.

- وإن كان الكلام الأول مستقلًا يُفهَم دون الثاني، إلا أنَّ الثانيَ غيرُ مستقل إلا بما قبله= فالوقف على الأول كافٍ.

وذلك في التوابع والفضَلات؛ كالحال، والتمييز، والاستثناء، وشبه ذلك.

إلا أنَّ وصْلَ الاستثناء المتصل آكدُ من المنقطع.

ووصل التوابع والحال إذا كانت اسمًا مفردًا[٢] آكدُ من وصْلِها إذا كانت جملةً.

---

(١) في ب، ج، هـ: «مفتقرًا».

(٢) في أ: «اسمًا مفردةً»، وفي ب، د: «أسماء مفردات».

- وإن كان الكلام الأول مستقلًّا والثاني كذلك:

فإن كانا في قصة واحدة: فالوقف على الأول حسنٌ.

وإن كانا في قصتين مختلفتين: فالوقف تامٌّ.

وقد يختلف الوقف باختلاف الإعراب، أو المعنى، ولذلك اختلف الناس في كثير من المواقف، ومن أقوالهم فيها راجحٌ ومرجوح وباطل.

وقد يُوقَفُ لبيان المراد، وإن لم يتمَّ الكلام.

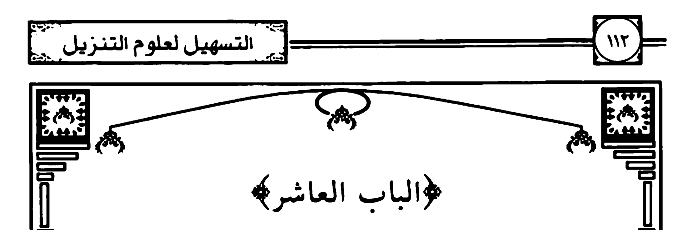
★ **تنبيه**: هذا الذي ذكرنا من رَعْي الإعراب والمعنى في المواقف استقرَّ عليه العمل، وأخذ به شيوخُ المقرئين.

وكان الأوائل يراعون رؤوسَ الآيات، فيقفون عندها؛ لأنها في القرآن كالفِقَر في النثر، والقوافي في الشعر، ويؤيد[1] ذلك: ما خرَّجه الترمذي عن أم سلمة ﵂: «أن رسول الله ﷺ كان يقطّع قراءته، يقول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾، ثم يقف، ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، ثم يقف»[2].

---

(١) في ج، د: «ويؤكد».

(٢) أخرجه الترمذي (٢٩٢٧).



﴿الباب العاشر﴾

في الفصاحة والبلاغة وأدوات البيان

★ **أما الفصاحة**: فلها خمسة شروط:

الأول: أن تكون الألفاظ عربيةً، لا مما أحدثه المولَّدون، ولا مما غلِطت فيه العامة.

الثاني: أن تكون من الألفاظ المستعملة، لا من الوحشيّة المستثقَلة.

الثالث: أن تكون العبارة واقعةً على المعنى، مُوَفِّيةً له، لا قاصرةً عنه.

الرابع: أن تكون العبارة سهلةً، سالمةً من التقعير[1].

الخامس: أن يكون الكلام سالمًا من الحشو الذي لا يُحتاج إليه.

★ **وأما البلاغة**: فهي سياق الكلام على حسَب ما يقتضيه الحال والمقام؛ من الإيجاز والإطناب، ومن التهويل والتعظيم والتحقير، ومن التصريح والكناية، والإشارة، وشبه ذلك، بحيث يَهزُّ النفوس، ويؤثِّر في القلوب، ويَقود السامع إلى المراد، أو يَكاد.

★ **وأما أدوات البيان**: فهي صناعة البديع، وهي: تزين الكلامَ كما يزين العلَمُ الثوب.

---

(١) في هامش ب: «التعقيد».

وقد وجدنا في القرآن منها : اثنين وعشرين نوعًا ، ونبَّهنا على كل نوع في المواضع التي وقع فيها من القرآن، ونذكر هنا أسماءها ، ونبين معانيَها .

- **النوع الأولُ**: المجاز، وهو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له، لعَلاقة بينهما .

وهو اثنا عشر نوعًا :

[١-] التشبيه .

[٢-] والاستعارة .

[٣-] والزيادة .

[٤-] والنقصان .

[٥-] وتسمية المجاور باسم مجاوره .

[٦-] والمُلابس باسم مُلابسه .

[٧-] وإطلاق اسم الكلِّ على البعض .

[٨-] وعكسه .

[٩-] وتسمية السبب باسم المسبَّب .

[١٠-] وعكسه .

[١١-] والتسمية باعتبار ما يستقبل .

[١٢-] والتسمية باعتبار ما مضى؛ وفي هذا خلافٌ، هل هو حقيقة أو مجاز؟ .

واتَّفق أكثر[١] أهل علوم اللسان وأهل الأصول على وقوع المجاز في القرآن؛ لأن القرآن نزل بلسان العرب، وعادة فُصَحاء العرب استعمال المجاز، ولا وجه لمن منَعه؛ لأن الواقع منه في القرآن أكثر من أن يحصى.

- **النوع الثاني**: الكناية، وهي العبارة عن الشيء بما يلازمه، من غير تصريحٍ.

- **الثالث**: الالتفات، وهو على ستة أنواع:

[١، ٢-] خروجٌ من التكلُّم إلى الخطاب، أو الغَيبةِ.

[٣، ٤-] وخروج من الخطاب إلى التكلم، أو الغَيبة.

[٥، ٦-] وخروج من الغَيبة إلى التكلم، أو الخطاب.

- **الرابع**: التَّجريد، وهو: ذِكْر شيءٍ بعد اندراجه في لفظ عام متقدمٍ.

والقصد بالتجريد: تعظيم المجرَّدِ ذكرُه، أو تحقيره، أو رفع الاحتمال.

- **الخامس**: الاعتراض، وهو إدراج كلامٍ بين شيئين متلازمين، كالخبر والمخبَر عنه، والصفة والموصوف، والمعطوف والمعطوف عليه، أو إدخالُه في أثناء كلامٍ متصل.

والقصد به: تأكيد الكلام الذي أُدرِج فيه.

- **السادس**: التجنيس، وهو اتفاق اللفظ مع اختلاف المعنى،

---

(١) هذه الكلمة لم ترد في ب، ج، د، هـ.

ثم إن الاتفاق قد يكون:

في الحروف والصيغة.

أو في الحروف خاصةً.

أو في أكثر الحروف لا في جميعها.

أو في الخطّ لا في اللفظ، وهو تجنيس التصحيف.

- **السابع**: المطابقة[١]، وهي ذكر الأشياء المتضادَّة؛ كالسواد والبياض، والحياة والموت، والليل والنهار، وشبه ذلك.

- **الثامن**: المقابلة، وهي أن تَجمع بين شيئين فصاعدًا، ثم تقابلَها بأشياءَ أُخَرَ.

- **التاسع**: المشاكلة، وهي أن تَذْكر الشيء بلفظِ غيره، لوقوعِه في صحبته.

- **العاشر**: التَّرديد، وهو ردُّ أول الكلام على آخره، ويسمَّى في الشعر: رد العَجُز على الصَّدْر.

- **الحادي عشر**: لزومُ ما لا يلزم، وهو أن تلتزم قبل حرف الرويِّ حرفًا آخر، وكذلك[٢] عند رؤوس الآيات.

- **الثاني عشر**: القلب، وهو أن يكون الكلام يصحُّ[٣] ابتداءُ قراءتِه من

---

(١) في ب: «الطباق».

(٢) في ب، د: «وذلك».

(٣) في أ: «تصح»، وفي ب: «يصلح».

أوله وآخره، نحو: دعد، أو تُعكَس كلماتُه فيقدَّم المؤخر منها ويؤخَّر المقدم.

- **الثالثُ عشرَ**: التقسيم، وهو أن تقسِّم المذكورَ إلى أنواعه، أو[(١)] أجزائه.

- **الرابعُ عشر**: التَّتميم، وهو أن تزيد في الكلام ما يوضِّحه أو يؤكده، وإن كان مستقِلًا دون هذه الزيادة.

- **الخامسُ عشر**: التَّكرار، وهو أن تضع الظاهر موضع المضمر،

فتُكرِّرُ الكلمةَ على وجه: التعظيم، أو التهويل، أو لمدْح المذكور، أو ذمِّه، أو للبيان.

- **السادسُ عشر**: التهكُّم، وهو إخراج الكلام عن مقتضاه استهزاءً بالمخاطَب، أو بالمخبَر عنه، كذِكْر البِشارة في موضع النِّذارة.

- **السابعُ عشر**: اللفُّ والنشر، وهو أن تَلُفَّ في الذكر شيئين فأكثر، ثم تذكر متعلِّقاتٍ بها[(٢)].

وفيه طريقتان:

[١-] أن تبدأ في ذكر المتعلَّقات بالأول.

[٢-] وأن تبدأ بالآخِر.

---

(١) في أ، د: «و».

(٢) في أ: «متعلقاتها»، وفي الهامش: «خ: متعلقات بها».

- **الثامنُ عشر**: الجمع، وهو: أن تجمع بين شيئين فأكثر في خبرٍ واحد، وفي وصفٍ واحد، وشبه ذلك.

- **التاسعُ عشر**: التَّرصيع، وهو أن تكون الألفاظ في آخِر الكلام مستويةَ الوزن، أو متقاربةً مع الألفاظ التي في أوله.

- **الموفِّي عشرين**: التَّسجيع، وهو أن تكون كلماتُ الآية على رويِّ حرفٍ واحد.

- **الحادي والعشرون**: الاستطراد، وهو أن تتطرَّقَ من كلامٍ إلى كلام آخَرَ بوجهٍ يصلُ ما بينهما، ويكون الكلام الثاني هو المقصود، كخروج الشاعر من النَّسيب إلى المدح بمعنى يتعلق بالطرفين، مع أنه إنَّما قصد المدح.

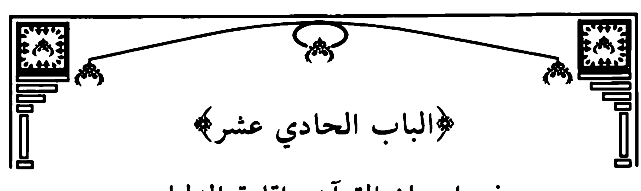
- **الثاني والعشرون**: المبالغة.

وقد تكون بصيغة الكلمة، نحو: صيغة فعَّال ومِفعال.

وقد تكون بالمبالغة في الإخبار أو الوصف.

فإن اشتدَّت المبالغة فهي غلوٌّ وإغراق، وذلك مستكرَهٌ عند أهل هذا الشأن.





﴿الباب الحادي عشر﴾

في إعجاز القرآن وإقامة الدليل على أنه من عند الله ﷻ

★ ويدلُّ على ذلك عشرةُ وجوه:

- **الأول**: فصاحتُه التي امتاز بها عن كلام[1] المخلوقين.

- **الثاني**: نظمُه العجيب، وأسلوبه الغريب، من مقاطع آياته، وفواصل كلماته.

- **الثالث**: عجزُ الخلق في زمان نزوله وبعدَ ذلك إلى الآن عن الإتيان بمثله.

- **الرابع**: ما أخبر فيه مِن أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية، ولم يكن النبي ﷺ تعلَّمَ ذلك ولا قرأه في كتاب.

- **الخامس**: ما أخبر فيه من الغيوب المستقبَلة؛ فوقعت على حسَب ما قال.

- **السادس**: ما فيه من التعريف بالباري ﷻ، وذكرِ صفاته وأسمائه، وما يجوز عليه وما يستحيل عليه، ودعوةِ الخلق إلى عبادته وتوحيده، وإقامة

---

(١) في د: «عن غيره من كلام..».

البراهين القاطعة، والحجج الواضحة، والردِّ على أصناف الكفار، وذلك كلُّه يعلم بالضرورة أنه لا يصل إليه بشر من تلقاء نفسه، بل بوحيٍ من العليم الخبير، ولا يشكُّ عاقل في صدق من عرَف الله تلك المعرفة وعظَّم جلالَه ذلك التعظيم، ودعا عباد الله إلى صراطه المستقيم.

- **السابع**: ما شرع فيه من الأحكام، وبين[١] من الحلال والحرام، وهدى إليه من مصالح الدنيا والآخرة، وأرشد إليه من مكارم الأخلاق، وذلك غايةُ الحكمة وثمرة العلوم.

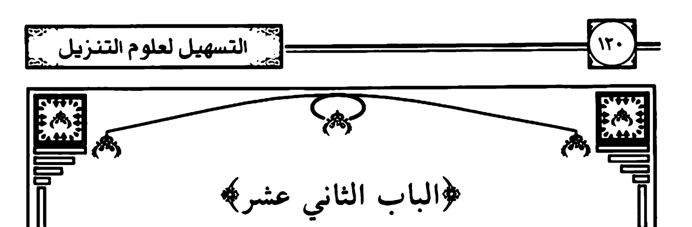
- **الثامن**: كونه محفوظًا عن الزيادة والنقصان، محروسًا عن التبديل والتغيير على تطاول الأزمان، بخلاف سائر الكتب.

- **التاسع**: تيسيره للحفظ؛ وذلك معلومٌ بالمعايَنة.

- **العاشر**: كونه لا يملّه قارئه ولا سامعه على كثرة التَّرداد، بخلاف سائر الكلام.

* * *

(١) في أ زيادة: «فيه».



﴿الباب الثاني عشر﴾

في فضائل القرآن

وإنما نذكر منها: ما ورد في الحديث الصحيح.

- فمن ذلك: [(١)] عن أبي أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقرؤوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه»[(٢)].

- وعن عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرؤه ويتعتع فيه وهو عليه شاقٌّ له أجران»[(٣)].

- وعن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأُترُجَّة؛ ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة؛ لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة؛ ريحها طيب وطعمها مرٌّ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة؛ ليس لها ريح وطعمها مرٌّ»[(٤)].

- وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «استذكروا القرآن

---

(١) في د زيادة: «ما ورد».

(٢) أخرجه مسلم (٨٠٤).

(٣) أخرجه مسلم (٧٩٨).

(٤) أخرجه البخاري (٥٠٢٠)، ومسلم (٧٩٧) واللفظ له.

فلهو أشدُّ تفصِّيًا من صدور الرجال من النَّعَم بعُقُلِها»(١).

- وعن عثمان بن عفان أن رسول الله ﷺ قال: «خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه»(٢).

- وعن عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ الله يرفع بهذا القرآن أقوامًا ويضع به آخرين»(٣).

- وعن ابن عباس قال: «بينما جبريل قاعدٌ عند النبي ﷺ سمع نقيضًا من فوقه، فرفع رأسه، قال هذا بابٌ من السماء فتح اليوم ولم يفتح قطُّ إلا اليوم، فنزل منه ملَكٌ فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قطُّ إلا اليوم، فسلَّم وقال: أبشر بنورين أوتيتَهما لم يؤتهما نبيٌّ قبْلك؛ فاتحة الكتاب، وخواتم سورة البقرة، لن تقرأ بحرفٍ منهما إلا أُعطيتَه»(٤).

- وعن أبي مسعود الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ هاتين الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلةٍ كفتاهُ»(٥).

- وعن أبي أمامة الباهلي أن رسول الله ﷺ قال: «اقرؤوا البقرة؛ فإنَّ أخْذَها بركةٌ، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البَطَلة»(٦).

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٣٢)، ومسلم (٧٩٠) واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٢٧)

(٣) أخرجه مسلم (٨١٧).

(٤) أخرجه مسلم (٨٠٦).

(٥) أخرجه البخاري (٤٠٠٨)، ومسلم (٨٠٧).

(٦) سبق تخريجه، وهو جزء من حديث أبي أمامة أول حديث أورده المؤلف في هذا الباب.

- وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان يفِرُّ من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة»[١].

- وعن أبيِّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا المنذر!، أتدري أيُّ آية من كتاب الله معك أعظم؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: يا أبا المنذر!، أتدري أيُّ آية من كتاب الله معك أعظم؟ قلت: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾، قال: فضرب في صدري وقال: ليَهْنِكَ العلمُ يا أبا المنذر»[٢].

- وعن النواس بن سمعانَ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يؤتى بالقرآنِ يومَ القيامة وأهلِه الذين كانوا يعملون به، تَقْدُمُه سورة البقرة وآل عمران»، وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتها[٣] بعدُ، قال: «كأنَّهما غمامتان، أو ظُلَّتان سَوداوان بينَهما شَرْقٌ[٤]، أو كأنَّهما فِرْقَان من طيرٍ صَوافَّ تُحاجَّان عن صاحبهما»[٥].

- وعن أبي الدرداءِ أن رسول الله ﷺ قال: «مَن حفظ عشرَ آياتٍ من أول سورة الكهف عُصِم من الدَّجّال»[٦].

---

(١) أخرجه مسلم (٧٨٠).
(٢) أخرجه مسلم (٨١٠).
(٣) في ب، ج، د، هـ: «ما نسيتهما»، وفي الرواية في مسلم: «ما نسيتهنّ».
(٤) أي: ضوء، وهو الشمس. انظر: النهاية لابن الأثير (٥/٢١٣٨).
(٥) أخرجه مسلم (٨٠٥).
(٦) أخرجه مسلم (٨٠٩).

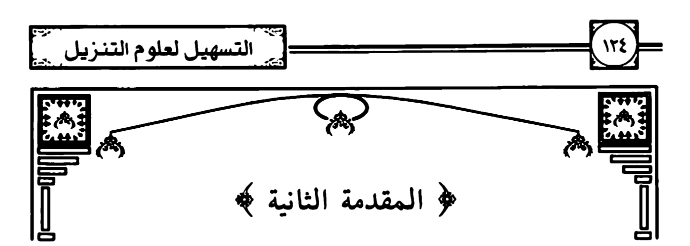
- وعن أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ قال: «سورةُ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تَعدِل ثلثَ القرآن»[١].

- وعن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «ألم تر آيات أُنزلت عليَّ لم يُرَ مثلُهنَّ قطُّ؛ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾»[٢].

---

(١) أخرجه مسلم (٨١١).

(٢) أخرجه مسلم (٨١٤).



﴿ المقدمة الثانية ﴾

في تفسير معاني اللغات

نذكر في هذه المقدِّمة الكلماتِ التي يكثر دَورُها في القرآن، أو تقع فيه في موضعين فأكثر، من الأسماء والأفعال والحروف.

★ **وإنَّما جمعناها[١] في هذا الباب لثلاثِ فوائدَ:**

- **إحداها**: تيسيرها للحفظ؛ فإنها وقعت في القرآن متفرِّقةً، فجَمْعُها أسهل لحفظها.

- **والثانية**: ليكون هذا الباب كالأصول الجامعة لمعاني التفسير، كما أن تواليف القراءات جُمعت فيها الأصولُ المطَّردة والكثيرة الدَّور.

- **والثالثة**: الاختصار، فنستغني بذكرها هنا عن ذكرها في مواضعها من القرآن؛ خوفَ التطويل بتَكرارها.

وربما نبَّهنا على بعضها؛ للحاجة إلى ذلك.

ورتَّبناها في هذا الباب على حروف المعجم، فمن لم يجد تفسيرَ كلمة في موضعها من القرآن فلينظرْها في هذا الباب.

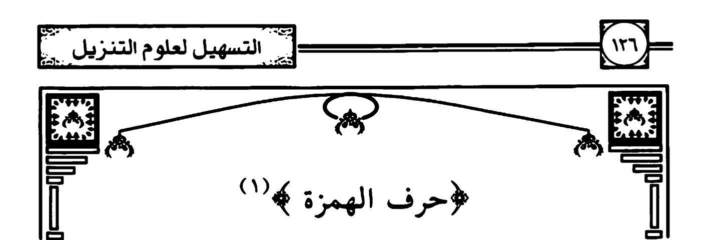
---

(١) في ب، ج، د: «جعلناها».

واعتبرنا في هذه الحروف الحرفَ الذي يكون فاءَ الكلمة وهو الأصليُّ، دون الحروف الزوائدِ في أول الكلمات[١].

* * *

(١) ثمة تشابهٌ، إلى حدٍّ كبير، في شرح الكلمات الغريبة وتَعداد معانيها بين مادة الغريب لابن جزيٍّ هنا وبين «تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب» لأبي حيان الأندلسي الغرناطي (ت٧٤٥هـ)، وهما متعاصران، ومن بلدة واحدة، وكلاهما من تلاميذ أبي جعفر ابن الزبير الغرناطي، ومقارنةٌ سريعة بين غريب ابن جزيٍّ وغريب أبي حيّان في باب واحدٍ توصل إلى هذه النتيجة، بَيْدَ أن ابن جزي اقتصر -في المقدمة- على شرح الكلمات الغريبة التي تكررت في القرآن مرتين فأكثر، وأما أبو حيان فشرح كلَّ كلمة غريبة ولو جاءت في القرآن في موضع واحد، فلعلَّهما استمدَّا مادَّتهما في كتابيهما من كتابٍ واحد رجعًا إليه جميعًا!.



﴿حرف الهمزة ﴾(١)

١- آية : لها معنيان :

أحدهما : عِبرة وبرهان.

والثاني : آيةٌ من القرآن ، وهي كلام متَّصل إلى الفاصلة ، والفواصل : هي رؤوس الآيات .

٢- أَتى بقصر الهمزة : معناه : جاءَ ، ومضارعه : يأتي ، ومصدره : إتيانٌ ، واسم الفاعل منه : آتٍ ، واسم المفعول منه : مأتيٌّ ؛ ومنه قوله تعالى : ﴿وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾ [مريم: ٦١].

---

(١) يَلحظ المطالع لهذه المقدمة في اللغات أن ترتيب حروف الهجاء فيها يختلف عما هو سائدٌ ومألوف عند المشارقة ، وذلك لأن المؤلف رحمه الله اتبع طريقة أهل جهته المغاربة في ترتيب حروف الهجاء، فالمغاربة والمشارقة يتَّحدون في ترتيب الحروف الهجائية المفردة إلى حرف الزاي ثم بعد ذلك يحصل خلاف بينهم في ترتيب بقيَّة الحروف، يقول القلقشندي في «صبح الأعشى» (٣/ ٢٢): «واعلم أن ترتيب الحروف على ضربين: مفردٍ ومُزدوجٍ، وبين أهل الشرق وأهل الغرب في كلٍّ من النوعين خلافٌ في الترتيب، أما المفرَد: فأهل الشَّرق يرتِّبونه على هذا الترتيب:
أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز، س، ش، ص، ض، ط، ظ، ع، غ، ف، ق، ك، ل، م، ن، هـ، و، لا، ي.
وأما أهل الغرب فإنهم يرتِّبونه على هذا الترتيب:
أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز، ط، ظ، ك، ل، م، ن، ص، ض، ع، غ، ف، ق، س، ش، هـ، و، لا، ي».

٣- وآتى بمد الهمزة: معناه: أعطى، ومضارعه: يؤتي، ومصدره: إيتاءٌ، واسم الفاعل: مؤتٍ؛ ومنه: ﴿وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [النساء: ١٦٢].

٤- أبى يأبَى: أي: امتنعَ.

٥- أثَرُ الشيءِ: بقيَّته وأمارته، وجمعه: آثارٌ.

والأثَر -أيضًا-: الحديث.

و﴿أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ [الأحقاف: ٤]: بقيَّةٍ.

﴿وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ﴾ [الروم: ٩]: حرثوها.

وآثَرَ الرجلُ الشيءَ يُؤثِره: أي: فضَّله.

٦- إثمٌ: ذنبٌ؛ ومنه: ﴿ءَاثِمٌ﴾ و﴿أَثِيمٍ﴾ أي: مذنبٌ.

٧- أجْرٌ: ثوابٌ.

وبمعنى: الأُجرةِ؛ ومنه: ﴿ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾ [القصص: ٢٦]، و﴿عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى﴾ [القصص: ٢٧].

وأمَّا: ﴿ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾ [التوبة: ٦] ﴿وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٣١] و﴿لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ﴾ [الجن: ٢٢] ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ [المؤمنون: ٨٨] = فذلك كلُّه من الجِوار؛ بمعنى: التَّأمين.

٨- آمَن إيمانًا أي: صدَّق.

والإيمان في اللغة: التصديق مطلقًا.

وفي الشرع: التصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

والمؤمن في الشرع: المصدق بهذه الأمور.

والمؤمن اسم الله تعالى:

أي: المصدِّق لنفسه.

وقيل: إنه من الأَمْن، أي: يؤمِّن أولياءَه مِن عذابِه[1].

٩- وأمِن -بقصر الهمزة وكسر الميم- أمْنًا وأَمَنةً: ضدُّ الخوف.

وأمِن -أيضًا-: من الأمانة.

وأمَّن غيرَه: من التأمين.

١٠- أليم: مؤلِمٌ أي: موجِعٌ؛ ومنه: ﴿تَأْلَمُونَ﴾ [النساء: ١٠٤].

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله رحمه الله: «الإيمان في اللغة: التصديق مطلقًا»، أقول: هذا هو المشهور عند اللغويين وجمهور المفسرين، وهذا التفسير للإيمان أشهر ما احتج به المرجئة القائلون بأن الإيمان هو التصديق، يعنون به تصديق القلب، والقول بأن الإيمان هو التصديق مطلقا، يقتضي أن كلَّ تصديقٍ إيمانٌ، وخالف في ذلك الإمام ابن تيمية رحمه الله فقال: الإيمان في اللغة تصديق خاص، وهو التصديق فيما يؤتمن عليه المخبِر؛ كالإخبار عن الأمور الغائبة، فلا يقال لمن صدَّق مخبِرا عن طلوع الشمس: آمَن له، بل صدَّقه؛ لأن طلوع الشمس من الأمور الحسية الظاهرة.

وقوله: «والإيمان في الشرع: هو التصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر»، أقول: نعم هذا هو الإيمان في الشرع بمعناه الخاص المتعلق بالاعتقاد، ويطلق الإيمان في الشرع إطلاقا عاما يشمل جميع شرائع الدين الظاهرة والباطنة، يدل لذلك قوله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبه، أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»، وفي الحديث رد على المرجئة الذين يخرجون الأعمال عن مسمى الإيمان. وعلى ذلك فيكون الإيمان بمعناه العام اسمًا لكل ما شرعه الله من الاعتقادات والأعمال والأقوال، ولذا قال أهل السنة: الإيمان اعتقاد بالجنان وقول باللسان وعمل بالأركان.

١١- إمام: له أربعة معان:

[١] القدوة.

[٢] والكتاب.

[٣] والطريق.

[٤] وجمع «آمّ» أي: تابع؛ وهو: ﴿لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

١٢- أُمَّة: لها أربعة معان:

[١] الجماعة من الناس.

[٢] والدِّين.

[٣] والحين.

[٤] والإمام؛ أي: القدوة.

١٣- أُمِّيٌّ: لا يقرأ ولا يكتب؛ ولذلك وصف العرب بالأُمِّيين.

١٤- أُمٌّ: لها معنيان:

[١] الوالدة.

[٢] والأصل.

وأم القرى: مكة.

١٥- أُخرى: مؤنثةُ: آخَر، وآخِر.

١٦- آل: له معنيان:

[١] الأهل؛ ومنه: ﴿ءَالَ لُوطٍ﴾ [الحجر: ٦١].

[٢] والأتباع والجنود؛ ومنه: ﴿ءَالَ فِرۡعَوۡنَ﴾ [البقرة: ٥٠].

١٧- أمس: اليومُ الذي قَبل يومِك.

والزمانُ الماضي.

١٨- إِنَاهُ: وقتُه، وجمعه: آناءٌ؛ ومنه: ﴿ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ﴾ [الزمر: ٩].

١٩- أمْرٌ: له معنيان:

أحدهما: طلب الفعل على الوجوب، أو الندب، أو الإباحة.

وقد تأتي صيغة الأمر لغير الطَّلب، كالتهديد، والتعجيز، والتعجُّب، والخبر.

والثاني: بمعنى الشأن والصفة.

وقد يراد به العذاب؛ ومنه: ﴿جَآءَ أَمۡرُنَا﴾ [هود: ٥٨].

٢٠- إسرائيل: هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، وهو والد الأسباط، واليهودُ من ذريَّتهم.

٢١- إيابٌ: رجوعٌ؛ ومنه: ﴿مَـَٔابٍ﴾ أي: مرجعٍ.

و«رجلٌ أوّابٌ»: كثيرُ الرجوع إلى الله.

والتأويب: التسبيح؛ ومنه: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي﴾ [سبأ: ١٠].

٢٢- إِفْكٌ: أشدُّ الكذب، والأفّاك: الكذَّاب.

وأُفِكَ الرجلُ عن الشيء: أي: صُرِف عنه؛ ومنه ﴿تُؤۡفَكُونَ﴾ [الأنعام: ٩٥].

٢٣- أوى الرجلُ إلى الموضع -بالقصر-.

وآواه غيرُه -بالمدِّ-؛ ومنه: ﴿ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٣٩].

٢٤- أُفّ: كلمة شرٌّ.

٢٥- آلاءُ اللهِ: نِعَمُه؛ ومنه: ﴿ءَالَآءِ رَبِّكُمَا﴾ [الرحمن: ١٣].

٢٦- أَسِف: له معنيان:

[١] الحُزْن.

[٢] والغضب؛ ومنه: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾ [الزخرف: ٥٥].

٢٧- إسوة -بكسر الهمزة وضمها-: قُدوة.

٢٨- أَسِيَ الرجلُ يأسَى أسًا: أي: حَزِن؛ ومنه: ﴿فَلَا تَأْسَ﴾ [المائدة: ٢٦] و﴿فَكَيْفَ ءَاسَىٰ﴾ [الأعراف: ٩٣].

٢٩- أذانٌ -بالقصر-: إعلامٌ بالشيء؛ ومنه الأذان بالصلاة.

والآذانُ -بالمد-: جمع أُذُنٍ.

٣٠- أَذِنَ اللهُ: يأتي بمعنى: العلم، والأمر، والإرادة، والإباحة.

وأَذِنتُ بالشيء: عَلِمت[1] به -بكسر الذال-.

وآذنت به غيري -بالمد-.

٣١- إِصْرٌ: له معنيان:

[١] الثِّقَلُ.

---

(١) في ب، د: «أعلمتُ».

[٢] والعَهدُ.

٣٢- أَيْدٌ: قوةٌ؛ ومنه: ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ﴾ [البقرة: ٨٧] و﴿بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ﴾ [الذاريات: ٤٧].

والأيدي: جمع يدٍ، فهمزتها زائدة.

٣٣- أُكلٌ -بضم الهمزة-: اسم المأكول، ويجوز فيه ضمُّ الكاف وإسكانُها.

والأَكْلُ -بفتح الهمزة-: المصدر.

٣٤- أيكة: غَيضَةٌ.

٣٥- أثاثٌ: متاع البيت.

٣٦- أُجاجٌ: مُرٌّ.

٣٧- أرائك: أَسِرَّةٌ، واحدها: أريكة.

٣٨- آنية: له معنيان:

[١] جمعُ إناءٍ؛ ومنه: ﴿بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: ١٥].

[٢] وشديدةُ الحرِّ؛ ومنه: ﴿عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾ [الغاشية: ٥].

ووزن الأول: أَفعِلةٌ، والثاني: فاعلةٌ، ومذكّرُها: آنٍ؛ ومنه: ﴿حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٤].

٣٩- أحدٌ: له معنيان:

[١] واحدٌ؛ ومنه: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١].

[٢] واسمُ نفيٍ، بمعنى: إنسان.

٤٠- أيَّانَ: معناه: متى.

٤١- أنَّى: بمعنى: كيف، ومتى، وأين.

٤٢- إنَّ المكسورة المشدَّدة: للتأكيد.

والمفتوحة المشددة: مصدرية.

٤٣- إنَّما: للحصر.

٤٤- إنْ المكسورة المخففة: أربعة أنواع:

[١] شرطية.

[٢] ونافية.

[٣] وزائدة.

[٤] ومخففة من الثقيلة.

٤٥- أنْ المفتوحة المخففة: أربعة أنواع:

[١] مصدرية.

[٢] وزائدة.

[٣] ومخففة من الثقيلة.

[٤] وعبارةٌ عن القول.

٤٦- إذَا: نوعان:

[١] ظرفُ زمان مستقبلٍ، ومعناها الشرط، وقد تخلو عن الشرط.

[٢] وفُجائيةٌ.

٤٧- إذْ: لها معنيان:

[١] ظرفُ زمان ماضٍ.

[٢] وسببيةٌ للتعليل.

٤٨- أو:

[أ-] **العاطفةُ**: لها خمسة معان:

[١] الشكُّ.

[٢] والإبهام.

[٣] والتخيير.

[٤] والإباحة.

[٥] والتنويع[١].

[ب-] **والناصبةُ للفعل**: بمعنى: «إلى أنْ»، أو: «إلّا أنْ»، أو: «كي».

٤٩- أَمْ: استفهامٌ، وقد يكون فيها معنى[٢] الإنكار، أو الإضراب.

وتكون:

متصلةً؛ للمعادَلة بين ما قبلها وما بعدها.

ومنفصلةً مما قبلها.

---

(١) هذه الكلمة سقطت من ب، ج، هـ.

(٢) في ب: «وقد يكون بمعنى».

٥٠- إمَّا المكسورة المشددة: للتنويع، والشك، والتخيير.

وقد تكون مركَّبةً مِن «إنْ» الشرطية و«ما» الزائدة.

٥١- أمَّا المفتوحة المشددة: للتقسيم، والتفصيل.

٥٢- ألَا المفتوحة المخففة: للتنبيه، والاستفتاح، والتوبيخ، والعَرْض، والتمني.

٥٣- إلَّا المكسورة المشددة: استثناءٌ.

وتكون للإيجاب بعد غير الواجب.

وتكون مركبةً مِن «إنْ» الشرطية و«لا» النافية.

٥٤- أيٌّ المشددة: سبعة أنواع:

[١] شرطيةٌ.

[٢] واستفهامية.

[٣] وموصولة.

[٤] ومنادًى.

[٥] وصفةٌ.

[٦] وظرفية إذا أُضيفت إلى ظرف.

[٧] ومصدرية إذا أضيفت إلى مصدر.

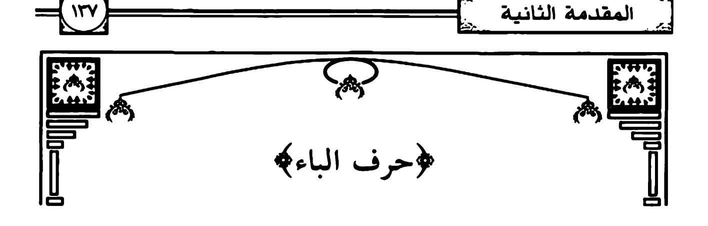
٥٥- إِيْ المكسورة المخففة: معناها: التَّصديق.

٥٦- إلى: معناها: انتهاء الغاية.

وقد[١] تكون بمعنى «مع».

٥٧- الهمزة: للاستفهام، والتقرير، والتوبيخ، والنِّداء، والتسوية، وللمتكلم، وأصليةٌ، وزائدةٌ؛ للبناء.

(١) في أ، ب: «وقيل».



﴿حرف الباء﴾

٥٨- بارئٌ: خالقٌ، ومنه: ﴿ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦] أي: الخلق.

٥٩- بَعْثٌ: له معنيان:

[١] بعْثُ الرسل.

[٢] وبعث الموتى من القبور.

٦٠- بسَط اللهُ الرزقَ: وسَّعه، وضده: قبَض وقدَر الرزقَ أي: ضيَّقه.

ومن أسماء الله تعالى: القابض والباسط.

و﴿بَسْطَةً﴾: زيادةً.

٦١- بَشرَ: مِن البِشارة، وهي: الإعلام بالخير قبل وروده.

وقد تكون للشرِّ إذا ذُكِر معها.

ويجوز في الفعل التشديد والتخفيف، ومنه: المبشِّر والبَشير.

واستبشَر بالشيء: فرح به.

٦٢- بُعْدٌ: له معنيان:

[١] ضد القُرْب، والفعل منه: بَعُدَ -بضم العين-.

[٢] والهلاك، والفعل منه: بكسرها، ومنه: ﴿كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ [هود: ٩٥].

٦٣- بلاءٌ: له معنيان:

[١] العذاب.

[٢] والاختبار، ومنه: ﴿ٱبْتَلَىٰٓ﴾ [البقرة: ١٢٤] و﴿وَنَبْلُوكُم﴾ [الأنبياء: ٣٥].

٦٤- بِرٌّ: له معنيان:

[١] الكرامة، ومنه: بر الوالدين، و﴿أَن تَبَرُّوهُمْ﴾ [الممتحنة: ٨].

[٢] والتَّقوى والجمع لخصال الخير، ومنه: ﴿ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [البقرة: ١٨٩].

ورجل بارٌّ وبَرٌّ، وجمعه[1]: أبرار.

والبَرُّ: من أسماء الله تعالى.

٦٥- بات: معروفٌ، ومصدره بَياتٌ.

وبيَّت الأمرَ: دبَّره بالليل.

٦٦- بغتةً: فجْأةً.

٦٧- بُروج: جمع بُرْج، وهو الحِصن.

وبروج السماء: منازل الشمس والقمر.

---

(١) في ب، ج، هـ: «والجمع».

٦٨- بَيْنَ: ظرفٌ.

وبين يديِ الشيء: ما تقدَّم قبله.

والبَينُ: الفراق والاجتماع؛ لأنه من الأضداد.

٦٩- بيِّناتٌ: براهين من المعجزات وغيرها.

ومبيِّنة: مِن البيان.

٧٠- مُبِين[1]: مِن البيان، وله معنيان:

[١] بيِّنٌ غير متعدي.

[٢] ومبيِّنٌ لغيره.

٧١- بدا يبدو -بغير همز-: ظهَر، وأبديته: أظهرتُه.

والبادي -أيضًا-: من البادية، ومنه: ﴿بَادُونَ فِي ٱلۡأَعۡرَابِ﴾ [الأحزاب: ٢٠]

٧٢- بدأ -بالهمز-: من الابتداء، ويقال: بدأ اللهُ[2] الخلقَ، وأبدأه. وقد جاء القرآنُ بالوجهين.

٧٣- بغَى: له معنيان:

[١] العدوان على الناس.

[٢] والحسد.

والبِغاء -بكسر الباء-: الزِّنا، ومنه: امرأةٌ بغيٌّ أي: زانية.

---

(١) في هـ: «بيِّن».

(٢) اسم الله لم يرد في ب، ج، د، هـ.

وابتغى الشيءَ وبغَاه: أي: طلبه.

٧٤- بثَّ الحديثَ وغيرَه: نشَره.

و﴿ٱلْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: ٤]: المنتشر.

و﴿مَبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية: ١٦]: متفرقة.

والبثُّ: الحُزْن الشديد؛ ومنه: ﴿أَشْكُوا۟ بَثِّى﴾ [يوسف: ٨٦].

٧٥- بوَّأَ: أنزل الرجلَ منزلًا؛ ومنه: ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٧٤] و﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾ [النحل: ٤١]، و﴿مُبَوَّأَ﴾ [يونس: ٩٣].

٧٦- بوارٌ: هلاكٌ؛ ومنه: ﴿قَوْمًۢا بُورًا﴾ [الفرقان: ١٨] أي: هَلْكى.

٧٧- باء بالشيءِ: رجع به.

وقد يقال بمعنى: اعترف.

٧٨- بأساء: الفقر.

والبؤس: الشدة والمحنة.

و﴿ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾ [الحج: ٢٨]: مِن البؤس.

والبَأس: القتال، والشجاعة، والمكروه.

وبأس الله: عذابُه.

وبِئسَ: كلمة ذمٍّ.

٧٩- برزخ: شيءٌ بين شيئين.

والبرزخ: ما بين الموت والقيامة.

٨٠- بديع: له معنيان:

[١] جميل.

[٢] ومبدِعٌ أي: خالقُ الشيءِ ابتداءً.

٨١- بسَر: عبس، ومنه: ﴿بَاسِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٤].

٨٢- بصير: مِن البصر، يقال: أبصرتُه، وبَصُرتُ به[١].

والبصائر: البراهين، جمع بَصيرةٍ.

٨٣- برَز: ظهر؛ ومنه: ﴿بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٧]، و﴿بَارِزُونَ﴾ [غافر: ١٦].

٨٤- بطْش: أخذٌ بشدَّةٍ.

٨٥- بخْسٌ: نقْص.

٨٦- بعْلٌ: له معنيان:

[١] زوج المرأة، وجمعه: بُعولةٌ.

[٢] والبعل - أيضًا -: الربُّ، وقيل: اسم صنم؛ ومنه: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ [الصافات: ١٢٥].

٨٧- بهجة: حُسْن، وبهيج: حسَنٌ.

٨٨- مبلسون: جمع مبلِس، وهو: اليائسُ.

---

(١) في ج، هـ: «بصرته، وأبصرت به».

وقيل: الساكت الذي انقطعت حجته.

وقيل: الحزين النادم؛ ومنه: ﴿يُبْلِسُ﴾ [الروم: ١٢].

ومنه اشتقَّ: إبليس.

٨٩- بُهِت: انقطعت حجته.

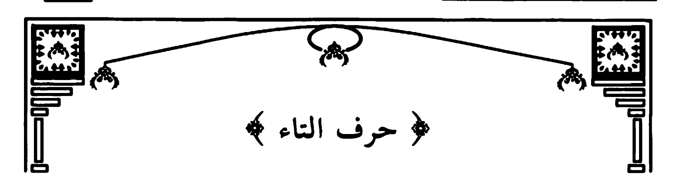
٩٠- تباركَ: مِن البركة، وهي الكثرة والنماء.

وقيل: تقدَّس.

٩١- بلى: جوابٌ يقتضي إثباتَ الشيء.

٩٢- بلْ: معناها: الإضرابُ عمَّا قبلها.

٩٣- الباء: للإلصاق، ولنَقْلِ الفعل في التعدِّي، وللقسم، وللتعليل، وللمصاحبة، وللاستعانة، وظرفيةٌ، وزائدةٌ.



﴿ حرف التاء ﴾

٩٤- تَلَا يتلو: له معنيان:

[١] قرأ.

[٢] وتَبع.

٩٥- تقوى: مصدرٌ مشتقٌّ من الوِقاية، فالتاء بدل من واو.

ومعناه: الخوفُ، والتزامُ طاعة الله، وتركُ معاصيه؛ فهو جماع كلِّ خير.

٩٦- تاب يتوب: رجع، توبةً وتوبًا؛ فهو تائب.

وتوَّاب: كثير التوبة.

وتوَّاب: اسم الله تعالى أي: كثير التوبة على عباده.

وتاب الله على العبد:

ألهمه للتوبة(١).

أو قَبِل توبته.

٩٧- تبابٌ: خسران، وتبَّ: خسِر.

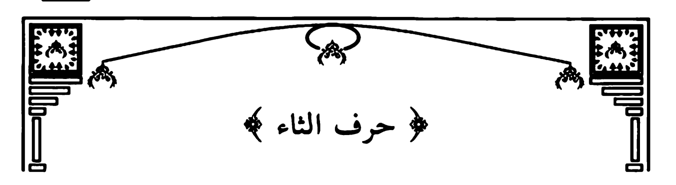
٩٨- تبارٌ: هلاكٌ؛ ومنه: ﴿مُتَبَّرٌ﴾ [الأعراف: ١٣٩].

---

(١) في د: «التوبة».

٩٩- أترفوا: نُعِّموا، والمترَفون: المنَعَّمون[1] في الدنيا.

(١) في د: «المتنعمون».



﴿ حرف الثاء ﴾

١٠٠- ثمود: قبيلةٌ من العرب الأقدمين.

١٠١- ثوَى في الموضع: أقام فيه، ومنه: ﴿مَثْوَى﴾.

١٠٢- ثُبورٌ: هلاكٌ؛ ومنه: ﴿مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٢]، و﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان: ١٣] أي صاحوا: واهلاكاه[1].

١٠٣- ثمر: ما يؤكل مما تُنبِت[2] الأرض.

ويقال بالفتح والضم.

١٠٤- ثُقِفوا: أخذوا، وظُفِر بهم؛ ومنه: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ﴾ [الأنفال: ٥٧].

١٠٥- ثاقب: مضيءٌ.

١٠٦- ثمَّ:

[أ-] **بالفتح**: ظرف.

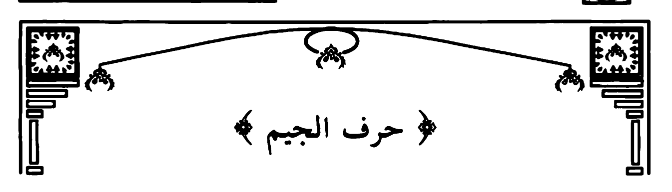
[ب-] **وبالضم**: حرف عطف يقتضي الترتيبَ والمهلة.

وقد يرد لغير الترتيب، كالتأكيد، وترتيبِ الإخبار.

---

(١) في ب، ج، د، هـ: «هلاكا».

(٢) في ب، ج، هـ: «تنبته».



﴿ حرف الجيم ﴾

١٠٧- جعَل: لها أربعة معانٍ:

[١] صيَّر.

[٢] وألقَى.

[٣] وخلَق.

[٤] وأنشأ يفعل كذا.

١٠٨- جَناحُ الطائرِ: معروف.

وجَناح الإنسان: إبطُه، ومنه: ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ [القصص: ٣٢].

و﴿لَّا جُنَاحَ﴾ [البقرة: ٢٣٦]: لا إثم؛ فمعناه: إباحةٌ.

وجَنَح للشيءِ: مال إليه.

١٠٩- لا جرَمَ: لا بُدَّ.

١١٠- اجتبى: اختار.

١١١- جدال: مخالفة، ومخاصمة، واحتجاج.

١١٢- تجأرون: تَصيحون بالدعاء.

١١٣- جَواري: جمع جارية، وهي السفينة.

١١٤- أجرم فهو مُجرمٌ له معنيان:

[١] الكفر.

[٢] والعصيان.

١١٥- جِنٌّ: الجنون.

وقد جاء بمعنى الملائكة.

١١٦- جانٌّ: له معنيان:

[١] الجنون[1].

[٢] والحيَّة الصغيرة.

١١٧- جنَّةٌ: بالفتح: البستان.

وبالكسر: الجنون.

وبالضم: التُّرس وما أشبهه مما يُستَتر به؛ ومنه استعير: ﴿أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾ [المجادلة: ١٦].

---

(١) تفسير هذه الكلمة والكلمة التي قبلها -وهي «جنٌّ»- بالجنون مشكلٌ، ولم أقف بعد البحث على مَن فسَّرها بذلك، فلعله وهمٌ أو سبق قلم، ولعل صواب تفسير هاتين الكلمتين: أنهم الجنُّ المعروفون المخلوقون من النار، قال المؤلف في تفسير آية «الرحمن»: ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ﴾. . : «الجانُّ: الجنُّ، يعني: إبليس والد الجن»، وجاء في «تحفة الأريب» لأبي حيان الأندلسي (ص: ٩٠): «جانٌّ: واحد الجن، وجنسٌ من الحيَّات»، وانظر تفسير المؤلف لآية «الكهف»: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ وآية «النمل»: ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾.

١١٨- جاثية: أي: على رُكَبهم؛ لا يستطيعون القيام؛ مما هم فيه.

وقوله: ﴿جِثِيًّا﴾ [مريم: ٦٨]: جمع جاثٍ.

١١٩- الجُرُز: الأرض التي لا نبات فيها.

١٢٠- جاثمين: باركين على ركبهم.

١٢١- جبَّار: اسم الله تعالى له معنيان:

[١] قهار.

[٢] ومتكبر.

وقد يكون من الجبْر للكَسير وشبهه.

والجبَّار -أيضًا-: الظالم.

١٢٢- أجداث: قبور.

١٢٣- جزَى: له معنيان:

[١] مِن الجزاء بالخير والشر.

[٢] وبمعنى أغنى؛ ومنه: ﴿لَّا تَجْزِى نَفْسٌ﴾ [البقرة: ٤٨].

وأما أجزأ بالهمز فمعناه: كفَى.

١٢٤- جَرَح: له معنيان:

[١] من الجُروح.

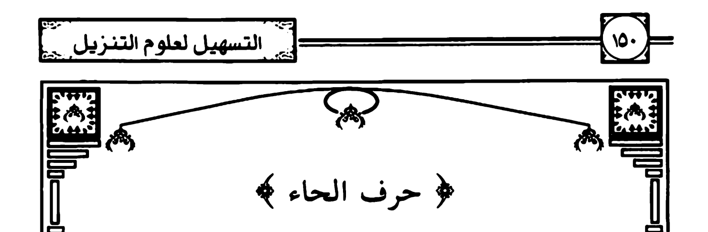
[٢] وبمعنى: الكسْب والعمل؛ ومنه: ﴿جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦٠]، و﴿ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الجاثية: ٢١].

ولذلك سُمِّيت كلاب الصيد: جوارحَ؛ لأنها كواسبُ لأهلِها.

١٢٥- جُنُب: له معنيان:

[١] من الجنابة.

[٢] وبمعنى: البُعْد؛ ومنه: ﴿عَن جُنُبٍ﴾ [القصص: ١١].



﴿ حرف الحاء ﴾

١٢٦- حمدٌ: هو الثَّناء، سواء كان جزاءً على نعمةٍ، أو ابتداءً، والشُّكر إنما يكون جزاءً؛ فالحمد من هذا الوجه أعمُّ.

والشكر باللسان والقلب والجوارح، ولا يكون الحمد إلا باللسان؛ فالشكر من هذا الوجه أعمُّ.

وحميدٌ: اسم الله تعالى، أي: محمودٌ.

١٢٧- حكمة: عقل(١)، أو علم.

وقيل في: ﴿ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: ١٢٩]: هي السنة.

١٢٨- حكيم: اسم الله تعالى، مِن:

الحكمة.

أو من الحُكم بين العباد.

أو من إحكام الأمور وإتقانها.

١٢٩- حليم: الحلم: العقل.

وقد يقال بمعنى: العفو.

---

(١) في د: «كمال».

والأحلام: العقول.

والحليم: من أسماء الله تعالى:

قيل: الذي لا يعجِّل بالعقوبة على من عصاه.

وقيل: معناه العفو عن الذنوب.

وأحلام النوم: ما يُرى في المنام.

١٣٠- حبِط: بطَل، وأحبطه الله: أبطله.

١٣١- حنيف: مسلم وموحِّد لله.

وقيل: حاجٌّ.

وقيل: مختتِنٌ.

وجمعه: حنفاء.

١٣٢- محصِنين ومحصَنات: الإحصان له أربع معان:

[١] الإسلام.

[٢] والحرية.

[٣] والعفاف.

[٤] والتزوُّج.

و﴿لِيُحْصِنَكُم مِّنْ بَأْسِكُمْ﴾ [الأنبياء: ٨٠]: يقيكم.

١٣٣- حُجَّة -بالضم-: دليل وبرهان.

وحاجَّ فلانٌ فلانًا: جادله، وحجَّهُ: غلبه بالحُجة.

والحجُّ - بالفتح والكسر -: القصد؛ ومنه أخذ: ﴿حَجَّ ٱلْبَيْتَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

وحِجَّة -بالكسر-: سَنةٌ، وجمعها: حِجَج.

١٣٤- حِطَّة: أي: حُطَّ عنا ذنوبَنا.

وقيل: هي كلمة بالعِبرانية تفسيرها: «لا إله إلا الله».

١٣٥- حضر: بالضاد: من الحضور؛ ومنه: ﴿مُحْضَرُونَ﴾ [الروم: ١٦]، و﴿شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ [القمر: ٢٨].

وبالظاء: من المنع؛ ومنه: ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠]، و﴿كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾ [القمر: ٣١].

وبالذال: من الحذر وهو الخوف؛ ومنه: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧].

١٣٦- حِفْظُ العلمِ: وَعْيُه، وحِفظُ الشيء: حراستُه.

والحفيظ: اسم الله تعالى:

قيل: معناه العليم.

وقيل: حافظُ الخلق، أي: كالِئُهم من المهالك.

١٣٧- حاق بهم: حلَّ بهم.

١٣٨- حبلٌ من الله ومن الناس: أي: عهدٌ.

وحبل الله: القرآن.

وأصله: الحبل المعروف.

١٣٩- حسِب -بكسر السين-: ظنَّ، ومضارعه: بالفتح والكسر.

وحسَب -بالفتح-: مِن العدد، ومضارعه: يحسُب بالضم؛ ومنه: الحساب، والحُسبان.

و﴿حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الكهف: ٤٠] أي: مَرامٍ، واحدها: حُسبانةٌ.

١٤٠- حساب: مِن الظنِّ، ومِن العدد.

و﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ يحتمل:

الوجهين.

وأن يكون: مِن المحاسبة، أي: لا يحاسب عليه.

ومن التقدير، أي: بغير تضييق.

و﴿عَطَآءً حِسَابًا﴾ [النبأ: ٣٦] أي: كافيًا.

١٤١- حسيب: اسم الله تعالى، فيه أربعة أقوال:

[١] كافٍ.

[٢] وعالمٌ.

[٣] وقادرٌ.

[٤] ومحاسِبٌ.

١٤٢- حَسبُك الله: أي: كافِيك.

١٤٣- حُزْنٌ: تأسُّفٌ على ماض أو حال.

والخوف: توقُّعٌ في المستقبل.

ويقال: حزِن بكسر الزاي، وحزَنه غيرُه بفتحها، وأَحزنه -أيضًا-.

١٤٤- حصيرٌ: مُحبَس؛ من الحصْر.

وأُحصِر عن الشيء: حُبس عنه.

وحسير -بالسين-: كَلِيلٌ.

١٤٥- حصيد: هو ما يحصد من الزرع وغيره.

واستعير منه: ﴿قَآيِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ [هود: ١٠٠] أي: باقٍ وذاهبٌ.

١٤٦- حميم: له معنيان:

[١] الصديق[1].

[٢] والماء الحار.

١٤٧- محيص: مهرَب.

١٤٨- حِجْر: له أربعة معان:

[١] الحرام.

[٢] والعقل.

[٣] ومنازل ثمود.

---

(١) في ج، د: «الصديد».

[٤] وحجر الكعبة.

١٤٩- حِمْلٌ -بكسر الحاء-: ما على ظهر الدابة وغيرها.

ويستعار للذنوب.

وبالفتح: ما في بطن المرأة، وجمعه: أَحمال.

١٥٠- إحسان: له ثلاثة معان:

[١] فعل الحسنات.

[٢] والإنعام على الناس.

[٣] ومراقبةُ الله تعالى المشارُ إليها في قوله ﷺ: «**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه**»(١).

١٥١- حقٌّ: له أربعة معان:

[١] الصدق.

[٢] والعدل في الحكم.

[٣] والشيء الثابت.

[٤] والأمر الواجب.

والحق: اسم الله تعالى، أي: الواجبُ الوجود(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (٨) في ضمن حديث جبريل الطويل.

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: «قوله: «أي واجب الوجود»، أقول: هذا من معنى اسمه تعالى الحق، ويدخل في معنى هذا الاسم (الحق) أنه الموصوف بكل كمال، المنزه =

١٥٢- حاصبٌ: ريح شديدة، سُمِّيت بذلك؛ لأنها ترمِي بالحصباء أي: الحصى.

والحاصب -أيضًا-: الحجارة.

١٥٣- حِلْية: حَلْيٌ.

١٥٤- حرجٌ: ضِيق، أو مشقة.

١٥٥- حولٌ: له معنيان:

[١] العام.

[٢] والحِيلة.

و﴿حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٨] - بكسر الحاء -: انتقالًا.

١٥٦- حرْثُ الأرضِ: مصدر، ثم استعمل بمعنى: الأرض، والزرع، والجنات.

١٥٧- حسَّ -بغير ألف-: قتَل؛ ومنه: ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم﴾ [آل عمران: ١٥٢].

وأحسَّ: مِن الحِسِّ.

١٥٨- حُرُم -بضمتين-: محرمون بالحج.

= عن كل نقص، وأنه الإله الحق، رب كل شيء ومليكه، فيدخل في معنى هذا الاسم جميع أسمائه الحسنى وصفاته العلى.
ويجوز إطلاق واجب الوجود على الله تعالى خبرا، لا اسما، فهو تعالى واجب الوجود، أي لا يجوز عليه الحدوث ولا العدم، وليس ذلك من الأسماء الحسنى التي يدعى بها».

١٥٩- حُقُب -بضمتين- وأحقابٌ: جمع حِقْبٍ؛ وهو مدَّةٌ من الدهر، يقال: إنها ثمانون سنة.

١٦٠- حف الشيءُ بالشيءِ: أطاف[1] به من جوانبه، ومنه: ﴿وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ﴾ [الكهف: ٣٢] و﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ﴾ [الزمر: ٧٥].

١٦١- حلَّ بالمكان: يَحلُّ -بالضم والكسر-.

وحلَّ من إحرامه: يَحِلُّ -بالكسر[2] لا غير-.

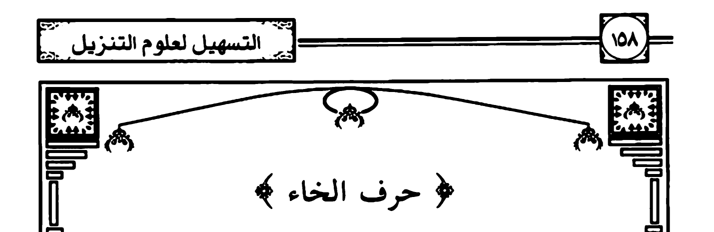
١٦٢- حطامٌ: فُتاتٌ.

والحطام: ما تحطَّم من عِيدان الزرع اليابس.

---

(١) في د: «أحاط».

(٢) هذه الكلمة لم ترد في ب، ج، د، هـ.



﴿ حرف الخاء ﴾

١٦٣- خلَق: له معنيان:

[١] من الخِلقة؛ ومنه: الخالق اسم الله، والخلّاق.

[٢] وخلَق الرجلُ: كذَب؛ ومنه: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: ١٧] و﴿ٱخْتِلَٰقٌ﴾ [ص: ٧] أي: كذبٌ.

١٦٤- خلَاق: نصيب.

١٦٥- خير: ضد الشرِّ، وله أربعة معان:

[١] العمل الصالح.

[٢] والمال.

[٣] والخِيَرة.

[٤] والتفضيل بين شيئين.

١٦٦- خلَا: له معنيان:

[١] من الخَلْوة.

[٢] وبمعنى: ذهَب وتقدَّم؛ ومنه: ﴿أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ [البقرة: ١٣٤].

١٦٧- خطيئة: ذنبٌ، وجمعه: خطايا وخطيآت، والفعل منه: خَطِئَ، فهو خاطئٌ.

وأما الخطأ بغير عمد؛ فالفعل منه: أخطأ.

١٦٨- خاسئين: مطرودين؛ من قولك: خَسَأْتُ الكلبَ، ومنه: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

١٦٩- خلفٌ -بفتح الخاء وإسكان اللام- له معنيان:

[١] وراءَ.

[٢] ومَن خلَف سلفَه بشرٍّ.

فإذا خلَفه بخيرٍ قيل بفتح اللام.

١٧٠- خِلاف: له معنيان:

[١] من المخالفة.

[٢] وبمعنى: بَعْدَ أو دُون؛ ومنه: ﴿بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٨١].

١٧١- خَوَّل: أعطى.

١٧٢- خُلَّةٌ -بضم الخاء-: مودَّةٌ؛ ومنه: الخليل، وجمعه: أخِلَّاء.

١٧٣- خِلال: له معنيان:

[١] وِدادٌ؛ ومنه: ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ﴾ [إبراهيم: ٣١].

[٢] وبمعنى: بَيْنَ؛ ومنه: ﴿خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾ [الإسراء: ٥] و﴿خِلَٰلَكُمْ﴾ [التوبة: ٤٧].

١٧٤- خرَّ يخِرُّ: سقط على وجهه.

١٧٥- خامدين: ميِّتين[(١)] هالكين، وأصله: من خمود النار.

١٧٦- خَطْبٌ: خبرٌ.

والخطْب -أيضًا-: الأمر العظيم.

وخِطبة النساء: بالكسر.

وخُطبة الخطيب: بالضم.

١٧٧- خرَّاصون: كذَّابون؛ ومنه: ﴿يَخۡرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦].

والخَرْص -أيضًا-: التقدير؛ وقيل: إنّ ﴿يَخۡرُصُونَ﴾ منه؛ أي: يقولون بالظن من غير تحقيق.

١٧٨- خَبالٌ: شرٌّ.

١٧٩- خوَّان: كثير الخيانة.

١٨٠- مختال: من الخيلاء.

١٨١- ختَّار: غدَّار؛ مِن: خَتْرِ العهدِ.

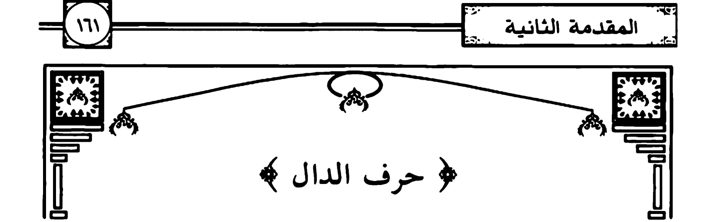
١٨٢- مخمصةٌ: مِن الخَمص؛ وهو الجوع.

١٨٣- أخدان: جمع خِدْنٍ؛ وهو الخليل.

١٨٤- خراجٌ وخَرْجٌ: أي: أُجرة، أو عطيَّةٌ.

---

(١) هذه الكلمة لم ترد في ب، ج، هـ.



﴿ حرف الدال ﴾

١٨٥- دين: له خمسة معان:

[١] الملَّة.

[٢] والعادة.

[٣] والجزاء.

[٤] والحساب.

[٥] والقهر.

١٨٦- أدنَى: له معنيان:

[١] أقربُ؛ فهو من الدنوِّ.

[٢] وأقلُّ؛ فهو من الدنيءِ الحقير.

١٨٧- دأبٌ: له معنيان:

[١] عادةٌ.

[٢] وجِدٌّ وملازمة؛ ومنه: ﴿سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ [يوسف: ٤٧] أي: متتابعةً للزراعة؛ من قولك: دأَبتُ على الشيء: دمت عليه.

١٨٨- دار السلام: الجنة.

١٨٩- دوائر: صروف الدهر، واحدها: دائرةٌ؛ ومنه: ﴿دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ [التوبة: ٩٨].

١٩٠- دعاء: له خمسة معان:

[١] الطلب من الله.

[٢] والعبادة؛ ومنه: ﴿تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٦].

[٣] والتمني: ﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ [يس: ٥٧].

[٤] والنداء؛ ﴿وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم﴾ [البقرة: ٢٣].

[٥] والدعوة إلى الشيء؛ ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [النحل: ١٢٥].

١٩١- دابَّة: كل ما يَدِبُّ، فتعمُّ[1] جميع الحيوان.

١٩٢- دحورٌ: إبعادٌ؛ ومنه: المدحور: المطرود.

١٩٣- دعَّ -بتشديد العين- يدُعُّ أي: دفع بعنف؛ ومنه: ﴿يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ [الماعون: ٢]، و﴿يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ [الطور: ١٣].

١٩٤- درأَ: دفع؛ ومنه: ﴿وَيَدْرَءُونَ﴾ [الرعد: ٢٢].

١٩٥- مدرارًا: مِن: درَّ المطر: إذا صَبَّ.

١٩٦- داخرين: صاغرين.

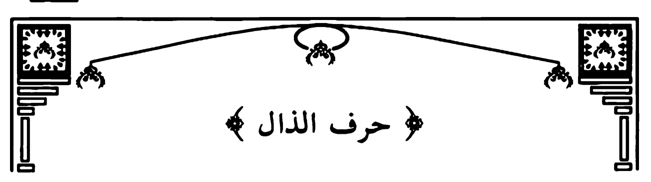
١٩٧- دُكَّت الأرض: أي[2]: دُقَّت جبالها حتى استوت مع وجه الأرض ومنه: ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣] أي: مستويًا مع الأرض.

---

(١) في ب، ج، هـ: «فيَجمع».

(٢) في أ: «إذا».





﴿ حرف الذال ﴾

١٩٨- ذِكْرٌ: له أربعة معان:

[١] ضد النسيان.

[٢] والذكر باللسان.

[٣] والقرآنُ؛ ومنه: ﴿نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾ [الحجر: ٩].

[٤] والشَّرف.

و﴿مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٥]: مفتَعِلٌ من الذِّكر.

١٩٩- ذنوب: بضم الذال: جمع ذَنْب.

وبالفتح: النَّصيب؛ ومنه: ﴿ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَـٰبِهِمْ﴾ [الذاريات: ٥٩] أي: نصيبًا من العذاب.

والذَّنوب -أيضًا-: الدَّلْو.

٢٠٠- ذِبْحٌ: بكسر الذال: المذبوح.

وبالفتح: المصدر.

٢٠١- ذرأ: خلق ونشَر.

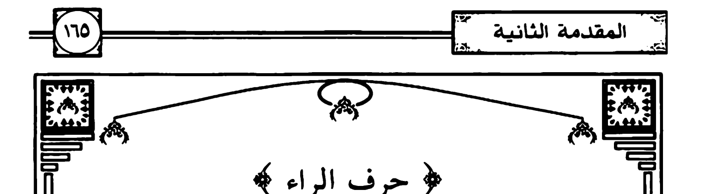
٢٠٢- ذَلولٌ: مُذلَّلةٌ للعمل؛ من الذِّل -بكسر الذال-؛ ومنه: ﴿وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ﴾ [يس: ٧٢].

ورجل ذليلٌ: من الذُّل -بالضم-.

و﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا﴾ [الإنسان: ١٤]: أُدنيت[1].

٢٠٣- أذقان: جمع ذَقَنٍ.

(١) في ج، هـ: «أي: دنيت».



﴿ حرف الراء ﴾

٢٠٤- رَبٌّ: له أربعة معان:

[١] الإله.

[٢] والسيد.

[٣] والمالك للشيء.

[٤] والمصلح للأمر.

٢٠٥- ريبٌ: شكٌّ؛ ومنه: ﴿ٱرۡتَابُوٓاْ﴾ [النور: ٥٠]، و﴿مُرِيبٖ﴾ [هود: ٦٢].

و﴿رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠]: حوادث الدهر.

٢٠٦- رجَعَ: يستعمل متعدِّيًا بمعنى: ردَّ.

وغيرَ متعدٍّ.

والمرجع: اسم مصدر، أو زمانٍ، أو مكان؛ من الرجوع.

٢٠٧- رعَى: له معنيان:

[١] من النظر.

[٢] ومن رعْيِ الغنم.

٢٠٨- رُوحٌ: له أربعة معان:

[١] النفْس التي بها الحياة؛ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ [الإسراء: ٨٥].

[٢] والوحي؛ ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ﴾ [النحل: ٢].

[٣] وجبريل؛ ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣].

[٤] وملَكٌ عظيم؛ ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾ [القدر: ٤].

ورَوْحٌ -بفتح الراء-: رائحة طيبة.

والرَّيحان: الرزق، وقيل: الشجر المعروف.

٢٠٩- رُكامٌ: بعضه فوق بعض؛ ومنه: ﴿مَّرْكُومٌ﴾ [الطور: ٤٤]، و﴿فَيَرْكُمَهُۥ﴾ [الأنفال: ٣٧].

٢١٠- رجا: طمِع.

وقد يستعمل في الخوف؛ ﴿يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ [يونس: ٧].

٢١١- رجالٌ: جمع رجل.

وجمع راجلٍ أي: غير راكب؛ ومنه: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ [الحج: ٢٧]، ومثله: ﴿بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤].

٢١٢- رفَثٌ: له معنيان:

[١] الجماع.

[٢] والكلام بهذا المعنى.

٢١٣- رجزٌ: عذابٌ، إلَّا[1]: ﴿وَالرِّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدثر: ٥]؛ فهي الأوثان.

والرِّجْس -بالسين-: النجَس؛ حقيقةً، أو مجازًا.

وقد يستعمل بمعنى العذاب.

٢١٤- رَهْبٌ: خوفٌ؛ ومنه: ﴿يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤].

٢١٥- رؤوفٌ: من الرَّأفة، وهي الرحمة.

إلَّا أن الرأفة في دفع المكروه، والرحمة في دفع المكروه وفعل الجميل؛ فهي أعمُّ من الرأفة.

٢١٦- مرضاةٌ: مَفْعَلة من الرِّضا.

٢١٧- راسياتٌ: ثابتات؛ ومنه قيل للجبال: رواسي، ومنه: ﴿مُرْسَىٰهَا﴾ [الأعراف: ١٨٧]، أي: ثبوتها.

٢١٨- رغَدًا: كثيرًا.

٢١٩- ربوةٌ: مكان مرتفع.

٢٢٠- ربا: هو في اللغة: الزيادة؛ ومنه: ﴿وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

وربت الأرض: انتفخت.

٢٢١- أرحام: جمع رَحِمٍ؛ وهو فرج المرأة.

ويستعمل -أيضًا- في القرابة.

٢٢٢- أرْجِه: أخِّرْهُ؛ ومنه: ﴿تُرْجِي﴾ [الأحزاب: ٥١] و﴿مُرْجَوْنَ﴾ [التوبة: ١٠٦].

---

(١) في د: «رجز: له معنيان: عذاب، والرجز..».

ويجوز فيه: الهمز، وتركُه.

٢٢٣- رأى[١]: من رؤية العين[٢]: يتعدَّى إلى واحد.

ومن رؤية القلب -بمعنى العلم-: يتعدى إلى مفعولَين.

٢٢٤- تربَّصَ: انتظرَ.

٢٢٥- رفاتٌ: فُتات.

٢٢٦- أرذل العمر: الهرم.

و﴿ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١]: من الرُّذَالة.

٢٢٧- رقَى: من الرُّقية بفتح القاف؛ ومنه: ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ [القيامة: ٢٧].

ورقِيَ في السُّلَّم: بالكسر في الماضي، والفتح في المستقبل.

٢٢٨- أرداكم: أهلككم، والردَى: الهلاك؛ ومنه: ﴿لَتُرْدِينِ﴾[الصافات: ٥٦] و﴿تَرَدَّىٰٓ﴾ [الليل: ١١].

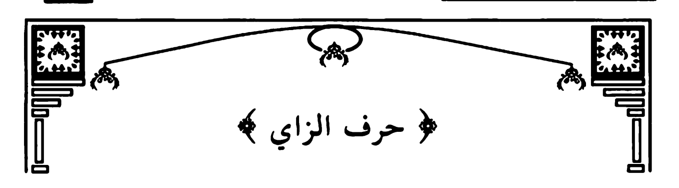
٢٢٩- رجفةٌ: زلزلةٌ وشدَّة[٣].

---

(١) في هـ: «أراني».

(٢) في د: «البصر».

(٣) في ب: «شديدة».



﴿ حرف الزاي ﴾

٢٣٠- زُبُرٌ -بضمتين-: كُتبٌ.

والزَّبُور: كتاب داود عليه السلام.

٢٣١- زُخرفٌ: زينةٌ.

والزخرف -أيضًا-: الذهب.

٢٣٢- زكاة: له في اللغة معنيان: الزيادة، والطهارة.

ثم استعمله الشرع في إعطاء المال؛ وهو من:

الزيادة؛ لأنه يبارَك له فيه فيزيد.

أو من الطهارة؛ لأنه يطهِّره من الذنوب.

وزكَّيت الرجل: أثنيت عليه.

وزكَا هو - مخففة -: أي صار زاكيًا[1].

٢٣٣- زوج: له ثلاثة معان:

[١] الرجل.

---

(١) في د: «زكيًا».

[٢] والمرأة؛ وقد يقال فيها: زوجة.

[٣] وبمعنى: الصنف والنوع؛ ومنه: ﴿أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ [طه: ٥٣]، و﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [الشعراء: ٧].

٢٣٤- زلَّ: له معنيان:

[١] زلَلُ القدم عن الموضع.

[٢] وفعل الزَّلل.

٢٣٥- زاغ عن الشيء زَيغًا: مال عنه، وأزاغه غيرُه: أماله.

٢٣٦- زُلفَى: قربى، و﴿أُزْلِفَتِ﴾: قُرِّبت.

﴿وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ [هود: ١١٤]: ساعاتٍ.

٢٣٧- زعَم: أي: ادَّعى ولم يوافقه غيره.

قال ابن عباس: زعَم: كنايةٌ عن كذب(١).

٢٣٨- زعيمٌ: ضامن.

٢٣٩- يُزجِي: يَسوق.

٢٤٠- زَلزلة الأرضِ: اهتزازها.

وتستعمل بمعنى: الشدَّة والخوف؛ ومنه: ﴿وَزُلْزِلُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٤].

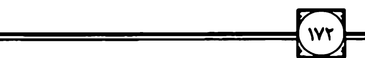
---

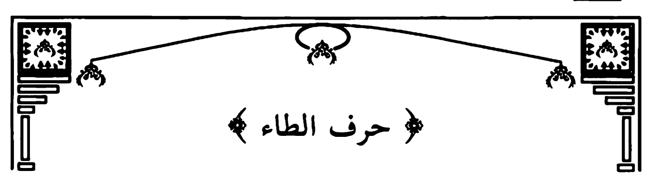
(١) هذا من قول من ابن عمر رضي الله عنهما، وليس من قول ابن عباس رضي الله عنهما، أخرجه الطبري بإسناده في تفسيره (٢٣/ ٩) إلى ابن عمر رضي الله عنهما قال: «زعم: كُنْيَة الكذب».

٢٤١- زجرةٌ واحدة: صيحةٌ، يعني: نفخةَ الصور.

والزجرة: الصيحة بشدةٍ وانتهار.

و﴿وَٱزْدُجِرَ﴾ [القمر: ٩]: من الزَّجْرِ.





﴿ حرف الطاء ﴾

٢٤٢- طبَع: ختَم، والخاتم: الطابع.

٢٤٣- طَوْلٌ -بفتح الطاء-: فَضْلٌ، أو غِنَى.

٢٤٤- طائر: له معنيان:

[١] من الطَّيَران.

[٢] ومن الطِّيَرة.

٢٤٥- طُوى: قيل: اسم للوادي.

وقيل: معناه: مرتين، أي: قُدِّس الوادي مرتين.

٢٤٦- طهارة: له معنيان:

[١] الطهارة بالماء؛ ومنه: ﴿جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ [المائدة: ٦]، والماء الطهور؛ وهو المطهِّر.

[٢] والطهارة من القبائح والرذائل؛ ومنه: ﴿أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٨٢]

٢٤٧- طيِّبٌ: له معنيان:

[١] اللذيذ(١).

(١) في ج، د: «الدين».

[٢] والحلال.

٢٤٨- طُوفان: سيل عظيم.

٢٤٩- طاغوت: أصنام وشياطين، ويكون مفردًا وجمعًا.

والطاغوت -أيضًا-: رئيس النصارى -على قولٍ-.

٢٥٠- طِباق: بعضها على بعض.

و﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٩]: حالًا بعد حال.

٢٥١- طُورٌ -بالضم-[١]: الجبل، وهو الطَّود.

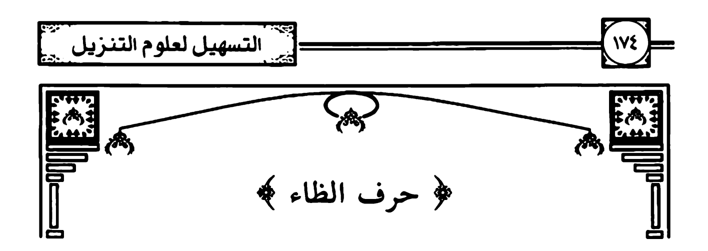
٢٥٢- طَفِقَ يفعلُ كذا: أي: جعل يفعله.

٢٥٣- طائفين: من الطواف[٢].

و﴿طَيْفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [الأعراف: ٢٠١]: لَمَمٌ، و﴿طَٰٓئِفٌ﴾: فاعل منه.

(١) هذه الكلمة لم ترد في ب، ج، هـ.

(٢) في ج، د: «طائفتين: من الطوائف».



﴿ حرف الظاء ﴾

٢٥٤- ظهَر الأمرُ: بدا، وأظهره غيرُه: أبداه.

٢٥٥- ظهيرٌ: معين.

٢٥٦- ظاهر الرجلُ من امرأته، وتظاهر وتظهَّر أي: قال لها: «أنتِ عليَّ كظهر أمي»، وهو الظِّهار.

٢٥٧- ظَهْرُ البيتِ: أعلاه.

وظهَرتُه أي: ارتفعتُ عليه؛ ومنه: ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ﴾ [الكهف: ٩٧].

٢٥٨- ظلمٌ: يقع في القرآن على ثلاثة معان:

[١] الكفر.

[٢] والمعاصي.

[٣] وظلم الناس أي: التعدِّي عليهم.

٢٥٩- ظنٌّ: له ثلاثة معان:

[١] التَّحقيق.

[٢] وغلَبةُ أحدِ الاعتقادين.

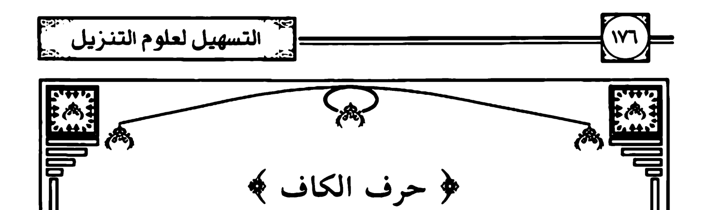
[٣] والتُّهَمَةُ.

٢٦٠- ظَمَأٌ: عطشٌ.

٢٦١- ظِلال: جمع ظِلٍّ.

وظُلَل -بالضم-: جمع ظُلَّة؛ وهي ما كان من فوق.

٢٦٢- ظَلَّ بالنهار: بمنزلة بات بالليل.



﴿ حرف الكاف ﴾

٢٦٣- كافر: له معنيان:

[١] من الكفر؛ وهو الجحود.

[٢] وبمعنى: الزرع[١]؛ ومنه: ﴿أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾ [الحديد: ٢٠] أي: الزُّرَّاعَ.

وتكفير الذنوب: غفرانُها.

٢٦٤- كافَّةً: جميعًا.

٢٦٥- كرَّة: رجعة.

٢٦٦- كَبِرَ -بكسر الباء-: من السنِّ، يَكبَرُ -بالفتح- في المضارع.

وكَبُرَ الأمرُ -بالضم- في الماضي والمضارع.

وكُبَرُ -بضم الكاف وفتح الباء-: جمع كبرى.

وكُبَّار -بالضم والتشديد-: كبيرٌ، مبالغةٌ.

والكِبْرُ: التكبُّر.

وكِبْرُ الشيءِ -بكسر الكاف وضمها-: معظمُه.

---

(١) في د: «الزارع».

والكبرياء: المُلك والعظمة.

والمتكبِّر: اسم الله تعالى، من الكبرياء بمعنى[1]: العظمة.

٢٦٧- كَفِلَ: يَكفَل أي: ضمَّ الصبي وحضَنه.

و﴿أَكۡفِلۡنِيهَا﴾ [ص: ٢٣]: اجعلني كافِلَها.

٢٦٨- كِفْلٌ: نصيبٌ.

٢٦٩- كلالةٌ: هي أن يموت الرجل ولا ولدَ له ولا والدَ.

٢٧٠- كاد: قارب الأمر ولم يفعلْه.

فإذا نُفِي اقتضَى الإثبات.

٢٧١- كريمٌ: من الكرم، وهو الحسَب والجلالة والفضل.

وكريم: اسم الله تعالى؛ أي: محسنٌ.

٢٧٢- أكنَّةٌ: أَغطِيةٌ.

وأكنان: جمع كِنٍّ؛ وهو ما وقَى من الحر والبرد.

٢٧٣- كهلٌ: هو الذي انتهى شبابه.

٢٧٤- أكمام: جمع كِمٍّ؛ وهو ما تكون الثمرة فيه قبل خروجها.

٢٧٥- أكبَّ الرجلُ على وجهه؛ فهو مُكِبٌّ، وكَبَّه غيرُه: بغير ألف.

٢٧٦- كهف: غار.

---

(١) في ب، ج، هـ: «وبمعنى».

٢٧٧- كيدٌ: هو من المخلوق: احتيالٌ.

وهو من[(١)] الله: مشيئةُ أمرٍ يَنزل[(٢)] بالعبد من حيث لا يشعر.

٢٧٨- كِسفًا بفتح السين: جمع كِسْفةٍ؛ وهي القطعة من الشيء.

وبالسكون: كذلك، أو مفرد.

٢٧٩- كُبتوا: أي: أُهلكوا، و﴿يَكْبِتَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٢٧]: يُهلكَهم، أو يخزيَهم[(٣)].

٢٨٠- أَكْمَهُ: هو الذي وُلد أعمى.

٢٨١- كان: على نوعين:

[١] تامَّة؛ بمعنى حضر، أو حدث، أو وقع، وهي ترفع الفاعل.

[٢] وناقصة؛ وهي ترفع الاسم وتنصب الخبر، وتقتضي ثبوت الخبر للمخبَر عنه في زمانها.

وقد تأتي بمعنى الدَّوام في مثل قوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٩٦]، ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٤] وشبه ذلك، وهو كثير في القرآن، ومعناه: لم يزلْ ولا يزالُ موصوفًا بذلك الوصف.

٢٨٢- كأنَّ: معناها التشبيه.

٢٨٣- كي: معناها التعليل.

---

(١) في ب، ج، د، هـ: «ومن».

(٢) في د: «يقع».

(٣) في د: «يخرجهم».

٢٨٤- كمْ: معناها التكثير، وهي خبرية، واستفهامية.

٢٨٥- كأيِّنْ: بمعنى: كم.

وهي عند سيبويه: كافُ التشبيه دخلت على أيٍّ.

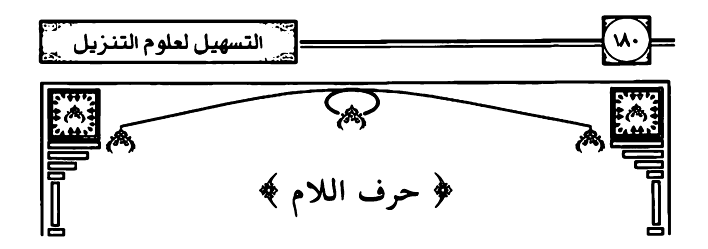
٢٨٦- كلَّا: حرف ردعٍ وزجر.

وقيل: إنها تكون للنفي، أي: ليس الأمر كما ظننتَ.

وقيل: إنها استفتاح كلام بمعنى ألَا.

٢٨٧- الكاف: بمعنى التشبيه، وبمعنى التعليل.

وقيل: إنها تكون زائدة.



﴿ حرف اللام ﴾

٢٨٨- لبَسَ الأمرَ: أي: خلَطه، بفتح الباء في الماضي وكسرها في المستقبل.

ولبِسَ الثوبَ: بالكسر في الماضي، والفتح في المستقبل.

٢٨٩- ألبابٌ: عقول؛ وهو جمع لُبٍّ.

٢٩٠- لبِثَ في المكان: أقام فيه.

٢٩١- لمَز يلمز: أي: عاب الشيء.

٢٩٢- لؤلؤٌ: جوهر.

٢٩٣- لغْوُ الكلامِ: الباطلُ منه، والفحش[1].

ولغو اليمين: ما لا يَلزم.

٢٩٤- لهَا -بفتح الهاء-: من اللَّهو، ومضارعه: يَلهو.

ولَهِيَ عن الشيء - بالكسر والياء - يَلهَى - بالفتح -: إذا أعرض عنه.

وألْهاه الشيءُ: إذا أشغله؛ ومنه: ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ﴾ [المنافقون: ٩].

٢٩٥- لطيفٌ: اسم الله تعالى؛ قيل: معناه رفيق.

---

(١) في د: «ومنه الفحش».

وقيل: خبير بخفيَّات الأمور.

٢٩٦- لدى ولدن: معناهما عندَ.

٢٩٧- ليت: معناها التمني.

٢٩٨- لعلَّ: معناها الترجِّي في المحبوبات، والتوقُّع للمكروهات.

وأشكل ذلك في حق الله تعالى؛ فقيل: جاءت في القرآن على منهاج كلام العرب، وبالنظر إلى المخاطَب، أي: ذلك مما يُرتجى عندكم، أو[1] يُتوقَّع.

وقد يكون معناها: التعليل[2]، أو مقاربة الأمر؛ فلا إشكال.

٢٩٩- لو: لها معنيان:

[١] التمني.

[٢] وامتناعُ شيءٍ لامتناع غيره.

٣٠٠- لولا: لها معنيان:

[١] العرض، مثل: لَوْمَا.

[٢] وامتناع شيءٍ لوجود غيره.

٣٠١- لمَّا: لها معنيان:

[١] النفي، وهي الجازمة.

---

(١) في ب، ج، هـ: «أي».

(٢) في د: «التقليل».

[٢] ووجود شيء لوجود غيره.

وأما لمَا -بالتخفيف-: فهي لام التأكيد دخلت على «ما».

وقال الكوفيون: هي بمعنى «إلّا» الموجِبة بعد النفي.

٣٠٢- لا: ثلاثة أنواع:

[١] نافية.

[٢] وناهية.

[٣] وزائدة.

٣٠٣- اللام: خمسة أنواع:

[١] لام الجرّ.

[٢] ولام كي.

[٣] ولام الجحود.

[٤] ولام الأمر.

[٥] ولام التأكيد في القسم وغيره؛ وهي المفتوحة.

ثم إن لام الجرّ لها ثلاثة معان: المِلك، والاستحقاق، والتعليل.

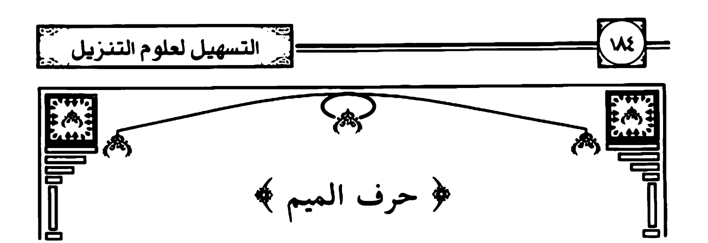
وقد تأتي للتعدي إذا ضعُفَ العامل.

وقد تأتي بمعنى «عندَ»؛ نحو: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: ١٤]، و﴿لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ﴾ [الإسراء: ٧٨].

ولام كي معناها: السببيَّة، والتعليل.

وقد تأتي بمعنى الصيرورة في العاقبة؛ نحو: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا﴾ [القصص: ٨].

وقد تأتي بمعنى «أنْ» المصدرية؛ ومنه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ [النساء: ٢٦].



﴿ حرف الميم ﴾

٣٠٤- مرضُ الجسد: معروف.

ومرض القلب: الشكُّ في الإيمان، والبُغضة في الدين.

٣٠٥- المَنُّ: شبه العسل.

وقيل: خبزُ[1] النَّقِيِّ.

والسلوى: طائر.

والمنُّ -أيضًا-: الإنعام.

والمنُّ -أيضًا-: ذِكْرُ العطيَّة.

والمنُّ -أيضًا-: القطع؛ ومنه: ﴿أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [فصلت: ٨].

٣٠٦- أمانيُّ: جمع أمنيَّةٍ، ولها ثلاثة معان:

[١] ما تتمنَّاه النفس.

[٢] والتلاوة.

[٣] والكذب.

---

(١) في د: «الخبز».

وكذلك تمنَّى؛ له هذه المعاني الثلاثة.

٣٠٧- ملأُ القومِ: أشرافُهم، وذَوو الرأي منهم.

٣٠٨- مَثَلٌ -بفتح الميم والثاء- له أربعة معان:

[١] الشبيه والنظير.

[٢] ومِن المثَل المضروب؛ وأصله من التشبيه.

[٣] ومثَل الشيء: حالُه وصفته.

[٤] والمثَل: الكلام الذي يُتمثَّل به.

ومِثْل الشيء -بكسر الميم-: شِبْهه.

٣٠٩- مِريةٌ: شكٌّ؛ ومنه: ﴿ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [البقرة: ١٤٧] أي: الشاكِّين.

و﴿فَلَا تُمَارِ﴾ [الكهف: ٢٢] مِن المِراء؛ وهو الجدال.

٣١٠- أملَى لهم: أمهَلهم وزادهم.

٣١١- مهاد: فراش.

٣١٢- مدَّ يمُدُّ: أي: أملى.

وقد تكون بمعنى: زاد؛ مثل: أمدَّ بالألف من المَدَد[1].

٣١٣- مُضغةٌ: قطعة لحم.

٣١٤- إملاقٌ: فقر.

---

(١) في ب، د: «المداد».

٣١٥- مَريد ومارد: من العُتوِّ والضلال.

٣١٦- مكانةٌ: بمعنى: مكان.

أو: من التمكين[1] والعزِّ؛ ومنه: ﴿مَكِينٌ﴾ [يوسف: ٥٤].

٣١٧- مَواخرُ: فواعل من المَخْرِ؛ يقال: مَخَرَت السفينةُ: إذا جرَت تشقُّ الماء.

٣١٨- مَجيدٌ: من المجد؛ وهو الكرم والشرف.

٣١٩- مقْتٌ: هو الذم، أو البغض على فعل القبيح.

٣٢٠- مَعينٌ: ماءٌ جارٍ كثيرٌ؛ وهو من قولك: معَن الماء أي: كثر.

وقيل: هو مشتق من العين، ووزنه: مفعول؛ فالميم زائدة.

٣٢١- مَريج: مختلِط.

والمارج: لهب النار؛ من قولك: مرج الشيء: إذا اضطرب.

وقيل: من الاختلاط؛ أي: خُلط نوعان من النار.

٣٢٢- مرج البحرين: أي: خلَّى بينهما.

وقيل: خلَطهما.

وقيل: أفاض أحدَهما في الآخر.

٣٢٣- مُهْلٌ: فيه قولان:

---

(١) في د: «التمكُّن».

دُرْدِيُّ الزيت[1].

وما أُذيب من النحاس.

٣٢٤- مَنون: له معنيان:

[١] الموت.

[٢] والدهر.

٣٢٥- مس: له معنيان:

[١] اللمس باليد وغيره.

[٢] والجنون.

٣٢٦- مَن: أربعة أنواع:

[١] شرطية.

[٢] وموصولة.

[٣] واستفهامية.

[٤] ونكرة موصوفة.

٣٢٧- ما:

[أ-] إذا كانت اسمًا فلها ستة أنواع:

[١] شرطية.

---

(١) هو ما يبقى في أسفله. «لسان العرب» مادة (درد).

[٢] وموصولة.

[٣] واستفهامية.

[٤] وموصوفة.

[٥] وصفة.

[٦] وتعجبية.

[ب-] وإذا كانت حرفا فلها خمسة أنواع:

[١] نافية.

[٢] ومصدرية.

[٣] وزائدة.

[٤] وكافَّة.

[٥] ومهيِّئة[1].

٣٢٨- مِن: لها ستة أنواع:

[١] لابتداء الغاية.

[٢] ولجملة الغاية.

[٣] وللتبعيض.

---

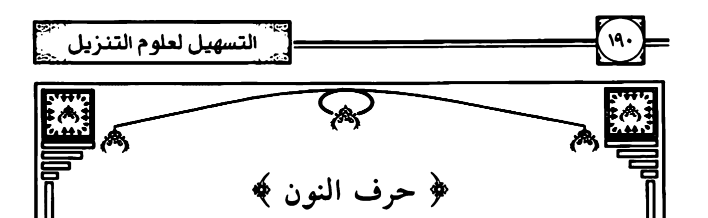
(١) أي: تهيئ «إن» وأخواتها للدخول على الجمل. انظر: «أوضح المسالك» لابن هشام (١/ ٣١٠).

[٤] ولبيان الجنس.

[٥] وللتعليل.

[٦] وزائدة.

٣٢٩- مهما: اسم شرط.



﴿ حرف النون ﴾

٣٣٠- نظَرَ: له معنيان:

[١] من النَّظَر.

[٢] ومن الانتظار.

فإذا كان من الانتظار: تعدَّى بغير حرف.

ومِن نظر العين: يتعدى بـ «إلى».

ومِن نظر القلب: يتعدى بـ «في».

٣٣١- أنظَر -بالألف-: أخَّر؛ ومنه: ﴿أَنظِرْنِيٓ﴾ [الأعراف: ١٤]، و﴿مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥]، و﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

٣٣٢- نَضْرةٌ -بالضاد-: من التنعُّم؛ ومنه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾ [القيامة: ٢٢] أي: ناعمة.

وأما: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٣]: فهو من[1] النظر.

٣٣٣- نعمة: بفتح النون: من النَّعيم.

وبكسرها: من الإِنعام.

---

(١) في ب، ج، هـ: «فمن».

٣٣٤- أَنعام: هي الإبل والبقر والغنم، دون سائر البهائم. ويجوز تذكيرها وتأنيثها.

ويقال لها -أيضا-: نَعَمٌ.

٣٣٥- نِعْمَ: كلمة مدح، ويجوز فيها: كسر النون وفتحها، وإسكان العين وكسرها.

٣٣٦- نَعَمْ -بفتح النون والعين-: كلمة تصديق وموافَقة على ما قبلها من نفي أو إثبات.

بخلاف «بلى»؛ فإنها للإثبات خاصة.

ويجوز في «نعم»: فتح العين وكسرها.

٣٣٧- نِدٌّ: هو المضاهي والمماثل والمعاند، وجمعه: أندادٌ.

٣٣٨- أنذَر: أعلَمَ بالمكروه قبل وقوعه؛ ومنه: ﴿نَذِيرٌ﴾ [المائدة: ١٩]، و﴿مُنذِرٌ﴾ [الرعد: ٧]، و﴿ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٤]، ﴿كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [الملك: ١٧] أي: إنذاري؛ فهو مصدر؛ ومنه: ﴿عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [القمر: ١٦].

ونَذَر النَّذْرَ: بغير ألْف؛ ومنه: ﴿نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ﴾ [البقرة: ٢٧٠]، و﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ [الحج: ٢٩].

٣٣٩- نَكالٌ: له معنيان:

[١] العقوبة.

[٢] والعبرة.

٣٤٠- نجَّى -بتشديد الجيم-: له معنيان:

[١] من النجَاة.

[٢] ومن النجْوة؛ وهو الموضع المرتفع؛ ومنه: ﴿نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ [يونس: ٩٢] على قول.

٣٤١- نجوى: معناه: كلامٌ خفي؛ ومنه: ناجى، و﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢].

وقيل: إنه يكون بمعنى الجماعة من الناس في قوله: ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾ [الإسراء: ٤٧].

وقد يحمل ذلك على حذف مضاف تقديره: وإذ هم أصحاب نجوى.

٣٤٢- نسيان: له معنيان:

[١] الذُّهول؛ ومنه: ﴿إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

[٢] والتَّرك؛ ومنه: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧].

٣٤٣- نسخٌ: له معنيان:

[١] الكتابة؛ ومنه: ﴿نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩].

[٢] والإزالة؛ ومنه: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ [البقرة: ١٠٦].

٣٤٤- نصرٌ -بالصاد المهملة-: معروف.

وبالسين: اسم صنم[١]؛ ﴿وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣].

---

(١) في د زيادة: «ومنه».

واسم طائر -أيضًا-.

٣٤٥- نشور: خروج الناس من القبور، يقال: أَنشرهم الله فنَشَرُوا.

و﴿ٱلرِّيَٰحَ نُشُرًا﴾ [الأعراف: ٥٧]؛ لأنها تنشر السحاب.

٣٤٦- نشوز -بالزاي-: له معنيان:

[١] شرٌّ بين الرجل والمرأة.

[٢] وارتفاعٌ؛ ومنه: ﴿ٱنشُزُواْ﴾ [المجادلة: ١١] أي: قوموا من المكان.

٣٤٧- نُزُلٌ -بضمتين-: رِزقٌ؛ وهو ما يطعم الضيف.

٣٤٨- نأى: أي: بعُدَ؛ ومنه: ﴿وَيَنۡـَٔوۡنَ عَنۡهُۖ﴾ [الأنعام: ٢٦].

٣٤٩- نكَص: رجع إلى وراء.

٣٥٠- نفَر نُفورًا عن الشيء: ينفُر -بضم المضارع-؛ ومنه: نفرت الدابة.

ونفَر ينفِر -بكسر المضارع- نفيرًا: أي: أسرع وجدَّ؛ ومنه: ﴿ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٨].

٣٥١- نبأٌ: خبر؛ ومنه اشتق النبيء بالهمز، وترْكُ الهمز تخفيفٌ.

وقيل: إنه -عند من ترك الهمز- مشتقٌّ من النَبْوَة؛ وهي الارتفاع.

٣٥٢- نطفةٌ: أي نقطةٌ من ماء؛ ومنه: ﴿خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ﴾ [فاطر: ١١] يعني: من المنيِّ.

٣٥٣- أناب إلى الشيء: رجع ومال إليه؛ ومنه: ﴿مُّنِيبٞ﴾ [هود: ٧٥].

٣٥٤- نفِد ينفَد: أي: تمَّ وانقطع.

٣٥٥- نهرٌ -بفتح الهاء-: الوادي، ويجوز الإسكان.

وأمَّا ﴿ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ﴾ [الضحى: ١٠]: فهو من الانتهار؛ وهو الزَّجر.

٣٥٦- منيرٌ: من النور؛ وهو الضوءُ حسًّا أو معنًى.

٣٥٧- نصبٌ: بضمتين، وبضم النون وإسكان الصاد، وبفتح النون وإسكان الصاد: بمعنًى واحدٍ؛ وهو حجَر أو صنم كان المشركون يذبحون عنده، وجمعه: أنصاب.

٣٥٨- نَصَبٌ -بفتحتين-: تعبٌ، و﴿مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٍ﴾ [ص: ٤١] أي: بلاءٍ وشرٌ.

٣٥٩- نقَم الشيءَ ينقِمه: أي: كرهه وعابه.

٣٦٠- نضيدٌ: منضودٌ بعضه إلى بعض.

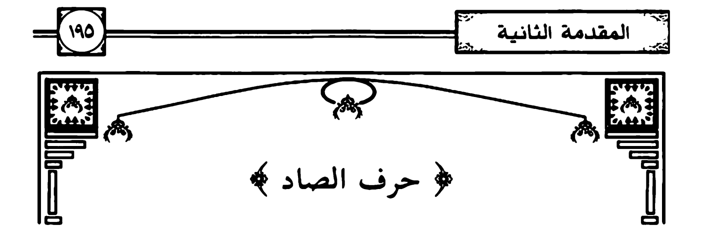
٣٦١- نَكيرِي: إنكاري[1]، ويقال: نكَر الشيء وأنكره: بمعنًى[2].

٣٦٢- يَنسِلون: من النَّسَلان؛ وهو الإسراع في المشي مع قرب الخُطا.

---

(١) في أ، د: «نكير: إنكار».

(٢) في د زيادة: «واحدٍ».



﴿ حرف الصاد ﴾

٣٦٣- صراطٌ: هو في اللغة: الطريق، ثم استعمل في القرآن بمعنى: الطريقة الدينية.

وأصله السين، ثم قلبت صادًا؛ لحرف الإطباق بعدها.

وفيه ثلاث لغات: بالصاد، وبالسين، وبين الصاد والزاي.

٣٦٤- صلاة: إذا كانت من الله: فمعناها رحمة.

وإذا كانت من المخلوق: فلها معنيان:

[١] الدعاء.

[٢] والأفعال المعلومة.

٣٦٥- صومٌ: أصله في اللغة: الإمساك مطلقًا.

ثم استعمل شرعًا في: الإمساك عن الطعام والشراب(١).

وقد جاء بمعنى الصمت في قوله: ﴿نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ [مريم: ٢٦]؛ لأنه إمساكٌ عن الكلام.

---

(١) في هامش ب: «والجماع».

٣٦٦- صدَقة: ينطلق[1] على: الزكاة الواجبة، وعلى التطوع؛ ومنه: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ﴾ بالتشديد؛ أي: المتصدِّقين [الحديد: ١٨].

وأما: ﴿أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ﴾ [الصافات: ٥٢] بالتخفيف: فهو من التصديق.

٣٦٧- صدُقة - بضم الدال -: صداق المرأة؛ ومنه: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ﴾ [النساء: ٤].

٣٦٨- الصدق: في القول: ضد الكذب.

والصدق في الفعل: حُسْن النية فيه.

والصدق في القصد: العزم الصادق.

٣٦٩- صعِد يصعَد أي: ارتفع.

وأَصعد - بالألف - يُصعِد - بالضم - أي: أبعد في الهروب؛ ومنه: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٣].

٣٧٠- صعيدًا طيبًا: أي: ترابًا.

والصعيد: وجه الأرض.

٣٧١- صدَّ: له معنيان:

[١] فالمتعدِّي: بمعنى: منع غيرَه من شيءٍ، ومصدره: صَدٌّ، ومضارعه بالضم.

[٢] وغيره: بمعنى: أعرض، ومصدره: صدودٌ.

---

(١) في د: «تطلق».

٣٧٢- صار: له معنيان:

[١] من الانتقال؛ ومنه: ﴿تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٣]، و﴿ٱلْمَصِيرُ﴾.

[٢] وبمعنى: ضَمَّ، ومضارعه: يَصور؛ ومنه: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

٣٧٣- صاعقة: لها ثلاثة معان:

[١] الموت.

[٢] وكلُّ بلاءٍ يصيب.

[٣] وقطعة نارٍ تنزل مع شدة الرعد والمطر.

وجمعها: صواعق.

٣٧٤- أصَرَّ على الذنب يُصِرُّ إصرارًا: دام عليه، ولم يتبْ منه.

٣٧٥- صُواعُ: مِكيالٌ؛ وهو السقاية والصاع.

وسُواع -بالسين-: اسم صنم.

٣٧٦- صابين[1]: قوم يعبدون الملائكة ويقولون: إنها بنات الله.

وقيل: إنهم يرون تأثير الكواكب.

وفيه لغتان:

الهمز.

---

(١) كذا رسمت كلمة «صابئين» في النسخ الخطية بغير همزٍ؛ اتباعًا لقراءة نافع.

وتركُه؛ مِن: صَبا إلى الشيء: إذا مال إليه.

٣٧٧- تصطَلون: تَفتعِلون؛ مِن: صَلِيَ بالنار[١]: إذا تسخَّن بها، والطاء بدل من التاء.

٣٧٨- اصطفى: أي: اختار، وأصله: من الصَّفا؛ أي: اتخذه صفيًّا.

٣٧٩- صَغارٌ -بفتح الصاد-: ذِلَّةٌ؛ ومنه: ﴿صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩].

والصغير: ضد الكبير.

٣٨٠- صدَف عن الشيء يَصدِف: أعرض عنه.

٣٨١- صَريخٌ: مُغيث؛ ومنه: ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

٣٨٢- صلصال: طين يابس.

فإذا مسَّته النار: فهو فخَّار.

٣٨٣- صرْحٌ: قصر.

وهو -أيضًا-: البناء العالي.

(١) في د: «النارَ».



﴿ حرف الضاد ﴾

٣٨٤- ضرب: له أربعة معان:

[١] مِن الضرْب باليد وشبهه.

[٢] ومن ضرب الأمثال.

[٣] ومن السفر؛ ومنه: ﴿ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [النساء: ١٠١].

[٤] ومن الالتزام؛ ومنه: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ [آل عمران: ١١٢] أي: أُلزِموها.

و﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ [الكهف: ١١] أي: ألقينا عليهم النوم.

و﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ﴾ [الزخرف: ٥] أي: نُمسك عنكم التذكير.

٣٨٥- ضاعف الشيءَ: كثَّره، ويجوز فيه التشديد.

وضِعف الشيء -بكسر الضاد-: مِثلاه، وقيل: مِثْله.

والضِّعف -أيضًا-: العذاب.

والضُّعف بالضم: يجوز[١] فيه الفتح.

---

(١) في ب، د: «ويجوز».

٣٨٦- ضرٌّ -بفتح الضاد وضمها-: بمعنى واحد.

وكذلك الضير -بالياء-؛ ومنه: ﴿لَا يَضِرُّكُمْ كَيْدُهُمْ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

والضرَّاء: ما يصيب من المرض وشبهه.

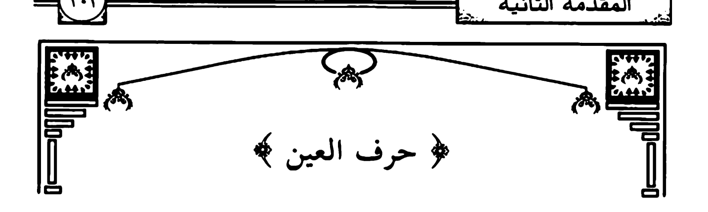
٣٨٧- ضحى: أول النهار، والفعل منه: أضحى.

وأما ضَحِيَ -بكسر الحاء- يَضحَى في المضارع فمعناه: برَز للشمس، وأصابه حرُّها؛ ومنه: ﴿لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [طه: ١١٩].

٣٨٨- ضيفٌ: يقال للواحد، والاثنين، والجماعة.

٣٨٩- ضِيق -بكسر الضاد-: مصدر.

وبفتحها مع إسكان الياء: تخفيفٌ من ضَيِّق المشدد؛ كمَيِّت ومَيْت.



﴿ حرف العين ﴾

٣٩٠- عاذ بالله يعوذ: أي: استجار به، ولجأ إليه؛ ليدفع عنه ما يخاف.

ويقال -أيضًا-: استعاذ يَستعيذ.

ومنه: ﴿عُذْتُ بِرَبِّي﴾ [غافر: ٢٧]، و﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٢٣].

٣٩١- العالمين: جمع عالم؛ وهو عند المتكلمين: كلُّ موجود سوى الله تعالى.

وقيل: العالمين: الإنس والجن والملائكة؛ لجمعه جمع العقلاء.

وقيل: الإنس خاصةً؛ لقوله: ﴿ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٥].

٣٩٢- يعمهون: يتحيَّرون في ضلالهم، والعَمَهُ: الحيرة.

٣٩٣- عدَل يعدِل عدْلًا: ضدُّ جَارَ.

وعدَل عن الحق عُدولًا.

وعدَلتُ فلانًا بفلان: سوَّيتُ بينهما؛ ومنه: ﴿بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١].

والعدل له ثلاثة معان:

[١] ضد الجور.

[٢] والفدية؛ ومنها: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة: ١٢٣]، و﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ﴾ [الأنعام: ٧٠].

[٣] ومِثْلُ الشيء؛ ومنه: ﴿أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾ [المائدة: ٩٥].

٣٩٤- عزيز: اسم الله تعالى، معناه: الغالب.

وعزَّ: غلَب؛ ومنه: ﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٣] أي: غلبني.

والغلبة ترجع إلى: القوة، والقدرة؛ ومنه: ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ [يس: ١٤] أي: قوَّينا.

وقيل: العزيز: العديم المثل.

٣٩٥- عفا: له أربعة معان:

[١] عفا عن الذنب؛ أي: صفح عنه.

[٢] وعفا: أسقط حقَّه؛ ومنه: ﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟﴾ [البقرة: ٢٣٧].

[٣] وعفا القوم: كثروا؛ ومنه: ﴿حَتَّىٰ عَفَوا۟﴾ [الأعراف: ٩٥].

[٤] وعفا المنزل: درس.

٣٩٦- عفوٌ: له ثلاثة معان:

[١] الصفح عن الذنب.

[٢] والإسقاط.

[٣] والسهل من غير كلفة؛ ومنه: ﴿مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩].

٣٩٧- عَينٌ: له في القرآن معنيان:

[١] العين المبصرة.

[٢] وعين الماء.

وله في غير القرآن معانٍ كثيرةٌ.

٣٩٨- عِينٌ -بكسر العين-: واسعاتُ العيون؛ وهو جمع عَيناءَ.

٣٩٩- عنَتٌ: معناه الهلاك، أو المشقة؛ ومنه: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٠] أي: لأهلككم، أو ضيَّق عليكم.

والعنَت - أيضًا -: الزنا؛ ومنه: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٢٥].

وأما: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ﴾ [طه: ١١١] فليس من هذا؛ لأن لامَه واوٌ، فهو من: عنا يعنو: إذا خضع.

٤٠٠- عاقب: له معنيان:

[١] من العقوبة على الذنب.

[٢] ومن العُقبَى؛ ومنه: ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ﴾ [الممتحنة: ١١] أي: أصبتم عقبى.

٤٠١- أعجاز نخل: أصولها.

٤٠٢- أعجز[١] الشيءُ: إذا فات ولم يُقدَر عليه؛ ومنه: ﴿وَمَا هُم

(١) في د: «أعجزه».

بِمُعۡجِزِينَ﴾ [الزمر: ٥١]، و﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ﴾ [فاطر: ٤٤].

وأما ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ [الحج: ٥١] -بالألف- فمعناه: مسابقين.

٤٠٣- عال يَعيل عَيلةً: أي: افتقر؛ ومنه: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا﴾ [الضحى: ٨].

وعال يعول: عدل عن الحق.

وعال يعول -أيضًا-: كثر عياله؛ والأشهر أن يقال في هذا المعنى: أعال[1] بالألف.

٤٠٤- عرَج يَعرُج -بفتح الراء في الماضي وضمها في المضارع-: صعِد وارتقى؛ ومنه: ﴿ٱلۡمَعَارِجِ﴾ [المعارج: ٣].

وعرِج -بالكسر في الماضي والفتح في المضارع-: صار أعرج.

٤٠٥- عُتبَى: معناه: الرِّضا؛ ومنه: ﴿فَمَا هُم مِّنَ ٱلۡمُعۡتَبِينَ﴾ [فصلت: ٢٤]، و﴿وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ﴾ [النحل: ٨٤].

والعتاب: العذل.

٤٠٦- أعدَّ -بالألف-: يسَّر الشيءَ وهيأَه.

وعدَّ -بغير ألف-: من العَدد.

٤٠٧- عرشٌ: سرير المَلِك؛ ومنه: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [يوسف: ١٠٠] و﴿أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ﴾ [النمل: ٤٢].

وعرش الله: فوق السماوات.

---

(١) لم ترد في ب، ج، هـ.

و﴿يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧، النحل: ٦٨]: يبنون[1].

و﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩]: سقوفها.

٤٠٨- عورةٌ: أصلُ معناه: الانكشاف فيما يكره كشفه؛ ولذلك قيل: عورة الإنسان.

و﴿ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ﴾ [النور: ٥٨] أي: أوقاتِ انكشافٍ.

و﴿بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ [الأحزاب: ١٣] أي: خاليةٌ معرَّضة للسُّرَّاق.

٤٠٩- عاقر: له معنيان:

[١] المرأة العقيم.

[٢] واسم فاعل من: عقر الحيوان.

٤١٠- عبَر يَعْبُر: له معنيان:

[١] من عِبارة الرؤيا ومنه: ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣].

[٢] ومن الجواز على الموضع؛ ومنه: ﴿عَابِرِى سَبِيلٍ﴾ [النساء: ٤٣].

٤١١- عَمُونَ وعَمِينَ[2]: جمع عَم؛ وهو صفة على وزن فَعِل -بكسر العين-؛ من العمَى في البصر، أو في البصيرة.

---

(١) في النسخ المعتمدة: «و«تعرشون»: تبنون»، وليس كذلك لفظ الآية، إنما هو بالياء كما أثبتُّه، وهو موافق لإحدى النسخ الخطية التي لم أعتمدها أصالة في المقابلة، وإنما أرجع إليها للاستئناس.

(٢) هذه الكلمة لم ترد في ب، د.

٤١٢- علا يعلو: تكبَّر؛ ومنه: ﴿قَوْمًا عَالِينَ﴾ [المؤمنون: ٤٦] و﴿عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص: ٤].

والعلي: اسم الله، والمتعالي، والأعلى؛ من العلوّ؛ بمعنى: الجلال والعظمة.

وقيل: بمعنى التنزيه عما لا يليق به[1].

٤١٣- عزَب الشيءُ: غاب؛ ومنه: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ﴾ [يونس: ٦١] أي: لا يخفَى عنه[2].

٤١٤- عُصبةٌ: جماعة من العشرة إلى الأربعين.

٤١٥- علَقةٌ: واحدةُ العلَقِ؛ وهو الدَّم.

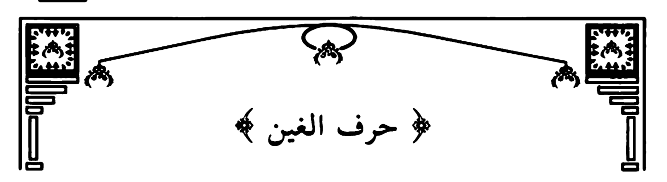
٤١٦- عاصفٌ: ريح شديدة.

٤١٧- عصْفٌ: ورقُ الزرعِ.

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك: «قوله: «من العلو؛ بمعنى: الجلال والعظمة». إلخ، أقول: يلاحظ أنه اقتصر على معنيين من معاني العلو:
الأول: الجلال والعظمة، المتضمنُ لعلو القهر.
والثاني: التنزيه لله عما لا يليق به، وهذا يتضمن علو القدر، ولم يذكر ﷺ علو الذات، وهو ارتفاعه تعالى فوق جميع المخلوقات مستويا على عرشه، وهذا هو الذي اختلف فيه أهل السنة والمبتدعة كالجهمية ومن وافقهم، فاسمه العلي سبحانه يتضمن معاني العلو الثلاثة. والله أعلم».

(٢) في د: «لا يغيب ولا يخفى عنه».



﴿ حرف الغين ﴾

٤١٨- غِشاوة: غطاءٌ؛ إما حقيقةً، أو مجازًا.

٤١٩- غمام: هو السحاب.

٤٢٠- غُلْفٌ: جمع أَغلف؛ وهو كلُّ شيء جعلتَه في غلاف؛ أي: قلوبنا محجوبة.

٤٢١- غُرفةٌ -بضم الغين- لها معنيان:

[١] المسكن المرتفع.

[٢] والغرفة من الماء بالضم، وبالفتح: المرة الواحدة.

٤٢٢- غادر: ترك؛ ومنه: ﴿لَا يُغَادِرُ﴾ [الكهف: ٤٩][1].

٤٢٣- غلَّ يغُلُّ: من الغلول؛ وهو الخيانة، والأخذ من المغنم بغير حق. والغِلُّ: الحقد.

٤٢٤- أغلال: جمع غُلٍّ -بالضم-؛ وهو ما يجعل في العنق، ومنه: ﴿مَغْلُولَةً﴾ [الإسراء: ٢٩].

٤٢٥- غلا يغلو: من الغلوِّ؛ وهو مجاوزة الحد والإفراط؛ ومنه:

---

(١) في ب، ج، هـ: ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ﴾ [الكهف: ٤٧].

﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ [النساء: ١٧١] أي: لا تجاوزوا الحق.

٤٢٦- غائط: المكان المنخفض؛ ثم استعمل في حاجة الإنسان.

٤٢٧- غَشِيَ الأمر يَغشَى -بالكسر في الماضي والفتح في المضارع- معناه: غطَّى حسًّا أو معنًى؛ ومنه: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ [الليل: ١]؛ لأنه يغطِّي بظلامه.

ويُنقَل[1] بالهمزة، والتشديد؛ فيقال: غشَّى وأغشى.

و﴿وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤١] يعني: ما يغشاهم[2] من العذاب أي: يصيبهم؛ ومنه: ﴿غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾ [يوسف: ١٠٧].

والغاشية -أيضًا-: القيامة، لأنها تغشى الخلق.

٤٢٨- غبَر: له معنيان:

[١] ذهب.

[٢] وبقي.

ومنه: ﴿عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٧١] أي: في الهالكين الذاهبين، أو في الباقين في العذاب.

٤٢٩- غرور -بضم الغين-: مصدر.

وبفتحها: اسم فاعل مبالغة؛ ويراد به: إبليس.

---

(١) في د: «ويستعمل».

(٢) في ج، د: «يغشيهم».

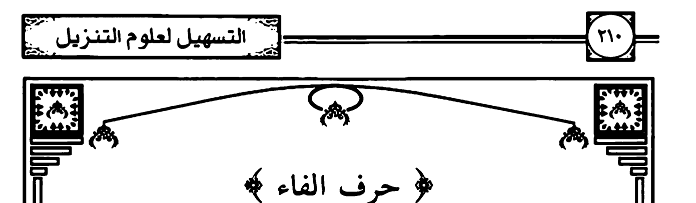
٤٣٠- غاض الشيءُ: نقص؛ ومنه: ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾ [هود: ٤٤]، و﴿تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ﴾ [الرعد: ٨].

وغاظ يغيظ -بالظاء المشالة-: من الغَيظ.

٤٣١- غَورٌ: أي: غائر؛ من غار الماء: إذا ذهب.

٤٣٢- غرام: عذاب؛ ومنه: ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ۝٦٦﴾ [الواقعة: ٦٦].

والمَغرَم: غُرْم المال؛ ومنه: ﴿مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ [الطور: ٤٠].



﴿ حرف الفاء ﴾

٤٣٣- فُرقان: أي: مفرِّقٌ بين الحق والباطل؛ ومنه: ﴿يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩] أي: تَفرِقةً.

ولذلك سمي القرآن: بالفرقان.

٤٣٤- فئة: جماعة من الناس.

٤٣٥- فِصالٌ: فطام من الرَّضاع.

٤٣٦- فضْلٌ: له معنيان:

[١] الإحسان.

[٢] والربح في التجارة وغيرها؛ ومنه: ﴿يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠].

٤٣٧- فسق: أصله الخروج، وتارة يرد بمعنى الكفر، وتارة بمعنى العصيان.

٤٣٨- فتنة: لها ثلاثة معان:

[١] الكفر.

[٢] والاختبار.

[٣] والتعذيب.

٤٣٩- فاءَ يَفيءُ: أي: رجع.

٤٤٠- فُلْكٌ -بضم الفاء-: أي: سفينة؛ ويستوي فيه المفرد والجمع.

٤٤١- فَلَكٌ -بفتحتين-: القطب الذي تدور به الكواكب.

٤٤٢- فزع: له معنيان:

[١] الخوف.

[٢] والإسراع؛ ومنه: ﴿إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ﴾ [سبأ: ٥١].

٤٤٣- فرح: له معنيان:

[١] السرور.

[٢] والبطر.

٤٤٤- فاحشة وفحشاء: هي كل ما يَقبُح ذكره من المعاصي.

٤٤٥- فرضٌ: له معنيان:

[١] الوجوب.

[٢] والتقدير.

٤٤٦- فتح: له معنيان:

[١] فتح الأبواب؛ ومنه: فتح البلاد وشبهها.

[٢] والحكم؛ ومنه: ﴿ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا﴾ [الأعراف: ٨٩]، ويقال للقاضي: فتَّاح.

واسم الله تعالى الفتاح: قيل: الحاكم، وقيل: خالق النصر والفتح.

٤٤٧- انفضُّوا: أي: تفرَّقوا.

٤٤٨- فطرَ: خلقه ابتداءً؛ ومنه: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٤].

و﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠]: الخِلْقة التي خلَق الخلْق عليها.

وأفطر -بالألف-: من الطعام.

٤٤٩- فُطورٌ: شقوق؛ ومنه: ﴿ٱنفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١]، أي: انشقَّت، و﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾ [مريم: ٩٠].

٤٥٠- فجٌّ: طريق واسع، وجمعه: فِجاجٌ.

٤٥١- فار التنور: يقال لكلِّ شيءٍ هاج وغلا حتى فاض؛ ومنه: ﴿وَهِىَ تَفُورُ﴾ [الملك: ٧]، وقولهم: فارت القدر.

٤٥٢- فَوجٌ: جماعة من الناس، وجمعه: أفواج.

٤٥٣- فاكهين: من التلذُّذ بالفاكهة.

أو من الفَكَاهة؛ وهي السُّرور واللهو.

٤٥٤- فؤاد: هو القلب، وجمعه: أفئدة.

٤٥٥- استفزَّ يَستفِزُّ: أي: استخفَّ.

٤٥٦- فقه: فهم؛ ومنه: ﴿لَّا يَفْقَهُونَ﴾، و﴿مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا﴾ [هود: ٩١].

٤٥٧- في: حرف جر بمعنى الظرفية.

وقد تكون للتعليل، وقد تكون بمعنى «مع».

وقيل: بمعنى «على».

٤٥٨- الفاء: ثلاثة أنواع:

[١] عاطفة.

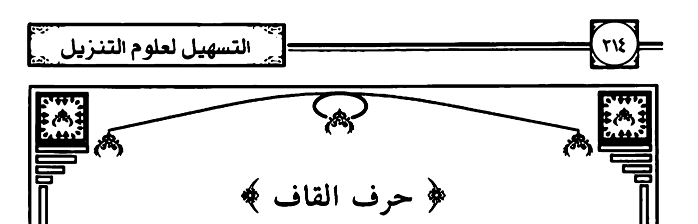
[٢] ورابطة.

[٣] وناصبة للفعل بإضمار «أنْ».

ومعناها: الترتيب، والتعقيب، والتسبيب[١].

---

(١) في د: «والتسبب».



﴿ حرف القاف ﴾

٤٥٩- قرآن: له معنيان:

[١] الكتاب العزيز.

[٢] ومصدرُ: قرَأَ؛ أي: تلا، ومنه: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٧].

٤٦٠- قنوتٌ: له خمسة معان:

[١] العبادة.

[٢] والطاعة.

[٣] والقيام في الصلاة.

[٤] والدعاء.

[٥] والسكوت.

٤٦١- قضاءٌ: له سبعة معان:

[١] الحُكم.

[٢] والأمر.

[٣] والقدَر السابق.

[٤] وفعل الشيء.

[٥] والفراغ منه.

[٦] والموت.

[٧] والإعلام بالشيء؛ ومنه: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾ [الحجر: ٦٦].

٤٦٢- قدَرَ: له خمسة معان:

[١] من القُدْرة.

[٢] ومن التَّقدير.

[٣] ومن المِقْدار.

[٤] ومن القدر والقضاء.

[٥] وبمعنى التَّضييق؛ نحو: ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ﴾ [الفجر: ١٦].

وقد يشدَّد الفعل ويخفَّف.

والقدرُ -بفتح الدال وإسكانها-: القضاء، والمقدار.

وبالفتح لا غير: من القضاء.

٤٦٣- قام: له ثلاثة معان:

[١] من القيام على الرِّجلين.

[٢] ومن القيام بالأمر بتدبيره وإصلاحه؛ ومنه: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣٤].

[٣] وقام الأمرُ: ظهر واستقام؛ ومنه: ﴿ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [التوبة: ٣٦]، و﴿دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

٤٦٤- أقام: له ثلاثة معان:

[١] أقام الرجل غيرَه؛ من القيام.

[٢] ومن التقويم؛ ومنه: ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ﴾ [الكهف: ٧٧].

[٣] وأقام في الموضع: سكَن؛ ومنه: ﴿مُّقِيمٌ﴾ أي: دائم.

٤٦٥- قيُوم: اسم الله تعالى؛ وزنه فَيْعُول؛ وهو بناءُ مبالغةٍ؛ من القيام على الأمور، معناه: مدبِّر الخلائق في الدنيا والآخرة؛ ومنه: ﴿قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ﴾ [الرعد: ٣٣].

٤٦٦- قِيام: له معنيان:

[١] مصدر قام على اختلاف معانيه.

[٢] وبمعنى: قِوَام الأمر ومِلَاكه.

وقِيَم - بغير ألف -: جمع قِيمَةٍ.

٤٦٧- قرضٌ: سلفٌ؛ والفعل منه: أقرض يُقرِض.

٤٦٨- أقسطَ - بالألف - قِسْطًا[١]: عدَل في الحكم؛ ومنه: ﴿يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢].

وقَسَط - بغير ألف -: جارَ؛ ومنه: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٥].

---

(١) في د: «يُقسِط».

٤٦٩- مقاليد: فيه قولان: خزائن، ومفاتح[١].

٤٧٠- قدَّس يُقدِّس: من التنزيه والطهارة.

وقيل: من التعظيم.

والقُدُّوس: اسم الله تعالى، فُعُّول؛ من النزاهة عما لا يليق به.

٤٧١- قال يقول: من القول.

وقد يكون بمعنى الظن.

ومصدره: قَوْلٌ، وقِيلٌ.

وقال يَقِيل: من القائلة؛ ومنه: ﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ [الأعراف: ٤]، و﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤].

٤٧٢- قفى: اتَّبع؛ وأصله: من القفا؛ يقال: قَفوته: إذا جئتَ في أثَره.

وقفَّيت - بالتشديد -: إذا سقتَ شيئًا في أثَره؛ ومنه: ﴿وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ﴾ [البقرة: ٨٧].

٤٧٣- قرْنٌ: جماعة من الناس، وجمعه: قرون.

٤٧٤- قواعد البيت: أساسُه، واحده: قاعدة.

و﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النور: ٦٠]: واحدهُ: قاعدٌ؛ وهي العجوز.

٤٧٥- قُربانٌ: ما يتقرَّب به إلى الله تعالى من الذبائح وغيرها.

وقربان -أيضًا-: من القَرابة.

---

(١) في ج، هـ: «ومفاتيح».

٤٧٦- قلَى يَقلِي: أبغض؛ ومنه: ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ٣]، و﴿لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٨].

٤٧٧- اقترف: اكتسب حسنةً، أو سيئة.

٤٧٨- قَصصٌ: له معنيان:

[١] من الحديث.

[٢] ومن قصّ الأثر؛ ومنه: ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف: ٦٤]، و﴿قُصِّيهِ﴾ [القصص: ١١].

٤٧٩- قَرِرْتُ به عينًا أقَرُّ: بالكسر في الماضي والفتح في المضارع.

وقَرَرْتُ في المكان: بالفتح في الماضي والكسر في المضارع.

٤٨٠- قسطاسٌ: ميزان.

٤٨١- قتَر وقتَرةٌ: غبار.

وهو عبارة عن تغيُّر الوجه.

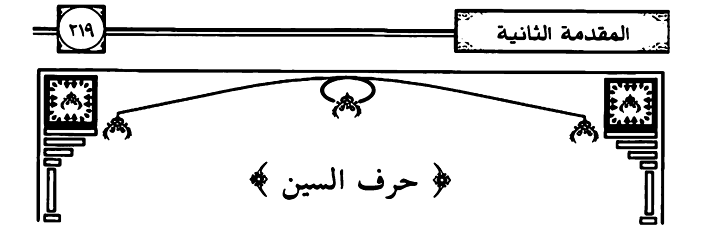
٤٨٢- قُتورٌ: من التقتير.

٤٨٣- قارعة: داهية وأمر عظيم.

٤٨٤- قبسٌ: شعلة نارٍ.

٤٨٥- قَنِطَ: يئس من الخير.

٤٨٦- قرطاس: صحيفة، وجمعها: قراطيس.



﴿ حرف السين ﴾

٤٨٧- أسباطٌ: جمع سِبطٍ؛ وهم ذرية يعقوب عليه السلام، كان له اثنا عشر ولدًا ذكرًا، فأعقب كلُّ واحد منهم عَقبًا.

والأسباط في بني إسرائيل: كالقبائل في العرب.

٤٨٨- سبيل: هو الطريق، وجمعه: سُبُلٌ.

ثم استعمل في طريق الخير والشر.

وسبيل الله: الجهاد.

وابن السبيل: الضيف، وقيل: الغريب.

٤٨٩- سَوَّى - بالتشديد -: له معنيان:

[١] من التسوية بين الأشياء وجعلها سواء.

[٢] وبمعنى: اتقن وأحسن؛ ومنه: ﴿فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: ٧].

٤٩٠- سَواءٌ - بالفتح والهمز -: من التسوية بين الأشياء.

و﴿سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٥٥]: وسَطها.

و﴿سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ [ص: ٢٢]: قَصْدَ الطريق.

٤٩١- سوَى -بالكسر أو الضم مع ترك الهمز-: استثناءٌ.

وقد يكون من التسوية.

٤٩٢- سفهاء: جمع سفيه؛ وهو الناقص العقل.

وأصل السَّفَهِ: الخفَّة؛ ولذلك قيل لمبذر المال: سفيه، وللكفار والمنافقين: سفهاء.

٤٩٣- سلوى: طائرٌ يشبه السُّمَانَى، وكان ينزل على بني إسرائيل مع المنِّ.

٤٩٤- سأل: له معنيان:

[١] طلب الشيء.

[٢] والاستفهام عنه.

وسال -بغير همز-: من المعنيين المذكورين، ومن السَّيل.

٤٩٥- سبحان: تنزيه، وسبَّحتُ الله أي: نزَّهتُه عما لا يليق به من الصاحبة والولد والشركاء والأنداد وصفاتِ الحدوث[1] وجميعِ العيوب والنقائص.

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: «قوله: «وصفات الحدوث» أقول: هذا لفظ مجملٌ يحتمل حقا وباطلا؛ فإن أريد به تنزيهُه تعالى عن وصفه بشيء من خصائص المخلوق مما يستلزم تمثيله سبحانه بخلقه فهو حقٌّ، وإن أريد به تنزيهُه عما يكون بمشيئته تعالى من أفعاله، وهو ما يعبرون عنه بحلول الحوادث، ويقصدون نفي قيام الأفعال الاختيارية به؛ فإن ذلك باطلٌ. وهذا أصل عند أكثر المتكلمين، فإنه يقولون: إنه تعالى منزه عن حلول الحوادث، يريدون نفي قيام الأفعال الاختيارية به سبحانه؛ كالمجيء والنزول والاستواء على العرش، والله أعلم».

٤٩٦- سار يسير: مشى ليلًا أو نهارًا.

٤٩٧- سرَى يَسرِي: مشى ليلًا.

ويقال -أيضًا-: أسرى -بالألف-.

٤٩٨- سَخِر يَسخَر -بالكسر في الماضي والفتح في المضارع- أي: استهزأ.

٤٩٩- سخَّرَ -بالتشديد-: من التسخير.

٥٠٠- سخريًا بضم السين: من السُّخْرَة؛ وهو تكليف الأعمال.

وبالكسر: من الاستهزاء.

٥٠١- سلطان: له معنيان:

[١] البرهان.

[٢] والقوة؛ ومنه: ﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ [الرحمن: ٣٣].

٥٠٢- سام يسوم: أي: كُلِّف الأمرَ وأُلزِمَه؛ ومنه: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة: ٤٩].

وأصله: من سوم السلعة في البيع.

٥٠٣- سئِم يَسأم: أي: ملَّ؛ ومنه: ﴿وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾ [فصلت: ٣٨].

٥٠٤- سُنَّة: أي: عادة.

٥٠٥- سلَف الأمرُ: أي: تقدَّم.

وأسلفه الرجلُ: أي: قدَّمه؛ ومنه: ﴿هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ﴾ [الحاقة: ٢٤].

٥٠٦- سرَّاء: فَعْلاء؛ من السرور.

٥٠٧- سارع إلى الشيء: بادر إليه.

٥٠٨- إسراف: إفراط.

والمسرفون: أي: المبذرون، أو المفرِطون في الكفر والمعاصي.

٥٠٩- سَوأة: عورة.

والسوءُ: ما يسوءُ -بالفتح والضم-.

و﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ [الروم: ١٠]: فُعْلى؛ من السوء.

و﴿سِيٓءَ بِهِمْ﴾ [هود: ٧٧]: فُعِل بهم السوء.

٥١٠- سَنَةٌ -بفتح السين-: عامٌ، ولامها محذوفة، وجمعها: سنين.

وقد تقال بمعنى: القحط والجدب.

٥١١- سِنَةٌ -بكسر السين-: ابتداءُ النوم، وفاؤها واو محذوفة؛ لأنها من الوسَن.

٥١٢- سلَك يسلُك: له معنيان:

[١] أدخل؛ ومنه: ﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ﴾ [القصص: ٣٢] و﴿فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ﴾ [الزمر: ٢١].

[٢] ومِن: سلوك الطريق.

٥١٣- أسفارٌ: جمع: سَفَرٍ -بفتحتين-.

وجمع: سِفْرٍ؛ وهو الكتاب.

٥١٤- ساح يسيح: أي: سار؛ ومنه: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٢].

و﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ [التوبة: ١١٢]: الصائمون.

٥١٥- سوَّل - بتشديد الواو -: زيَّن؛ ومنه: ﴿سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ﴾ [يوسف: ١٨].

٥١٦- سرابيل: جمع سربال؛ وهو القميص.

٥١٧- سبأ: قبيلة من العرب.

٥١٨- سَموم: شدَّةُ الحرِّ.

٥١٩- سلام: له ثلاثة معان:

[١] التحية.

[٢] والسلامة.

[٣] والقول الحسن؛ ومنه: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

٥٢٠- سلام: اسم الله تعالى؛ معناه: ذو السلامة من كل نقص؛ فهو من أسماء التنزيه.

وقيل: مُسلِّم العباد من المهالك.

وقيل: ذو السلام على المؤمنين في الجنة.

٥٢١- سَلَمٌ - بفتحتين -: انقيادٌ، وإلقاءٌ باليد.

وهو -أيضًا- بَيعٌ.

٥٢٢- سَلْم - بفتح السين وإسكان اللام -: صُلح ومهادنة.

٥٢٣- سِلْم - بكسر السين وإسكان اللام -: معناه: الإسلام.

٥٢٤- سُلَّم - بضم السين وفتح اللام مشددةً -: هو الذي يُصعَد فيه.

٥٢٥- أسلم يُسلِم: له ثلاثة معان:

[١] الدُّخول في الإسلام.

[٢] والإخلاص لله.

[٣] والانقياد؛ ومنه: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا﴾ [الصافات: ١٠٣].

٥٢٦- سعى يسعى: له ثلاثة معان:

[١] عَمِل عمَلًا؛ ومنه: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩﴾ [النجم: ٣٩].

[٢] ومشى؛ ومنه: ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩].

[٣] وأسرع في مَشيه؛ ومنه: ﴿رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾ [يس: ٢٠].

٥٢٧- سكن يسكن: له معنيان:

[١] من السكون ضد الحركة.

[٢] ومن السُّكْنى في الموضع.

٥٢٨- سكينة: وقار وطُمَأنينة.

٥٢٩- سائغ: سهل للشَّراب[١]، لا يَغَصُّ به من شربه.

---

(١) في ب: «للشرب».

٥٣٠- سابغات: دروع واسعات طوال.

٥٣١- أساطير الأولين: ما كتبه المتقدمون.

٥٣٢- مسيطر: أي مُسَلَّط.

و﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ [الطور: ٣٧] أي: الأرباب.

٥٣٣- سندس وإستبرق: ثياب حرير.

وقيل: السندس: رقيق الديباج، والإستبرق: صفيقه.

٥٣٤- سحقًا: بُعْدًا؛ ومنه: ﴿مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١] أي: بعيد.

٥٣٥- سعير: جهنم.

و﴿سُعِّرَتْ﴾ [التكوير: ١٢]: أُوقدت.

٥٣٦- سبب - وجمعه: أسباب -: له خمسة معان:

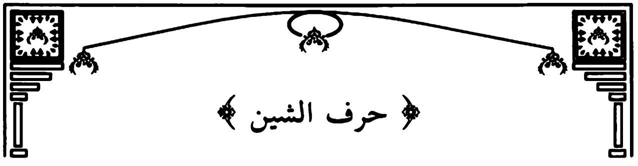
[١] الحبل؛ ومنه: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الحج: ١٥].

[٢] والاستعارة من الحبل في المودَّة والقرابة؛ ومنه: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦].

[٣] والطريق؛ ومنه: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٥].

[٤] والباب؛ ومنه: ﴿أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [غافر: ٣٧].

[٥] وسبب الأمر: مُوجِبه.



﴿ حرف الشين ﴾

٥٣٧- شعَر: بالأمر يشعُر: أي: عَلِمه.

والشعور: العلم من طريق الحسّ؛ ومنه: ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٢].

٥٣٨- شهِد يَشهَد: له معنيان:

[١] من الشهادة على الشيء.

[٢] ومن الحضور.

٥٣٩- شهداء: جمع شهيد؛ وله ثلاثة معان:

[١] من الشهادة على الشيء.

[٢] ومن الحضور.

[٣] ومن الشهادة في سبيل الله.

٥٤٠- شكر: قد تقدم في الحمد[١].

والشَّاكر والشَّكور: اسم الله المجازي لعباده على أعمالهم بجزيل الثواب.

وقيل: المثني على العباد.

---

(١) انظر المادة (١٢٦).

٥٤١- شرَى: أي: باع.

وقد يكون بمعنى: اشترى.

٥٤٢- شِقاقٌ: عداوة ومعاندة؛ ومنه: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ﴾ [الأنفال: ١٣].

٥٤٣- شهاب: كوكب.

وقد يطلق على شعلة النار.

٥٤٤- شجر: هو كل ما ينبت في الأرض.

و﴿شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥] أي: اختلفوا فيه.

٥٤٥- شنآن: عداوة وشرٌّ، ويجوز فيه فتح النون وإسكانها.

٥٤٦- شرَع الله الأمرَ: أي: أمر به.

والشريعة والشرعة: الملة.

وشَرَعت الدَّوابُّ في الماء.

٥٤٧- شعائرُ الله: معالم دينه، واحدها: شَعيرة أو شِعارة.

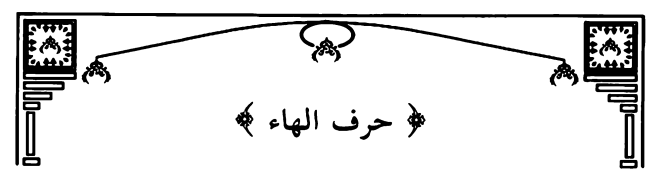
٥٤٨- شِرْكٌ: له معنيان:

[١] من الإشراك.

[٢] وهو -أيضًا- النصيب؛ ومنه: ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [فاطر: ٤٠].

٥٤٩- شركاء: جمع شريك.

٥٥٠- مشحون: أي: مملوء.



﴿ حرف الهاء ﴾

٥٥١- الهُدَى: له معنيان:

[١] الإرشاد.

[٢] والبيان.

ومِن البيان: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ [فصلت: ١٧].

والإرشاد قد يكون:

إلى الطريق.

وإلى الدين.

وبمعنى التوفيق والإلهام.

٥٥٢- الهَدْيُ -بفتح الهاء وإسكان الدال-: ما يُهدَى إلى الكعبة من البهائم.

٥٥٣- هاد يهود: أي: تاب؛ ومنه: ﴿هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

و﴿وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ [البقرة: ٦٢] أي: تهوَّدوا؛ أي: صاروا يهودًا، وأصله من قولهم: ﴿هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾.

٥٥٤- هود: له معنيان:

[١] اسم نبي عادٍ عليه السلام.

[٢] وبمعنى اليهود؛ ومنه: ﴿كُونُواْ هُودًا﴾ [البقرة: ١٣٥].

٥٥٥- هوَى النفسِ - مقصور -؛ وهو ما تحبُّه وتميل إليه.

والفعل منه: بكسر الواو في الماضي، وفتحها في المضارع.

والهواء -بالمد والهمز-: ما بين السماء والأرض.

و﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٣] أي: مُنْخَرِقةٌ لا تَعي[1] شيئا.

وهوَى يهوِي -بالفتح في الماضي والكسر في المضارع-: وقع من علْوٍ.

ويقال - أيضًا - بمعنى الميل؛ ومنه: ﴿أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

٥٥٦- هاجر: خرج من بلاده؛ ومنه سمِّي: المهاجرون.

٥٥٧- هجَر: من الهِجران.

ومن الهُجْر -أيضًا-؛ وهو: فحش الكلام.

وقد يقال في هذا: أهجر -بالألف-.

٥٥٨- أُهِلَّ لغير الله به: أي: صِيح، والإهلال: الصياح.

ثم استعمل في:

الكلام بغير صياح.

---

(١) في ب، د: «لا تغني».

وفي النية؛ أي: أُرِيدَ به غيرُ الله.

٥٥٩- مهيمن عليه: أي شاهدٌ. وقيل: مؤتَمَن.

والمهيمن: اسم الله القائم على خلقه بأعمالهم وآجالهم وأرزاقهم.

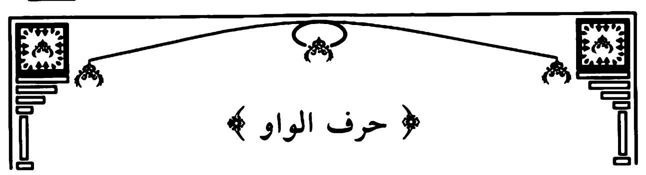
وقيل: الشاهد.

وقيل: الرقيب.

٥٦٠- هَوانٌ وهُونٌ: أي: ذلٌّ.

٥٦١- مُهين -بضم الميم-: مُفعِل مشتق من الهوان؛ أي: مُذِلٌّ.

وأما مَهين -بفتح الميم-: فمعناه: ضعيف، أو ذليل.

﴿ حرف الواو ﴾

٥٦٢- وَقود النارِ -بفتح الواو-: ما توقد به من الحطب وشبهه.

والوُقود -بالضم-: المصدر.

٥٦٣- وجهٌ: له معنيان:

[١] الجارحة.

[٢] والجهة؛ ومنه: ﴿وِجْهَةٌ﴾ [البقرة: ١٤٨].

وأما وجه الله:

ففي قوله: ﴿ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، أي: طلب رضاه.

وفي قوله: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧]:

قيل: الوجه: الذَّات.

وقيل: صفةٌ كاليدين؛ وهو من المتشابه(١).

٥٦٤- وعَد يَعِد وعْدًا: بالخير.

---

(١) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك عند تفسير المؤلف قولَه تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ صفحة ٣٥٢.

وقد يقال في الشرِّ إذا قُيِّد.

وأوعد -بالألف- يُوعِد وَعيدًا: بالشرِّ لا غير.

٥٦٥- ودَّ يوَدُّ: له معنيان:

[١] من المودَّة والمحبة.

[٢] وبمعنى: تمنَّى، نحو: ﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ﴾ [النساء: ٨٩].

والوُدُّ بالضم: المحبة.

و﴿وَدّٗا﴾ [نوح: ٢٣]: اسم صنم، بضم الواو وفتحها.

٥٦٦- ودود: اسم الله تعالى؛ أي: محبٌّ لأوليائه.

وقيل: محبوب.

٥٦٧- ويلٌ: كلمة شر.

وقيل: إن الويل وادٍ في جهنم.

٥٦٨- وجَب: له معنيان:

[١] من وجوب الحق.

[٢] وبمعنى: سقط، كقولهم: وجب الحائط: إذا سقط؛ ومنه: ﴿وَجَبَتۡ جُنُوبُهَا﴾ [الحج: ٣٦].

٥٦٩- وسَطٌ وأوسطٌ: له معنيان:

[١] من التوسُّط بين الشيئين.

[٢] وبمعنى: الخيار والأحسن[1].

٥٧٠- وسِع يسَع سعةً: من الاتساع ضد الضيق.

والسعة: الغِنَى.

والواسع: اسم الله تعالى؛ أي: واسع العلم والقدرة والغنى والرحمة.

وقيل: واسعٌ: جواد.

٥٧١- مُوسِع: غنيٌّ؛ أي: واسع الحال، وهو ضد المُقْتِر.

و﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧]: قيل: أغنياء، وقيل: قادرون.

و﴿إِلَّا وُسْعَهَا﴾: طاقتَها.

٥٧٢- ولَّى: له معنيان:

[١] أدبر.

[٢] وجَعل واليًا.

٥٧٣- تولَّى: له ثلاثة معان:

[١] أدبر وأعرض بالبدن، أو بالقلب.

[٢] وصار واليًا.

[٣] واتخذ وليًا؛ ومنه: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المائدة: ٥٦].

٥٧٤- وليٌّ: ناصر.

---

(١) في ج، د: «والإحسان».

والولي: اسم الله؛ قيل: ناصر، وقيل: متولي أمرَ الخلائق.

٥٧٥- مولى: له سبعة معان:

[١] السيد الأعظم.

[٢] والناصر.

[٣] والوليُّ -أي القريب-.

[٤] والمالك.

[٥] والمعتِق.

[٦] والمعتَق.

[٧] وبمعنى: أولى؛ ومنه: ﴿مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ [الحديد: ١٥].

٥٧٦- ولَجَ يلِج: أي: دخل؛ ومنه: ﴿مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

وأولج يُولِج: أدخل؛ ومنه: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ﴾.

٥٧٧- وهَن يهِن: ضعف؛ ومنه: ﴿وَهَنَ ٱلْعَظْمُ﴾ [مريم: ٤]، والوَهن: الضعف.

٥٧٨- ورَد الماءَ يَرده: إذا جاء إليه.

وأورده غيرُه.

و﴿فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ﴾ [يوسف: ١٩]: الذي يتقدمهم إلى الماء فيستقي لهم.

٥٧٩- أوزعني: أي: ألهمني ووفقني.

٥٨٠- يوزعون: يدفعون.

٥٨١- وليد: صبيٌّ، وجمعه: ولدان.

٥٨٢- وجِل: يَوْجَلُ وجَلًا: خاف، ومنه: ﴿لَا تَوْجَلْ﴾ [الحجر: ٥٣]، و﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ و﴿وَجِلُونَ﴾ [الحجر: ٥٢].

٥٨٣- أوجس: وجَد في نفسه وأضمر.

٥٨٤- وارَى يُواري: أي: ستَر؛ ومنه: ﴿يُوَارِى سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ [المائدة: ٣١] و﴿مَا وُرِيَ عَنْهُمَا﴾ [الأعراف: ٢٠].

وتوارى: أي: استتر واستخفى.

٥٨٥- وطِئ يطَأ: له ثلاثة معان:

[١] جماع المرأة.

[٢] ومن الوطء بالأقدام؛ ومنه: ﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا﴾ [الأحزاب: ٢٧].

[٣] والإهلاك؛ ومنه: ﴿لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ﴾ [الفتح: ٢٥].

٥٨٦- وَقْرٌ -بفتح الواو-: هو الصمم والثِّقَل في الأذن.

والوِقْر -بكسر الواو-: الحِمْل؛ ومنه: ﴿فَٱلْحَـٰمِلَـٰتِ وِقْرًا﴾ [الذاريات: ٢].

٥٨٧- ودْقٌ: هو المطر.

٥٨٨- واصب: أي: دائم.

٥٨٩- وكيل: كفيل بالأمر.

وقيل: كافٍ.

٥٩٠- وِزْرٌ -بكسر الواو وإسكان الزاي-: له معنيان:

[١] الذنب؛ ومنه: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.

[٢] والحِمل الثقيل، وهو الأصل؛ ومنه: ﴿أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ﴾ [طه: ٨٧]؛ أي: أحمالًا.

٥٩١- وَزَرٌ -بفتحتين-: أي: ملجأ.

٥٩٢- وزير: أي: مُعين، وأصله: من الوِزْر بمعنى: الثِّقَل؛ لأن الوزير يحمل عن الملك أثقالَه.

٥٩٣- وسوس الشيطان إلى الإنسان: ألقى في نفسه.

والوَسواس: الشيطان.

٥٩٤- أوحَى يُوحِي وحيًا: له ثلاثة معان:

[١] كلام الملَك عن الله للأنبياء؛ ومنه قيل للقرآن: وحْيٌ.

[٢] وبمعنى الإلهام؛ ومنه: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨].

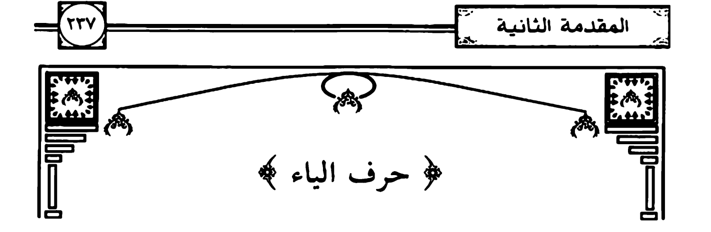
[٣] وبمعنى الإشارة؛ ومنه: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ١١] أي: أشار.

٥٩٥- وعَى العلمَ يعِي(١): حفظه؛ ومنه: ﴿أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٢].

وأوعى -بالألف- يُوعِي: جمع المال في وعاءٍ؛ ومنه: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾ [المعارج: ١٨].

---

(١) في أ، ب: «يعني».



﴿ حرف الياء ﴾

٥٩٦- يمين: له أربعة معان:

[١] اليد اليمنى.

[٢] والجهة اليمنى.

[٣] وبمعنى القوة.

[٤] وبمعنى الحلف.

٥٩٧- أيمن: أي: إلى الجهة اليمنى.

٥٩٨- يسيرٌ: له معنيان:

[١] قليل؛ ومنه: ﴿كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ [يوسف: ٦٥].

[٢] وهيِّنٌ؛ ومنه: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

واليُسر: ضد العسر.

٥٩٩- يئس من الأمر يَيأس: أي: انقطع رجاؤه؛ ومنه: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٧]، و﴿إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ﴾ [هود: ٩].

وأما ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الرعد: ٣١]: فمعناه: ألم يعلم.

٦٠٠- يمٌّ: هو البحر.

٦٠١- مَيسِرٌ: هو القمار في النرد والشطرنج وغير ذلك.

وهو مأخوذ من: يَسُرَ لي كذا: إذا وجَب.

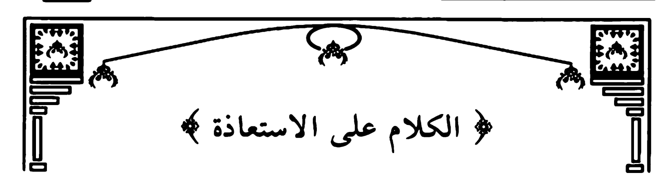
واليَسَر -بفتح الياء والسين-: الرجل الذي يشتغل بالميسر، وجمعه: أيسار.

وميسر العرب: أنهم كان لهم عشرة قِداح -وهي الأزلام- لكل واحد منها[١] نصيب معلوم من ناقة ينحرونها، وبعضها[٢] لا نصيب له، ويجزِّؤونها عشرة أجزاء، ثم يُدخِلون الأزلامَ في خريطة ويضعونها على يدَي عدلٍ، ثم يُدخِل يده فيها فيُخرج باسم رجل قِدْحًا، فمن خرج له قِدْحٌ له نصيب: أخذ ذلك النصيب، ومن خرج له قدح لا نصيب له: غَرِم ثمن الناقة كلِّها.

٦٠٢- يَنبوعٌ: أي: عينٌ من ماء، والجمع ينابيع.

* * *

(١) في د: «منهم».
(٢) في د: «وبعضهم».



﴿ الكلام على الاستعاذة ﴾

★ **فيه عشرُ فوائد من فنونٍ مختلفة:**

- **الأولى:** لفظ التعوُّذ على خمسة أوجهٍ:

[١] «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»، وهو المرويُّ عن النبي ﷺ[١]، والمختار عند القرَّاء.

[٢] و«أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم»، وهو مرويٌّ عن النبي ﷺ[٢].

[٣] و«أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم».

[٤] و«أعوذ بالله القويِّ من الشيطان الغويِّ».

[٥] و«أعوذ بالله المجيد من الشيطان المَريد»=

وهي محدثة.

- **الثانية:** يؤمر القارئُ بالاستعاذة قبل القراءة؛ سواء ابتدأ أول سورة، أو جزءَ سورة.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٢/ ١٧٧)، (ح: ٢٦١٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (٧٨٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

والأمر بذلك على الندب.

- **الثالثة**: يُجهَر بالاستعاذة عند الجمهور، وهو المختار.

وروي الإخفاء عن حمزة ونافع.

- **الرابعة**: لا يتعوَّذ في الصلاة عند مالك.

ويتعوَّذ في أوَّل ركعةٍ عند الشافعي وأبي حنيفة.

وفي كلِّ ركعةٍ عند قوم.

فحجة مالك: عملُ أهل المدينة.

وحجة غيره: قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [النحل: ٩٨]؛ وذلك يعم الصلاةَ وغيرَها[١].

- **الخامسة**: إنما جاء «أعوذ» بالمضارع دون الماضي؛ لأنَّ معنى الاستعاذة لا يتعلق إلَّا بالمستقبل؛ لأنها كالدعاء.

وإنما جاء بهمزة المتكلم وحده؛ مشاكلةً للأمر به في قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَعِذْ﴾.

- **السادسة**: ﴿ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ يحتمل أن يراد به:

الجنسُ؛ فتكون الاستعاذة من جميع الشياطين.

أو العهد؛ فالاستعاذة من إبليس.

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (١/ ٥٥).

وهو مِن:

شطَنَ: إذا بعُدَ؛ فالنون أصلية، والياء زائدة، ووزنه: «فَيعال».

وقيل: مِن شاط: إذا هاج؛ فالنون زائدة، والياء أصلية، ووزنه: «فَعْلان».

وإن سَمَّيتَ به: لم ينصرف على الثاني؛ لزيادة الألف والنون، وانصرف على الأوَّل.

- **السابعة**: ﴿ٱلرَّجِيمِ﴾: فَعيل بمعنى مفعول، ويحتمل معنيين:

أن يكون بمعنى: لعين وطريد؛ وهذا يناسب إبليس؛ لقوله: ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ [الحجر: ٣٤].

وأن يكون من: الرَّجم بالنجوم؛ وهذا يناسب الجنس؛ لقوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥].

والأول أظهر.

- **الثامنة**: من استعاذ بالله صادقًا أعاذه، فعليك بالصدق، ألَا ترى امرأةَ عمران لما أعاذت مريم وذرِّيَّتها عصمها الله!؛ ففي الحديث الصحيح أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**ما من مولود إلَّا نخَسه الشيطان فيستهل صارخًا، إلَّا ابن مريم وأمَّه**»[١].

- **التاسعة**: الشيطان عدوٌّ حذَّر الله منه؛ إذ لا مطمع في زوال عَادِيَتِه[٢]، وهو يجري من ابن آدم مجرى الدم، فيأمره -أوَّلًا- بالكفر ويشكِّكه في

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٤٨)، ومسلم (٢٣٦٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) قال في «لسان العرب» (١٩/ ٢٦٤): «ويقال: كفَّ عنَّا عاديَتك: أي: ظلمك وشرَّك».

الإيمان، فإن قدَر عليه وإلَّا أمره بالمعاصي، فإن أطاعه وإلَّا ثبَّطه عن الطاعة، فإن سلِم من ذلك أفسدها عليه بالرياء والعجب.

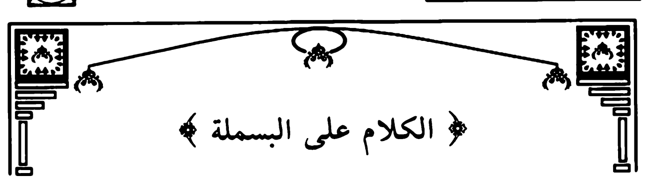
- **العاشرة**: القواطع عن الله أربعة: الشيطان، والنفس، والدنيا، والخلْق.

فعلاجُ الشيطان: بالاستعاذة منه، والمخالفة له.

وعلاج النفس: بالقهر.

وعلاج الدنيا: بالزهد.

وعلاج الخلق: بالانقباض والعزلة.



الكلام على البسملة

★ **فيه عشر فوائد**[١]:

- **الأولى**: ليست البسملة عند مالك بآية من الفاتحة ولا من غيرها، إلَّا من النمل خاصة.

وهي عند الشافعي: آية من الفاتحة.

وعند ابن عباس: آية من كل سورة.

فحجة مالك: ما ورد في الحديث الصحيح: أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«أنزلت عليَّ سورة ليس في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الفرقان مثلها، ثم قال: الحمد لله رب العالمين»**[٢]؛ ولم يذكر البسملة، وكذلك ما ورد في الحديث الصحيح: **«إنَّ الله يقول: قسَمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين: يقول العبد: الحمد لله رب العالمين..»**[٣] فبدأ بهذا دون البسملة.

وحجة الشافعي: ما ورد في الحديث أنَّ رسول الله ﷺ كان يقرأ: «بسم

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (١/ ٥٨).

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (٢٣١)، والترمذي (٢٨٧٥)، وأحمد في مسنده (٩٣٤٥) في ضمن حديث طويل.

(٣) أخرجه مسلم (٣٩٥).

الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين»[١] .

وحجة ابن عباس: ثبوت البسملة مع كل سورة في المصحف.

- **الثانية**: إذا ابتدأت أوَّل سورة بسملت، إلَّا «براءة»، وسنذكر علَّة سقوطها من «براءة» في موضعه.

وإذا ابتدأت جزءَ سورة:

فأنت مخير بين البسملة وتركها عند أبي عمرٍو الداني[٢] .

وتترك البسملة عند غيره.

وإذا أتممت سورة وابتدأت أخرى: فاختلف القرَّاء في البسملة وتركها.

- **الثالثة**: لا يبسمل في الصلاة عند مالك.

ويبسمل عند الشافعي جهرًا في الجهر، وسرًّا في السرِّ.

وعند أبي حنيفة: سرًّا في الجهر والسرِّ.

فحجة مالك من وجهين:

أحدهما: أنها ليست عنده آيةً من الفاتحة حسَبما ذكرنا.

والآخر: الحديث الصحيح عن أنس أنه قال: «صلَّيت خلف رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان فكانوا يفتتحون بـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾،

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٥).

(٢) انظر: التيسير في القراءات السبع، للداني (١٨).

لا يذكرون: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ في أوَّل الفاتحة ولا في آخرها»[١].

وحجة الشافعي من وجهين:

أحدهما: أنَّ البسملة عنده آية من الفاتحة.

والآخر: ما ورد في الحديث من قراءتها حسَبما ذكرناه.

- **الرابعة**: كانوا يكتبون: «باسمك اللهم»، حتى نزل: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا﴾ [هود: ٤١] فكتبوا: «بسم الله»، حتى نزل: ﴿أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ [الإسراء: ١١٠] فكتبوا: «بسم الله الرحمن»، حتى نزل: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾﴾ [النمل: ٣٠] فكتبوها.

وحذفت الألف من ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾؛ لكثرة الاستعمال.

- **الخامسة**: الباء من ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾: متعلقة باسم محذوف عند البصريين، والتقدير: ابتدائي كائنٌ بسم الله؛ فموضعها: رفعٌ.

وعند الكوفيين: تتعلق بفعل، تقديره: أبدأُ أو أتلو؛ فموضعها: نصب.

وينبغي أن يقدَّر متأخِّرًا؛ لوجهين:

أحدهما: إفادة الحصر والاختصاص.

والآخر: تقديم اسم الله اعتناءً؛ كما قدم في ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا﴾ [هود: ٤١].

---

(١) أخرجه مسلم (٣٩٩).

- **السادسة**: الاسم مشتق من السموّ عند البصريين؛ فلامه واوٌ محذوفة.

وعند الكوفيين: مشتقٌّ من السِّمة -وهي العلامة-؛ ففاؤه واوٌ محذوفة.

ودليل البصريين: التصغير والتكسير؛ لأنهما يردَّان الكلمات إلى أصولها، فقول العرب: أسماءٌ وسُمَيٌّ دليلٌ على أن الفاء هي السين، وأن اللام حرف علة.

وقول الكوفيين أظهر في المعنى؛ لأنَّ الاسم علامةٌ على المسمى.

- **السابعة**: قولك «الله» اسم مرتجل جامد، والألف واللام فيه لازمة، لا للتعريف.

وقيل: إنه مشتق من التألُّه، وهو التعبد.

وقيل: من الولَهان، وهي الحَيرة؛ لتحيُّر العقول في شأنه.

وقيل: أصله «إله» من غير ألف ولام، ثم حذفت الهمزة من أوَّله على غير قياس، ثم أدخلت الألف واللام عليه.

وقيل: أصله «الإله» بالألف واللام، ثم حذفت الهمزة، ونقلت حركتها إلى اللام؛ كما تنقل في «الَارض» وشبهه، فاجتمع لامان، فأدغمت إحداهما في الأخرى.

وفُخِّم؛ للتعظيم، إلَّا إذا كان قبله كسرة.

- **الثامنة**: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ صفتان، من الرحمة، ومعناهما: الإحسان؛ فهي صفة فعل.

وقيل: إرادة الإحسان؛ فهي صفة ذات[(١)].

- **التاسعة**: الفرق بين الرحمن والرحيم على ما روي عن رسول الله ﷺ: أنَّ الرحمن في الدنيا والآخرة، والرحيم في الآخرة[(٢)].

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك حفظه الله: قوله: «ومعناهما: الإحسان» إلخ، أقول: هذا يتضمن تفسير الرحمة إما بالإحسان أو بإرادة الإحسان، قال: «والإحسان صفة فعل»، والذين يقولون هذا يريدون ما يخلقه الله من النعم؛ فالرحمة -إذن- عبارة عن مخلوقاته سبحانه، وإن سموها صفة فعلٍ فهو غلطٌ في العقل؛ فإن المفعول لا يكون صفة للفاعل، بل أثر فعله، وهم لا يثبتون فعلا يقوم بالفاعل بمشيئته، فليس عندهم إلا فاعل ومفعول، وقد يفسرون الرحمة بإرادة الإحسان، وعليه فهي صفةٌ ذاتيةٌ، كما قال المؤلف، أي إنها قائمة بذاته تعالى، وكلٌّ من التفسيرين فيه صرفٌ للفظ عن ظاهره؛ فإن الرحمة لها معنى يقابل الغضب؛ كما جاء في الحديث القدسي: «إن رحمتي سبقت غضبي»، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة التدمرية (ص٣١) في الذين ينفون صفة الرحمة والمحبة والغضب والرضا: «إنهم يفسرون ذلك إما بالإرادة، وإما ببعض المفعولات من النعم والعقوبات» أهـ. وعليه فالواجب إثبات الرحمة صفةً لله حقيقة، وتفسيرها بالإحسان تفسير لها بأثرها. والرحمة في صفات الله نوعان: صفة ذاتية، وصفة فعلية، وذهب ابن القيم إلى أن الصفة الذاتية مدلولُ اسمه الرحمن، والفعلية مدلول اسمه الرحيم. وينبغي أن يعلم أن الرحمة المضافة إلى الله نوعان: نوع هو صفة له سبحانه، ذاتيةً أو فعليةً، كما تقدم، وإضافتها إليه من إضافة الصفة إلى الموصوف، وهي مدلول الاسمين الشريفين، والنوع الثاني رحمة مخلوقة، وإضافتها إلى الله من إضافة المخلوق إلى خالقه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ﴾، فالرحمة هنا المطر، وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١٠٧﴾، والرحمة هنا الجنة، وفي الحديث القدسي أن الله قال للجنة: «أنت رحمتي أرحم بك من أشاء»، ومن النوع الأول قول سليمان عليه السلام متوسلا: ﴿وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، والله أعلم.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ١٢٧).

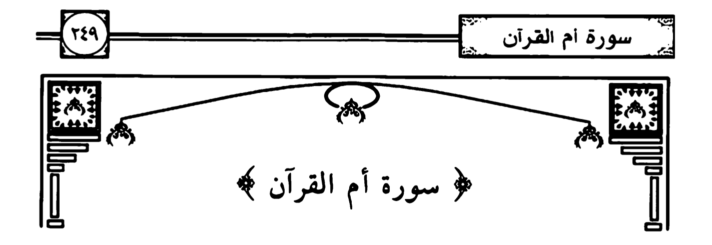
وقيل: الرحمن عام في رحمة المؤمنين والكافرين، والرحيم خاص بالمؤمنين؛ لقوله: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]؛ فالرحمن أعمُّ وأبلغ.

وقيل: الرحيم أبلغ؛ لوقوعه بعده على طريقة الارتقاء إلى الأعلى.

- **العاشرة**: إنما قدَّم الرحمن لوجهين:

اختصاصه بالله.

وجريانه مجرى الأسماء التي ليست بصفات.



﴿ سورة أم القرآن ﴾

[﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾].

وتسمَّى: سورة الحمد، وفاتحة الكتاب، والواقية، والشافية، والسبع المثاني.

★ **وفيها عشرون فائدةً**، سوى ما تقدَّم في «اللغات» من تفسير ألفاظها.

واختلف: هل هي مكية أو مدنية؟

ولا خلاف أن الفاتحة سبعُ آيات.

إلَّا أنَّ الشافعي يَعدُّ البسملة آيةً منها.

والمالكيّ يُسقطها، ويعدُّ ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ آيةً.

- **الفائدة الأولى**: قراءة الفاتحة في الصلاة واجبةٌ عند مالك والشافعي، خلافًا لأبي حنيفة.

وحجتهما: قوله ﷺ: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»[١].

وحجة أبي حنيفة: قوله ﷺ للذي علَّمه الصلاة: «اقرأ ما تيسَّر من القرآن»[٢].

- **الثانيةُ**: اختلف هل أوَّل الفاتحة على إضمار قولٍ؛ تعليمًا للعباد، أي: قولوا: الحمد لله؟ أو هو ابتداء كلام الله؟

ولا بدَّ من إضمار القول في: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ وما بعده.

- **الثالثة**: الحمد أعمُّ من الشكر؛ لأنَّ الشكر لا يكون إلَّا جزاءً على نعمةٍ، والحمد يكون جزاءً كالشكر، ويكون ثناءً ابتداءً.

كما أنَّ الشكر قد يكون أعمَّ من الحمد؛ لأن الحمد باللسان، والشكر باللسان والقلب والجوارح.

فإذا فهمت عموم الحمد: علمت أنَّ قولك: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ يقتضي:

الثناءَ عليه بما هو أهلُه من الجلال والعظمة والوحدانية والعزة والإفضال والعلم والقدرة والحكمة وغير ذلك من الصفات، ويتضمَّن معانيَ أسمائه الحسنى التسعة والتسعين.

ويقتضي شكرَه والثناء عليه بكل نعمة أعطى، ورحمة أَولى جميعَ خلقه في الآخرة والأُولى.

فيا لها من كلمةٍ جمعت ما تضيق عنه المجلدات، وتقف دون مداه عقول

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥٦)، ومسلم (٣٩٤).

(٢) أخرجه البخاري (٧٥٧)، ومسلم (٣٩٧).

الخلائق! ويكفيك أن الله جعلها أوَّل كتابه، وآخر دعوى أهل الجنة.

- **الرابعة**: الشكر باللسان: هو الثناء على المنعم والتحدُّث بالنعم، قال رسول الله: «التحدُّث بالنعم شكرٌ»[1].

والشكر بالجوارح: هو العمل بطاعة الله وترك معاصيه.

والشكر بالقلب: هو معرفة مقدار النعمة، والعلم بأنها من الله وحده، والعلم بأنها تفضُّلٌ، لا باستحقاق العبد.

★ واعلم أنَّ النعم التي يجب الشكر عليها لا تحصى، ولكنها تنحصر في ثلاثة أقسام:

[١] نعم دنياوية[2]، كالعافية والمال.

[٢] ونعم دينية، كالعلم، والتقوى.

[٣] ونعم أخراوية[3]، وهي جزاؤه بالثواب الكثير على العمل القليل في العمر القصير.

★ والناس في الشكر على مقامين:

منهم من يشكر على النعم الواصلة إليه خاصةً.

ومنهم من يشكر الله -عن جميع خلقه- على النعم الواصلة إلى جميعهم.

---

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ٢٤٢)، والبزار في مسنده (٨/ ٢٢٦).

(٢) في أ: «دنيوية».

(٣) في أ: «أخروية».

★ **والشكر على ثلاث درجات:**

فدرجة العوام: الشكر على النعم.

ودرجة الخواص: الشكر على النعم والنقم وعلى كل حال.

ودرجة خواص الخواص: أن يغيب عن النعمة بمشاهدة المنعِم.

قال رجل لإبراهيم بن أدهم: إن الفقراء إذا أُعطوا شكروا، وإذا مُنعوا صبروا، فقال إبراهيم: هذه أخلاق الكلاب؛ ولكن الفقراء(١) إذا مُنعوا شكروا، وإذا أُعطوا آثروا(٢)(٣).

---

(١) في أ، ب، ج، هـ: «القوم»، وفي هامش أ: «خ: الفقراء».

(٢) رواه بإسناده الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (١/ ٤٥٦) قال: «حدثنا محمد ابن عبد العزيز؛ قال: قال حذيفة المرعشي: قدم شقيق البلخي مكة وإبراهيم بن أدهم بمكة، فاجتمع الناس، فقالوا: نجمع بينهما. فجمعوا بينهما في المسجد الحرام، فقال إبراهيم بن أدهم لشقيق: يا شقيق! على ماذا أصّلتم أصولكم؟ فقال شقيق: أصلنا أصولنا على أنا إذا رزقنا أكلنا، وإذا منعنا صبرنا. فقال إبراهيم بن أدهم: هكذا كلاب بلخ، إذا رزقت أكلت وإذا منعت صبرت. فقال شقيق: فعلى ماذا أصلتم أصولكم يا أبا إسحاق؟ فقال: أصلنا أصولنا على أنا إذا رُزقنا آثرنا، وإذا مُنعنا حمدنا وشكرنا. قال: فقام شقيق وجلس بين يديه، وقال: يا أبا إسحاق! أنت أستاذنا»، ورواه أيضًا أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣٧).

(٣) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: «قوله: «الشكر على ثلاث درجات...» إلخ.. أقول: سلك المؤلف رحمه الله في تقسيم مراتب الشكر والتعبير عنها طريق الصوفية، وفي كلامه هذا عدة مآخذ:

الأول: قوله: إن الشكر على النعم درجة العوام، أقول: بل الشكر على النعم من شأن العوام والخواص من المؤمنين، وقد أثنى الله على إبراهيم عليه السلام فقال: ﴿شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ﴾ [النحل: ١٢١]، ولما ذكر الله ما أعطى سليمان عليه السلام من تسخير الجن والريح =

ومن فضيلة الشكر: أنه من صفات الحق، ومن صفات الخلق؛ فإنَّ من أسماء الله: الشاكر والشكور، وقد فسَّرتُهما في «اللغات»[(١)].

- **الخامسة**: قولنا: «الحمد لله رب العالمين» أفضل عند المحققين من: «لا إله إلَّا الله»؛ لوجهين:

أحدهما: ما خرَّجه النسائي عن رسول الله ﷺ: «من قال: لا إله إلَّا الله كتبت له عشرون حسنة، ومن قال: الحمد لله رب العالمين كتبت له ثلاثون حسنة»[(٢)].

= قال: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾ [سبأ: ١٣].

الثاني: زعمه أن درجة الخواص الشكرُ على النقم، أقول: هذا لا يصح، فإنه لم يأت في الكتاب ولا في السنة تعلق الشكر بالنقم، وإنما الذي ورد الحمد، فيقال: له الحمد على كل حال، وأما الشكر فمتعلَّقه النعم، وشواهد هذا في القرآن كثير.

الثالث: قوله في الدرجة الثالثة - وهي كما قال: - درجة خواص الخواص، وفسرها بأن يغيب عن النعمة بمشاهدة المنعم.

أقول: هذا من جنس ما تقدم في درجات الذكر عند المؤلف حيث جعل أعلى درجات الذكر الفناء، وهي أن يغيب بالله عن كل ما سوى الله، حتى عن نفسه. وتقدم أن مقام الفناء ليس بكمال بل هو نقص.

ولم يأت في الكتاب ولا في السنة مدحه، بل الرسول ﷺ - وهو أكمل الخلق ذكرًا وعبودية- لا يغيب وهو يصلي، بل يسمع بكاء الصبي فيتجوز في صلاته، وخير الهدي هدي محمد ﷺ.

الرابع: ذكره الحكاية عن إبراهيم بن أدهم، وفيها التحقير للشكر على النعم، وأنه أخلاق الكلاب، فهذا -على فرض ثبوته- قبيح».

(١) انظر: المادة (٥٤٠) في اللغات.

(٢) أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٨٤٠).

والثاني: أنَّ التوحيد الذي يقتضيه «لا إله إلَّا الله» حاصل في قولك: «رب العالمين»، وزادت بقولك: «الحمد لله»، وفيه من المعاني ما قدَّمنا.

وأما قوله ﷺ: «أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلَّا الله»[١]؛ فإنما ذلك للتوحيد الذي تقتضيه، وقد شاركتها «الحمد لله رب العالمين» في ذلك، وزادت عليها.

وهذا المؤمنُ[٢] يقولها لطلب الثواب، وأما لمن دخل في الإسلام فيتعيَّن عليه «لا إله إلَّا الله».

- **السادسة**: «الربُّ» وزنه: فَعِلٌ -بكسر العين- ثم أدغم.

ومعانيه أربعة: الإله، والسيد، والمالك، والمصلح؛ وكلها تصلح[٣] في ﴿رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾، إلَّا أن الأرجح: معنى الإله؛ لاختصاصه بالله تعالى.

كما أنَّ الأرجح في ﴿ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ أن يراد به: كل موجود سوى الله تعالى، فيعم جميع المخلوقات.

- **السابعة**: ﴿مَلِكِ﴾ قرأه[٤] الجماعة: بغير ألف؛ من المُلك.

وقرأ[٥] عاصم والكسائي: بالألف؛ والتقدير على هذا: مالكِ مجيءِ يومِ الدين.

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٦٢١).

(٢) في د: «للمؤمن»، وفي هـ: «لمؤمن».

(٣) في مغربي أ، د: «تصحُّ» وفي هامش أ: «خ: تصلح».

(٤) في ب، د: «قراءة».

(٥) في ج: «وقرأه»، وفي د: «وقراءة».

أو: مالك الأمرِ يومَ الدين.

وقراءة الجماعة أرجح من ثلاثة أوجه:

الأول: أنَّ المَلِك أعظم من المالك؛ إذ قد يوصف كلُّ أحد بالمالك لمالِه، وأما الملِك فهو سيِّد الناس.

والثاني: قوله: ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ [الأنعام: ٧٣].

والثالث: أنها لا تقتضي حذفًا، والأخرى تقتضيه؛ لأنَّ تقديرَها: مالك الأمرِ، أو مالك مجيءِ يومِ الدين، والحذف على خلاف الأصل.

وأمَّا قراءة الجماعة بإضافة ﴿مَلِكِ﴾ إلى ﴿يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ فهي على طريقة الاتساع، وإجراء[1] الظرف مجرى المفعول به، والمعنى على الظرفية؛ أي: المَلِك في يوم الدين.

ويجوز أن يكون المعنى: ملِك الأمورِ يومَ الدين؛ فيكون فيه حذفٌ.

وقد رويت القراءتان في الحديث عن رسول الله ﷺ[2].

وقد قرئ ﴿مَلِكِ﴾ بوجوه كثيرة إلَّا أنها شاذةٌ.

- الثامنة: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، و﴿مَلِكِ﴾: صفاتٌ.

فإن قيل: كيف جرَى ﴿مَلِكِ﴾ و﴿مَٰلِكِ﴾ صفةً للمعرفة، وإضافة اسم الفاعل غير محضة؟

---

(١) في أ، ج، هـ: «وأجرى»، وفي هامش أ: «خ: وإجراء».

(٢) أخرجه الترمذي (٢٩٢٧)، (٢٩٢٨).

فالجواب: أنها تكون غيرَ محضة إذا كان بمعنى الحال أو الاستقبال، وأما هذا فهو مستمر دائمٌ؛ فإضافته محضة.

- **التاسعة**: ﴿يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾: هو يوم القيامة.

ويصلح هنا من معاني الدين: الحساب، والجزاء، والقهر؛ ومنه: ﴿أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ [الصافات: ٥٣].

- **العاشرة**: ﴿إِيَّاكَ﴾ في الموضعين: مفعول بالفعل الذي بعده.

وإنما قُدِّم ليفيد الحصر؛ فإنَّ تقديم المعمولات يقتضي الحصر، فاقتضى قول العبد: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾: أن يعبد الله وحده، واقتضى قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ اعترافًا بالعجز والفقر، وأنه لا يستعين إلَّا بالله(١) وحده.

- **الحاديةُ عشرة**: ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾: أي نطلب العون منك على العبادة وعلى جميع أمورنا.

وفي هذا دليلٌ على بطلان قول القدرية والجبرية، وأنَّ الحق بين ذلك.

- **الثانيةُ عشرة**: ﴿ٱهۡدِنَا﴾: دعاءٌ بالهدى.

فإن قيل: كيف يطلب المؤمنون الهدى وهو حاصل لهم؟

فالجواب: أن ذلك طلبٌ للثبات عليه إلى الموت، أو(٢) الزيادةِ منه؛ فإنَّ الارتقاءَ في المقامات لا نهاية له.

- **الثالثةُ عشرة**: قدم الحمد والثناء على الدعاء؛ لأنَّ تلك السنة في

---

(١) في د: «الله».

(٢) في ج، د: «و».

الدعاء، وشأن الطلب أن يأتي بعد المدح، وذلك أقرب للإجابة.

وكذلك قدّم الرحمن على ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾؛ لأنَّ رحمة الله سبقت غضبه.

وكذلك قدّم ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ على ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ لأنَّ تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة.

- **الرابعة عشرة**: ذُكِر الله تعالى في أوَّل هذه السورة على طريق الغَيبة، ثم على الخطاب في ﴿إِيَّاكَ﴾ وما بعده، وذلك يسمى: الالتفات.

وفيه إشارة إلى أنَّ العبد إذا ذَكر الله تقرَّب منه فصار من أهل الحضور فناجاه.

- **الخامسة عشرة**: الصراطُ في اللغة: الطريق المحسوس الذي يُمشَى عليه.

ثم استعير للطريقة التي يكون الإنسان عليها من الخير أو الشر.

ومعنى ﴿ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾: القويم الذي لا عِوَجَ فيه.

فـ ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾: الإسلام.

وقيل: القرآن.

والمعنيان متقاربان؛ لأنَّ القرآن تضمَّن شرائع الإسلام، وكلاهما مرويٌّ عن النبي ﷺ[1].

---

(١) تفسير الصراط بالإسلام أخرجه أحمد في مسنده (١٧٦٣٤)، وتفسيره بالقرآن أخرجه الترمذي (٢٩٠٦)، كلاهما في ضمن حديث طويل.

وقرئ ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾: بالصاد، وبالسين، وبين الصاد والزاي.

وقد قيل: إنه قرئ بزاي خالصة.

والأصل فيه: السين، وإنما أُبدِل منها صادٌ؛ لموافقة الطاء في الاستعلاء والإطباق، وأما الزاي؛ فلموافقة الطاء في الجهر.

- **السادسة عشرة**: ﴿ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾:

قال ابن عباس: هم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون.

وقيل: المؤمنون.

وقيل: الصحابة.

وقيل: قوم موسى وعيسى قبل أن يغيِّروا.

والأول أرجح؛ لعمومه، ولقوله: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ﴾ [النساء: ٦٩].

- **السابعة عشرة**: إعراب ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ﴾: بدلٌ.

ويبعد النعت؛ لأنَّ إضافته غير محضة، وهو قد جرى على معرفة.

وقرئ بالنصب: على الاستثناء، أو الحال.

- **الثامنة عشرة**: أسند ﴿أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ إلى الله، والغضب إلى ما لم[1] يُسَمَّ فاعله على وجه التأدُّب؛ كقوله: ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠].

---

(١) في أ: «لما لم».

و﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ الأوَّل: في موضع نصب، والثاني: في موضع رفع.

- **التاسعة عشرة**: ﴿ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾: اليهود، و﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾: النصارى، قاله ابن عباس وابن مسعود وغيرهما، وقد روي ذلك عن النبي ﷺ(١).

وقيل: ذلك عامٌّ في كل مغضوب عليه، وكل ضالٍّ.

والأول أرجح؛ لأربعة أوجه:

[١] روايته عن النبي ﷺ.

[٢] وجلالة قائليه(٢).

[٣] وتكرار «لا» في قوله: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ دليلٌ على تغاير الطائفتين.

[٤] وأن الغضب صفة اليهود في مواضع من القرآن؛ كقوله: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍۚ﴾ [البقرة: ٩٠]، والضلال صفة النصارى؛ لاختلاف أقوالهم الفاسدة في عيسى بن مريم عليه السلام، ولقول الله فيهم: ﴿قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

- **الموفِّيةُ عشرين**: هذه السورة جمعت معانيَ القرآن كلِّه، فكأنها نسخةٌ مختصرة منه، فتأملْها بعد تحصيل «الباب الثالث» من «المقدِّمة الأولى» تعلمْ ذلك.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٩٥٤).

(٢) في أ، ب، د: «قائله».

فالإلهيات حاصلةٌ في قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

والدار الآخرة في قوله: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾.

والعبادات كلُّها من الاعتقادات والأحكام التي تقتضيها الأوامر والنواهي في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.

والشريعة كلها في قوله: ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾.

والأنبياء وغيرهم في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾.

وذِكْر طوائف الكفار في قوله: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾.

★ **خاتمةٌ**: أُمر بالتأمين عند خاتمة الفاتحة؛ للدعاء الذي فيها.

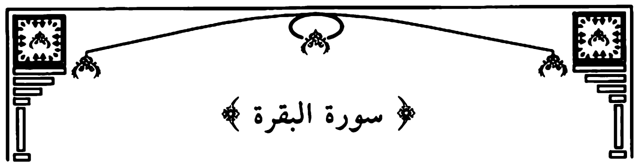
وقولك: «آمين»: اسم فعلٍ معناه: اللهمَّ استجب.

وقيل: هو من أسماء الله.

ويجوز فيه مدُّ الهمزة وقصرُها، ولا يجوز تشديد الميم.

ويؤمِّن في الصلاة: المأموم، والفذ، والإمام إذا أسرَّ، واختلف إذا جهر.





﴿ سورة البقرة ﴾

[﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾].

﴿الٓمٓ﴾ اختلف فيه وفي سائر حروف الهجاء في أوائل السور، وهي: ﴿الٓمٓصٓ﴾، و﴿الٓر﴾، و﴿الٓمٓر﴾، و﴿كٓهيعٓصٓ﴾، و﴿طه﴾، و﴿طسٓمٓ﴾، و﴿طسٓ﴾، و﴿يسٓ﴾، و﴿صٓ﴾، و﴿قٓ﴾، و﴿حمٓ﴾، و﴿عٓسٓقٓ﴾، و﴿نٓ﴾.

فقال قومٌ: لا تفسَّر؛ لأنها من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلَّا الله.

قال أبو بكر الصديق: «لله في كل كتاب سرٌّ، وسرُّه في القرآن فواتح السور»[1].

---

(١) لم أقف عليه مسندًا إلى أبي بكر ﷺ، ونسبه الثعلبي في تفسير «الكشف والبيان» (١/ ١٣٦) إلى أبي بكر أيضًا، وفي «الدر المنثور» (١/ ١٢٧): «وأخرج ابن المنذر وأبو الشيخ بن حيان في التفسير عن داود بن أبي هند قال: كنت أسأل الشعبي عن فواتح السور، فقال: يا داود إن لكل كتاب سرًا، وإن سر هذا القرآن فواتح السور، فدعْها وسلْ عما بدا لك».

وقال قوم: تفسَّر؛ ثم اختلفوا فيها:

فقيل: هي أسماء للسور.

وقيل: أسماء لله.

وقيل: أشياء[١] أقسم الله بها.

وقيل: هي حروف مقطَّعة من كلمات؛ فالألف من: «الله»، واللام من: «جبريل»، والميم من: «محمد» ﷺ، ومِثْل ذلك في سائرها.

وورد في الحديث: أن بني إسرائيل فهموا أنها تدلُّ بعدد حروف «أبي جاد» على السنين التي تبقَى هذه الأمةُ، وسمع النبي ﷺ منهم ذلك فلم ينكره[٢].

وقد جمع أبو القاسم السُّهيلي[٣] عددَها على ذلك، بعد أن أسقط المكرَّر، فبلغت تسعَ مئة وثلاثةً[٤].

وإعراب هذه الحروف: يختلف بالاختلاف في معناها[٥]:

فيُتصوَّر أن تكون في موضع رفع، أو نصب، أو خفض.

---

(١) في بْ، ج، هـ: «أسماء».

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٢٢٠).

(٣) هو أبو القاسم وأبو زيد، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي الأندلسي المالَقي السهيلي المالكي، صاحب كتاب «الروض الأُنُف» في شرح سيرة ابن هشام وغيره من التصانيف، توفي سنة (٥٨١هـ). انظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان (٣/ ١٤٣)، والديباج المذهب، لابن فرحون (١/ ٤٨٠).

(٤) انظر: الروض الأنف (٤/ ٤٢٠).

(٥) في د: «معانيها».

فالرفع: على أنها مبتدأ، أو خبر ابتداء مضمر.

والنصب: على أنها مفعولةٌ بفعل مضمر.

والخفض: على قول من جعلها مُقسَمًا بها؛ كقولك: «اللهِ لأفعلنَّ».

وإنما سُكِّنت لأنها لم يدخل عليها عاملٌ يقتضي حركةً؛ فسكونُها للوقف، لا للبناء، كقولك في العدد: «واحدْ، اثنانْ».

﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ هو هنا: القرآن.

وقيل: التوراة والإنجيل.

وقيل: اللوح المحفوظ.

والأول هو الصحيح الذي يدلُّ عليه سياق الكلام، ويشهد[1] له مواضع من القرآن المقصودُ فيها إثبات أن القرآن من عند الله؛ كقوله: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [السجدة: ٢] يعني: القرآن باتفاق.

وخبر ﴿ذَٰلِكَ﴾: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾.

وقيل: خبره ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾؛ فعلى هذا: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ جملة مستقلَّة؛ فيوقف عليها.

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي: لا شكَّ أنه من عند الله؛ في نفس الأمر، وفي اعتقاد أهل الحق. ولم يعتبر اعتقاد أهل الباطل.

﴿فِيهِ﴾ خبر ﴿لَا﴾[2]؛ فيوقف عليه.

---

(١) في ج، د: «وتشهد».

(٢) في ب، د: «وخبر ﴿لَا﴾: ﴿فِيهِ﴾».

وقيل: خبرها محذوف؛ فيوقف على: ﴿لَا رَيْبَ﴾.

والأول أرجح؛ لتعيُّنه في قوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ في مواضع أُخَر.

فإن قيل: فهلَّا قدَّم قوله: ﴿فِيهِ﴾ على الريب كقوله: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ [الصافات: ٤٧]؟

فالجواب: أنه إنما قصد نفيَ الريب عنه، ولو قدَّم ﴿فِيهِ﴾ لكان إشارةً إلى أن ثمَّ كتابًا آخر فيه ريبٌ، كما أن ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ إشارة إلى أن خمر الدنيا فيها غول، وهذا المعنى يبعد قصده؛ فلم يقدِّم الخبر[1].

﴿هُدًى﴾ هنا بمعنى: الإرشاد؛ لتخصيصه بالمتقين.

ولو كان بمعنى البيان لعمَّ؛ كقوله: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وإعرابه:

خبر ابتداءٍ.

أو مبتدأٌ، وخبره: ﴿فِيهِ﴾ عند من يقف[2]: ﴿لَا رَيْبَ﴾.

أو منصوب على الحال، والعامل فيه الإشارة.

﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ مُفتعِلين؛ من التقوى، وقد تقدَّم معناه في «اللغات»[3].

---

(١) انظر: الكشاف للزمخشري (٢/ ٥٥).

(٢) في هامش هـ زيادة: «على».

(٣) انظر المادة (٩٥) في اللغات.

★ نتكلَّم في(١) التقوى في ثلاثة فصول:

- **الأوَّل**: في فضائله المستنبطة من القرآن، وهي خمس عشرة:

[١] الهدى؛ لقوله: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢].

[٢] والنُّصرة؛ لقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾ [النحل: ١٢٨].

[٣] والوَلاية؛ لقوله: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٩].

[٤] والمحبة؛ لقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٦].

[٥] والمعرفة؛ لقوله: ﴿إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩].

[٦] والمخرج من الغمِّ.

[٧] والرزق من حيث لا يحتسب؛ لقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ الآيةَ [الطلاق: ٢].

[٨] وتيسير الأمور؛ لقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤].

[٩] وغُفران الذنوب.

[١٠] وإعظام الأجور؛ لقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ [الطلاق: ٥].

[١١] وتقبُّل الأعمال؛ لقوله: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

[١٢] والفلاح؛ لقوله: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١٨٩].

---

(١) في د، وهامش أ: «على».

[١٣] والبشرى؛ لقوله: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٤].

[١٤] ودخول الجنة؛ لقوله: ﴿لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [القلم: ٣٤].

[١٥] والنجاة من النار؛ لقوله: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾ [مريم: ٧٢].

- **الفصل الثاني**: البواعث على التقوى(١) عشرةٌ:

[١] خوف العقاب الأخراوي.

[٢] وخوف العقاب الدنياوي.

[٣] ورجاء الثواب الدنيوي.

[٤] ورجاء الثواب الأخروي.

[٥] وخوف الحساب.

[٦] والحياء من نظر الله، وهو مقام المراقبة.

[٧] والشُّكر على نعمه بطاعته.

[٨] والعلم؛ لقوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

[٩] وتعظيم جلال الله، وهو مقام الهيبة.

[١٠] وصدق المحبة فيه؛ لقول القائل:

تعصي الإلهَ وأنت تُظهِرُ حبَّه! هذا محالٌ في القياس بديعُ

---

(١) في ب، د زيادة: «وهي».

لو كان حبُّك صادقًا لأطعته إنَّ المحبَّ لمن يحبُّ مُطيعُ[١]

ولله درُّ القائل:

قالتْ -وقد سألتْ عن حال عاشقِها-: بالله صِفْهُ ولا تَنقُص ولا تَزِدِ

فقلتُ: لو كان رهْنَ الموت من ظمإٍ وقلتِ: قفْ عن وُرود الماءِ: لم يَرِدِ[٢]

- **الفصل الثالث:** درجات التقوى خمسٌ:

[١] أن يتَّقيَ العبد الكفر، وذلك مقام الإسلام.

[٢] وأن يتقي المعاصي والمحرَّمات، وهو مقام التوبة.

[٣] وأن يتقي الشبهات، وهو مقام الورع.

[٤] وأن يتقي المباحات، وهو مقام الزهد.

[٥] وأن يتقي حضور غير الله على قلبه، وهو مقام المشاهدة.

---

(١) البيتان لعبد الله بن المبارك، أوردهما ابن عساكر بإسناده في «تاريخ دمشق» (٣٢/ ٤٦٩)، وانظر: ديوان ابن المبارك، جمع وتحقيق ودراسة: د. مجاهد مصطفى بهجت.

(٢) البيتان لأبي القاسم أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم طباطبا الحسني الرسّي المصري، كما في يتيمة الدهر لأبي منصور الثعالبي (١/ ٤٩٨)، ووفيات الأعيان (١/ ١٢٩)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٧/ ٨١٧)، ولفظ البيتين هكذا في المصادر:

قالتْ لِطيفِ خيالٍ زارني ومضى بالله صِفْهُ ولا تَنقُص ولا تَزِدِ

فقال: أبصرتُه لو مات من ظمإٍ وقلتِ: قفْ عن وُرود الماءِ: لم يَرِدِ

ونُسب أيضًا إلى أبي المطاع ذي القرنين ابن ناصر الدولة كما في يتيمة الدهر (١/ ١١٨)، قال الذهبي: «ولم يصح».

﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ فيه قولان:

يؤمنون بالأمور المغيَّبات، كالآخرة وغيرها؛ فالغيب -على هذا-: بمعنى الغائب؛ إمَّا:

تسميةً بالمصدر، كعدْلٍ.

وإما تخفيفًا من فَعْيل؛ كمَيْت.

والآخر: يؤمنون في حال غيبتهم، أي: باطنًا وظاهرًا.

و﴿بِٱلۡغَيۡبِ﴾:

على القول الأوَّل: يتعلق بـ ﴿يُؤۡمِنُونَ﴾.

وعلى الثاني: في موضع الحال.

ويجوز في ﴿ٱلَّذِينَ﴾ أن يكون:

خفضًا على النعت.

أو نصبًا على إضمار فعل.

أو رفعًا على أنه خبر ابتداء.

﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ إقامتُها: عملها؛ من قولك: «قامت السوق»، وشبه ذلك.

والكمال: المحافظة عليها في أوقاتها، بالإخلاص لله في فعلها، وتوفية شروطها، وأركانها، وسننها، وفضائلها، وحضور القلب، والخشوع فيها، وملازمة الجماعة في الفرائض، والإكثار من النوافل.

﴿يُنفِقُونَ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

الزكاة؛ لاقترانها مع الصلاة.

والثاني: أنه التطوُّع.

والثالث: العموم، وهو الأرجح؛ لأنه لا دليل على التخصيص.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ اختُلِف:

هل هم المذكورون قبلُ؛ فيكون[١] من عطف الصفات؟

أو هم غيرهم -وهم مَن أسلم من أهل الكتاب-؛ فيكون عطفًا للمغايرة؟

أو مبتدأ، وخبره: الجملة بعده؟

﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾: القرآن.

﴿ومَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾: التوراة، والإنجيل، وغيرهما من كتب الله ﷻ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الآيةُ فيمن سبَق القدر أنه لا يؤمن، كأبي جهل.

فإن كان ﴿ٱلَّذِينَ﴾ للجنس: فلفظها عامٌّ يراد به الخصوص.

وإن كان للعهد: فهو إشارةٌ إلى قوم بأعيانهم، وقد اختلف فيهم:

فقيل: المراد من قُتِل ببدر من كفار قريش.

وقيل: المراد حُيَيُّ بن أخطب وكعب بن الأشرف اليهوديَّان.

﴿سَوَآءٌ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾، و﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ فاعلٌ به؛ لأنه في تقدير المصدر.

---

(١) في أ زيادة: «قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾» ورمز لها أعلى السطر: «خ».

أو ﴿سَوَآءٌ﴾ مبتدأ، و﴿ءَأَنذَرۡتَهُمۡ﴾ خبره.

أو العكس؛ وهو أحسن.

و﴿لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ على هذه الوجوه:

استئنافٌ للبيان، أو للتأكيد.

أو خبرٌ بعد خبر.

أو تكون الجملة اعتراضًا، و﴿لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ الخبر.

والهمزة في ﴿ءَأَنذَرۡتَهُمۡ﴾ لمعنى التسوية، قد انسلخت من معنى الاستفهام.

﴿خَتَمَ﴾ الآيةُ تعليلٌ لعدم إيمانهم، وهو عبارةٌ عن إضلالهم؛ فهو مجاز.

وقيل: حقيقةٌ، وأن القلب كالكفّ، يُقبَض مع زيادة الضلال إِصبَعًا إصبعًا حتى يختم عليه.

والأوَّل أبرع.

﴿وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡ﴾ معطوفٌ على ﴿قُلُوبِهِمۡ﴾؛ فيوقف عليه.

وقيل: الوقف على ﴿قُلُوبِهِمۡ﴾، والسمع راجع إلى ما بعده.

والأول أرجح؛ لقوله: ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ﴾ [الجاثية: ٢٣].

﴿غِشَٰوَةٌ﴾ مجازٌ باتّفاق.

وفيه دليلٌ على وقوع المجاز في القرآن، خلافًا لمن منَعه.

ووحَّد السمع؛ لأنه مصدر في الأصل، والمصادر لا تجمع.

[﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾].

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ أصل الناس: أُناسٌ؛ لأنه مشتقٌّ من الأُنس، وهو اسم جمع، وحذفت الهمزة مع لام التعريف تخفيفًا.

﴿مَن يَقُولُ﴾ إن كانت اللام في ﴿ٱلنَّاسِ﴾:

للجنس: فـ﴿مَن﴾ موصوفةٌ.

وإن جعلتَها للعهد: فـ﴿مَن﴾ موصولةٌ.

وأُفرد الضمير في ﴿يَقُولُ﴾ رَعْيًا للفظ: ﴿مَن﴾.

﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ هم المنافقون، وكانوا جماعة من الأوس والخزرج، رأسهم: عبد الله بن أبيّ بن سلول، يظهرون الإسلام ويسرُّون الكفر.

ويسمَّى الآن من كان كذلك: زِنديقًا.

وهم في الآخرة: مخلَّدون في النار.

وأما في الدنيا:

فإن لم تقم عليهم بينةٌ: فحكمهم كالمسلمين في دمائهم وأموالهم.

وإن شهد على معتقدهم شاهدان عدلان:

فمذهب مالك: القتل، دون الاستتابة.

ومذهب الشافعي: الاستتابة وترك القتل.

فإن قيل: كيف جاء قولهم ﴿ءَامَنَّا﴾ جملةً فعلية، و﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ جملةً اسمية؛ فهلَّا طابقتها؟

فالجواب: أن قوله: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ أبلغ وأوكد في نفي الإيمان عنهم مِن أن لو قال: «وما آمنوا»[1].

فإن قيل: لم جاء قولهم: ﴿ءَامَنَّا﴾ مقيَّدًا بالله واليوم الآخر، و﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ مطلقًا؟

فالجواب: أنه يحتمل وجهين:

التقييد؛ وتَركَه[2] لدلالة الأوَّل عليه.

---

(١) انظر: الكشاف (٢/ ١٥٧).

(٢) في ج، هـ: «وتُرِك».

والإطلاق، وهو أعمُّ في سلْبهم عن الإيمان[١].

﴿يُخَٰدِعُونَ﴾ أي: يفعلون فعل المخادع، ويرومون الخَدْعَ بإظهار خلاف ما يسرُّون.

وقيل: معناه يخادعون رسولَ الله ﷺ.

والأول أظهر.

﴿وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ أي: وبالُ فعلهم راجعٌ عليهم.

وقرئ: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾ - بفتح الياء من غير ألف -: مِن خَدَع، وهو أبلغ في المعنى؛ لأنه يقال: خادع: إذا رام الخداع، وخدع: إذا تمَّ له.

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ حُذف معموله[٢]، أي: لا يشعرون أنهم يخدعون أنفسهم.

﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ يَحتمِلُ:

أن يكون حقيقةً؛ وهو الألم الذي يجدونه من الخوف وغيره.

وأن يكون مجازًا؛ بمعنى الشكِّ، أو الحسد.

﴿فَزَادَهُمُ﴾ يَحتمل: الدعاءَ والخبر.

﴿يُكَذِّبُونَ﴾ -بالتشديد- أي: يكذِّبون الرسولَ ﷺ.

وقرئ بالتخفيف؛ أي: يَكْذِبون في قولهم: آمنا.

---

(١) انظر: الكشاف (٢/ ١٥٩).

(٢) في ب، د: «مفعوله».

﴿لَا تُفۡسِدُواْ﴾ أي: بالكفر والنميمة وإيقاع الشرِّ وغير ذلك.

﴿إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ﴾ يَحتمل:

أن يكون جحودًا للكفر؛ لقولهم: ﴿ءَامَنَّا﴾.

أو اعتقادًا أنهم على إصلاح.

﴿كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ أصحاب النبيِّ ﷺ.

والكاف يَحتمل: أن تكون للتشبيه، أو التعليل.

و﴿مَآ﴾ يَحتمل:

أن تكون كافَّةً مُهيِّئةً[1]؛ كما هي في «ربما».

وأن تكون مصدريةً.

﴿أَنُؤۡمِنُ﴾ إنكارٌ منهم وتقبيحٌ.

﴿هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ ردٌّ عليهم، وإناطةٌ للسَّفه بهم.

وكذلك: ﴿هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ﴾.

وجاء بالألف واللام؛ ليفيد حصْر السفه والفساد فيهم، وأكَّده بـ «إنَّ» وبـ«ألَا» التي تقتضي الاستئنافَ وتنبيهَ المخاطَب.

﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ كذَبوا؛ خوفًا من المؤمنين.

﴿خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ﴾ هم: رؤساء الكفَّار[2].

---

(١) هذه الكلمة سقطت من ب، ج، هـ.

(٢) في ب، ج، هـ: «الكفر»، وكذا في هامش أ ورمز له بـ «خ».

وقيل: شياطين الجن، وهو بعيد.

وتعدَّى «خلا» بـ«إلى»؛ لأنه ضُمِّن معنى: مشوا، أو ذهبوا، أو ركنوا.

وقيل: «إلى» بمعنى «مع»، أو بمعنى الباء.

وجاء قولهم: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ بجملة اسمية؛ مبالغةً وتأكيدًا بخلاف قولهم: ﴿ءَامَنَّا﴾؛ فإنه جاء بالفعل؛ لضعف إيمانهم.

﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

تسميةُ العقوبة باسم الذنب؛ كقوله: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤].

وقيل: يُملي لهم؛ بدليل قوله: ﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾.

وقيل: يفعل بهم في الآخرة ما يَظهر لهم أنه استهزاءٌ بهم؛ كما جاء في سورة «الحديد»: ﴿ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾ الآيةَ [الحديد: ١٣][(١)].

﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾: يَزيدهم.

وقيل: يُملي لهم.

وقد ذُكِر ﴿يَعْمَهُونَ﴾[(٢)].

﴿ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾ عبارةٌ عن تركهم الهدى مع تمكُّنهم منه، ووقوعهم في الضلالة؛ فهو مجاز بديع.

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: «لا إشكال فيما ذكر المؤلف من الوجوه؛ فلكل منها وجهٌ. وأقربها الثاني والثالث؛ فإن في كل منهما استهزاءً بالفعل».

(٢) انظر المادة (٣٩٢) في اللغات.

﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾ ترشيحٌ للمجاز؛ لمَّا ذكَر الشراءَ ذكَر ما يتبعه من الربح والخسران.

وإسناد عدم الربح إلى التجارة مجازٌ -أيضًا-؛ لأن الرابح أو الخاسر هو التاجر.

﴿وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ في هذا الشراء، أو على الإطلاق.

قال الزمخشري: نفَى الرِّبحَ في قوله: ﴿فَمَا رَبِحَت﴾، ونفى سلامة رأس المال في قوله: ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾[1].

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ﴾ إن كان المثَل -هنا- بمعنى: حالُهم وصفتهم: فالكاف للتشبيه.

وإن كان المثَل بمعنى: الشبه: فالكاف زائدة.

﴿ٱسْتَوْقَدَ﴾ أي: أوقد.

وقيل: طلَب الوقود؛ على الأصل في «استفعل».

﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ﴾ إن تعدَّى: فـ﴿مَا حَوْلَهُۥ﴾ مفعولٌ به.

وإن لم يتعدَّ: فـ﴿مَا﴾ زائدة، أو ظرفية.

﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ أي: أذهبه، وهذه الجملة جواب ﴿لَمَّا﴾؛ فالضمير في ﴿بِنُورِهِمْ﴾ عائدٌ على ﴿ٱلَّذِى﴾؛ وهو على هذا بمعنى: «الذين»، وحذْفُ النون منه لغةٌ.

---

(١) انظر: الكشاف (٢/ ٢٢٠).

وقيل: جواب ﴿لَمَّا﴾ محذوفٌ تقديره: طَفِئت النار؛ و﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾: جملةٌ مستأنَفةٌ، والضمير عائد على المنافقين؛ فعلى هذا يكون ﴿ٱلَّذِى﴾ على بابه من الإفراد.

(والأول أرجح)[١]، والأرجح: أنه إنَّما أُعيد عليه ضمير الجماعة؛ لأنه لم يُقصَد بالذي: واحدٌ بعينه، إنما المقصود التشبيه بمن استوقد نارًا، سواء كان واحدًا أو جماعة، ثم أُعيد الضمير بالجمع ليطابق المشبَّه؛ لأنهم جماعة.

فإن قيل: ما وجه تشبيه المنافقين بصاحب النار التي أضاءت ثم أظلمت؟

فالجواب: من ثلاثة أوجه[٢]:

أحدها: أنَّ منفعتهم في الدنيا -بدعوى الإيمان- شبيهٌ بالنور، وعذابهم في الآخرة شبيه بالظلمة بعده.

والثاني: أنَّ اختفاءَ كفرهم كالنور، وفضيحتهم بعدَه كالظلمة.

والثالث: أنَّ ذلك فيمن آمن منهم ثم كفر، فإيمانه نورٌ، وكفره بعده ظلمة.

ويرجِّح هذا قولُه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾ [المنافقون: ٣].

فإن قيل: لم قال: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ ولم يقل: «ذهب الله بضوئهم»؛ مشاكلةً لقوله: ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ﴾؟

---

(١) زيادة من ب، د.

(٢) انظر: المحرر الوجيز (١/ ١٣٤)؛ والكشاف (٢/ ٢٤٢).

فالجواب: أنَّ ذهاب[١] النور أبلغ؛ لأنه إذهابٌ للقليل والكثير، بخلاف الضوء؛ فإنما[٢] يَنطلِقُ[٣] على الكثير.

﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾ يَحتمل أن يراد به: المنافقون، أو المستوقِدون المشبَّهُ بهم.

وهذه الأوصاف مجازٌ، عبارةٌ عن عدم انتفاعهم بسمعهم وأبصارهم وكلامهم، وليس المراد فقدَ الحواسِّ.

﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ إن أريد به المنافقون فمعناه: لا يرجعون إلى الهدى.

وإن أريد به أصحاب النار فمعناه: أنهم متحيِّرون في الظلمة، لا يَبرَحُون[٤]، ولا يهتدون إلى الطريق.

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾ عطف على: ﴿ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ﴾، والتقدير: أو كصاحبِ صيِّبٍ.

و﴿أَوْ﴾ للتنويع؛ لأنَّ هذا مثل آخر ضربه الله للمنافقين.

والصيب: المطر، وأصله: صَيْوِب، ووزنه فَيْعِل، وهو مشتق من قولك: صاب يصوب.

وفي قوله: ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ إشارةٌ إلى قوَّته وشدَّة انصبابه.

---

(١) في هامش أ: «خ: إذهاب».

(٢) في ج، د، هـ: «فإنه».

(٣) في ب: «يطلق».

(٤) في ج، د: «لا يرجعون».

قال ابن مسعود: إنَّ رجلين من المنافقين هربَا إلى المشركين، فأصابهما هذا المطر وأيقنَا بالهلاك، فعزما على الإيمان، ورجعا إلى النبي ﷺ وحسن إسلامهما، فضرب الله ما نزل بهما مثلًا للمنافقين.

وقيل: المعنى: تشبيهُ المنافقين في حَيرتهم في الدين وفي خوفهم على أنفسهم: بمن أصابه مطر فيه ظلمات ورعد وبرق، فضَلَّ عن الطريق وخاف الهلاك على نفسه؛ وهذا التشبيه على الجملة.

وقيل: إنَّ التشبيه على التفصيل؛ فالمطر: مَثَلٌ للقرآن أو الإسلام، والظلمات: مثل لما فيه من الإشكال على المنافقين، والرعد: مثل لما فيه من الوعيد والزجر لهم، والبرق: مثل لما فيه من البراهين الواضحة.

فإن قيل: لم قال: ﴿وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ بالإفراد، ولم يجمعه كما جمع ﴿ظُلُمَٰتٌ﴾؟

فالجواب: أنَّ الرعد والبرق مصدران، والمصدر لا يجمع.

ويحتمل أن يكونا اسمين، وترك جمعهما لأنهما في الأصل مصدران[1].

﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ﴾ أي: من أجل الصواعق.

قال ابن مسعود: كانوا يجعلون أصابعهم في آذانهم؛ لئلا يسمعوا القرآن في مجلس النبي ﷺ.

فهو -على هذا- حقيقةٌ في المنافقين.

---

(١) انظر: الكشاف (٢/ ٢٦٩).

والصواعق على هذا: ما يكرهون من القرآن، والموت: هو ما يتخوَّفونه؛ فهما مجازان.

وقيل: إنه راجعٌ لأصحاب المطر المشبَّه بهم، فهو حقيقة فيهم.

والصواعق على هذا حقيقة، وهي التي تكون مع المطر من شدَّة الرعد، ونزولِ قطعة نار، والموت -أيضًا- حقيقة.

وقيل: إنه راجعٌ للمنافقين على وجه التشبيه لهم في خوفهم بمن جعل أصابعه في أُذُنه[١] من شدة الخوف من المطر والرعد.

فإن قيل: لم قال: ﴿أَصَٰبِعَهُمْ﴾ ولم يقل: «أناملهم»؛ والأنامل هي التي تجعل في الآذان؟

فالجواب: أنَّ ذكر الأصابع أبلغ؛ لأنها أعظم من الأنامل؛ ولذلك جمَعها، مع أن الذي يجعل في الآذان السبابة خاصة[٢].

﴿وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي لا يفوتونه، بل هم تحت قهره، وهو قادر على عقابهم.

﴿يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ إن رجع الضمير إلى أصحاب المطر -وهم الذين شَبه بهم المنافقين-: فهو بيِّن المعنى.

وإن رجع إلى المنافقين: فهو تشبيه بمن أصابه البرق على وجهين:

أحدهما: تكاد براهين القرآن تلوح لهم كما يُضيءُ البرق؛ وهذا مناسبٌ

---

(١) في أ: «آذانه».

(٢) انظر: الكشاف (٢/ ٢٧١).

لتمثيل البراهين بالبرق حسَبما تقدَّم.

والآخر: يكاد زجر القرآن ووعيده يأخذهم كما يكاد البرق يخطف أبصار أصحاب المطر المشبَّه بهم.

﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ﴾ إن رجع إلى أصحاب المطر فالمعنى: أنهم يمشون بضوء البرق إذا لاح لهم.

وإن رجع إلى المنافقين فالمعنى: أنه[١] يلوح لهم من الحق ما يَقرُبون به من الإيمان.

﴿وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ﴾ إن رجع إلى أصحاب المطر فالمعنى: أنهم إذا زال عنهم الضوء وقفوا متحيِّرين لا يعرفون الطريق.

وإن رجع إلى المنافقين فالمعنى:

أنه إذا ذهب عنهم ما لاح لهم من الإيمان: ثبتوا على كفرهم.

وقيل: إنَّ المعنى: كلما صلحت أحوالهم في الدنيا قالوا: هذا دين مبارك؛ فهذا مثَل الضوء، وإذا أصابتهم شدَّةٌ أو مصيبة عابوا الدين وسخطوه؛ فهذا مثَل الظلمة.

فإن قيل: لم قال مع الإضاءة: ﴿كُلَّمَآ﴾، ومع الإظلام: ﴿وَإِذَآ﴾؟

فالجواب: أنَّهم لما كانوا حِراصًا على المشي: ذكر معه ﴿كُلَّمَآ﴾؛ لأنها تقتضي التكرار والكثرة[٢].

---

(١) في أ: «أنهم» وفي الهامش: «خ: أنه».

(٢) انظر: الكشاف (٢/ ٢٧٨).

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ الآيةَ: إن رجع إلى أصحاب المطر فالمعنى: لو شاء الله لأذهب سمعهم بالرعد، وأبصارهم بالبرق.

وإن رجع إلى المنافقين فالمعنى: لو شاء الله لأوقع بهم العذاب والفضيحة؛ وجاءت العبارة عن ذلك بإذهاب سمعهم وأبصارهم.

والباء للتعدية؛ كما هي في قوله تعالى: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾.

[﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٣ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ٢٤ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥ ۞إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٢٧ كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٨ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ الآيةَ: لما قدَّم اختلاف الناس في الدين، وذكر ثلاث طوائف: المؤمنين، والكافرين، والمنافقين= أتْبع ذلك بدعوة الخلق إلى عبادة الله.

وجاءت الدعوةُ عامةً لجميع الناس؛ لأن النبي ﷺ بعث إلى جميع الناس.

﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ يدخل فيه: الإيمانُ به سبحانه، وتوحيده، وطاعته.

فالأمر بالإيمان به: لمن كان جاحدًا.

والأمر بالتوحيد: لمن كان مشركًا.

والأمر بالطاعة: لمن كان مؤمنًا.

﴿لَعَلَّكُمۡ﴾ يتعلق:

بـ ﴿خَلَقَكُمۡ﴾؛ أي خلقكم لتتقوه؛ كقوله: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦].

أو بفعل مقدَّر من معنى الكلام أي: دعوتُكم إلى عبادة الله؛ لعلكم تتقون؛ وهذا أحسن.

وقيل: يتعلق بقوله: ﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾؛ وهذا ضعيف.

وإن كانت «لعل» للترجي فتأويله: أنه في حق المخلوقين؛ جريًا على عادة كلام العرب.

وإن كانت للمقاربة أو التعليل: فلا إشكال.

والأظهر فيها: أنها لمقاربة الأمر؛ نحو: «عسى»؛ فإذا قالها الله فمعناها: إطماع العباد، وهكذا القول فيها حيثما وردت في كلام الله تعالى.

﴿ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا﴾ تمثيلٌ؛ لمَّا كانوا يقعدون وينامون عليها كالفِراش؛ فهو مجاز.

وكذلك ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ﴾.

﴿مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ : «من»: للتبعيض، أو لبيان الجنس؛ لأن الثمر هو المأكول من الفواكه وغيرها.

والباء في ﴿بِهِۦ﴾ : سببيةٌ، أو كقولك: «كتبت بالقلم»؛ لأنَّ الماء سببٌ في خروج الثمرات بقدرة الله تعالى.

﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟﴾ : «لا»:

ناهية.

أو نافية؛ وانتصب الفعل بإضمار «أن» بعد الفاء في جواب ﴿ٱعْبُدُوا۟﴾.

والأول أظهر.

﴿أَندَادًا﴾ يراد به هنا: الشركاء المعبودون مع الله جلَّ وعلا.

﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ حُذِف مفعوله مبالغةً وبلاغةً؛ أي: وأنتم تعلمون وَحدانيته بما ذكر لكم من البراهين.

وفي ذلك بيان لقبح كفرهم بعد معرفتهم بالحق.

ويتعلَّق قوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟﴾ بما تقدَّم من البراهين.

ويحتمل أن يتعلَّق بقوله: ﴿ٱعْبُدُوا۟﴾.

والأول أظهر.

★ **فوائد ثلاث:**

الأولى: هذه الآية تضمَّنت دعوةَ الخلق إلى عبادة الله بطريقين:

أحدهما: إقامة البراهين بخِلقتهم وخلقة السموات والأرض والمطر والثمرات.

والآخر: ملاطفةٌ جميلة بذكر ما لله عليهم من الحقوق ومن الإنعام، فذكر أوَّلاً ربوبيته لهم، ثم ذكر خلقته لهم وآبائهم؛ لأن الخالق يستحقُّ أن يعبد، ثم ذكر ما أنعم به عليهم من جعل الأرض فراشًا والسماءِ بناءً، ومن إنزال المطر، وإخراج الثمرات؛ لأنَّ المنعم يستحق أن يعبد ويشكر، وانظرْ قوله: ﴿جَعَلَ لَكُمُ﴾، و﴿رِزْقًا لَّكُمْ﴾ يدلُّك على ذلك؛ لتخصيصه ذلك بهم؛ فما أجملها من ملاطفةٍ وخطاب بديع!.

الثانية: المقصود الأعظم من هذه الآية: الأمر بتوحيد الله وترك ما عبد من دونه؛ لقوله في آخرها: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾، وذلك هو الذي يُترجَم عنه بقولنا: «لا إله إلَّا الله»؛ فيقتضي ذلك: الأمرَ بالدخول في دين الإسلام الذي قاعدته التوحيد، وقول «لا إله إلَّا الله».

الثالثة: تكرَّر في القرآن ذكر المخلوقات، والتنبيه على الاعتبار في الأرض والسموات والحيوان والنبات والرياح والأمطار والشمس والقمر والليل والنهار؛ وذلك أنها تدلُّ بالعقل على عشرة أمور؛ وهي:

[١] أن الله موجود؛ لأنَّ الصنعة دليل على الصانع لا محالة.

[٢] وأنه واحدٌ لا شريك له؛ لأنه لا خالق إلَّا هو[1]، ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ [النحل: ١٧].

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: (لأنه لا خالق إلَّا هو) توجيه لدلالة المخلوقات على أنه واحد؛ وهذا ليس بجيِّد في صياغة الاستدلال؛ لأنه تعليل للشيء بنفسه؛ فكأنه قال: دلت على أنه واحد؛ لأنه واحد. ولا يخفى ما فيه.

[٣-٦] وأنه حيٌّ، قدير، عالم[١]، مُريد؛ لأنَّ هذه الصفاتِ الأربعَ من شروط الصانع؛ إذ لا تصدر صنعة عمَّن عَدِم صفةً منها.

[٧] وأنه قديم؛ لأنه صانع للمحدثات، فيستحيل أن يكون مثلها في الحدوث.

[٨] وأنه باقٍ؛ لأن ما[٢] ثبت قِدَمُه استحال عَدمه.

[٩] وأنه حكيم؛ لأن آثار حكمته ظاهرة في إتقانه للمخلوقات، وتدبيره للملكوت.

[١٠] وأنه رحيم؛ لأن في كل ما خلق منافعَ لبني آدم، سخر لهم ما في السموات وما في الأرض.

وأكثر ما يأتي ذكر المخلوقات في القرآن في معرض الاستدلال على: وجوده تعالى، أو على وَحدانيته[٣].

---

(١) في أ: «عليم».

(٢) في ب، د: «من».

(٣) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: (وأكثر ما يأتي ذكر المخلوقات في القرآن في معرض الاستدلال على وجوده تعالى، أو على وحدانيته)، أقول: في هذا نظر؛ فإن المخاطَبين ليسوا جاحدين لوجود الله؛ بل مشركين في العبادة؛ فالمقصود الأول من ذكر المخلوقات الاستدلالُ بها على توحيد الإلهية، وهم يقرون بأنه الخالق لهذه المخلوقات، فاحتُجَّ عليهم بما أقروا به على ما أنكروه من توحيد الإلهية، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾، ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾، ولما قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ أتبع ذلك بقوله: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ =

فإن قيل: لم قصَر الخطاب بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ على المخاطَبين دون الذين مِن قبلهم، مع أنه أمر الجميع بالتقوى؟

فالجواب: أنه لم يَقصرْه عليهم في المعنى، ولكنه غلَّب المخاطبين على الغائبين في اللفظ، والمراد الجميع[١].

فإن قيل: هلَّا قال: «لعلكم تعبدون»؛ مناسبةً لقوله: ﴿اعْبُدُوا﴾؟

فالجواب: أنَّ التقوى غايةُ العبادة وكمالها؛ فكان قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أبلغَ وأوقع في النفوس[٢].

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ الآية إثباتٌ لنبوَّة محمد ﷺ؛ بإقامة الدليل على أنَّ القرآن الذي جاء به من عند الله.

فلما قدَّم إثبات الإلهية: أعقبها بإثبات النبوة.

فإن قيل: كيف قال: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾، ومعلوم أنهم كانوا في ريب وفي تكذيب؟

فالجواب: أنه ذكر حرف «إنْ» إشارةً إلى أنَّ الريب بعيد عند العقلاء في

= مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، فتضمَّنت الآيتان الأمر بعبادته تعالى، والنهيَ عن الشرك به، وذكرَ المقتضي لذلك، وهو خلق الأولين والآخرين وخلق السماوات والأرض وما بينهما، ونظائر ذلك كثير.

(١) انظر: الكشاف (٢/ ٢٩٧).

(٢) انظر: الكشاف (٢/ ٢٩٩).

مثل هذا الأمر الساطع البرهان؛ فلذلك وضع حرف التوقُّع والاحتمال في الأمر[(١)] الواقع؛ لبُعْدِ وقوع الريب وقُبْحه عند العقلاء، كما قال تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[(٢)].

﴿عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ هو النبيُّ ﷺ.

والعبودية على وجهين:

عامة، وهي التي بمعنى المِلْك.

وخاصة، وهي التي يراد بها التَّشريف والتَّخصيص، وهي من أشرف أوصاف العباد، ولله درُّ القائل:

لا تدعني إلَّا بيا عبدَهُ فإنَّه أشرفُ أسمائِيْ[(٣)]

﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ﴾ أمرٌ يراد به التَّعجيز.

﴿مِّن مِّثْلِهِ﴾ **الضمير عائد:**

على: ﴿مَا نَزَّلْنَا﴾، وهو القرآن، و«مِن»: لبيان الجنس.

وقيل: يعود على النبي ﷺ؛ فـ«مِن» -على هذا-: لابتداءِ الغاية، ومعناه: مِن بشرٍ مثلِه.

---

(١) في ج، هـ زيادة: «الماضي».

(٢) انظر: الكشاف (٢/ ٥٤).

(٣) هذا البيت ذكره أبو عبد الرحمن السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ٢٤٥) بإسناده إلى أبي عبد الله المغربي (ت ٢٩٩هـ).

والأول أرجح؛ لتعيُّنه[١] في «يونس» و«هود».

ومعنى: ﴿مِّثْلِهِۦ﴾: في فصاحته، وفيما تضمَّن من العلوم، والحكم العجيبة، والبراهين الواضحة.

﴿شُهَدَآءَكُم﴾: آلهتَكم، أو أعوانَكم، أو مَن يشهد لكم.

﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيرِ الله.

وقيل: هو مِن الدنيء الحقير؛ فهو مقلوب اللفظ.

﴿وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ اعتراضٌ بين الشرط وجوابِه، فيه مبالغةٌ وبلاغة، وهو إخبار ظهر مصداقُه في الوجود؛ إذ لم يقدر أحد أن يأتيَ بمثل القرآن، مع فصاحة العرب في زمان نزوله، وتصرُّفهم في الكلام، وحرصهم على التكذيب.

وفي الإخبار بذلك معجزةٌ أخرى.

وقد اختلف في عجْز الخلق عنه على قولين:

أحدهما: أنه ليس في قدرتهم الإتيان بمثله، وهو الصَّحيح.

والثاني: أنه كان في قدرتهم وصُرِفوا عنه.

والإعجاز حاصل على الوجهين.

وقد بيَّنَّا سائرَ وجوه إعجازه في المقدمات[٢].

---

(١) في ب، ج، د: «التعيينه».

(٢) انظر صفحة ١١٨.

﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾ أي: فآمنوا؛ لتنجُوا من النار، وعبر بالملازِم عن ملازِمه؛ لأنَّ ذكْر النار أبلغُ في التفخيم والتهويل والتخويف.

﴿وَقُودُهَا﴾ حطبُها.

﴿وَٱلْحِجَارَةُ﴾ قال ابن مسعود: هي حجارة الكبريت؛ لسرعة اتِّقادها، وشدَّة حرِّها، وقبح رائحتها.

وقيل: الحجارة المعبودة.

وقيل: الحجارة على الإطلاق.

﴿أُعِدَّتْ﴾ دليلٌ على أنها قد خُلِقت، وهو مذهب الجماعة وأهل السنة، خلافًا لمن قال: إنها تخلق يوم القيامة.

وكذلك الجنة.

﴿وَبَشِّرِ﴾ يَحتمل أن يكون:

خطابًا للنبي ﷺ.

أو خطابًا لكل أحد، ورجَّح الزمخشري هذا[1]؛ لأنه أفخم.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ دليلٌ على أنَّ الإيمان خلافُ العمل؛ لعطفه عليه، خلافاً لمن قال: الإيمان اعتقاد، وقول، وعمل.

وفيه دليلٌ على أن السعادة بالإيمان مع الأعمال، خلافًا للمرجئة[2].

---

(١) انظر: الكشاف (٢/ ٣٤٣).

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: «في كلام المؤلف مسألتان:

المسألة الأولى: قوله: «دليلٌ على أن الإيمان خلاف العمل؛ لعطفه عليه». =

﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ أي: تحت أشجارها وتحت مبانيها.

وهي: أنهار الماء، واللبن، والخمر، والعسل. وهكذا[1] تفسيره حيث وقع.

وروي أن أنهار الجنة تجري في غير أُخدود[2].

﴿مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ﴾ «مِن» الأولى: للغاية، أو للتبعيض، أو لبيان الجنس.

و«مِن» الثانية: لبيان الجنس.

﴿رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ أي: في الدنيا؛ بدليل قولهم: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [الطور: ٢٦] أي: في الدنيا، فإن في الجنة أجناسَ ثمر الدنيا، وإن كانت خيرًا منها في المطعم والمنظر.

= أقول: ظاهره أنه يقرر هذا الاستدلال، وهو بهذا يوافق جميع طوائف المرجئة في الاستدلال بهذه الآية على إخراج الأعمال عن مسمَّى الإيمان، وأهل السنة يخالفونهم في أصل المسألة وفي الاستدلال بالآية، فيقولون: العمل من الإيمان، لدلائل كثيرة من الكتاب والسنة، كحديث وفد عبد القيس وحديث شعب الإيمان. ويقولون: العطف لا يقتضي المغايرة دائما، بل منه عطف الخاص على العام، ومن ذلك عطف الأعمال على الإيمان.

المسألة الثانية: قوله: «وفيه دليل على أن السعادة بالإيمان مع الأعمال، خلافًا للمرجئة».

أقول: هذا الاستدلال صحيح، ولكن قوله: «خلافا للمرجئة» لا يصح على الإطلاق؛ لأن مرجئة الفقهاء لا ينازعون في هذا، وإنما ينازع في هذا المرجئةُ الجهمية، القائلين: لا يضر مع الإيمان ذنب».

(١) في ج، د: «وهذا».

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٦/ ٢٠٥).

﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ أي: يشبه ثمرَ الدنيا في جنسه.

وقيل: يشبه بعضه بعضًا في المنظر، ويختلف في المطعم.

والضمير المجرور يعود على: المرزوق الذي يدلُّ عليه المعنى.

﴿مُّطَهَّرَةٌ﴾ أي: من الحيض وأقذار النساء ومن سائر الأقذار التي لا تختصُّ بالنساء، كالبول وغيره.

ويحتمل أن يريد: طهارةَ الطِّباع، وطيبَ الأخلاق.

﴿لَا يَسْتَحْيِۦٓ﴾ تأوَّل قومٌ أن معناه: لا يترك؛ لأنهم زعموا أنَّ الحياء مستحيل على الله؛ لأنه -عندهم-: انكسارٌ يمنع من الوقوع في أمرٍ.

وليس كذلك؛ وإنما هو: كرم وفضيلة تمنع من الوقوع فيما يعاب.

ويردُّ عليهم: قوله ﷺ: «إن الله حييٌّ كريم يستحي من العبد إذا رفع إليه يديه أن يردَّهما صفرًا»[1][2].

﴿أَن يَضْرِبَ﴾ سبب الآية: أنَّه لـمَّا ذُكر في القرآن الذباب والنمل والعنكبوت عاب الكفار ذلك.

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٨٨)، والترمذي (٣٥٥٦) وابن ماجه (٣٨٦٥) جميعهم من حديث سلمان الفارسي ﷺ.

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: «كلام المؤلف مستقيم، على مذهب أهل السنة؛ لأنه تضمَّن إثبات الحياء لله على ما يليق به، وأنكر على من زعم أنه ممتنعٌ على الله، مما أوجب لهم تحريف الآية بتأويل الحياء بالترك، واستدل المؤلف لما ذهب إليه بالحديث، وهو استدلال صحيح».

وقيل: لما ضَرب المثَلين المتقدِّمين في المنافقين تكلَّموا في ذلك؛ فنزلت الآية ردًّا عليهم.

﴿مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾ إعراب ﴿بَعُوضَةً﴾:

مفعولٌ بـ ﴿يَضْرِبَ﴾، و﴿مَثَلًا﴾ حال.

أو ﴿مَثَلًا﴾ مفعول، و﴿بَعُوضَةً﴾ بدل منه، أو عطف بيان.

أو هما مفعولان بـ ﴿يَضْرِبَ﴾؛ لأنها -على هذا المعنى- تتعدَّى إلى مفعولين، كجعل.

و﴿مَّا﴾: صفة للنكرة، أو زائدة.

﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ في الكِبَر.

وقيل: في الصِّغَر.

والأول أظهر.

﴿فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾؛ لأنه لا يستحيل على الله أن يذكر ما شاء، ولأن ذكر تلك الأشياء فيه حكمةٌ، وضَرْبُ أمثال، وبيانٌ للناس، ولأنَّ الصادق جاء بها من عند الله.

﴿مَاذَا أَرَادَ﴾ لفظه: الاستفهام، ومعناه: الاستبعاد والاستهزاء والتكذيب.

وفي إعراب ﴿مَاذَا﴾ وجهان:

أن تكون «ما» مبتدأً، و«ذا» خبره، وهي موصولة.

وأن تكون كلمة مركَّبة في موضع نصب على المفعول بـ ﴿أَرَادَ﴾.

و﴿مَثَلًا﴾ منصوب على: الحال، أو التمييز.

﴿يُضِلُّ بِهِۦ﴾ من كلام الله؛ جوابًا للذين قالوا: ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾.

وهو -أيضًا- تفسيرٌ لما أراد الله بضرب المثل من الهدى والضلال.

﴿عَهْدَ ٱللَّهِ﴾ مطلقٌ في العهود، وكذلك ما بعده من القطع والفساد.

ويَحتمل:

أن يشارَ بنقض عهد الله إلى اليهود؛ لأنهم نقضوا العهد الذي أخذ الله عليهم في الإيمان بمحمد ﷺ.

ويشارَ بقطع ما أمر الله به أن يوصل إلى قريش؛ لأنهم قطعوا الأرحام التي بينهم وبين المؤمنين.

ويشارَ بالفساد في الأرض إلى المنافقين؛ لأن الإفساد[1] من أفعالهم، حسَبما تقدَّم في وصفهم[2].

﴿مِيثَٰقِهِۦ﴾ الضمير: للعهد، أو لله تعالى.

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ موضعُها[3]: الاستفهام، ومعناها هنا: الإنكار والتوبيخ.

---

(١) في ب، د: «الفساد».
(٢) في ب، ج، هـ: «صفتهم».
(٣) في ب، ج، هـ: «موضوعها».

﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾ أي: معدومين، أو في أصلاب الآباء، أو نُطَفًا في الأرحام.

﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ أي: أخرجكم إلى الدنيا.

﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ الموت المعروف.

﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ بالبعث.

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ للجزاء.

وقيل: الحياة الأُولى: حين أخرجهم من صلب آدم لأخذ العهد.

وقيل: في الحياة الثانية: إنها في القبور.

والراجح القول الأول؛ لتعيُّنه في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الحج: ٦٦].

★ فوائد ثلاث:

الأولى: هذه الآية في معرض الردِّ على الكفار، وإقامة البرهان على بطلان قولهم.

فإن قيل: إنما يصحُّ الاحتجاج عليهم بما يعترفون به، فكيف يحتجُّ عليهم بالبعث وهم منكرون له؟

فالجواب: أنهم أُلزِموا، مِن ثبوت ما اعترفوا به من الحياة والموت، ثبوتَ البعث؛ لأن القدرة صالحةٌ لذلك كلِّه.

الثانية: قوله: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾ في موضع الحال.

فإن قيل: كيف جاء دون «قد» وهي لازمة مع الفعل الماضي إذا كان في موضع الحال؟

فالجواب: أنه قد جاء بعد الماضي مستقبل، والمراد: مجموع الكلام؛ كأنه يقول: وحالكم هذه؛ فلذلك لم تلزم «قد»[1].

الثالثة: عطَف ﴿فَأَحْيَٰكُمْ﴾ بالفاء؛ لأن الحياة إثْرُ العدم، لا تراخيَ بينهما، وعطَف ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ و﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ بـ «ثم»؛ للتَّراخي الذي بينهما.

﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ دليلٌ على إباحة الانتفاع بما في الأرض.

﴿ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: قصَد لها.

والسماء -هنا-: جنس؛ ولأجل ذلك أعاد عليها بَعْدُ ضميرَ الجماعة.

﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ أي: أتقن خِلْقَتهنَّ؛ كقوله: ﴿فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: ٧].

وقيل: جعلهنَّ سواءً.

★ فائدة: هذه الآية تقتضي أنه خلق السماء بعد الأرض، وقولُه: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝﴾ [النازعات: ٣٠] ظاهرُهُ خلاف ذلك؛ والجواب من وجهين:

أحدهما: أن الأرض خُلِقت قبل السماء، ودُحِيت بعد ذلك، فلا تعارض.

والآخر: أن تكون «ثُمَّ» لترتيب الإخبار.

---

(١) انظر: الكشاف (٢/ ٤١٣).

[﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾].

﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ جمع ملَك، واختلف في وزنه:

فقيل: فَعَلٌ؛ فالميم أصلية، ووزن ملائكة على هذا: فعائلة.

وقيل: هو من الألُوكة، وهي الرِّسالة، فوزنه مَفْعَلٌ وأصله: مَألَكٌ، ثم حذفت الهمزة، ووزن ملائكة على هذا: مَفاعِلة، ثم قلب وأخرت الهمزة؛ فصار: مَعافِلة؛ وذلك بعيد.

﴿خَلِيفَةً﴾ هو آدم عليه السلام؛ لأنَّ الله استخلفه في الأرض.

وقيل: ذرِّيته؛ لأنَّ بعضهم يخلف بعضًا.

والأوَّل أرجح، ولو أراد الثاني لقال: خلفاء.

﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ الآية؛ سؤالٌ محضٌ؛ لأنهم استبعدوا أن يستخلف الله مَن يعصيه.

وليس فيه اعتراضٌ؛ لأنَّ الملائكة منزَّهون عنه.

وإنما علِموا أنَّ بني آدم يفسدون:

بإعلام الله إياهم بذلك.

وقيل: كان في الأرض جنٌّ فأفسدوا، فبعث الله إليهم ملائكةً فقتلتهم، فقاس الملائكة بني آدم عليهم.

﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ﴾ اعترافٌ، والتزام للتسبيح، لا افتخارٌ ولا منَّةٌ.

﴿بِحَمْدِكَ﴾ أي: حامدين لك، والتقدير: نسبِّح مُلْتبِسين[1] بحمدك؛ فهو في موضع الحال.

﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ يَحتمل:

أن تكون الكاف مفعولًا، ودخلت عليها اللام؛ كقولك: ضربتُ لِزيدٍ.

أو أن يكون المفعول محذوفًا، أي: نقدِّسك، على معنى: ننزِّهك أو نعظِّمك، وتكون اللام في ﴿لَكَ﴾ للتعليل؛ أي: لأجلك.

أو يكون التقدير: نقدِّس أنفسَنا -أي نطهِّرها- لك.

﴿أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: ما يكون في بني آدم من الأنبياء والأولياء،

---

(١) في ب، د، هامش أ ورمز له بـ«خ»: «متلبِّسين».

وغير ذلك من المصالح والحكمة.

﴿ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾ أي: أسماءَ بني آدم.

أو[١] أسماءَ أجناسِ الأشياء، كتسمية الفرس والشجرة وغير ذلك.

﴿ثُمَّ عَرَضَهُمۡ﴾ أي: عرض المسمَّيات، وهي أشخاص بني آدم، أو[٢] أجناس الأشياء.

﴿أَنۢبِـُٔونِي﴾ أمرٌ على وجه التعجيز.

﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ أي: في قولكم: إنَّ الخليفة يُفسد في الأرض ويَسفك الدماء.

وقيل: إن كنتم صادقين في جواب السؤال والمعرفة بالأسماء.

﴿لَا عِلۡمَ لَنَآ﴾ اعترافٌ.

﴿أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ﴾ أي: أنبئ الملائكة بأسماء ذرِّيتك، أو بأسماء أجناس الأشياء.

﴿ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾ السجود له على وجه التحيَّة.

وقيل: عبادة لله، وآدم كالقبلة.

﴿فَسَجَدُوٓاْ﴾ روي أنَّ أوَّل من سجد إسرافيل؛ ولذلك جازاه الله بولاية اللوح المحفوظ[٣].

---

(١) في ج، هـ: «و».

(٢) في ج، هـ: «و».

(٣) أخرجه ابن عساكر بإسناده في «تاريخ دمشق» (٧/ ٣٩٨).

﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾ استثناءٌ متصل عند من قال: إنه كان ملَكًا.

ومنقطع عند من قال: إنه كان من الجن.

﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ﴾ لقوله: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ [الأعراف: ١٢].

﴿وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ قيل: كفَر بإبايته من السجود؛ وذلك بناء على أن المعصية كفرٌ.

والأظهر: أنه كفَر باعتراضه على الله، وتسفيهه له في أمره بالسجود لآدم، وليس كفره كفرَ جحود؛ لاعترافه بالربوبية.

﴿وَزَوۡجُكَ﴾ هي حواء، خلقها الله من ضِلَعِ آدم.

ويقال: زوجةٌ، وزوجٌ؛ وهذا أفصح.

﴿ٱلۡجَنَّةَ﴾ هي جنةُ الخلد عند الجماعة وأهل السنة، خلافًا لمن قال: هي غيرها.

﴿وَلَا تَقۡرَبَا﴾ النهيُ عن القرب يقتضي النهيَ عن الأكل بطريق الأَولى، وإنما نهَى عن القرب سدًّا للذريعة؛ فهذا أصل في سدِّ الذرائع.

﴿ٱلشَّجَرَةَ﴾ قيل: هي شجرة العنب، وقيل: شجرة التين، وقيل: الحنطة.

وذلك مفتقر إلى نقل صحيح، واللفظ مبهم.

﴿فَتَكُونَا﴾ عطف على ﴿تَقۡرَبَا﴾.

أو: نصب بإضمار «أنْ» بعد الفاء في جواب النهي.

﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ متعدٍّ: من زلَل القدم.

و﴿أَزَالَهُمَا﴾ بالألف: من الزوال.

﴿عَنۡهَا﴾ الضمير عائد:

على الجنة.

أو على الشجرة؛ فتكون «عن» -على هذا- سببية.

★ **فائدة**: اختلفوا في أكل آدم الشجرة:

فالأظهر: أنه كان على وجه النِّسيان؛ لقوله تعالى: ﴿فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا﴾ [طه: ١١٥].

وقيل: سَكِر من خمر الجنة، وحينئذٍ أكل منها؛ وهذا باطل؛ لأن خمر الجنة لا تُسكِر.

وقيل: أكلَها عمدًا، وهي معصية صغرى؛ وهذا عند من أجاز على الأنبياء الصغائر.

وقيل: تأوَّل آدم أن النهي كان عن شجرة معينة، فأكل من غيرها من جنسها.

وقيل: لما حلف له إبليس صدَّقه؛ لأنه ظنَّ أنه لا يحلف أحدٌ كاذبًا.

﴿ٱهۡبِطُواْ﴾ خطاب لآدم وزوجه وإبليس؛ بدليل: ﴿بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞ﴾.

﴿مُسۡتَقَرّٞ﴾ موضعُ استقرار؛ وهو في مدَّة الحياة.

وقيل: في بطن الأرض بعد الموت.

﴿وَمَتَٰعٌ﴾ ما يتمتَّع به.

﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ إلى الموت.

﴿فَتَلَقَّىٰٓ﴾ أي: أخذ وقَبِلَ على قراءة الجماعة.

وقرأ ابن كثير بنصب «آدمَ» ورفع الكلمات؛ فـ﴿تَلَقَّى﴾ - على هذا -: من اللِّقاء.

﴿كَلِمَٰتٍ﴾ هي قوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]؛ بدليل ورودها في «الأعراف».

وقيل غير ذلك.

﴿ٱهْبِطُوا۟﴾ كُرِّر؛ ليُناط به ما بعده.

ويَحتمل: أن يكون أحدُ الهبوطين من السماء، والآخر من الجنة.

وأن يكون هذا الثاني: لذرِّية آدم؛ لقوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم﴾، والأول: لآدم وزوجه وإبليس.

وروي أن آدم نزل بسَرنديب من أرض الهند، وحواء بجدَّة، وإبليس بالأُبُلَّةِ[1].

﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم﴾ «إنْ»: شرطية، و«ما» زائدة؛ للتأكيد.

والهدى هنا يراد به: كتاب[2] الله ورسالاته.

﴿فَمَن تَبِعَ﴾ شرطٌ، وهو جواب الشرط الأوَّل.

وقيل: ﴿فَلَا خَوْفٌ﴾ جواب الشرطين.

---

(١) الأُبلَّة: بلدة قريبة من البصرة في العراق. انظر: معجم البلدان (١/ ٧٦).

(٢) في ب: «كتب».

[﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ۞أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾].

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ لمَّا قدَّم دعوة الناس عمومًا، وذكر مبدأهم: دعا بني إسرائيل خصوصًا، وهم اليهود.

وجرى الكلام معهم من هنا إلى حزب: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾.

فتارةً دعاهم بالملاطفة وذكْر الإنعام عليهم وعلى آبائهم.

وتارة بالتخويف.

وتارة بإقامة الحجة وتوبيخهم على سوء أعمالهم، وذكر العقوبات التي عاقبهم.

★ فذكَر من النِّعم عليهم عشرةَ أشياء، وهي:

[١] ﴿وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ﴾ [البقرة: ٤٩].

[٢] و﴿وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ﴾ [البقرة: ٥٠].

[٣] و﴿بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ﴾ [البقرة: ٥٦].

[٤] و﴿وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡغَمَامَ﴾ [البقرة: ٥٧].

[٥] و﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ [البقرة: ٥٧].

[٦] و﴿عَفَوْنَا عَنكُم﴾ [البقرة: ٥٢].

[٧] و﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤].

[٨] و﴿يَغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ [البقرة: ٥٨].

[٩] و﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٥٣].

[١٠] و﴿فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [البقرة: ٦٠].

★ وذكر من سوء أفعالهم عشرة أشياء:

[١] قولهم: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [البقرة: ٩٣].

[٢] و﴿ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ [البقرة: ٩٢].

[٣] وقولهم: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣].

[٤] و﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ [البقرة: ٥٩].

[٥] و﴿لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾ [البقرة: ٦١].

[٦] و﴿يُحَرِّفُونَهُۥ﴾ [البقرة: ٧٥].

[٧] و﴿تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ٦٤].

[٨] و﴿قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾ [البقرة: ٧٤].

[٩] و﴿وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٥٥].

[١٠] و﴿وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [النساء: ١٥٥].

★ وذكر من عقوباتهم عشرة أشياء:

[١- ٢- ٣-] ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٦١].

[٤] و﴿يُعْطُوا ٱلْجِزْيَةَ﴾ [التوبة: ٢٩].

[٥] و﴿فَٱقْتُلُوٓا أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤].

[٦] و﴿كُونُوا قِرَدَةً﴾ [البقرة: ٦٥].

[٧] و﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٥٩].

[٨] و﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ [البقرة: ٥٥].

[٩] و﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣].

[١٠] و﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٦٠].

وهذا كلُّه جرَى لآبائهم المتقدمين، وخوطب به المعاصرون لمحمد ﷺ؛ لأنهم متَّبعون لهم راضون بأحوالهم.

★ وقد وَبَّخ المعاصرين[١] لمحمد ﷺ بتوبيخات أخر، وهي عشرة:

[١] كتمانهم أمر محمد ﷺ مع[٢] معرفتهم به.

[٢] و﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ﴾ [النساء: ٤٦].

---

(١) في ب، د، هـ: «وُبِّخ المعاصرون».

(٢) في د: «بعد».

[٣] و﴿يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٩].

[٤-٥] و﴿تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ﴾ [البقرة: ٨٥].

[٦] وحرصهم على الحياة.

[٧] وعداوتهم لجبريل.

[٨] واتِّباعهم للسحر.

[٩] وقولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١٨].

[١٠] وقولهم: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤].

﴿نِعْمَتِىَ﴾ اسم جنس؛ فهي مفردة بمعنى الجمع، ومعناها عام في جميع النِّعم التي على بني إسرائيل مما اشترك فيه معهم غيرهم، أو اختصُّوا هم به، كالمن والسلوى.

وللمفسرين فيه أقوال؛ تُحمل على أنها أمثلةٌ، واللفظ يعمُّ جميعَها.

﴿بِعَهْدِىٓ﴾ مطلقٌ في كل ما أُخذ عليهم من العهود.

وقيل: الإيمان بمحمد ﷺ، وذلك قويٌّ؛ لأنه مقصود الكلام.

﴿بِعَهْدِكُمْ﴾ دخول الجنة.

﴿وَإِيَّٰىَ﴾ مفعولٌ بفعل مضمر مؤخَّر؛ لانفصال الضمير، وليفيد الحصر، يفسِّره: ﴿فَٱرْهَبُونِ﴾؛ لأنه قد أَخذ معمولَه[١].

---

(١) في د: «مفعوله».

وكذلك: ﴿وَإِيَّىَ فَاتَّقُونِ﴾.

﴿بِمَآ أَنزَلْتُ﴾ يعني: القرآنَ.

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ أي: مصدِّقًا للتوراة.

★ وتصديقُ القرآن للتوراة وغيرِها، وتصديقُ محمد ﷺ للأنبياء المتقدمين له ثلاثة معان:

أحدها: أنهم أخبروا به، ثم ظهر كما قالوا؛ فتبيَّن صدقهم في الإِخبار به.

والآخر: أنه ﷺ أخبر أنهم أنبياء، وأن الله أنزل عليهم الكتب؛ فهو مصدِّقٌ لهم؛ أي: شاهدٌ بصدقهم.

والثالث: أنه ﷺ وافقهم فيما في كتبهم من التوحيد وذكر الدار الآخرة وغير ذلك من عقائد الشرائع؛ فهو مصدق لهم؛ لاتفاقه معهم في الإيمان بذلك.

﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِۦ﴾ الضمير عائد على القرآن.

وهذا نهيٌ عن المسابقة إلى الكفر به، ولا يقتضي إباحة الكفر به في ثاني حالٍ؛ لأن هذا مفهوم معطَّل، بل يقتضي الأمرَ بمبادرتهم إلى الإيمان به؛ لِمَا يجدون في كتبهم من ذكره، ولما يعرفون من علاماته.

﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ الاشتراء هنا: استعارة في الاستبدال؛ كقوله: ﴿ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾.

والآيات هنا: هي الإيمان بمحمد ﷺ.

والثمن القليل: ما ينتفعون به في الدنيا من بقاء رئاستهم، وأخذ الرُّشَا على تغيير أمر محمد ﷺ، وغير ذلك.

وقيل: كانوا يعلِّمون دينهم بالأجرة فنُهوا عن ذلك.

واحتجَّ الحنفية بهذه الآية على منع الأُجرة[1] على تعليم القرآن.

﴿ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ الحق هنا يراد به: نبوة محمد ﷺ، والباطل: الكفر به.

وقيل: الحق: التوراة، والباطل: ما زادوا فيها.

﴿وَتَكْتُمُوا۟﴾ معطوف على النهي.

أو منصوب بإضمار «أنْ» في جواب النهي، والواو بمعنى الجمع.

والأول أرجح؛ لأنَّ العطف يقتضي النهي عن كل واحد من الفعلين، بخلاف النصب بالواو؛ فإنه إنما يقتضي النهي عن الجمع بين الشيئين، لا النهيَ عن كل واحد على انفراده.

﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: تعلمون أنه حق.

﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ و﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ يراد بها: صلاة المسلمين وزكاتهم؛ فهو يقتضي الأمرَ بالدخول في الإسلام.

﴿وَٱرْكَعُوا۟﴾ خصَّص الركوع بعد ذكر الصلاة؛ لأنَّ صلاة اليهود بلا ركوع، فكأنه أمر بصلاة المسلمين التي فيها الركوع.

وقيل: الركوع: الخضوع والانقياد.

---

(١) في ج، هـ: «الإجارة».

﴿مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ هم المسلمون؛ فيقتضي ذلك: الأمرَ بالدخول في دينهم.

وقيل: الأمر بالصلاة مع الجماعة.

﴿أَتَأْمُرُونَ﴾ تقريعٌ وتوبيخ لليهود.

﴿بِٱلْبِرِّ﴾ عامٌّ في أنواعه؛ فوبَّخهم على أمر الناس به وتركهم له.

وقيل: كان الأحبار يأمرون مَن نصحوه في السرِّ باتباع محمد ﷺ، ولا يتَّبعونه.

وقال ابن عباس: كانوا يأمرون باتباع التوراة، ويخالفونها في جحدهم منها صفةَ محمد ﷺ.

﴿وَتَنسَوْنَ﴾ أي: تتركون، وهذا تقريع.

﴿تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ حجة عليهم.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ توبيخ.

﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ قيل: معناه: استعينوا بهما على مصائب الدنيا، وقد روي أنَّ رسول الله ﷺ: «كان إذا حزَبه[1] أمر فزِع إلى الصلاة»[2]، ونُعي إلى ابن عباس أخوه قُثَم فصلَّى ركعتين وقرأ الآية[3].

وقيل: استعينوا بهما على طلب الآخرة.

وقيل: الصبر هنا الصوم.

---

(١) في ج، هـ: «حزنه»، وفي ب، د: «أحزنه»، والمثبت هو الموافق لما في الرواية.

(٢) أخرجه أحمد (٢٣٢٩٩)، وأبو داود (١٣١٩).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٦٢٠).

وقيل: الصلاة هنا الدعاء.

﴿وَإِنَّهَا﴾ الضمير عائد:

على العبادة التي تضمَّنها الصبر والصلاة.

أو على الاستعانة.

أو على الصلاة.

﴿لَكَبِيرَةٌ﴾ أي: شاقَّةٌ صعبة.

﴿يَظُنُّونَ﴾ هنا: يتيقَّنون.

[﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٧ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٤٨ وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ٤٩ وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ فَأَنجَيۡنَٰكُمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ٥٠ وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ٥١ ثُمَّ عَفَوۡنَا عَنكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٥٢ وَإِذۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡفُرۡقَانَ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ٥٣ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٥٤ وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ٥٥ ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٥٦ وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡغَمَامَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٥٧ وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدٗا وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٨ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ٥٩﴾].

﴿عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ أي أهل زمانهم.

وقيل: تفضيلٌ من وجهٍ مَا، وهو كثرة الأنبياء و[1]غير ذلك.

﴿لَّا تَجۡزِي﴾ لا تغني، و﴿شَيۡـٔٗا﴾: مفعولٌ به.

(١) في ب، ج، هـ: «أو».

أو صفةٌ لمصدر محذوف.

والجملة في موضع الصفة، وحُذِف الضمير؛ أي: فيه.

﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾ ليس نفيُ الشفاعة مطلقًا؛ فإنَّ مذهب أهل الحق ثبوتُ شفاعة النبي ﷺ، وشفاعة الملائكة والأنبياء والمؤمنين، وإنما المراد: أنه لا يشفع أحدٌ إلَّا بعد أن يأذن الله له؛ لقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ولقوله: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ [يونس: ٣]، ولقوله: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٣]، وانظر ما ورد في الحديث أنَّ رسول الله ﷺ يسجد يوم القيامة يستأذن في الشفاعة، فيقال له: «اشفع تشفع»[1].

فكلُّ ما ورد في القرآن من نفي الشفاعة مطلقًا يحمل على هذا؛ لأنَّ المطلق يحمل على المقيَّد، فليس في هذه الآيات المطلقة دليل للمعتزلة على نفي الشفاعة.

﴿عَدْلٌ﴾ هنا: فدية.

﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ جمَع؛ لأنَّ النفس المذكورة يراد بها نفوس.

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم﴾ تقديره: اذكروا إذ نجيناكم، أي: نجينا آباءكم.

وجاء الخطاب للمعاصرين للنبي ﷺ؛ لأنهم ذرِّيتُهم وعلى دينهم ومتَّبعون لهم، فحكمهم كحكمهم، وكذلك فيما بعد هذا:

مِن تَعداد النعم؛ لأن الإنعام على الآباء إنعامٌ على الأبناء.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤).

ومِن ذكر مساوئهم؛ لأنَّ ذرِّيتهم راضون بها.

﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ المراد: من فرعون وآله؛ وحذف لدلالة المعنى.

وآل فرعون: هم جنوده وأشياعه وآل دينه، لا قرابته خاصة.

ويقال: إنَّ اسمه: الوليد بن مصعب، وهو من ذرِّية عِمليق.

ويقال: «فرعون»: لكلِّ مَن ولي مصر.

وأصل «آل»: أهل، ثم أُبدل من الهاء همزةٌ، وأُبدل من الهمزة ألفٌ.

★ **فائدة**: كلُّ ما ذُكر في هذه السورة من الأَخبار معجزاتٌ للنبي ﷺ؛ لأنه أخبر بها من غير تعلُّم.

﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ أي: يُلزِمونه لكم، وهو استعارة من السَّوم في البيع.

وفَسَّر سوءَ العذاب بقوله: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ ولذلك لم يعطفْه هنا.

وأما حيث عطَفه في سورة «إبراهيم» فيحتمل:

أن يراد بـ ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ غير ذلك؛ فيكون عطفَ مغايرةٍ.

أو أراد به ذلك؛ وعطَفه لاختلاف اللفظ.

وكان سبب قتلِ فرعون لأبناء بني إسرائيل:

أنه أخبره الكهان والمنجِّمون أنَّ هلاكه على يد مولود ذكرٍ من بني إسرائيل.

وقيل: إنَّ آل فرعون تذاكروا وعد الله لإبراهيم بأن يجعل في ذرِّيته ملوكًا وأنبياء فحسدَهم[1] على ذلك.

وروي: أنه وكَّل بالنساء رجالًا يحفظون من يحمل منهنَّ[2].

وقيل: بل وكَّل على ذلك القوابل؛ ولأجل هذا قيل: معنى: ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾: يَفْتِشون الحيا مِن كل امرأة، وهو فرجُها، وهذا بعيد.

والأظهر: أنه من الحياة ضدِّ الموت.

﴿فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾ أي: فصَلناه، وجعلناه فِرَقًا، اثني عشر طريقًا، على عدد الأسباط.

والباء: سببية، أو للمصاحبة.

والبحر المذكور هنا: هو بحر القُلْزُوم.

﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ هي: شهر ذي قَعدة وعشر ذي الحجة.

وإنما خصَّ الليالي بالذكر لأنَّ التاريخ بها، والأيام تابعة لها، والمراد: أربعين ليلة بأيامها.

﴿ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ أي: اتخذتموه إلهًا؛ فحذف لدلالة المعنى.

﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي:[3] بعد غَيبته في الطُّور.

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ هنا: التوراة.

---

(١) في ب، د: «فحسدوهم».

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١/٦٤٦).

(٣) في ب، ج، د زيادة: «من».

﴿وَالْفُرْقَانَ﴾ أي: المفرّق بين الحق والباطل، وهو صفة للتوراة؛ عطف عليها لاختلاف اللفظ.

وقيل: الفرقان هنا: فَرق البحر.

وقيل: المعنى: آتينا موسى الكتاب، وآتينا محمدًا الفرقان؛ وهذا بعيد؛ لما فيه من الحذف من غير دليل عليه.

﴿فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ أي: يقتل بعضكم بعضًا؛ كقوله: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١].

وروي: أن من لم يعبد العجل قَتل من عبده[١].

وروي: أنَّ الظلام أُلقِي عليهم فقتل بعضهم بعضًا، حتى بلغ القتلى سبعين ألفًا، فعفا الله عنهم[٢].

وإنما خصَّ هنا اسم البارئ؛ لأن فيه توبيخًا للذين عبدوا العجل؛ كأنه يقول: كيف عبدتم غير الذي برَأكم. ومعنى البارئ: الخالق.

﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ قبله محذوف؛ لدلالة الكلام عليه، وهو فحوى الخطاب، أي: ففعلتم ما أُمرتم به من القتل فتاب عليكم.

﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾ تعدَّى باللام؛ لأنه تضمَّن معنى الانقياد.

﴿جَهْرَةً﴾ عِيانًا.

﴿الصَّاعِقَةُ﴾ الموت.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٤٠).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٦٨٠).

وكانوا سبعين، وهم الذين اختارهم موسى وحملهم إلى الطور، فسمعوا كلام الله، ثم طلبوا الرؤية فعوقبوا؛ لسوء أدبهم، وجُرأتهم على الله.

﴿وَظَلَّلْنَا﴾ أي: جعلنا الغمام فوقهم كالظُّلة يقيكم حرَّ الشمس، وكان ذلك في التِّيه.

وكذلك أنزل عليهم فيه المنَّ والسلوى لما عَدِموا الطعام.

وقد فسَّرنا ﴿ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ في «اللغات»[1].

﴿كُلُوا۟﴾ معمولٌ لقول محذوف.

﴿هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ بيت المقدس، وقيل: أريحاء، وقيل: قريب من بيت المقدس.

﴿فَكُلُوا۟﴾ جاء هنا بالفاء التي للترتيب؛ لأن الأكل بعد الدخول فيها.

وجاء في «الأعراف» بالواو بعد قوله: ﴿ٱسْكُنُوا۟﴾؛ لأن الأكل مقارن للسكنى.

﴿سُجَّدًا﴾ قيل: معناه رُكَّعًا؛ لأنَّ الدخول لا يتأتَّى معه السجود.

وقيل: متواضعين.

﴿حِطَّةٌ﴾ تقدَّم في «اللغات»[2].

﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي: نزيدهم أجرًا إلى المغفرة.

---

(١) انظر المادتين: (٣٠٥)، (٤٩٣) في اللغات.

(٢) انظر المادة (١٣٤) في اللغات.

﴿فَبَدَّلَ﴾ روي أنه قالوا: حنطة.

وروي: حبة في شعرة.

﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ يعني: المذكورين، ووضع الظاهر موضع المضمر؛ لقصد ذمِّهم بالظلم.

وكرَّره زيادة في تقبيح أمرهم.

﴿رِجۡزًا﴾ روي أنهم أصابهم الطاعون، فمات منهم سبعون ألفًا.

[﴿ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾].

﴿ٱسْتَسْقَىٰ﴾ طلَبَ السُّقيا لمَّا عطشوا في التيه.

﴿ٱلْحَجَرَ﴾ كان مربَّعًا؛ ذراعًا في ذراع، تنفجر من كل جهة ثلاث عيون.

وروي: أنَّ آدم كان أهبطه من الجنة.

وقيل: هو جنس غير معيَّن؛ وذلك أبلغ في الإعجاز.

﴿فَٱنفَجَرَتْ﴾ قبله محذوف تقديره: فضربه فانفجرت.

﴿مَّشْرَبَهُمْ﴾ أي: موضعَ شربهم، وكانوا اثني عشر سِبْطًا؛ لكل سبط عينٌ.

﴿كُلُوا۟﴾ أي: من المنِّ والسلوى.

﴿وَٱشْرَبُوا۟﴾ من الماء المذكور.

﴿وَفُومِهَا﴾ هي الثوم. وقيل: الحنطة.

﴿أَدْنَىٰ﴾ من الدنيء الحقير.

وقيل: أصله «أدون»، ثم قُلب بتأخير عينه وتقديم لامه.

﴿مِصۡرٗا﴾ قيل: البلد المعروف؛ وصُرِف لسكون وسطه.

وقيل: هو غير معين فهو نكرة؛ لِمَا روي أنهم نزلوا بالشام.

والأول أرجح؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَوۡرَثۡنَٰهَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: ٥٩] يعني: مصر.

﴿وَضُرِبَتۡ﴾ أي قُضِي عليهم بها، وأُلزِموها.

وجعله الزمخشري استعارةً؛ مِن ضرْب القُبَّة؛ لأنها تعلو الإنسان وتحيط به(١).

﴿وَٱلۡمَسۡكَنَةُ﴾ الفاقة، وقيل: الجزية.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ﴾ الإشارة إلى: ضرب الذِّلة، والمسكنة، والغضب.

والباء للتعليل.

﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ الآيات المتلوة، أو العلامات.

﴿بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ﴾ معلوم أنه لا يقتل نبيٌّ إلَّا بغير حق، وإنما نصَّ عليه تشنيعًا لقبح فعلهم، ولأنهم اجترؤوا على قتلهم مع معرفتهم بأنه بغير حق؛ وذلك أقبح.

★ **فائدة:** قال هنا: ﴿بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ﴾ بالتعريف، فاللام للعهد؛ لأنه قد تقرَّرت الموجبات لقتل النفس.

وقال في الموضع الآخر من «آل عمران»: ﴿بِغَيۡرِ حَقّٖ﴾ [آل عمران: ٢١]

---

(١) انظر: الكشاف (٢/ ٥٠٧).

بالتنكير؛ لاستغراق النفي؛ لأن تلك نزلت في المعاصرين لمحمد ﷺ.

﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا﴾ يحتمل:

أن يكون تأكيدًا للأول.

أو تكون الإشارة بـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى القتل والكفر، والباء لتعليل ﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: اجترأوا على الكفر وقتل الأنبياء لمَّا انهمكوا في العصيان والعدوان.

[﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ الآية: قال ابن عباس: نسخها: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقيل: معناها: إنَّ هؤلاء الطوائف من آمن منهم إيمانًا صحيحًا فله أجره؛ فيكون في حق المؤمنين: الثبات إلى الموت، وفي حق غيرهم: الدخول

في الإسلام؛ فلا نسخ.

وقيل: إنها فيمن كان قبل بعث النبي ﷺ؛ فلا نسخ.

﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ مبتدأ، خبره: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾، والجملة خبر ﴿إِنَّ﴾.

أو: ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ بدل، و﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾.

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ لما جاء موسى بالتوراة أبوا أن يقبلوها؛ فرُفع الجبل فوقهم وقيل لهم: إن لم تأخذوها وقع عليكم.

﴿بِقُوَّةٍ﴾ جدٌّ في تعلم التوراة، أو العمل بها.

﴿ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ اصطادوا فيه الحوت، وكان محرَّمًا عليهم.

﴿كُونُوا۟ قِرَدَةً﴾ عبارةٌ عن مسخهم.

و﴿خَٰسِـِٔينَ﴾: صفة، أو خبر ثان؛ ومعناه: مُبعَدِين كما يُخسأ الكلب.

﴿فَجَعَلْنَٰهَا﴾ الضمير للفِعلة؛ وهي المسخ.

﴿نَكَٰلًا﴾ أي: عقوبةً لما تقدَّم من ذنوبهم وما تأخَّر.

وقيل: عبرةً لمن تقدَّم ومن تأخَّر.

﴿أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ قصَّتها: أن رجلًا من بني إسرائيل قَتل قريبه ليرثه، وادَّعى على قوم أنهم قتلوه، فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة، ويضربوا القَتيل ببعضها، ففعلوا، فقام وأخبر بمن قتله، ثم عاد ميتًا.

﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ جفاءٌ وقلَّة أدب، أو تكذيبٌ.

﴿فَارِضٌ﴾ مسنَّةٌ.

﴿بِكْرٌ﴾ صغيرة.

﴿عَوَانٌ﴾ متوسطة.

﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ أي: بين ما ذُكِر؛ ولذلك قال: ﴿ذَٰلِكَ﴾ مع أن الإشارة إلى شيئين.

﴿صَفْرَآءُ﴾ من الصفرة المعروفة.

وقيل: سوداء؛ وهو بعيد.

والظاهر: صفراء كلُّها.

وقيل: القرن والظِّلف فقط؛ وهو بعيد.

﴿فَاقِعٌ﴾ شديد الصفرة.

﴿تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾ لحسن لونها.

وقيل: لسِمَنِها ومنظرِها كلِّه.

﴿لَّا ذَلُولٌ﴾ أي: غير مذلَّلَةٍ للعمل.

﴿تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾ أي: تحرثها، وهو داخل تحت النفي على الأصح.

﴿وَلَا تَسْقِى﴾ لا يسقى عليها.

﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ من العمل، أو من العيوب.

﴿لَّا شِيَةَ﴾ لا لُمْعة غير الصفرة؛ وهو مِن «وشَى»؛ ففاؤه واو محذوفة، كعِدَةٍ.

﴿ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾ العامل في الظرف: ﴿جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾.

وقيل: العامل فيه مضمر تقديره: الآن نذبحُها.

والأول أظهر.

فإن كان قولهم: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ تكذيبًا: فهذا تصديق.

وإن كان غير ذلك فالمعنى: بالحق البيِّن.

﴿وَمَا كَادُوا﴾؛ لعصيانهم وكثرة سؤالهم عن شأنها.

أو لغلاء البقرة؛ فقد جاء أنها كانت ليتيم، وأنهم اشتروها بوزنها ذهبًا.

أو لقلَّة وجود تلك الصفات؛ فقد روي أنهم لو ذبحوا أدنى بقرة لأجزأت عنهم، ولكنهم شدَّدوا فشُدِّد عليهم.

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ هو أوَّل قصة البقرة؛ فرتْبتُه التقديم قبلَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾ !.

قال الزمخشري: إنما أُخِّر لتعدُّد توبيخهم بقصتين؛ وهما: ترك المسارعة إلى الأمر، وقتل النفس؛ ولو قدِّم لكان قصةً واحدة بتوبيخ واحد[1].

﴿فَادَّارَأْتُمْ﴾ أي اختلفتم؛ وهو من المدارأة؛ أي: المدافعة.

﴿مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ من أمر القتيل، ومَن قتله.

﴿اضْرِبُوهُ﴾ القتيلَ، أو قبرَه.

﴿بِبَعْضِهَا﴾ مطلقٌ. وقيل: الفَخِذ. وقيل: اللسان. وقيل: الذنَب.

﴿كَذَلِكَ﴾ إشارة إلى حياة القتيل، واستدلالٌ بها على الإحياء للبعث.

---

(١) انظر: الكشاف (٢/ ٥٣٨).

وقبله محذوف لا بدَّ منه؛ وهو: ففعلوا ذلك فقام القتيل.

★ **فائدة**: استدلَّ المالكية بهذه القصة على قبول قول المقتول: «فلان قتلني»؛ وهو ضعيف؛ لأن هذا المقتول قام بعد موته ومعاينة الآخرة، وقصَّته معجزة لنبيٍّ، فلا يتأتَّى أن يكذب المقتول، بخلاف غيره.

واستدلوا -أيضًا- بها على أن القاتل لا يرث؛ ولا دليل فيها على ذلك.

﴿قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾ خطاب لبني إسرائيل.

﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي: بعد إحياء القتيل، وما جرى في القصة من العجائب.

وذلك بيانٌ لقبح قسوة قلوبهم بعد ما رأوا تلك الآيات.

﴿أَوْ أَشَدُّ﴾ عطف على موضع الكاف.

أو: خبر ابتداء؛ أي: هي أشدُّ.

و﴿أَوْ﴾ هنا إمَّا:

للإبهام.

أو للتخيير؛ كأنَّ من علم حالها مخيَّرٌ بين أن يشبِّهها بالحجارة، أو بما هو أشد قسوة، كالحديد.

أو للتفصيل؛ أي: فيهم كالحجارة، وفيهم أشدُّ.

وإنما قال: ﴿أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ ولم يقل «أقسى» مع أن فعل القسوة يبنى منه «أفعل»: لكون ﴿أَشَدُّ﴾ أدلَّ على فرط القسوة.

﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ﴾ الآيَةَ: تفضيلٌ للحجارة على قلوبهم.

﴿يَهْبِطُ﴾ أي: يتردَّى من عُلْو إلى سُفْل[1].

والخشية: عبارة عن انقيادها.

وقيل: حقيقة؛ وأن كل حجر يهبط فمن خشية الله.

(١) في أ: «أسفل».

[﴿۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾﴾].

﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ خطاب للمؤمنين.

و﴿أَن يُؤْمِنُوا﴾ يعني: اليهودَ، وتعدَّى باللام؛ لمَّا تضمن معنى الانقياد.

﴿فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ السبعون الذي سمعوا كلام الله على الطور، ثم حرفوه.

وقيل: بنو إسرائيل، حرفوا التوراة.

﴿مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ بيانٌ لقبح فعلهم[1].

﴿قَالُوا آمَنَّا﴾ قالها من ادَّعى الإسلام من اليهود.

وقيل: قالوها ليدخلوا إلى المؤمنين ويسمعوا أخبارهم.

---

(١) في هامش أ: «خ: حالهم».

﴿أَتُحَدِّثُونَهُم﴾ توبيخٌ.

﴿بِمَا فَتَحَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

بما حكم عليهم من العقوبات.

وبما في كتبهم من ذكر محمد ﷺ.

وبما فتح الله عليهم من الخير والإنعام.

وكلُّ وجه حجةٌ عليهم؛ ولذلك قالوا: ﴿لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ﴾.

﴿عِندَ رَبِّكُمْ﴾ قيل: في الآخرة.

وقيل: أي: في حكم ربكم وما أنزل في كتابه؛ فعنده بمعنى: حكمه.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ من بقية كلامهم؛ توبيخًا لقومهم.

﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ﴾ الآيةَ: من كلام الله؛ ردًّا عليهم، وفضيحةً لهم.

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾ أي: لا يقرؤون ولا يكتبون؛ فهم ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾.

والمراد: قوم من اليهود.

وقيل: من المجوس؛ وهذا غير صحيح؛ لأن الكلام كلُّه مع اليهود.

﴿إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ تلاوةً بغير فهم، أو أكاذيبَ، أو ما تتمناه النفس.

﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾ تحقيق لافترائهم.

﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ عرَضَ الدنيا؛ من الرئاسة، أو[1] الرشوة، وشبه ذلك.

---

(١) في ب، ج، د: «و».

﴿يَكْسِبُونَ﴾ من الدنيا، أو من الذنوب.

﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ أربعين يومًا عددَ عبادتهم العجل.

وقيل: سبعة أيام.

﴿أَتَّخَذْتُمْ﴾ الآيةَ: تقريرٌ يقتضي إبطال قولهم.

﴿بَلَىٰ﴾ تحقيقٌ:

لطول مكثهم في النار.

أو لقولهم ما لا يعلمون.

﴿مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ الآيةُ في الكفار؛ لأنها ردٌّ على اليهود، ولقوله بعدها: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، فلا حجة فيها لمن قال بتخليد العصاة في النار.

[﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَاءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَامَىٰ وَٱلْمَسَاكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾].

﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ جوابٌ لقسمٍ[1]؛ يدلُّ عليه: الميثاق.

وقيل: خبر بمعنى النهي؛ ويرجحه قراءة: «لا تعبدوا».

وقيل: الأصل: «بأن لا تعبدوا»، ثم حذفت الباء، و«أنْ».

﴿وَبِٱلْوَالِدَيْنِ﴾ يتعلق بـ ﴿إِحْسَانًا﴾.

أو: بمحذوف، تقديره: أحسِنوا، ووُكِّد بـ ﴿إِحْسَانًا﴾.

﴿وَذِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ القرابة.

﴿وَٱلْيَتَامَىٰ﴾ جمع يتيم؛ وهو من فقد والده قبل البلوغ.

واليتيم من سائر الحيوان: مَن فقد أمه.

---

(١) في ب، هـ: «القسم».

وجاء الترتيب في هذه الآية بتقديم الأهمِّ: فقدَّم الوالدين؛ لحقِّهما الأعظم، ثم القرابة؛ لأن فيهم أجرُ الإحسان وصلة الرحم، ثم اليتامى؛ لقلة حيلتهم، ثم المساكين.

﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾ أي: لا يسفك بعضكم دم بعض.

وإعرابه: مثل: ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾.

﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم﴾ لا يخرج بعضكم بعضًا.

﴿أَقْرَرْتُمْ﴾ بالميثاق، واعترفتم بلزومه.

﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ بأخذ الميثاق عليكم.

﴿هَٰؤُلَآءِ﴾ منصوب -على التخصيص- بفعل مضمر.

وقال ابن الباذِش[1]: مبتدأ، وخبره ﴿أَنتُمْ﴾، و﴿تَقْتُلُونَ﴾ حالٌ لازمة تمَّ بها المعنى[2].

﴿تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ كانت قريظة حلفاءَ الأوس، والنَّضير حلفاء الخزرج، وكان كل فريق يقاتل الآخر مع حلفائه، وينفيه من موضعه إذا ظفر به.

﴿تَظَّاهَرُونَ﴾ أي: تتعاونون.

---

(١) هو أبو الحسن علي بن أحمد بن خلف بن محمد بن الباذِش الأنصاري الغرناطي، نحويٌّ عالم بعلوم العربية، من شيوخ ابن عطية، ووالد أبي جعفر أحمد، صاحبِ «الإقناع» في القراءات، توفي سنة (٥٢٨هـ). انظر: الإحاطة في أخبار غرناطة، لابن الخطيب (٤/ ٧٨).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (١/ ٢٧٣).

﴿تُفَـٰدُوهُمْ﴾ قرئ: بالألف وبحذفها؛ والمعنى واحد.

وكذلك ﴿أُسَـٰرَىٰ﴾ بالألف وحذفها؛ جمع أسير.

﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ﴾ الضمير: للإخراج من ديارهم، و﴿هُوَ﴾ مبتدأ، وخبره ﴿مُحَرَّمٌ﴾، و﴿إِخْرَاجُهُمْ﴾ بدل.

أو: الضمير للأمر والشأن، و﴿إِخْرَاجُهُمْ﴾: مبتدأ، و﴿مُحَرَّمٌ﴾ خبره، والجملة خبر الضمير.

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ فداؤهم الأسارى؛ موافقةً لما في كتابهم[1].

﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ القتلُ والإخراج من الديار؛ مخالفةً لما في كتابهم.

﴿خِزْيٌ﴾ الجزية، أو الهزيمة لقريظة والنضير وغيرهم، أو مطلقٌ.

---

(١) في أ، ج، هـ: «كتبهم».

[﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾].

﴿وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ﴾ أي: جئنا من بعده بالرسل؛ وهو مأخوذ من القفا؛ أي: جاء بالثاني في قفا الأول.

﴿ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ المعجزات؛ مِن إحياء الموتى وغير ذلك.

﴿بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ﴾ جبريل. وقيل: الإنجيل. وقيل: الاسم الذي كان يُحيي به الموتى.

والأول أرجح؛ لقوله: ﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ﴾ [النحل: ١٠٢]، ولقوله ﷺ لحسان: «اللهم أيِّده بروح القدس»[(١)].

﴿تَقۡتُلُونَ﴾ جاء مضارعًا مبالغةً؛ لأنه أريد استحضاره في النفوس، أو لأنهم حاولوا قتل محمد ﷺ لولا أن الله عصمه.

﴿غُلۡفُۢ﴾ جمع أغلف؛ أي: عليها غلاف -وهو الغشاء- فلا تَفْقَهُ.

﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ ردٌّ عليهم، وبيانٌ أن عدم فهمهم بسبب كفرهم.

﴿فَقَلِيلٗا﴾ أي: إيمانًا قليلًا يؤمنون، و﴿مَّا﴾ زائدة.

ويجوز أن تكون القلة:

بمعنى العدم.

أو على أصلها؛ لأن من دخل منهم في الإسلام قليل، أو لأنهم آمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعض.

﴿كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ هو القرآن.

﴿مُصَدِّقٞ﴾ تقدَّم أن له ثلاثة معانٍ[(٢)].

﴿يَسۡتَفۡتِحُونَ﴾ أي يستنصرون[(٣)] على المشركين؛ إذا قاتلوهم قالوا:

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٨٥).

(٢) انظر صفحة ٣٠٨.

(٣) في ب، د: «ينتصرون».

«اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان». ويقولون لأعدائهم من المشركين: «قد أظلَّ زمان نبي يخرج فنقتلكم معه قتلَ عادٍ وإرم».

وقيل: ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ أي: يعرِّفون الناس بالنبي ﷺ؛ فالسين - على هذا - للمبالغة؛ كالسين في: استعجب واستسخر[1].

وعلى الأول: للطلب.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ﴾ القرآن، والإسلام، ومحمد ﷺ.

قال المبرِّد: ﴿كَفَرُواْ﴾ جواب «لمّا» الأولى والثانية، وأُعيدت الثانية لطول الكلام، ولقصد التأكيد.

وقال الزَّجّاج: ﴿كَفَرُواْ﴾ جواب «لمّا» الثانية، وحُذف جواب الأولى؛ للاستغناء عنه بذلك.

وقال الفرَّاء: جواب «لـمّا» الأولى: ﴿فَلَمَّا﴾، وجواب الثانية: ﴿كَفَرُواْ﴾.

﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: عليهم؛ يعني: اليهودَ، ووضع الظاهر موضع المضمر؛ ليدلَّ أن اللعنة بسبب كفرهم.

واللام:

للعهد.

أو للجنس؛ فيدخلون فيها مع غيرهم من الكفار.

---

(١) في د: «واستخرج».

﴿بِئْسَمَا﴾ فاعلُ «بئس» مضمر، و«ما» مفسِّرة له، و﴿أَن يَكْفُرُوا﴾ هو المذموم.

وقال الفرَّاء: ﴿بِئْسَمَا﴾ مركب؛ كحبَّذا.

وقال الكسائي: «ما» مصدرية؛ أي: اشتراؤهم؛ فهي فاعلة.

﴿اشْتَرَوْا﴾ هنا بمعنى: باعوا.

﴿أَن يَكْفُرُوا﴾ في موضع خبر ابتداءٍ.

أو: مبتدأٌ؛ كاسم المذموم في «بئس».

أو: مفعولٌ من أجله.

أو: بدل من الضمير في ﴿بِهِ﴾.

﴿بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ القرآن، أو التوراة؛ لأنهم كفروا بما فيها مِن ذكر محمد ﷺ.

﴿أَن يُنَزِّلَ﴾ في موضع مفعولٍ من أجله.

﴿مِن فَضْلِهِ﴾ القرآن، والرسالة.

﴿مَن يَشَاءُ﴾ يعني: محمدًا ﷺ.

والمعنى: أنهم إنما كفروا حسدًا لمحمد ﷺ لمّا تفضَّل الله عليه بالرسالة.

﴿بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ أي: بغضب؛ لكفرهم بمحمد ﷺ على غضب: لكفرهم بعيسى عليه السلام.

أو لعبادتهم العجل.

أو لقولهم: عزير ابن الله.

ولغير ذلك من قبائحهم.

﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ القرآن.

﴿بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا﴾ التوراة.

﴿بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾ أي: بما بعده؛ وهو القرآن.

﴿فَلِمَ تَقۡتُلُونَ﴾ ردٌّ عليهم فيما ادَّعوا من الإيمان بالتوراة، وتكذيبٌ لهم.

وذكَر الماضيَ بلفظ المستقبل إشارةً إلى ثبوته؛ فكأنه دائم لـمَّا رضي هؤلاء به.

﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ شرطيةٌ؛ بمعنى القدح في إيمانهم، وجوابُها يدل عليه ما قبل.

أو نافيةٌ؛ فيوقَف قبلها.

والأول أظهر.

﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ يعني: المعجزات؛ كالعصا، وفلْق البحر، وغير ذلك.

﴿ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ﴾ ذُكِر هنا على وجه الذمِّ لهم، والإبطالِ لقولهم: ﴿نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا﴾.

وكذلك رفعُ الطور.

وذُكر قبل هذا على وجه تَعداد النِّعم؛ لقوله: ﴿ثُمَّ عَفَوۡنَا عَنكُم﴾ [البقرة: ٥٢]،

و﴿فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ [البقرة: ٦٤].

وعطفه بـ «ثُمَّ» في الموضعين؛ إشارةً إلى قبح ما فعلوه من ذلك.

﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ الضمير لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ أي: مِن بعد غَيبته في مناجاة الله على جبل الطور.

﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ أي: سمعنا قولك وعصينا أمرك.

ويَحتمل أن[1] قالوه: بلسان المقال، أو بلسان الحال.

﴿وَأُشْرِبُوا۟﴾ عبارةٌ عن تمكُّن حُب العجل من قلوبهم؛ فهو مجاز، تشبيهًا بشرب الماء، أو بشرب الصِّبْغ في الثوب.

وفي الكلام محذوف؛ أي: أُشرِبوا حُبَّ العجل.

وقيل: إن موسى برَد العجل بالـمِبرَد، ورمى بُرَادته في الماء فشربوه؛ فالشُّرب على هذا حقيقة.

ويردُّ هذا قولُه: ﴿فِى قُلُوبِهِمُ﴾.

﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ الباء: سببيةٌ للتعليل، أو بمعنى المصاحبة.

﴿يَأْمُرُكُم﴾ إسنادُ الأمر إلى إيمانهم مجازٌ؛ على وجه التهكُّم؛ كقوله: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ [هود: ٨٧].

وكذلك إضافة الإيمان إليهم.

و﴿إِن كُنتُم﴾: شرطٌ، أو نفيٌ.

---

(١) في ب، د زيادة: «يكون».

﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ﴾ بالقلب واللسان، أو باللسان خاصةً.

وذلك أمرٌ على وجه التعجيز والتبكيت؛ لأنَّه مَن علم أنه من أهل الجنة اشتاق إليها.

وورد: أنهم لو تمنوا الموت لماتوا في الحين.

وقيل: إن ذلك معجزة للنبي ﷺ دامت طولَ حياته.

﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ﴾ إن قيل: لم قال في هذه السورة: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ﴾، وفي سورة «الجمعة»: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥ﴾ فنفى هنا بـ «لن» وفي الجمعة بـ «لا»؟

فقال شيخنا الأستاذ أبو جعفر ابنُ الزبير: الجواب: أنه لما كان الشرط في «البقرة» مستقبلًا وهو قوله: ﴿إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً﴾ = جاءَ جوابه بـ «لن» التي تخلِّص الفعلَ للاستقبال، ولما كان الشرط في «الجمعة» حالًا وهو قوله: ﴿إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ﴾ = جاءَ جوابه بـ «لا» التي تدخل على الحال، وقد تدخل على المستقبل[1].

﴿بِمَا قَدَّمَتْ﴾ أي: بسبب ذنوبهم وكفرهم.

﴿عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ تهديدٌ لهم.

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون عطفًا على ما قبله؛ فيوصل به.

والمعنى: أن اليهودَ أحرصُ على الحياة من الناس ومن الذين أشركوا،

---

(١) انظر: ملاك التأويل، لأبي جعفر ابن الزبير (١/ ٢٢٧).

فحُمِل على المعنى؛ كأنه قال: أحرص من الناس ومن الذين أشركوا.

وخصَّ الذين أشركوا بالذكر بعد دخولهم في عموم الناس؛ لأنهم لا يؤمنون بالآخرة، فأفْرَطَ حبُّهم للحياة الدنيا.

والآخر: أن يكون ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ ابتداءَ كلامٍ؛ فيوقف على ما قبله.

والمعنى: من الذين أشركوا قومٌ ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾، فحُذِف الموصوف.

وقيل: أراد به المجوس؛ لأنهم يقولون لملوكهم: «عِشْ ألف سنة».

والأول أظهر؛ لأن الكلام إنما هو في اليهود، وعلى الثاني يَخرُج الكلام عنهم.

﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ﴾ الآيةَ: فيها وجهان:

أحدهما: أن يكون ﴿هُوَ﴾ عائدًا على ﴿أَحَدُهُمْ﴾، و﴿أَن يُعَمَّرَ﴾ فاعل بـ﴿مُزَحْزِحِهِ﴾.

والآخر: أن يكون ﴿هُوَ﴾ للتعمير، و﴿أَن يُعَمَّرَ﴾ بدل.

[﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾﴾].

﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ الآيةَ سببها: أنَّ اليهود قالوا للنبي ﷺ: جبريل عدوُّنا؛ لأنه ملَك الشدائد والعذاب؛ فلذلك لا نؤمن بك، ولو جاءك ميكائيل لآمنا بك؛ لأنه ملَك الأمطار والرحمة.

﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ﴾ فيه وجهان:

الأول: فإن الله نزَّل جبريلَ.

والآخر: فإن جبريل نزَّل القرآنَ، وهذا أظهر؛ لأنَّ قوله: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من أوصاف القرآن.

والمعنى: الردُّ على اليهود بأحد وجهين:

أحدهما: من كان عدوًّا لجبريل فلا ينبغي له أن يعاديَه؛ لأنه نزَّله على قلبك؛ فهو مستحق للمحبة، ويؤكِّد هذا قوله: ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ﴾.

والثاني: من كان عدوًّا لجبريل فإنما عاداه لأنه نزَّله على قلبك، فكأنَّ هذا تعليلٌ لعداوتهم لجبريل.

﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ ذُكرَا بعد الملائكة تجريدًا؛ للتشريف والتعظيم.

﴿أَوَكُلَّمَا﴾ الواو: للعطف.

وقال الأخفش: زائدة.

﴿نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ نزلت في مالك بن الصَّيْف اليهودي، وكان قد قال: والله ما أُخذ علينا عهدٌ أن نؤمن بمحمد.

﴿رَسُولٌ﴾ يعني: محمدًا ﷺ.

﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ يعني: القرآن، أو التوراة؛ لما فيها من ذكر محمد ﷺ.

﴿وَٱتَّبَعُوا۟﴾ أي: اليهود الذين في زمان محمد ﷺ، أو المتقدِّمون.

﴿مَا تَتْلُوا۟﴾ هو مِن: القراءة، أو الاتِّباع.

﴿عَلَىٰ مُلْكِ﴾ أي: في ملكِ، أو على عهدِ ملك سليمان.

﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ تبرئةٌ له مما نسبوه إليه؛ وذلك أن سليمان عليه السلام دفن السحر ليُذهِبَه، فأخرجوه بعد موته، ونسبوه إليه، وقالت اليهود: إنما كان سليمان ساحرًا.

وقيل: إنَّ الشياطين استرقوا السمعَ وألقوه إلى الكهان، فجمع سليمان ما كتبوا من ذلك ودفنَه، فلما مات قالوا: ذلك علم سليمان.

﴿ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾ بتعليم[1] السحر، أو بالعمل به، أو بنسبته إلى سليمان عليه السلام.

﴿وَمَآ أُنزِلَ﴾ نفيٌ.

أو: عطفٌ على: ﴿ٱلسِّحۡرَ﴾.

أو: على: ﴿مَا تَتۡلُواْ﴾.

﴿ٱلۡمَلَكَيۡنِ﴾ إن كانت «ما» نافيةً: فذلك تبرئةٌ لهما من إنزال السحر عليهما.

إلَّا أن ذلك يردُّه آخر الآية.

وإن كانت معطوفةً بمعنى «الذي» فالمعنى: أنهما أُنزِل عليهما ضربٌ من السحر؛ ابتلاءً من الله لعباده، أو ليُعرف فيُحذر منه.

وقرئ: ﴿المَلِكَيْنِ﴾ بكسر اللام؛ وقال الحسن: هما عِلْجان، فعلى هذا: يتعيَّن أن تكون «ما» غيرَ نافية.

﴿بِبَابِلَ﴾ موضعٌ معروف.

﴿هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ﴾ اسمان علَمان.

وهما: بدل من ﴿ٱلۡمَلَكَيۡنِ﴾، أو عطفُ بيان.

---

(١) في أ، ب، ج، هـ: «بتعلُّم»، والمثبت موافق لما في المحرر الوجيز (١/ ٢٩٩).

﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ أي محنةٌ؛ وذلك تحذيرٌ من السحر.

﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ أي بتعلُّم السحر.

ومن هنا أَخذ مالكٌ أن الساحر يقتل كفرًا.

﴿يُفَرِّقُونَ﴾ زوال العصمة، أو المنع من الوطء.

﴿يَضُرُّهُمْ﴾ أي: في الآخرة.

﴿عَلِمُوا﴾ أي: اليهود، أو الشياطين.

﴿اشْتَرَاهُ﴾ أي: اشتغل به، وذَكر الشراء؛ لأنهم كانو يُعطَون الأجرةَ عليه.

﴿شَرَوْا﴾ هنا بمعنى: باعوا.

﴿لَمَثُوبَةٌ﴾ مِن الثواب؛ وهو جواب: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾.

وإنما جاء جوابُها بجملة اسمية، وعدل عن الفعلية؛ لما في ذلك من الدَّلالة على إثبات الثواب واستقرارِه.

وقيل: الجواب محذوف؛ أي: لأثيبوا.

﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ في الموضعين: نفيٌ لعِلْمهم.

فإن قيل: كيف نفاه وقد أثبته في قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾؟

فالجواب: أنهم لم ينفعْهم علمُهم؛ فكأنهم لم يعلموا[١].

---

(١) انظر: الكشاف (٣/ ٢٤).

[﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٠٤﴾ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ ۞مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمۡ تُرِيدُونَ أَن تَسۡـَٔلُواْ رَسُولَكُمۡ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١١٠﴾ وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰۚ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾].

﴿لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾ كان المسلمون يقولون للنبي ﷺ: يا رسول الله راعنا؛ وذلك من المراعاة، أي: راقبنا وانظرنا، فكان اليهود يقولونها ويعنون بها: معنى الرُّعونة على وجه الإذاية للنبي ﷺ، وربما كانوا ينوِّنونَها على معنى النداء، فنهى الله المسلمين أن يقولوا هذه الكلمة؛ لاشتراك معناها بين ما قصده المسلمون وما قصده اليهود، فالنهي سدًّا[1] للذريعة.

وأُمروا أن يقولوا: «انظرنا»؛ لخلوِّه عن ذلك الاحتمال المذموم؛

---

(١) في ب، ج، هـ: «سدٌّ».

وهو من النظر، أو الانتظار.

وقيل: إنما نُهي المسلمون عنها؛ لما فيها من الجفاء وقلّة التوقير.

﴿وَٱسۡمَعُواْۗ﴾ عطف على ﴿وَقُولُواْ﴾، لا على معمولها.

والمعنى: الأمر بالطاعة والانقياد.

﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ جنس يعمُّ نوعين: أهلَ الكتاب، والمشركين من العرب؛ ولذلك فسَّره بهما.

ومعنى الآية: أنهم لا يحبُّون أن ينزِّل الله خيرًا على المسلمين.

﴿مِّنۡ خَيۡرٖ﴾ «من»: للتبعيض. وقيل: زائدة؛ لتقدُّم النفي في قوله: ﴿مَّا يَوَدُّ﴾.

﴿بِرَحۡمَتِهِۦ﴾ قيل: القرآن. وقيل: النبوة. والعموم أولى.

ومعنى الآية: الردُّ على من كره الخيرَ للمسلمين.

﴿مَا نَنسَخۡ﴾ أي: نُزيل حكمه ولفظه، أو أحدَهما.

وقرئ: بضم النون؛ أي: نأمر بنسخه.

﴿أَوۡ نُنسِهَا﴾ من النسيان؛ وهو ضدُّ الذكر، أي: ينساها النبي ﷺ بإذن الله؛ كقوله: ﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الأعلى: ٦ - ٧].

أو بمعنى الترك؛ أي:

نتركها غيرَ مُنزلةٍ.

أو غير منسوخة.

وقرئ بالهمز: بمعنى التأخير؛ أي: نؤخِّر إنزالها، أو نسخها.

﴿بِخَيْرٍ﴾ في خفَّة العمل، أو في الثواب، أو أعمُّ.

﴿قَدِيرٌ﴾ استدلالٌ على جواز النسخ؛ لأنه من المقدورات، خلافًا لليهود -لعنهم الله-؛ فإنهم أحالوه على الله.

وهو جائز عقلًا، وواقع شرعًا؛ فكما نسختْ شريعتُهم ما قبلها، نسخَها ما بعدها.

﴿تَسْـَٔلُوا رَسُولَكُمْ﴾ أي: تطلبوا منه الآيات.

ويَحتمل السؤالَ عن العلم.

والأول أرجح؛ لما بعده، فإنه شبَّهه بسؤالهم لموسى، وهو قولهم له: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣].

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: تمنَّوا.

ونزلت الآية في حُيي بن أخطب، وأخيه أبي ياسر، وأشباهِهما من اليهود، الذين كانوا يحرصون على فتنة المسلمين، ويَطمعون أن يردُّوهم عن الإسلام.

﴿حَسَدًا﴾ مفعولٌ من أجله، أو مصدرٌ في موضع الحال، والعامل فيه ما قبله؛ فيجب وصله معه.

وقيل: هو مصدر، والعامل فيه محذوف تقديره: يحسدونكم حسدًا؛ فعلى هذا يوقف على ما قبله.

والأوَّل أظهر وأرجح.

﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ يتعلَّق بـ ﴿حَسَدًا﴾. وقيل: بـ ﴿وَدَّ﴾.

﴿فَاعْفُوا﴾ منسوخٌ بالسيف.

﴿بِأَمْرِهِ﴾ يعني: إباحةَ قتالهم، أو وصولَ آجالهم.

﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ﴾ الآيةَ: أي: قالت اليهود: لن يدخل الجنة إلَّا من كان يهوديًا، وقالت النصارى: لن يدخلها إلَّا من كان نصرانيًّا.

﴿هُودًا﴾ يعني: اليهود، وهذه الكلمة: جمع هائد، أو مصدر وصف به.

وقال الفرَّاء: حذفت منه ياءُ «يهودٍ» على غير قياس.

﴿أَمَانِيُّهُمْ﴾ أكاذيبهم، أو ما يتمنَّونه.

﴿هَاتُوا﴾ أمرٌ على وجه التعجيز، والردِّ عليهم؛ وهو من: هاتَى يُهاتِي، ولم يُنطَق به.

وقيل: أصله: آتُوا، وأُبدل من الهمزة هاء.

﴿بَلَىٰ﴾ إيجاب لما نَفَوا؛ أي: يدخلها من ليس يهوديًّا، ولا نصرانيًّا.

﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ﴾ أي: دخل في الإسلام، أو أخلص.

وذَكَر الوجه لشرفه، والمراد: جملة الإنسان.

[﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾].

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ﴾ الآيةَ: سببها: اجتماع نصارى نجران مع يهود المدينة؛ فذمَّت كل طائفة الأخرى.

﴿وَهُمْ يَتْلُونَ﴾ تقبيحٌ لقولهم مع تلاوتهم الكتاب.

﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ المشركون من العرب؛ لأنهم لا كتابَ لهم.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ لفظه: الاستفهام، ومعناه[1]: لا أحد أظلم منه - حيث وقع -.

---

(١) في ب، ج، هـ: «لفظها.. ومعناها».

﴿مَنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ قريشٌ منعت الكعبة، أو النصارى منعوا بيت المقدس، أو على العموم.

﴿خَآئِفِينَ﴾ في حق قريش: قولُه ﷺ: «لا يحج بعد هذا العام مشرك»[1].

وفي حق النصارى: ضَرْبُهم عند بيت المقدس، أو الجزية.

﴿خِزۡيٌ﴾ في حق قريش: غلَبَتُهم وفتح مكة.

وفي حق النصارى: فتح بيت المقدس، أو الجزية[2].

﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ﴾ في الحديث الصحيح: أنهم صلَّوا ليلةً في سفر إلى غير القبلة بسبب الظلمة؛ فنزلت[3].

وقيل: هي في تنفُّل المسافر حيثما توجَّهت به دابته.

وقيل: هي راجعة إلى ما قبلها؛ أي: إن مُنعتم من مساجد الله فصلوا حيث كنتم.

وقيل: إنها احتجاجٌ على من أنكر تحويل القبلة؛ فهي كقوله بعد هذا: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُ﴾ [البقرة: ١٤٢] الآيةَ.

والقول الأوَّل هو الصحيح؛ ويؤخذ منه: أن من أخطأ القبلة فلا تجب الإعادة عليه، وهو مذهب مالك.

---

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٣٩٣٥)، وأحمد في المسند (٥٩٤).

(٢) قوله: «أو الجزية» سقط من ب، ج، هـ، د.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٤٥)، وابن ماجه (١٠٢٠).

﴿وَجْهُ اللَّهِ﴾ المراد به هنا: كقوله: ﴿ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٢] أي: رضاه.

وقيل: معناه الجهة التي وَجَّهَنا إليها.

وأما قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] و﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧]: فهو من المتشابه الذي يجب التسليم له من غير تكييف، ويُردُّ علمه إلى الله.

وقال الأصوليون: هو عبارة عن الذات، أو عن الوجود.

وقال بعضهم: هو صفة ثابتة بالسمع[1].

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «(وجه الله) المراد به هنا: كقوله: (ابتغاء وجه الله) أي: رضاه» إلخ.
أقول: ذكر في هذا السياق ثلاث آيات ورد فيها ذكر الوجه، فذكر في الآية الأولى قولين:
الأول: أن المراد بالوجه في الآية كقوله تعالى: ﴿ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾، وفسره بالرضا.
الثاني: أن المراد الجهة التي وجهَّنا الله إليها، يريد: القبلة. وذكر في الآية الثالثة قولين في تفسير الوجه:
أحدهما: قول أهل التأويل، وهو أن المراد بالوجه الذات، أو الوجود.
الثاني: أن ذكر الوجه من المتشابه الذي يجب التسليم له، وردُّ علمه إلى الله.
أقول: وفيما ذكره حقٌّ وباطل؛ فتفسيره الوجه في الآية الأولى بالجهة، حقٌّ، وبه قال كثير من السلف. وتفسيره الوجه في الآية الأولى والثانية بالرضا خطأ، فالوجه لا يعرف في اللغة بالرضا، لكن سياق الآية يتضمن هذا المعنى، والممنوع أن يكون المراد بالوجه الرضا، وتفسير الوجه في الآية الثالثة بالذات والوجود خطأ، وهو تفسير أهل التأويل من نفاة الصفات. =

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ﴾ قالت اليهود: عزير ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، وقالت الصابئون وبعض العرب: الملائكة بنات الله.

﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيهٌ له عن قولهم.

﴿بَل لَّهُ﴾ الآيةَ: ردٌّ عليهم؛ لأن الكلَّ مُلكه، والعبودية تنافي البنوَّة.

﴿قَانِتُونَ﴾ أي: طائعون منقادون.

﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ﴾ أي: مخترعها وخالقها ابتداءً.

﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ أي: قدَّره، أو أمضاه.

قال ابن عطية: «يتَّجه في الآية المعنيان؛ فعلى مذهب أهل السنة: قدَّر في الأزل وأمضى فيه، وعلى مذهب المعتزلة: أمضى عند الخلق والإيجاد»[1].

قلت: لا يكون ﴿قَضَىٰ﴾ هنا بمعنى قدَّر؛ لأن القدَر قديم، و«إذا» تقتضي الحدوث والاستقبال؛ وذلك يناقض القِدَم. وإنما ﴿قَضَىٰ﴾ هنا بمعنى:

= القول الثاني: مما ذكره ابن جزي: أن الوجه في قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ وقوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ من المتشابه، والمتشابه عندهم ما لا يعلم معناه إلا الله، وهذا مذهب أهل التفويض، وهم من النفاة، وهم يقابلون أهل التأويل. وما ذكره عن بعضهم أن الوجه صفةٌ ثابتة بالسمع، فهو حقٌّ، فلا يجوز نفيه ولا تأويله، بل يجب إثباته على ما يليق به سبحانه، وأنه لا يماثل وجوه العباد، وليس هو من المتشابه؛ لأن معناه معقول، والكيف مجهول. والله أعلم.

(١) المحرر الوجيز (١/ ٣٣١).

أمضى أو فعل أو أوجد؛ كقوله: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ [فصلت: ١٢][(١)].

وقد قيل: إنه بمعنى حتَم الأمرَ، أو بمعنى حكم.

والأمر هنا: بمعنى الشيء[(٢)]، وهو واحد الأمور، وليس بمصدر: أمر يأمر.

﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ قال الأصوليون: إن هذا عبارة عن نفوذ قدرة

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: أقول: القضاء من الله في القرآن يأتي لمعان:

١- قضى الخلق، بمعنى فرَغ من خلقه، كقوله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾.

٢- قضى بمعنى حكَم، وهو نوعان:

الأول: شرعيٌّ، كقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ ومعناه أمر ووصّى.

والثاني: كونيٌّ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾، ومعناه: أراد كونه. كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾، وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾.

وعلى هذا فتفسير قضى بأمضَى في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾، أظهرُ؛ لأن المعنى: إذا أراد الله كون ما سبق في علمه وكتابه قال له: كُن فيكون، وهذا هو معنى الإمضاء، أي إتمام الأمر الذي قدَّره الله في علمه وكتابه.

ولهذا أقول: ما وجَّه به المؤلف ابن جزي اختياره، وهو أن معنى قضى: أمضى، وجيهٌ.

ويأتي قضى في القرآن مضمنا معنى أوحى أو أوصل، كما قال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾﴾، وقال سبحانه: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾.

كما يأتي القضاء بمعنى الحُكم شاملا للمعنيين الكوني والشرعي، كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ﴾، كما يأتي القضاء بمعنى الفصل بين المختلِفين، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

(٢) في أ: «الشأن»، وفي الهامش: «خ: الشيء».

الله تعالى، وليس بقولٍ حقيقي؛ لأنه إن كان قول: ﴿كُن﴾ خطابًا للشيء في حال عدمه لم يصحَّ؛ لأن المعدوم لا يخاطب، وإن كان خطابًا للشيء في حال وجوده لم يصحَّ؛ لأنه قد كان، وتحصيل الحاصل غير مطلوب.

وحملهُ المفسِّرون على حقيقته، وأجابوا عن ذلك بأربعة أوجه:

أحدها: أن الشيءَ الذي يقول الله له: ﴿كُن﴾ هو موجودٌ في علم الله؛ وإنما يقول له: ﴿كُن﴾ ليخرجه إلى العِيان لنا.

والثاني: أن قول: ﴿كُن﴾ لا يتقدَّم على وجود الشيء ولا يتأخر عنه. قاله الطبري[1].

والثالث: أن ذلك خطابٌ لمن كان موجودًا على حالة، فيؤمر بأن يكون على حالة أخرى، كإحياء الموتى، ومسخ الكفار. وهذا ضعيف؛ لأنه تخصيص من غير مخصِّص.

والرابع: أن معنى: ﴿يَقُولُ لَهُۥ﴾: يقول من أجله؛ فلا يلزم خطابه.

والأوَّل أحسن هذه الأجوبة.

وقال ابن عطية: «تلخيص المعتقد في هذه الآية: أن الله ﷻ لم يزل آمرًا للمعدومات بشرط وجودها، فكل ما في الآية مما يقتضي الاستقبال: فهو بحسب المأمورات؛ إذ المحدثات تجيء بعد أن لم تكن»[2][3].

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ٤٧٠).

(٢) المحرر الوجيز (١/ ٣٣٢).

(٣) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: (وأجابوا عن ذلك بأربعة أوجه) إلخ، أقول: كل هذه الأقوال الأربعة ليس فيها انفصال عن الإشكال الذي ذكروه، والراجح =

﴿فَيَكُونُ﴾ رُفِعَ على الاستئناف.

قال سيبويه: معناه: فهو يكونُ.

وقال غيره: ﴿فَيَكُونُ﴾ عطفٌ على ﴿يَقُولُ﴾، واختاره الطبري[1].

قال ابن عطية: «وهو فاسدٌ من جهة المعنى؛ لأنه يقتضي أن القول مع التكوين والوجود»[2].

وفي هذا نظر.

= منها القول الأول كما اختاره المؤلف، وأرجح منه القول الرابع، وإن كان المؤلف قد ضعَّفه، ويشهد له قوله تعالى في خلق آدم وعيسى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾، ولعل الجواب الذي يرفع الإشكال الذي ذكروه أن الأمر الوارد في الآيات ليس أمر تكليف للمخاطب بفعل شيء في نفسه أو في غيره، بل هو أمر تكوين يوجب كون الشيء الذي أراده الله، كما أراد، فيكون الموجب لكونه - أي وجوده - إرادتَه تعالى وقولَه، كما جمع الله بينهما في الآيات: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾، وقوله: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾، وحدوث المحدثات بإرادته وكلامه سبحانه يستلزم قدرته على كل شيء، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وأما قول ابن عطية رحمه الله فليس فيه جواب، بل يزيد الإشكال، لقوله: «لم يزل آمرًا للمعدومات بشرط وجودها»، فمضمون قوله أنه تعالى لم يزل آمرا للمعدومات الموجودات، وهذا ممتنع، وسبب الإشكال عندهم اعتقاد أن الأمرَ أمرُ تكليف الذي يُطلب به من المأمور فعلٌ يفعله بعلم وإرادة، والصواب أن الأمرَ أمرُ تكوين، كما تقدم. وانظر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٨/ ١٨١).

(١) تفسير الطبري (٢/ ٤٧٢).

(٢) المحرر الوجيز (١/ ٣٣١).

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ هم هنا وفي الموضع الأول: كفارُ العرب على الأصحّ.

وقيل: هنا هم اليهود والنصارى.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم﴾ يعني: اليهودَ والنصارى على القول بأن ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ كفارُ العرب.

وأما على القول بأن ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ اليهودُ والنصارى: فالذين مِن قبلهم هم أمم الأنبياء المتقدمين.

﴿لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾ لولا هنا: عَرْض، والمعنى: أنهم قالوا: لن نؤمن حتى يكلِّمَنا الله، أو تأتيَنا آيةٌ؛ أي: دلالةٌ من المعجزات؛ كقولهم: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا﴾ [الإسراء: ٩٠] وما بعده.

﴿تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ﴾ الضمير لـ ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾، ولـ ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم﴾.

وتشابُه قلوبِهم: هو في الكفر، أو في طلب ما لا يصحُّ أن يُطلَب؛ وهو قولُهم[1]: ﴿لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾.

﴿قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ أخبر تعالى أنَّه قد بيَّن الآياتِ الدالةَ على وَحدانيته، وعلى صدق رسوله ﷺ، فكيف تُطلَب الآيات بعد بيانها؟، ولكن إنما فهمَها الذين يوقنون؛ فلذلك خصَّهم بالذكر، بخلاف الكفار المعاندين؛ فإنهم لا تنفعُهم الآيات؛ لعنادهم.

---

(١) في ج، هـ: «كقولهم».

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ خطابٌ لمحمد ﷺ.

والمراد بالحق: التوحيد، وكل ما جاءت به الشريعة.

﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ أي: تبشِّرُ المؤمنين بالجنة، وتنذرُ الكفار بالنار، وهذا معناه حيث وقع.

﴿وَلَا تَسْأَلْ﴾ بالجزم: نهيٌ.

وسببها: أن النبي ﷺ سأل عن حال آبائه في الآخرة فنزلت.

وقيل: إن ذلك على معنى التهويل؛ كقولك: «لا تسألْ عن[1] فلان»؛ لشدَّة حاله.

وقرأ غيرُ نافعٍ: بضم التاء واللام؛ أي: ﴿وَلَا تُسْئَلُ﴾ في القيامة عن ذنوبهم.

﴿مِلَّتَهُمْ﴾ ذُكرت مفردةً وإن كانت ملَّتين؛ لأنهما متَّفقتان في الكفر، فكأنَّهما ملةٌ واحدة.

﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ ردٌّ على اليهود والنصارى، والمعنى: أنَّ الذي أنت عليه يا محمد هو الهدى الحقيقيُّ؛ لأنه هدًى من عند الله، بخلاف ما يدَّعيه اليهود والنصارى.

﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ جمع هوًى، ويعني به: ما هم عليه من الأديان الفاسدة، والأقوال المضلَّة؛ لأنهم اتبعوها بغير حجة، بل بهوى النفوس.

---

(١) في د زيادة: «حال».

والضمير: لليهود والنصارى.

والخطاب: لمحمد ﷺ، وقد علِم الله أنه لا يتبع أهواءهم، ولكن قال ذلك على وجه التهديد لو وقع ذلك؛ فهو على معنى الفرض والتقدير.

ويَحتمل أن يكون خطابًا له ﷺ، والمراد غيرُه.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ يعني: المسلمين؛ و﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ -على هذا-: القرآن.

وقيل: هم من أسلم من بني إسرائيل؛ و﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ -على هذا-: التوراة.

ويَحتمل العمومَ؛ ويكون ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾: اسمَ جنس.

﴿يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ أي: يقرؤونه كما يجب من التدبُّر له، والعمل به.

وقيل: معناه يتَّبعونه حق اتباعه، بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

والأول أظهر؛ فإن التلاوةَ، وإن كانت تقال بمعنى القراءة، وبمعنى الاتِّباع؛ فإنها أظهر في معنى القراءة[1]، لا سيما إذا كانت تلاوةً للكتاب.

ويَحتمل أن تكون هذه الجملة: في موضع خبر ﴿ٱلَّذِينَ﴾؛ فيتمُّ الكلام، ويوقَف عليها.

ويَحتمل أن تكون هذه الجملة: في موضع الحال، ويكون الخبر ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ﴾، وهذا أرجح؛ لأنَّ مقصودَ الكلام الثناءُ عليهم بالإيمان، أو إقامةُ الحجة بإيمانهم على غيرهم ممن لم يؤمن.

---

(١) في ب، ج، هـ: «التلاوة».

[﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٢٢ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ۝١٢٣ ۞وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٢٤ وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ۝١٢٥ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝١٢٦ وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝١٢٧ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٢٨ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١٢٩﴾].

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ الآيةَ: تقدَّم الكلام على نظيرتها[1].

﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ﴾ أي: اختبرَ، والعامل في «إذ»:

فعلٌ مضمر تقديره: اذكرْ.

أو قولُه: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ﴾.

﴿بِكَلِمَٰتٖ﴾ قيل: هي مناسك الحج.

وقيل: خصال الفطرة؛ وهي: المضمضة، والاستنشاق، والسواك، وقصُّ الشارب، وإعفاء اللحية، وقص الأظافر، ونتف الإبطين، وحلق

---

(١) انظر صفحة ٣١٢.

العانة، والختان، والاستنجاء.

وقيل: هي ثلاثون خَصلةً؛ عشرٌ ذُكِرت في «براءة» من قوله: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ﴾، وعشرٌ في «الأحزاب» من قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾، وعشرٌ في «المعارج» من قوله: ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ أي: عَمِلَ بهنَّ.

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾ استفهامٌ، أو رغبة.

﴿عَهْدِى﴾ الإمامة[1].

﴿ٱلْبَيْتَ﴾ الكعبةَ.

﴿مَثَابَةً﴾ اسم مكان؛ من قولك: ثاب: إذا رجع؛ لأنَّ الناس يرجعون إليه عامًا بعد عام.

﴿وَٱتَّخَذُوا۟﴾ بالفتح: إخبارٌ عن المتَّبعين لإبراهيم عليه السلام.

وبالكسر: أمرٌ لهذه الأمَّة، وافقَ قولَ عمر رضي الله عنه: «لو اتخذتَ من مقام إبراهيم مصلًّى»[2].

وقيل: أمرٌ لإبراهيم وشيعتِه.

وقيل: لبني إسرائيل؛ فهو - على هذا - عطفٌ على قوله: ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ﴾؛ وهذا بعيد.

---

(١) في ب، د: «الأمانة».

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٢).

﴿مَقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ هو الحجَر الذي صعِد به[١] حين بنى الكعبةَ.

وقيل: المسجد الحرام.

﴿وَعَهِدْنَآ﴾ عبارةٌ عن الأمر والوصية.

﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ عبارةٌ عن بُنيانِه بنيَّةٍ خالصةٍ؛ كقوله: ﴿أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [التوبة: ١٠٨].

وقيل: المعنى طهِّراه من عبادة الأصنام.

﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾ هم الذين يطوفون بالكعبة.

وقيل: الغرباء القادمون على مكة.

والأول أظهر.

﴿وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾ هم المعتكفون[٢]. وقيل: المصلُّون. وقيل: المجاورون من الغرباء. وقيل: أهل مكة.

والعكوف في اللغة: اللُّزوم.

﴿بَلَدًا﴾ يعني: مكةَ.

﴿ءَامِنًا﴾ أي: مما يصيب غيرَه من الخسف والعذاب.

وقيل: آمنًا من إغارة الناس على أهله؛ لأنَّ العرب كان يُغِير بعضهم على بعض، وكانوا لا يتعرَّضون لأهل مكة، وهذا أرجح؛ لقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا

---

(١) في د: «عليه».

(٢) في د زيادة: «في المسجد».

جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧].

فإن قيل: لم قال في «البقرة»: ﴿هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ وفي «إبراهيم»: ﴿هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾، فعرَّف البلد في «إبراهيم» ونكَّره في «البقرة»؟

فعن ذلك ثلاثةُ أجوبة:

الجواب الأول: قاله أستاذُنا الشيخ أبو جعفر ابنُ الزبير، وهو أنه تقدَّم في «البقرة» ذِكْرُ البيت في قوله: ﴿ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾[1]، وذِكْر البيت يقتضي بالملازمة ذكرَ البلد الذي هو فيه، فلم يحتجْ إلى تعريفه، بخلاف آية «إبراهيم»؛ فإنه لم يتقدَّمْ قبلَها ما يقتضي ذكرَ البلد، ولا المعرفةَ به، فذكَره بلام التعريف.

الجواب الثاني: قاله السهيليُّ، وهو أن النبيَّ ﷺ كان بمكة حين نزلت آية «إبراهيم»؛ لأنها مكيةٌ، فلذلك قال فيه: ﴿ٱلْبَلَدَ﴾ بلام التعريف التي للحضور؛ كقولك: «هذا الرجل» وهو حاضرٌ، بخلاف آية «البقرة»؛ فإنها مدنيةٌ، ولم تكن مكةُ حاضرةً حين نزولها، فلم يعرِّفْها بلام الحضور.

وفي هذا نظر؛ لأن ذلك الكلام حكاية عن إبراهيم عليه السلام، فلا فرق بين نزوله بمكة أو المدينة.

الجواب الثالث: قاله بعض المشارقة[2]، أنه قال: ﴿هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ قبل

---

(١) هذه الآية متأخرة عن الآية التي يتكلَّم عنها، فكأنه سبق قلم من ابن جزيٍّ رحمه الله، والمراد آية: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً﴾..؛ فهي المتقدمة عليها، وهي التي ذكرها ابن الزبير في «ملاك التأويل» (١/ ٢٣٤) الذي نقل منه ابن جزي هذا الجواب.

(٢) يعني به: أبا عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني، المعروف بالخطيب الإسكافي، =

أن يكون بلدًا، فكأنه قال: اجعل هذا الموضع بلدًا آمنًا، وقال: ﴿هَٰذَا ٱلْبَلَدَ﴾ بعد ما صار بلدًا.

وهذا يقتضي أن إبراهيم دعا بهذا الدعاء مرتين؛ والظاهر أنه مرة واحدة، حُكي لفظه فيها على وجهين.

﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ بدل بعض من كل.

﴿وَمَن كَفَرَ﴾ أي: قال الله: وأرزق من كفر؛ لأن الله يرزق في الدنيا المؤمنَ والكافر.

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ﴾ على حذف القول؛ أي: يقولان ذلك.

﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ أي: علِّمْنا مواضع الحج. وقيل: العبادات.

﴿فِيهِمْ﴾ أي: في ذرِّيتنا.

﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ هو محمد ﷺ؛ ولذلك قال ﷺ: «أنا دعوة إبراهيم»[(١)].

والضمير المجرور: لذرية إبراهيم وإسماعيل، وهم العرب الذين من نسل عدنان.

وأما الذين من نسل قحطان فاختلف هل هم من ذرية إسماعيل أم لا؟

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ هنا: القرآن.

﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ هنا: السنة.

﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ أي: يطهِّرهم من الكفر والذنوب.

= قاله ذلك في كتابه «درة التنزيل وغرة التأويل» (١/ ٢٨٢).

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤٠٢)، والطبري في تفسيره (٢/ ٥٧٢) واللفظ له.

[﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾﴾].

﴿سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ منصوب على التشبيه بالمفعول به.

وقيل: الأصل: «في نفسِه»؛ ثم حذف الجارُّ فانتصب.

وقيل: تمييز.

﴿وَأَوْصَىٰ بِهَآ﴾ أي: بالكلمة والملَّة.

﴿وَيَعۡقُوبُ﴾ بالرفع: عطف على ﴿إِبۡرَٰهِـۧمُ﴾؛ فهو مُوصٍ.

وقرئ بالنصب: عطفًا على ﴿بَنِيهِ﴾؛ فهو مُوصًى.

﴿أَمۡ كُنتُمۡ﴾ «أم» هنا منقطعة، معناها الاستفهام والإنكار.

﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ﴾ كان عمَّه؛ والعمُّ يسمى أبًا.

﴿وَقَالُواْ كُونُواْ﴾ أي: قالت اليهود: كونوا هودًا، وقالت النصارى: كونوا نصارى.

﴿بَلۡ مِلَّةَ﴾ منصوب بإضمار فعل.

﴿لَا نُفَرِّقُ﴾ أي: لا نؤمن بالبعض دون البعض، وهذا برهانٌ؛ لأن كل من أتى بالمعجزة فهو نبيٌّ، فالكفر ببعضهم والإيمان ببعضهم تناقض.

﴿فَسَيَكۡفِيكَهُمُ﴾ وعدٌ ظهر مِصداقُه بقتل بني قريظة، وإجلاء بني النَّضير، وغير ذلك.

﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِ﴾ أي دينَه، وهو استعارةٌ من صبغ الثوب وغيره.

ونصبه:

على الإغراء.

أو على المصدر من المعاني المتقدمة.

أو بدل من: ﴿مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾.

﴿كَتَمَ شَهَٰدَةً﴾ هي الشهادة بأن الأنبياء على الحنيفية.

﴿مِنَ ٱللَّهِۗ﴾ يتعلق :

بـ ﴿كَتَمَ﴾ .

أو بـ ﴿عِندَهُۥ﴾ ؛ كأنَّ المعنى : شهادة تخلَّصت له من الله .

[﴿۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُواْ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾].

﴿سَيَقُولُ﴾ ظاهرُه: الإعلام بقولهم قبل وقوعه.

إلاّ أن ابن عباس قال: نزلت بعد قولهم.

﴿ٱلسُّفَهَآءُ﴾ هنا: اليهود، أو المشركون، أو المنافقون.

﴿مَا وَلَّىٰهُمْ﴾ أي: ما ولّى المسلمين عن قبلتِهم الأولى -وهي بيتُ المقدس- إلى الكعبةِ؟.

﴿لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ﴾ الآيةَ: ردٌّ عليهم بأن الله يحكم ما يريد، ويولّي عباده حيث شاء؛ لأن الجهاتِ كلَّها له.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: كما هديناكم جعلناكم وسَطًا؛ أي: خِيارًا[1].

﴿شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي: تشهدون يوم القيامة بإبلاغ الرُّسل إلى قومهم.

﴿عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ﴾ أي: بأعمالكم، قال ﷺ: «أقول كما قال أخي عيسى: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْۖ﴾ [المائدة: ١١٧] الآيةَ»[2].

فإن قيل: لم قدَّم المجرور في قوله: ﴿عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ﴾ وأخَّره في قوله: ﴿شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾؟

فالجواب: أنَّ تقديم المعمولات يفيد الحصرَ، فقدَّم المجرور في قوله: ﴿عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ﴾؛ لاختصاص شهادة النبي ﷺ بأمته، ولم يقدِّمْه في قوله: ﴿شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾؛ لأنه لم يقصد الحصر[3].

﴿ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ﴾ فيها قولان:

أحدهما: أنها الكعبة، وهو قول ابن عباس.

والآخر: أنها بيت المقدس، وهو قول قتادة وعطاء والسُّدِّي.

وهذا مع ظاهر قوله: ﴿كُنتَ عَلَيْهَآ﴾؛ لأنَّ النبي ﷺ كان يصلي إلى بيت المقدس، ثم انصرف عنه إلى الكعبة.

وأما قول ابن عباس: فتأويله بوجهين:

الأول: أنَّ «كنت» بمعنى «أنت».

---

(١) في أ، ج، هـ: «أخيارًا».
(٢) أخرجه البخاري (٣٣٤٩)، ومسلم (٢٨٦٠).
(٣) انظر: الكشاف (٣/ ١٣٤).

والثاني: قيل: إن النبي ﷺ صلى إلى الكعبة قبل بيت المقدس.

وإعراب ﴿ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ﴾:

مفعولٌ بـ ﴿جَعَلۡنَا﴾.

أو صفة لـ ﴿ٱلۡقِبۡلَةَ﴾.

ومعنى الآية على القولين: اختبارٌ وفتنة للناس بأمر القبلة.

فأما على قول قتادة: فإن الصلاة إلى بيت المقدس:

فتنةٌ للعرب؛ لأنهم كانوا يعظِّمون الكعبة.

أو فتنةٌ لمن أنكر تحويلها؛ وتقديره على هذا: ما جعلنا صرف القبلة التي كنت عليها؛ وهذا أظهر؛ لأن الفتنة إنما وقعت عند صرف القبلة.

وأما على قول ابن عباس: فإن الصلاة إلى الكعبة:

فتنةٌ لليهود؛ لأنهم يعظِّمون بيت المقدس، وهم مع ذلك ينكرون النسخ، فأنكروا صرف القبلة.

أو فتنةٌ لضعفاء المسلمين، حتى رجع بعضهم عن الإسلام حين صُرِفت القبلة.

﴿لِنَعۡلَمَ﴾ أي: العلم الذي تقوم به الحجة على العبد، وهو: إذا ظهر في الوجود ما علِمه الله.

﴿يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ﴾ عبارةٌ عن الارتداد عن الإسلام، وهو تشبيهٌ بمن رجع يمشي إلى وراءَ.

﴿وَإِن كَانَتْ﴾ «إنْ» مخففةٌ من الثقيلة.

واسم «كان»: ضمير الفِعْلة؛ وهي التحوُّل عن القبلة.

﴿إِيمَـٰنَكُمْ﴾ هنا: قيل: صلاتكم إلى بيت المقدس؛ واستدلَّ به من قال: إنَّ الأعمال من الإيمان.

وقيل: معناه ثبوتكم على الإيمان حين انقلب غيركم بسبب تحويل القبلة.

﴿تَقَلُّبَ وَجْهِكَ﴾ كان النبي ﷺ يرفع رأسه إلى السماء؛ رجاءَ أن يؤمر بالصلاة إلى الكعبة.

﴿شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ﴾ جهتَه.

﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ خبرٌ يتضمن النهي.

ووُحِّدت ﴿قِبْلَتَهُمْ﴾ وإن كانت جهتين؛ لاستوائِهما في البطلان.

﴿وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ لأنَّ اليهود يستقبلون المغرب، والنصارى المشرق.

﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ أي: يعرفون القرآنَ، أو النبي ﷺ، أو أمر القبلة.

﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ مبالغةٌ في وصف المعرفة، وقال عبد الله بن سلَام: «معرفتي بالنبي ﷺ أشدُّ من معرفتي بابني؛ لأن ابني قد يمكن فيه الشكُّ»[1].

---

(١) انظر: تفسير البغوي (١/ ١٦٤).

[﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾].

﴿وَلِكُلٍّ﴾ أي: لكلِّ أحد، أو لكلِّ طائفة.

﴿وِجْهَةٌ﴾ أي: جهةٌ، ولم تحذف الواو؛ لأنه ظرف مكان.

وقيل: إنه مصدر ثبتت فيه الواو على غير قياس.

﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ أي: مولِّيها وجهَه.

وقرئ: ﴿مُوَلَّاهَا﴾ أي: ولَّاه الله إليها(١).

والمعنى: أن الله تعالى جعل لكل أمة قبلةً.

﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ أي: بادروا إلى الأعمال الصالحة.

﴿يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ﴾ أي: يبعثكم من قبوركم.

﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾ كُرِّر تأكيدًا، أو ليناط به ما بعده.

﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾ الآيةَ؛ معناها: أن الصلاة إلى الكعبة ترفع

---

(١) في د: «إياها».

حجة المعترضين من الناس.

فإن أريد بالناس اليهود: فحجَّتهم أنهم يجدون في كتبهم أنَّ النبي ﷺ يصلي إلى الكعبة، فلما صلَّى إليها لم تبق لهم حجة على المسلمين.

وإن أريد[١] قريش: فحجَّتهم أنهم قالوا: قبلة آبائه أولى به.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ أي: من يتكلم بغير حجة ويعترض التحوُّلَ إلى الكعبة.

والاستثناء متصل؛ لأنه استثناءٌ من عموم الناس.

ويحتمل الانقطاع؛ على أن يكون استثناءً ممن له حجة، فإن الذين ظلموا هم الذين ليس لهم حجة.

﴿وَلِأُتِمَّ﴾ متعلق بمحذوف؛ أي: فعلت ذلك لأتمَّ.

أو: معطوفٌ على: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ﴾.

﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا﴾ متعلق:

بقوله: ﴿وَلِأُتِمَّ﴾.

أو بقوله: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ﴾.

والأول أظهر.

﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ قال سعيد بن المسيب: معناه: اذكروني بالطاعة أذكرْكم بالثواب.

---

(١) في د زيادة: «بهم».

وقيل: اذكروني بالدعاء والتسبيح ونحو ذلك.

وقد أكثر المفسِّرون -لا سيما المتصوِّفة- في تفسير هذا الموضع بألفاظ لها معانٍ مخصوصةٌ؛ ولا دليل على التَّخصيص.

وبالجملة: هذه الآية بيان لشرف الذِّكر، وبيَّنها قولُ رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه: «أنا عند ظنِّ عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإٍ ذكرته في ملإٍ خيرٍ منهم»[1].

والذكر ثلاثة أنواع: ذكر بالقلب، وباللسان، وبهما معًا.

واعلم أن الذكر أفضلُ الأعمال على الجملة، وإن ورد في بعض الأحاديث تفضيل غيره من الأعمال كالصلاة وغيرها؛ فإنَّ ذلك لما فيها من معنى الذكر والحضور مع الله تعالى.

والدليل على فضيلة الذكر من ثلاثة أوجه:

الأول: النصوص الواردة بتفضيله على سائر الأعمال، قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورِق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «ذكر الله»[2].

وسئل رسول الله ﷺ: أيُّ الأعمال أفضل؟ قال: «ذكر الله»، قيل: الذكر

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥) ومسلم (٢٦٧٥).

(٢) أخرجه أحمد (٢١٧٠٢)، (٢٢٠٧٩)، (٢٧٥٢٥)، والترمذي (٣٣٧٧)، وابن ماجه (٣٧٩١).

أفضل أم الجهاد في سبيل الله؟ فقال: «لو ضَرب المجاهد بسيفه في الكفار حتى ينقطع سيفه ويختضب دمًا: لكان الذاكرُ الله أفضلَ منه»[١].

الوجه الثاني: أن الله تعالى حيثما أمر بالذكر أو أثنى على الذاكرين: اشترط فيه الكثرةَ؛ فقال: ﴿ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١]، ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٥]، ولم يشترط ذلك في سائر الأعمال.

الوجه الثالث: أن في الذكر مزيَّةً هي له خاصة ليست لغيره؛ وهي الحضور في الحضرة العليَّة، والوصول إلى القرب الذي عَبَّر عنه ما ورد في الحديث من المجالسة والمعيَّة؛ فإن الله تعالى يقول: «أنا جليس من ذكرني»[٢]، ويقول: «أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني».

وللناس في المقصِد بالذكر مقامان:

فمقصد[٣] **العامة**: اكتساب الأجور.

ومقصد[٤] **الخاصة**: القرب والحضور.

وما بين المقامين بَوْن بعيد، فكم بين من يأخذ أجره وهو من وراء حِجاب، وبين من يُقرَّب حتى يكون من خواص الأحباب![٥].

---

(١) أخرجه أحمد (١١٧٢٠)، والترمذي (٣٣٧٦).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ٢٤٥)، والبيهقي في الشعب (٢/ ١٧١).

(٣) في د: «فمقام».

(٤) في د: «ومقام».

(٥) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «وللناس في المقصد بالذكر مقامان» إلخ.
أقول: تضمن كلامه هذا رحمه الله أن الذاكرين نوعان؛ عامةٌ وخاصةٌ، وأن مقصود العامة بالذكر اكتسابُ الأجر، وأن مقصود الخاصة القربُ من الله، ويدخل في الخاصة =

واعلمْ أن الذكرَ على أنواع كثيرة: فمنها التهليل، والتسبيح، والتكبير، والتحميد، والحوقلَة، والحسْبلة، وذكرُ كلِّ اسم من أسماء الله تعالى، والصلاةُ على النبي ﷺ، والاستغفار، وغير ذلك.

ولكل ذكرٍ خاصّيةٌ وثمرة:

فأما التهليل: فثمرته التوحيد، أعني: التوحيد الخاص؛ فإن التوحيد العام حاصل لكل مؤمن.

وأما التكبير: فثمرته التعظيم والإجلال لذي الجلال.

وأما الحمد والأسماء التي معناها الإحسان والرحمة، كالرحمن والرحيم والكريم والغفَّار وشبه ذلك: فثمرتها ثلاث مقامات؛ وهي:

= الأنبياء والصديقون، وهذا التقسيم والتفاضل بين الذاكرين صحيح، وهذا يجري في كل الطاعات، فالمؤمنون منهم الأبرار أصحاب اليمين، ومنهم المقربون السابقون، كما جاء هذا التقسيم في سورة الواقعة وسورة الإنسان والمطففين، ومنه ما ذكر في سورة فاطر.

ولكن يُستدرك على الشيخ ابن جزي رحمه الله ما يوهمه كلامه من أن الخاصة لا طمع لهم في الأجور، وهذا يخالف ما وصف الله به أنبياءه وأولياءه، من رجاء رحمته وخوف عذابه، مع طلب القرب في قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧]، فهم يعبدون الله في ثلاثة مقامات: مقام الحب، والخوف، والرجاء.

وكلامه رحمه الله يوهم ما تقوله جهلة الصوفية من أن العارف لا يعبد الله طمعًا في جنته، ولا خوفًا من ناره، ويردُّ هذا الزعم آياتٌ كثيرة من كتاب الله ﷻ، كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

الشكر، وقوة الرجاء، والمحبة؛ فإنَّ المحسنَ محبوبٌ لا محالة.

وأما الحوقلة والحسبلة: فثمرتها التوكل على الله، والتفويض إلى الله، والثقة بالله.

وأما الأسماء التي معناها الاطِّلاع والإدراك، كالعليم والسميع والبصير والقريب وشبه ذلك: فثمرتها المراقبة.

وأما الصلاة على النبي ﷺ: فثمرتها شدَّة المحبة فيه، والمحافظة على اتباع سنته.

وأما الاستغفار: فثمرته الاستقامة على التقوى، والمحافظة على شروط التوبة، مع انكسار القلب بسبب الذنوب المتقدمة.

ثم إنَّ ثمرات الذكر بجميع الأسماء والصفات مجموعة في الذكر الفرْد[١]؛ وهو قولنا: «الله، الله»؛ فذلك هو الغاية وإليه المنتهى[٢].

---

(١) في ج، د: «المفرد».

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «ثم إنَّ ثمرات الذكر بجميع الأسماء والصفات...» إلخ.
يتضمن أمرين؛ حقًا وباطلا:
الأول: أن جميع معاني أسماء الله الحسنى يتضمنها الاسم الشريف الله، وهذا حقٌّ.
الثاني: أن أفضل الذكر هو ذكر الله بالاسم المفرد: الله الله، وهذا باطل، وذلك لأمور:
١- أن الذكر بالاسم المفرد من بدع الصوفية، ولا أصل له في كتاب ولا سنة. فاختيار المؤلف لذلك زلةٌ منه عفا الله عنه.
٢- أن كل ما ورد من ألفاظ الذكر في الكتاب والسنة هو من الكلام المركب: كسبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. =

[﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَـٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَـٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾].

﴿ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾ قد ذُكر[1].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ أي: بمعونته.

﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ﴾ قيل: إنها نزلت في الشهداء المقتولين في غزوة بدر، وكانوا أربعة عشر رجلًا، لمَّا قتلوا حزِن عليهم

= ٣- أن الاسم المفرد لا يفيد فائدة تامة، كما هو مقرر في علم النحو.
لذلك لا يحصل بالاسم المفرد إيمان ولا كفر، فلا يدخل الكافر في الإسلام بذكره الاسم المفرد: الله، ولا يكفر من قال: لا إله إلا الله، وامتنع عن ذكر الاسم المفرد.
لذلك: لا يجزئ الإتيان بالاسم المفرد في المواضع التي يستحب أو يجب فيها نوعٌ من الأذكار الشرعية.

(١) انظر صفحة ٣١٠.

أقاربهم، فنزلت الآية مبيِّنةً لمنزلة الشهداء عند الله، ومسلِّية لأقاربهم.

ولا يخصِّصها نزولها فيهم؛ بل حكمها على العموم في الشهداء.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم﴾ أي: نختبركم.

وحيث ما جاء الاختبار في حق الله فمعناه: أن يَظهر في الوجود ما في علمه؛ لتقوم الحجة على العبد، وليس كاختبار الناس بعضهم بعضًا؛ لأن الله يعلم ما كان وما يكون.

والخطاب بهذا الابتلاء:

للمسلمين.

وقيل: لكفار قريش.

والأول أظهر؛ لقوله بعدها: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾.

﴿بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ﴾ يعني: من الأعداء.

﴿وَالْجُوعِ﴾ بالجدب.

﴿وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ﴾ بالخسارة.

﴿وَالْأَنفُسِ﴾ بالقتل.

﴿وَالثَّمَرَاتِ﴾ بالجوائح.

وقيل: ذلك كلُّه بسبب الجهاد.

﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ اللام للملك؛ والمالك يفعل في مُلكه ما يشاء.

﴿رَاجِعُونَ﴾ تذكَّروا الآخرة؛ لتهون عليهم مصائب الدنيا، وفي الحديث

الصحيح: أن رسول الله ﷺ قال: «من أصابته مصيبة فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجِرني في[1] مصيبتي[2] واخلف لي خيرًا منها: أَخلف الله له خيرًا مما أصابه». قالت أمُّ سلمة: «فلما مات زوجي أبو سلمة قلت ذلك؛ فأبدلني الله به رسولَ الله ﷺ»[3].

★ **فائدة**: ورد ذكر الصبر من القرآن في أكثر من سبعين موضعًا، وذلك لعظَمة موقعه في الدين.

قال بعض العلماء: كلُّ الحسنات لها أجر محصور من عشرةٍ أمثالها إلى سبع مئة ضِعفٍ، إلَّا الصبر؛ فإنه لا يحصر أجره؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

وذكَر الله للصابرين ثمانية أنواعٍ من الكرامة:

أولها: المحبة، قال: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

والثاني: النصرة، قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥].

والثالث: غُرفات الجنة، قال: ﴿يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟﴾ [الفرقان: ٧٥].

والرابع: الأجر الجزيل، قال: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

---

(١) في ب، د: «على».
(٢) في أ، د: «هذه».
(٣) أخرجه مسلم (٩١٨).

والأربعة الأخرى: المذكورة في هذه الآية:

فمنها البِشارة، قال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

والصلاة والرحمة والهداية، قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾.

والصبر على أربعة أوجه:

[١-] صبرٌ على البلاء؛ وهو منع النفس من التسخُّط والهلع والجزع.

[٢-] وصبر على النعم؛ وهو تقييدها بالشكر، وعدم الطغيان، وعدم التكبُّر بها.

[٣-] وصبر على الطاعات؛ بالمحافظة والدوام عليها.

[٤-] وصبر عن المعاصي؛ بكفِّ النفس عنها.

وفوق الصبر: التسليم؛ وهو ترك الاعتراض والتسخُّط ظاهرًا، وترك الكراهة باطنًا.

وفوق التسليم: الرِّضا بالقضاء؛ وهو سرور النفس بفعل الله، وهو صادر عن المحبة، وكلُّ ما يفعل المحبوب محبوب.

﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ﴾ جبلان صغيران بمكة.

﴿مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ﴾ أي: معالِم دينه، واحدها: شعيرة، أو شعارة.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ﴾ إباحةٌ للسعي بين الصفا والمروة.

والسعي بينهما واجب عند مالك والشافعي.

وإنما جاء بلفظٍ يقتضي الإباحة؛ لأن بعض الصحابة امتنعوا من السعي بينهما؛ لأنه كان في الجاهلية على الصفا صنمٌ يقال له: إِسَافٌ، وعلى المروة صنم يقال له: نائلة، فخافوا أن يكون السعيُ بينهما تعظيمًا للصَّنمين، فرفع الله ما وقع في نفوسهم من ذلك.

ثم إنَّ السعي بينهما واجب[1] بالسنّة؛ قالت عائشة رضي الله عنها: «سنَّ رسول الله ﷺ السعيَ بين الصفا والمروة، وليس لأحد تركه»[2].

وقيل: إن الوجوب يؤخذ من قوله: ﴿شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ وهذا ضعيف؛ لأنَّ شعائر الله منها واجبةٌ، ومنها مندوبة.

وقد قيل: إنَّ السعي مندوبٌ.

﴿يَطَّوَّفَ﴾ أصله: يتَطوَّف؛ ثم أدغمت التاء في الطاء.

وهذا الطواف يراد به: السعيُ سبعةَ أشواط.

﴿وَمَن تَطَوَّعَ﴾ عامٌّ في أفعال البر.

أو خاصٌّ في السعي بين الصفا والمروة؛ فيقتضي أن السعي بينهما تطوُّعٌ، ويؤخذ الوجوب من السنة.

أو معنى ﴿تَطَوَّعَ﴾: التطوُّع بحجٍّ بعد حجِّ الفريضة.

﴿ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ اليهود؛ كتموا أمر محمد ﷺ.

---

(١) في ج، هـ: «وجب».

(٢) أخرجه البخاري (١٦٤٣)، ومسلم (١٢٧٧).

﴿فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾ التوراة هنا.

﴿ٱللَّٰعِنُونَ﴾ الملائكة والمؤمنون.

وقيل: المخلوقات إلَّا الثقَلين.

وقيل: البهائم؛ لما يصيبهم من الجدْب بذنوب الكاتمين للحقِّ.

﴿وَبَيَّنُوا۟﴾ إنَّما شرَط في توبتهم أن يبيِّنوا؛ لأنهم كتموا.

﴿وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ هم المؤمنون؛ فهو عامٌّ يراد به الخصوص؛ لأن المؤمنين هم الذين يُعتدُّ بلعنهم للكفار.

وقيل: يلعنهم جميع الناس في الآخرة.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ أي: في اللعنة. وقيل: في النار.

﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ مِن أنظر: إذا أخَّر؛ أي: لا يؤخَّرون عن العذاب ولا يُمهَلون.

أو مِن نظَر؛ لقوله: ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ [آل عمران: ٧٧]؛ إلَّا أنَّ هذا يتعدَّى بـ «إلى».

﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ الواحد له ثلاثة معانٍ، كلُّها صحيحة في حق الله تعالى:

أحدها: أنه لا ثانيَ له؛ فهو نفيٌ للعدد.

والآخر: أنه لا شريك له ولا نظير.

والثالث: أنه واحدٌ لا يتبعَّض ولا ينقسم[١].

وقد فُسِّر المراد به هنا في قوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾.

واعلمْ أن توحيد الخلق لله تعالى على ثلاث درجات:

الأولى: توحيد عامة المسلمين؛ وهو الذي يعصم النفس والمال في الدنيا، ويُنجي من الخلود في النار في الآخرة، وهو نفيُ الشركاء والأنداد، والصاحبة والأولاد، والأشباه والأضداد.

الدرجة الثانية: توحيد الخاصَّة؛ وهو أن يرى الأفعالَ كلَّها صادرةً من الله وحده، ويشاهد ذلك بطريق المكاشفة، لا بطريق الاستدلال، فإنَّ معرفةَ ذلك بطريق الاستدلال حاصلةٌ لكلِّ مؤمن، وإنما مقام الخاصة: يقين في القلب بعلمٍ ضروري لا يحتاج إلى دليل، وثمرة هذا العلم: الانقطاع إلى الله، والتوكل عليه وحده، واطِّراح جميع الخلق، فلا يرجو إلا الله، ولا يخاف أحدًا سواه؛ إذ ليس يرى فاعلًا إلَّا إياه، ويرى جميع

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «الواحد له ثلاثة معان . . .» إلخ.

أقول: ما ذكره في معنى الواحد، وأن المعاني الثلاثة صحيحة في حق الله؛ سقيمٌ في الجملة، وقد جرى في ذلك على طريقة المتكلمين في تقسيم التوحيد، ويؤخذ عليه وعليهم أمور:

أنهم لم يذكروا توحيد الإلهية المتضمن توحيد العبادة، الذي هو معنى لا إله إلا الله.

أن ما ذكروه غايته أن يتضمن توحيد الربوبية الذي أقر به المشركون.

أن بعض عباراتهم في هذا التقسيم فيها إجمال؛ كنفي النظير والشبيه، فإن المعطلة - كالمعتزلة ومن وافقهم - يدخلون في ذلك نفي الصفات.

قولهم: «إنه واحدٌ في ذاته ولا يتجزأ»، هو حقٌّ في ظاهره، لكنهم يدخلون فيه أيضًا: نفي علوه تعالى على خلقه.

الخلق في قبضة القهر، ليس بيدهم شيءٌ من الأمر، فيطَّرح الأسباب، ويَنبذ الأرباب.

والدرجة الثالثة: ألَّا يرى في الوجود إلَّا الله وحده، فيغيب عن النظر إلى المخلوقات، حتى كأنها عنده معدومةٌ.

وهذا هو الذي تسمِّيه الصوفية: مقامَ الفناء؛ بمعنى الغَيبة عن الخلق؛ حتى إنه قد يفنى عن نفسه، وعن توحيده، أي: يغيبُ عن ذلك باستغراقه في مشاهدة الله[1].

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «واعلم أن توحيد الخلق لله تعالى على ثلاث درجات. . .» إلخ.

أقول: هذا التقسيم للناس في التوحيد يشبه ما ذكره من تقسيمه للناس في مقصودهم من الذكر، وقد تقدم التنبيه إلى ما فيه، وكذلك نقول هنا: إن ما ذكره من تفاضل الناس في التوحيد صحيح، ولكنه سلك في التعبير عن ذلك طريق الصوفية؛ إذ جعله ثلاث درجات: توحيد العامة، وتوحيد الخاصة، وتوحيد خاصة الخاصة.

وفسَّر كل درجة من هذه الدرجات، كما هي عند الصوفية، ولا إشكال فيما فسَّر به توحيد العامة إلا من حيث تخصيصه بالعامة، ولكن يؤخذ على المؤلف ما فسَّر به الدرجة الثانية والثالثة مقرًّا لهما، وقد تضمن كلامه كَلَلهُ عدة إشكالات:

١- قوله: «فيطرح الأسباب»، أقول: هذا قولٌ مجملٌ يحتمل أمورًا:

أ - فإن كان لاعتقاد عدم تأثيرها، فهذا جَحدٌ لما تضافرت الأدلة العقلية والشرعية على إثباته، وهو تأثير الأسباب في مسبَّباتها، وهذا مذهب الجهمية ومن وافقهم؛ كالأشاعرة.

ب - وإن كان لاعتقاد عدم شرعية العمل بها، فهذا مخالفٌ لموجَب الشرع، كقوله ﷺ: «احرص على ما ينفعك»، وقوله للرجل: «اعقلها وتوكل»، وقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]. وشواهد ذلك كثيرة. =

[﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ

= ج - وإن كان اطّراح الأسباب بترك الاعتماد عليها؛ فهذا حقٌّ، وهو من تحقيق التوكل على الله.

٢- قوله في الدرجة الثالثة: «ألا يرى في الوجود إلا الله وحده. . .» إلخ.

أقول: قوله هذا لفظه يحتمل أن يعتقد ألا موجودَ إلا الله، وهذا هو القول بوحدة الوجود، وهو قول ملاحدة الصوفية الاتحادية، والمؤلف لا يريد هذا المعنى؛ لأنه فسَّره بقوله: «حتى كأنها عنده معدومة. وهذا هو الفناء عند الصوفية، وهو الغيبة عن الخلق؛ حتى أنه يفنى عن نفسه وعن توحيده».

وقد جعل المؤلف هذه الدرجة بهذا التفسير أعلى درجات التوحيد، وهي الفناء عن شهود ما سوى الله، أي عدم الشعور بما سوى الله من المخلوقات، وقد غلط في هذا عفا الله عنه، فإن الفناء والغيبة نقص ليس بكمال، فضلا عن أن يكون من الدين، فضلا عن أن يكون أعلى مقامات الدين.

قال شيخ الإسلام في العقيدة التدمرية: «الفناء الثاني: وهو الذي يذكره بعض الصوفية، وهو أن يفنى عن شهود ما سوى الله تعالى. . .، بحيث قد يغيب عن شهود نفسه لما سوى الله تعالى؛ فهذا حال ناقص. . .، ومن جعل هذا نهاية السالكين فهو ضال ضلالًا مبينا، وكذلك من جعله من لوازم طريق الله فهو مخطئ؛ بل هو من عوارض طريق الله التي تعرض لبعض الناس دون بعض».

مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾].

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الآيةَ؛ ذكر فيها ثمانية أصنافٍ من المخلوقات؛ تنبيهًا على ما فيها من العبر، واستدلالًا على التوحيد المذكور قبلها في قوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾.

﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي: اختلاف وصفِهما من الضِّياء والظَّلام، والطول والقِصَر.

وقيل: المعنى: أنَّ أحدَهما يخلفُ[1] الآخر.

﴿بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ﴾ من التجارة وغيرها.

﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ﴾ إرسالها من جهاتٍ مختلفة؛ وهي الجهات الأربع وما بينها، وبصفاتٍ مختلفة؛ فمنها مُلْقِحةٌ للشجر، وعَقيمٌ، وصِرٌّ، وللنصر، وللهلاك.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ اعلمْ أنَّ محبة العبد لربه على درجتين:

أحدهما: المحبة العامة التي لا يخلو عنها كل مؤمن؛ وهي واجبةٌ.

والأخرى: المحبة الخاصَّة التي ينفرد بها العلماء الربانيون، والأولياء، والأصفياء.

وهي أعلى المقامات، وغاية المطلوبات؛ فإن سائر مقامات الصالحين، كالخوف، والرجاء، والتوكل، وغير ذلك؛ هي مبنيَّةٌ على حظوظ النفوس،

---

(١) في أ، ب، د: «يخلفه».

أَلَا ترى أن الخائف إنما يخاف على نفسه، وأن الراجيَ إنما يرجو منفعةَ نفسه؟، بخلاف المحبة؛ فإنها من أجل المحبوب؛ فليست من المعاوضات[1].

واعلم أن سببَ محبة الله: معرفتُه؛ فتقوى المحبةُ على قدر قوَّة المعرفة، وتضعف على قدر ضعف المعرفة؛ فإن الموجِب للمحبة أحدُ أمرين،

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «اعلم أن محبة العبد لربه على درجتين...» إلخ.
أقول: تضمَّن كلامه تعظيم مقام المحبة، وأن العباد فيها متفاضلون، وهذا صحيح، ولكنه - عفا الله عنه - هوَّن من مقامات الخوف والرجاء والتوكل، وقال: إن غايتها حظُّ النفس، بينما غاية المحبة المحبوبُ.
وهذا لا يُسلَّم له في الجانبين، فمقامات الخوف والرجاء والتوكل غايتها إجلال الله وتعظيمه، والخضوع له والإقرار بربوبيته وكمال غناه، كيف وقد أثنى الله على ملائكته بمقام الخوف فقال: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، وقال سبحانه: ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وأثنى الله على أنبيائه وأوليائه بمقام الخوف والرجاء والتوكل فقال سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وقال عن رسله ﷺ: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١٢].
وأما مقام المحبة - مع علو قدره - فلا يستغنى به عن مقام الخوف والرجاء، كما تزعم الصوفية، ومع ذلك فللنفس حظٌّ في مقام الحب، وهو ما تجده من اللذة في مشاهدة جمال المحبوب وكماله، فلا بد من التعبد لله بكل هذه المقامات، حبًّا ورجاءً وخوفًا وتوكلًا.
قال بعض السلف: من عبد الله تعالى بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالخوف وحده فهو حَروريٌّ، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عَبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن.

أو كلاهما إذا اجتمعا، ولا شكَّ أنهما اجتمعا في حق الله تعالى على غاية الكمال:

فالموجِب الأوَّل: الحسن والجمال.

والآخر: الإحسان والإجمال.

فأما الجمال: فهو محبوب بالطبع؛ فإنَّ الإنسان بالضرورة يحبُّ كلَّ ما يستحسن.

والإجمال: مثل جمال الله في حكمته البالغة، وصنائعه البديعة، وصفاته الجميلة الساطعة الأنوار، التي تَرُوقُ العقولَ وتُبهِج القلوبَ.

وإنما يُدرَك جمالُه تعالى بالبصائر، لا بالأبصار.

وأما الإحسان؛ فقد جُبِلت القلوبُ على حبِّ من أحسن إليها.

وإحسانُ الله إلى عباده متواتر، وإنعامُه عليهم باطن وظاهر، ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، ويكفيك أنه يحسن إلى المطيع والعاصي، والمؤمن والكافر، وكلُّ إحسان يُنسب إلى غيره فهو - في الحقيقة - منه وحده، فهو المستحقُّ للمحبة وحده.

واعلمْ أن محبة الله إذا تمكَّنت من القلب ظهرت آثارها على الجوارح؛ من الجدِّ في طاعته، والنشاط لخدمته، والحرص على مرضاته، والتلذُّذِ بمناجاته، والرضا بقضائه، والشوقِ إلى لقائه، والأنس بذكره، والاستيحاش من غيره، والفرار من الناس، والانفراد في الخلوات،

وخروج الدنيا من القلب، ومحبة كلِّ ما يحبه اللهُ، (وكلِّ من يحب اللهَ)[١] وإيثارِ الله على كل من سواه.

قال الحارث المحاسبيُّ: المحبة مَيلُك إلى المحبوب بكليَّتك، ثم إيثارك له على نفسك وروحك، ثم موافقته سرًّا وجهرًا، ثم علمك بتقصيرك في حبه[٢].

﴿وَلَوْ تَرَى﴾ مِن رؤية العين، و﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ مفعولٌ، وجواب «لو» محذوف؛ وهو العامل في ﴿أَنَّ﴾.

والتقدير: لو ترى الذين ظلموا لعلمتَ أنَّ القوة لله، أو لعلموا أنَّ القوة لله.

وقرئ ﴿يَرَى﴾ بالياء: وهو - على هذه القراءة - من رؤية القلب، و﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ فاعل، و﴿أَنَّ الْقُوَّةَ﴾ مفعولُ ﴿يَرَى﴾، وجواب «لو» محذوف.

والتقدير: لو يرى الذين ظلموا أنَّ القوة لله لندموا، أو لاستعظموا ما حلَّ بهم.

﴿إِذْ تَبَرَّأَ﴾ بدلٌ من: ﴿إِذْ يَرَوْنَ﴾.

أو استئنافٌ؛ والعامل فيه محذوف تقديره: اذكر.

---

(١) سقط من ج، د، هـ.

(٢) أورده القشيري بإسناده إلى الحارث في الرسالة القشيرية (٢/ ٤٩٠).

﴿ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ﴾ هم: الآلهة، أو الشياطين، أو الرؤساء من الكفَّار. والعموم أولى.

﴿ٱلْأَسْبَابُ﴾ هنا: الوُصلات من الأرحام والمودَّات.

﴿أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ﴾ أي: سيِّئاتِهم. وقيل: حسناتهم إذ لم تقبل منهم. أو: ما عملوه لآلهتهم.

[﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾﴾].

﴿كُلُوا۟﴾ أمرٌ محمول على الإباحة.

﴿حَلَٰلًا﴾ حالٌ مِن: ﴿مَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

أو مفعولٌ بـ ﴿كُلُوا۟﴾.

أو صفة لمفعول محذوف؛ أي: شيئًا حلالًا.

﴿طَيِّبًا﴾ يَحتمل أن يريد: الحلالَ، أو اللذيذ.

﴿خُطْواتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ ما يأمر به؛ وأصله من: خُطوة الشيء.

وقال المنذر بن سعيد: يَحتمل أن يكون من الخطيئة، ثم سهِّلت همزته.

وقرئ: بضم الطاء وإسكانها؛ وهي لغتان.

﴿بِالسُّوٓءِ وَالْفَحْشَآءِ﴾ المعاصي.

﴿وَأَن تَقُولُواْ﴾ الإشراكِ، وتحريمِ الحلال؛ كالبَحِيرة وغير ذلك.

﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ ردٌّ على قولهم: ﴿بَلْ نَتَّبِعُ﴾.

والآيةُ في كفَّار العرب. وقيل: في اليهود.

والمعنى: أتتبعونهم[1] ولو كانوا لا يعقلون؟، فدخلت همزة الإنكار على واو الحال.

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الآيةَ؛ في معناها قولان:

الأول: تشبيه الذين كفروا بالبهائم في قلَّة فهمهم وعدم استجابتهم لمن يدعوهم.

ولا بد في هذا من محذوف؛ وفيه وجهان:

أحدهما: أن يكون المحذوف أوَّلَ الآية، والتقدير: مثل داعي الذين كفروا إلى الإيمان ﴿كَمَثَلِ الَّذِى يَنْعِقُ﴾ أي: يصيح ﴿بِمَا لَا يَسْمَعُ﴾ وهي البهائم التي لا تسمع ﴿إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ ولا تعقل معناه.

والآخر: أن يكون المحذوف بعد ذلك، والتقدير: مثل الذين كفروا كمثل مَدْعُوِّ الذي ينعق.

ويكون ﴿دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ على الوجهين: مفعولًا بـ ﴿يَسْمَعُ﴾.

والنعيق: هو زجر الغنم، والصياح عليها.

---

(١) في ج، هـ: «أيتبعونهم».

فعلى هذا القول: شبَّه الكفار: بالغنم، وشبه داعِيهم: بالذي يزجرها ويصيح عليها.

والقول الثاني: تشبيه الذين كفروا في دعائهم وعبادتهم لأصنامهم بمن ينعق بما لا يسمع؛ لأن الأصنام لا تسمع شيئًا.

ويكون ﴿دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ على هذا منقطعًا؛ أي: أن الداعيَ يتعب نفسه بالدعاء والنداء لمن لا يسمعه من غير فائدة.

فعلى هذا: شبه الكفار: بالناعق.

﴿صُمٌّ﴾ وما بعده: راجع إلى الكفار؛ وذلك يقوِّي التأويل الأول.

ورفعه: على إضمار مبتدإٍ.

﴿وَٱشْكُرُواْ﴾ الآيةَ؛ دليلٌ على وجوب الشكر؛ لقوله: ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

﴿ٱلْمَيْتَةَ﴾ ما مات حتف أنفه، وهو عمومٌ خُصَّ منه: الحوت والجراد.

وأجاز مالك أكل الطافي من الحوت، ومنعه أبو حنيفة.

ومنع مالكٌ أكلَ[1] الجراد حتى يُسبِّب موتَها[2] بقطع عضوٍ منها، أو وضعِها في الماء، أو غير ذلك، وأجازه عبد الحكم دون ذلك.

﴿وَٱلدَّمَ﴾ يريد: المسفوحَ؛ لتقييده بذلك في سورة «الأنعام».

---

(١) هذه الكلمة سقطت من ج، هـ.

(٢) في ب: «في موتها».

ولا خلاف في إباحة ما خالط اللحم من الدم.

﴿وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ﴾ هو حرامٌ؛ سواء ذُكِّي أو لم يذكَّ.

وكذلك شحمُه بإجماع، وإنما خصَّ اللحم بالذكر؛ لأنه الغالب في الأكل، ولأن الشحم تابعٌ له؛ ولذلك من حلف أن لا يأكل لحمًا فأكل شحمًا حنَث، بخلاف العكس.

﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ﴾ أي: صِيحَ؛ لأنهم كانوا يَصيحون باسم من ذُبح له، ثم استعمل في النية في الذبيحة.

﴿لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ الأصنام وشبهها.

﴿ٱضْطُرَّ﴾ بالجوع، أو بالإكراه.

وهو مشتق من الضرورة، ووزنه: افتُعِل، وأبدل من التاء طاءٌ.

﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ قيل: باغٍ على المسلمين، وعادٍ عليهم؛ ولذلك لم يرخِّصْ مالك -في رواية عنه- للعاصي بسفره أن يأكل الميتة، والمشهور عنه: الترخيص له.

وقيل: باغٍ باستعمالها من غير اضطرار.

وقيل: باغٍ أي: متزيِّد على إمساك رمَقِه؛ ولهذا لم يُجِز الشافعيُّ للمضطرِّ أن يشبع من الميتة، وقال مالك: بل يشبع ويتزوَّد.

﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ رفعٌ للحرج.

ويجب على المضطرِّ أكلُ الميتة؛ لئلا يقتل نفسه بالجوع، وإنما تدل الآية على الإباحة، ويؤخذ الوجوب من غيرها.

واختلف: هل يباح له أكل الميتة والدم والخنزير، أو أكل ما عدا الخنزير؟

واختلف: هل يباح له أكل ميتة ابن آدم أم لا؟ فمنعه مالك، وأجازه الشافعي؛ لعموم الآية.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ اليهود.

﴿مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ﴾ أي: أكلهم للدنيا يقودهم إلى النار؛ فوضع السبب موضع المسبَّب.

وقيل: يأكلون النار حقيقةً في جهنم.

﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ عبارةٌ عن غضبه عليهم.

وقيل: لا يكلِّمهم بما يحبونه[1].

﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ لا يثني عليهم.

﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ﴾ تعجُبٌ:

من جُرْأتهم على ما يقودهم إلى النار.

أو من صبرهم على عذاب النار في الآخرة.

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾: «عبارةٌ عن غضبه عليهم» إلخ.

أقول: فسَّر نفي الكلام بأحد وجهين:

- بالغضب اللازم من ترك الكلام، وهو من التفسير باللازم.
- أو بترك كلام مخصوص، وهو ما يحبونه ويسرهم.

والثاني هو المناسب؛ لظاهر اللفظ، والله أعلم.

وقيل: إنه استفهام؛ و﴿أَصْبَرَهُمْ﴾ بمعنى: صَبَّرَهم، وهذا بعيد؛ وإنما حمل قائلَه عليه اعتقادُه أن التعجُّبَ مستحيلٌ على الله؛ لأنه استعظامٌ خفِيَ سببُه.

وذلك لا يلزم؛ فإنه في حق الله غيرُ خفيِّ السبب.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى العذاب.

ورفْعُه: بالابتداء، أو بفعل مضمر.

﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ﴾ الباء سببية.

﴿نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن هنا.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالواجب، أو بالإخبار الحقِّ[١]؛ أي: الصادق.

والباء فيه: سببية، أو للمصاحبة.

﴿ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ اليهود والنصارى؛ و﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ على هذا: التوراة والإنجيل.

وقيل: ﴿ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟﴾: العرب؛ و﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ على هذا: القرآن.

ويَحتمل جنس الكتاب[٢] في الموضعين.

﴿لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ أي: بعيدٍ من الحق والاستقامة.

---

(١) في د: «بالحق».

(٢) في ج، د: «الكتب».

[﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَـٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ ﴾].

﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ﴾ الآيةَ؛ خطابٌ لأهل الكتاب؛ لأن المغرب قبلةُ اليهود، والمشرق قبلة النصارى، أي: إنما البرُّ التوجُّه إلى الكعبة.

وقيل: خطابٌ للمؤمنين؛ أي: ليس البرُّ الصلاةَ خاصة، بل البر جميع الأشياء المذكورة بعد هذا.

﴿وَلَـٰكِنِ ٱلْبِرُّ مَنْ ءَامَنَ﴾ لا يصحُّ أن يكون ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ خبرًا عن ﴿ٱلْبِرُّ﴾؛ فتأويله:

لكنَّ صاحب البر مَن آمن.

أو لكن البرَّ برُّ من آمن.

أو يكون البر مصدرًا وُصِف به.

﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ﴾ صدقةَ التطوُّع، وليست بالزكاة؛ لقوله بعد ذلك: ﴿وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾.

﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ الضمير عائد على ﴿ٱلْمَالَ﴾؛ كقوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الحشر: ٩] الآيةَ؛ وهو الراجح من طريق المعنى، وعَودِ الضمير على الأقرب.

وهو على هذا تتميمٌ؛ وهو من أدوات البيان.

وقيل: يعود على مصدر ﴿وَءَاتَى﴾.

وقيل: على الله.

﴿ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ وما بعده: مرتَّبٌ بتقديم الأهم والأفضل؛ لأن الصدقة على القرابة صدقةٌ وصِلةٌ، بخلاف مَن بعدهم، ثم اليتامى؛ لصِغَرهم وحاجتهم، ثم المساكين؛ للحاجة خاصة.

﴿وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ الغريب، وقيل: الضَّيف[1].

﴿وَٱلسَّآئِلِينَ﴾ وإن كانوا غيرَ محتاجين.

﴿وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾ عتقها.

﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ﴾ أي: العهد مع الله، ومع الناس.

﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ نُصِب بإضمار فعل.

﴿فِى ٱلْبَأْسَآءِ﴾ الفقر.

﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾ المرض.

---

(١) في ج، د، هـ: «الضعيف»، والمثبت موافق لما فسره به في «اللغات» مادة (٤٨٨).

﴿وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾ القتال.

﴿صَدَقُوا۟﴾ في القول، والفعل، والعزيمة.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ﴾ أي: شُرع لكم.

وليس بمعنى: فُرِض؛ لأن وليَّ المقتول مخيَّرٌ بين القصاص والدية والعفو.

وقيل: بمعنى فرض؛ أي: فُرِض:

على القاتل: الانقيادُ للقصاص.

وعلى وليِّ المقتول: أن لا يتعداه إلى قتل غيره؛ كفعل الجاهلية.

وعلى الحكَّام: التمكينُ من القصاص.

﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾ ظاهره: اعتبار التَّساوي بين القاتل والمقتول في الحرية والذكورية، وأن لا يقتل حرٌّ بعبد، ولا ذكر بأنثى.

إلَّا أن العلماء أجمعوا على قتل الذكر بالأنثى.

ورأى قوم: أن يُعطِي أولياؤُها حينئذٍ نصفَ الدية لأولياء الرجل المقتصِّ منه؛ خلافًا لمالك والشافعي وأبي حنيفة.

وأما قتل الحرِّ بالعبد: فهو مذهب أبي حنيفة، خلافًا لمالك والشافعي.

فعلى هذا:

لم يأخذ أبو حنيفة بشيءٍ من ظاهر الآية؛ لا في الذكورية ولا في الحرية؛ لأنها عنده منسوخة.

وأخذ مالك بظاهرها في الحرية لا في الذكورية، وتأويلها عنده:

أن قوله: ﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ﴾ عمومٌ يدخل فيه: الذكر بالذكر، والأنثى بالأنثى، والأنثى بالذكر، والذكر بالأنثى، ثم كرَّر قوله: ﴿وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾ تجريدًا؛ للتأكيد؛ لأن بعض العرب كانوا إذا قُتلت منهم أنثى قتلوا بها ذكرًا؛ تكبُّرًا وعدوانًا.

وقد يتَّجه قول مالك على نسخ جميعها، ثم يكون عدم قتل الحرِّ بالعبد من السنة، وهو قوله ﷺ: «**لا يقتل حرٌّ بعبد**»[1].

والناسخ لها على القول بالنسخ: عموم قوله: ﴿ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ [المائدة: ٤٥]، على أن هذا ضعيف؛ لأنه إخبار عن حكم بني إسرائيل.

﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ﴾ الآيةَ؛ فيها تأويلان:

أحدهما: أن المعنى: من قَتل فعُفي عنه فعليه أداءُ الدية بإحسان، وعلى أولياء المقتول اتِّباعه بها بمعروف.

فعلى هذا: «مَن»: كناية عن القاتل، وأخوه: هو المقتول، أو وليُّه، و﴿عُفِيَ﴾ من العفو عن القصاص؛ وأصله أن يتعدى بـ «عن»، وإنما تعدَّى هنا باللام؛ لأنه كقولك: «تجاوزت لفلان عن ذنبه».

والثاني: أن المعنى: مَن أعطِيَته الدية فعليه اتِّباع بمعروف، وعلى القاتل أداءٌ بإحسان.

فعلى هذا: «مَن»: كناية عن أولياء المقتول، وأخوه: هو القاتل

---

(١) أخرجه البيهقي (١٦/ ١٩١)، والدارقطني (٤/ ١٥٣).

أو عاقلته[(١)]، و﴿عُفِيَ﴾ بمعنى: يُسِّرَ؛ كقوله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] أي: ما تيسَّر، ولا إشكال في تعدِّي ﴿عُفِيَ﴾ باللام على هذا المعنى.

﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ﴾ إشارةٌ إلى جواز أخذ الدية؛ لأن بني إسرائيل لم تكن عندهم دية، وإنما هو القصاص.

﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ﴾ أي: قتل قاتل وليِّه بعد أن أخذ منه الدية.

﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ القصاص منه. وقيل: عذاب الآخرة.

﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ بمعنى قولهم: «القتل أنفى للقتل»؛ أي: أن القصاص يردعُ الناس عن القتل.

وقيل: المعنى: أن القصاص أقلُّ قتلًا؛ لأنه قتل واحد بواحد، بخلاف ما كان في الجاهلية من اقتتال قبيلتَي القاتل والمقتول، حتى يُقتَل بسبب ذلك جماعةٌ.

﴿ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ كانت فرضًا قبل الميراث، ثم نسخَها آيةُ المواريث، مع قوله ﷺ: «لا وصية لوارث»[(٢)]، وبقيت الوصية مندوبةً لمن لا يرث من الأقربين.

وقيل: معناها الوصية بتوريث الوالدين والأقربين على حسب الفرائض؛ فلا تعارض بينها وبين المواريث، ولا نسخ.

والأول أشهر.

---

(١) في أ، د: «أو على عاقلته».

(٢) أخرجه الترمذي (٢١٢٠)، وأبو داود (٢٨٧٠)، وابن ماجه (٢٧١٣)، وأحمد (١٧٦٦٣).

[﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَخۡتَانُونَ أَنفُسَكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ وَعَفَا عَنكُمۡۖ فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلۡحُكَّامِ لِتَأۡكُلُواْ فَرِيقٗا مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلۡإِثۡمِ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾].

﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ أي: فُرِضَ.

﴿كَمَا كُتِبَ﴾ القصد بقوله: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ وبقوله: ﴿أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖ﴾: تسهيلُ الصيام على المسلمين، وكأنه اعتذارٌ عن كتْبِه عليهم، ومُلاطفةٌ جميلة.

والذي كُتِب على الذين من قبلنا:

الصيام مطلقًا.

وقيل: كتب على الذين من قبلنا رمضان، فبدَّلوه.

﴿أَيَّامًا﴾ منصوبٌ: بـ ﴿ٱلصِّيَامُ﴾، أو بمحذوف.

ويبعد انتصابُه بـ ﴿تَتَّقُونَ﴾.

﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾ الآيةَ؛ إباحةٌ للفطر مع المرض والسفر، وقد يجب الفطر إذا خاف الهلاك.

وفي الكلام عند الجمهور محذوف يسمى: فحوى الخطاب؛ وتقديره: فمن كان منكم مريضًا أو على سفر فأفطر: فعليه عدَّةٌ من أيام أخر.

ولم يقل الظاهرية بهذا المحذوف؛ فرأوا أنَّ صيام المريض والمسافر لا يصحُّ، وأوجبوا عليه عدَّةً من أيام أخر، وإن صام في رمضان.

وهذا منهم جهلٌ بكلام العرب.

وليس في الآية ما يقتضي تحديدَ السفر، وبذلك قال الظاهرية.

وحدُّه في مشهور مذهب مالك: أربعة بُرُدٍ.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ﴾ قيل: يطيقونه من غير مشقة؛ فيفطرون ويكفِّرون، ثم نسخ جواز الإفطار بقوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾.

وقيل: يطيقونه بمشقَّة؛ كالشيخ الهرِم، فيجوز له الفطر، ويكفِّر بالإطعام، فلا نسخ على هذا.

﴿فَمَن تَطَوَّعَ﴾ أي: صام ولم يأخذ بالفطر والكفارة؛ وذلك على القول بالنسخ.

وقيل: تطوَّع بالزيادة في مقدار الإطعام، وذلك على القول بعدم النسخ.

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ : مبتدأٌ.

أو خبر ابتداء مضمر.

أو بدلٌ مِن ﴿ٱلصِّيَامُ﴾.

﴿أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ ابن عباس: أنزل القرآن جملةً واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر من رمضان، ثم نزل به جبريل على النبي ﷺ بطول عشرين سنة.

وقيل: المعنى: أُنزِل في شأنه القرآن؛ كقولك: «أنزل القرآن في فلان».

وقيل: المعنى: ابتُدِئ فيه إنزال القرآن.

﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ﴾ أي: أن القرآن هدى، ثم هو - مع ذلك - من مبيِّنات[1] الهدى؛ وذلك أن الهدى على نوعين: مطلق، وموصوف بالبيان.

فالهدى الأوَّل - هنا -: على الإطلاق.

وقوله: ﴿وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ﴾ أي: وهو من الهدى المبيِّن؛ فهو من عطف الصفات؛ كقولك: «فلان عالمٌ وجليلٌ من العلماء».

﴿فَمَن شَهِدَ﴾ أي: كان حاضرًا غير مسافر، و﴿ٱلشَّهْرَ﴾ : منصوبٌ على الظرفية.

﴿ٱلْيُسْرَ﴾ و﴿ٱلْعُسْرَ﴾ : على الإطلاق.

---

(١) في د: «بينات».

وقيل: اليسرُ: الفطرُ في السفر، والعسر: الصوم فيه.

﴿وَلِتُكْمِلُوا﴾ متعلّقٌ بمحذوف تقديره: شُرع.

أو: عطف على: ﴿ٱلْيُسْرَ﴾.

﴿ٱلْعِدَّةَ﴾ الأيامَ التي أفطر فيها.

﴿وَلِتُكَبِّرُوا﴾ التكبير يوم العيد، أو مطلقٌ.

﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ﴾ مقيد بمشيئةِ الله، وموافقةِ القدر.

وهذا جواب من قال: كيف لا يستجاب الدعاء مع وعد الله بالاستجابة؟[1].

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «مقيد بمشيئة الله...» إلخ.
أقول: تضمن كلامه هذا أن وعد الله باستجابة دعاء الداعي مشروط بمشيئة الله، وهذا حقٌّ؛ فإنَّ فعله تعالى إنما يكون بمشيئة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج: ١٨]، وأدلة ذلك كثيرة في القرآن.
ومشروط ثانيًا بموافقة القدر، أي أن يكون المطلوب قد سبق القدرُ بكونه، وفي هذا إجمالٌ؛ فإن أراد أنه مقدَّر بدون حصول هذا الدعاء، فهذا يؤول إلى أن يكون الدعاء لا أثر له في حصول المطلوب، وهذا هو الظاهر من مراده، فإنَّ هذا يجري على مذهب نفاة تأثير الأسباب، والدعاءُ من الأسباب، وهو مذهب الأشاعرة، والظاهر أن المؤلف ممن يذهب هذا المذهب.
وإن أراد أنه مقدَّر الحصول بذلك الدعاء فهو حقٌّ، لكن يصير التقييد بذلك كالتقييد للمشيئة؛ فإنه لا يكون إلا ما سبق به القدر، كما لا يكون إلا ما شاءه الله تعالى، فتَخَلُّفُ المطلوب يرجع إلى أن الله لم يقدِّر حصوله في سابق علمه وكتابه. وما كان كذلك فإنه لا يشاؤه سبحانه.
فالمشيئة والقدر متلازمان، فما شاءه فقد سبق به علمُه وكتابُه، وما عَلِمَه وكتَبَه فإنه تعالى يشاؤه، فلا يكون إلا ما يشاء، ولا يكون إلا ما سبق به علمُه وكتابُه. والله أعلم.

﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي﴾ أي: في امتثال ما دعوتهم إليه من الإيمان والطاعة.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ﴾ الآيةَ؛ كان الأكل والجماع محرَّمًا بعد النوم في ليل رمضان، فجرت في ذلك قصة لعمر بن الخطاب[١] ولصِرْمة بن مالك[٢]؛ فأحلَّهما الله؛ تخفيفًا على عباده.

﴿الرَّفَثُ﴾ هنا: الجماع، وإنما تعدَّى بـ﴿إِلَىٰ﴾؛ لأنه في معنى الإفضاء.

﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾ تشبيهٌ بالثياب؛ لاشتمال كل واحد من الزوجين على الآخر، وهذا تعليلٌ للإباحة.

﴿تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: تأكلون وتجامعون بعد النوم في رمضان.

﴿فَتَابَ﴾ ﴿وَعَفَا﴾ أي: غفر ما وقعتم فيه من ذلك.

وقيل: رَفع عنكم ذلك الحكم.

﴿بَٰشِرُوهُنَّ﴾ إباحةٌ.

﴿مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ قيل: الولد يبتغى بالجماع.

وقيل: الرخصة في الأكل والجماع لمن نام في ليل رمضان بعد منعه.

﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ بيانٌ للخيط الأبيض، لا للأسود؛ لأنَّ الفجر ليس له سواد.

---

(١) أخرجها أحمد في المسند (١٥٧٩٥).

(٢) أخرجها البخاري (١٩١٥)، ووقع في اسمه اختلاف كثير، ذكره ابن حجر في الإصابة (٥/ ٢٤٨)، فقيل: صرمة بن مالك كما أورده المؤلف، وقيل: قيس بن صرمة كما في رواية البخاري، وقيل غير ذلك.

والخيط -هنا- استعارةٌ؛ يراد بالخيط الأبيض: بياض الفجر، وبالخيط الأسود: سواد الليل.

وروي أن قوله: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ نزل بعد ذلك؛ بيانًا لهذا المعنى؛ لأنَّ بعضهم جعل خيطًا أبيض وخيطًا أسود عند وِسادِه، وأكل حتى تبيَّن له، فقال له النبي ﷺ: «إنما هو بياض النهار وسواد الليل»[1].

﴿إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ أي: إلى أوَّل الليل، وهو غروب الشمس؛ فمن أفطر قبل ذلك: فعليه القضاء والكفارة.

ومن شك هل غربت أم لا فأفطر: فعليه -أيضًا- القضاء والكفارة.

وقيل: القضاء فقط.

وقالت عائشة رضي الله عنها: ﴿إِلَى ٱلَّيْلِ﴾: يقتضي المنع من الوصال، وقد جاء ذلك في الحديث[2].

﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ﴾ تحريمٌ للمباشرة حين الاعتكاف.

قال الجمهور: المباشرة -هنا-: الجماع وما دونه.

وقيل: الجماع فقط.

﴿فِي ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ دليلٌ على جواز الاعتكاف في كلِّ مسجد؛ خلافًا لمن قال: لا اعتكاف إلَّا في المسجد الحرام، ومسجد المدينة، وبيت المقدس.

وفيه -أيضًا- دليلٌ على أن الاعتكاف لا يكون إلَّا في المساجد، لا في

---

(١) أخرجه البخاري (١٩١٦)، ومسلم (١٠٩٠).

(٢) أخرجه البخاري (١٩٦٥)، ومسلم (١١٠٣).

غيرها، خلافًا لمن أجازه في غيرها من مفهوم الآية.

﴿حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ أي: أحكامه التي أمر بالوقوف عندها.

﴿فَلَا تَقۡرَبُوهَا﴾ أي لا تُقارِبوا[١] مخالفتَها.

واستدلَّ بعضهم به على سدِّ الذرائع؛ لأنَّ المقصود النهي عن المخالفة للحدود؛ لقوله: ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَا﴾ [البقرة: ٢٢٩]، ثم نهَى - هنا - عن مقاربة المخالفة؛ سدًّا للذريعة.

﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم﴾ أي: لا يأكلْ بعضكم مال بعض بالباطل، كالقمار، والغصب، وجحد الحقوق، وغير ذلك.

﴿وَتُدۡلُواْ﴾ عطف على: ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ﴾.

أو: نصب بإضمار «أنْ».

وهو مِن: أَدلى الرجل بحجَّته: إذا قام بها.

والمعنى: نهيٌ عن أن يَحتجَّ بحجة باطلة؛ ليَصِل بها إلى أكل مال الناس.

وقيل: نهيٌ عن رشوة الحكَّام بالأموال للوصول إلى أكل أموال الناس.

فالباء:

على الأول: سببية.

وعلى الثاني: للإلصاق.

﴿بِٱلۡإِثۡمِ﴾ الباء: سببية، أو للمصاحبة.

---

(١) في أ، ب: «لا تقربوا».

والإثم:

على القول الأوَّل في ﴿وَتُدۡلُواْ﴾: إقامة الحجة الباطلة؛ كشهادة الزور، والأيمان الكاذبة.

وعلى القول الثاني: الرشوة.

﴿وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ أي: تعلمون أنكم على الباطل؛ وذلك مبالغةٌ في المعصية والجرْأة.

[﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَـٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَـٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَـٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ ﴾].

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾ سببها: أنهم سألوا عن الهلال، وما فائدة مِحَاقِه وكمالِه ومخالفته لحال الشمس.

والهلال: ليلتان من أوَّل الشهر، وقيل: ثلاثٌ، ثم يقال له: قمر.

﴿مَوَٰقِيتُ﴾ جمع ميقات؛ لمحلِّ الديون، والأَكْرِية، وانقضاء العِدد، وغير ذلك.

ثم ذكَر الحجَّ؛ اهتمامًا بذكره، وإن كان قد دخل في المواقيت للناس.

﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ﴾ الآيةَ؛ كان قومٌ إذا رجعوا من الحج لم يدخلوا بيوتهم من أبوابها، وإنما يدخلون من ظهورها، ويقولون: لا يحولُ بيننا وبين السماء شيءٌ؛ فنزلت الآية إعلامًا أنَّ ذلك ليس من البرِّ.

وإنما ذَكَر ذلك بعد ذِكْر الحج؛ لأنه كان عندهم من تمام الحج.

وقيل: إن المعنى: ليس البر أن تسألوا عن الأهلَّة وغيرها مما لا فائدة لكم فيه؛ فتأتون الأمور على غير ما يجب.

فعلى هذا: ﴿ٱلْبُيُوتَ﴾ و﴿أَبْوَابِهَاۚ﴾ و﴿ظُهُورِهَا﴾ استعاراتٌ؛ يراد بالبيوت: المسائل، وظهورها(١): السؤال عما لا يفيد، وأبوابها: السؤال عما يحتاج إليه.

﴿الْبِرُّ مَنِ اتَّقَىٰۗ﴾ تأويلُه مثل: ﴿الْبِرُّ مَنْ ءَامَنَ﴾(٢).

﴿ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ كان القتال غيرَ مباح في أوَّل الإسلام، ثم أُمر بقتال الكفار الذين يقاتلون المسلمين دون من لم يقاتل؛ وذلك مقتضى هذه الآية، ثم أُمر بقتال جميع الكفار في قوله: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ [التوبة: ٣٦] و﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْۖ﴾ [النساء: ٨٩]؛ فهذه الآية منسوخة.

وقيل: إنها مُحْكمة؛ وأنَّ المعنى: قاتلوا الرجال الذين هم بحال من يقاتلكم(٣)، دون النساء والصبيان الذي لا يقاتلونكم.

والأوَّل أرجح وأشهر.

---

(١) في ب، ج، هـ: «فظهورها».

(٢) انظر صفحة ٣٩٨.

(٣) في ب، ج، هـ: «يقاتلونكم».

﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ﴾ أي: بقتال من لم يقاتلكم؛ على القول الأول.

وبقتال النساء والصبيان؛ على القول الثاني.

﴿وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ﴾ أي: من مكة؛ لأنَّ قريشًا أخرجوا منها المسلمين.

﴿وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ﴾ أي: فتنةُ المؤمن عن دينه أشدُّ عليه من قتله.

وقيل: كفر الكفار أشدُّ من قتل المؤمنين[١] لهم في الجهاد.

﴿عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ منسوخٌ بقوله: ﴿حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ﴾ [النساء: ٨٩]، وذلك يقوِّي نسخ: ﴿ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾.

﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ﴾ أي: عن الكفر فأسلموا؛ بدليل قوله: ﴿غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾؛ وإنما يغفر للكافر إذا أسلم.

﴿لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾ أي: لا يبقى دينُ كفرٍ.

﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ﴾ الآيةَ؛ نزلت لما صدَّ الكفارُ النبيَّ ﷺ والمسلمين[٢] عن دخول مكة للعمرة عامَ الحديبيَة في شهر ذي قَعدة، فدخلها في العام الذي بعده في شهر ذي قعدة.

أي: ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ﴾ الذي دخلتم فيه مكة ﴿بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ﴾ الذي صُدِدتم فيه عن دخولها.

﴿وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ﴾ أي: حرمةُ الشهر والبلد حين دخلتموها: قصاصٌ

---

(١) في ج، هـ: «المؤمن».

(٢) هذه الكلمة سقطت من ب، ج، هـ.

بحرمة الشهر والبلد حين صُدِدتم عنها.

﴿فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ﴾ تسميةٌ للعقوبة باسم الذنب؛ أي: قاتلوا مَن قاتلَكم، ولا تبالوا بحرمة من صدَّكم عن مكة.

﴿وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾ أبو أيوب الأنصاري: المعنى: لا تشتغلوا بأموالكم عن الجهاد.

وقيل: لا تتركوا النفقة في الجهاد؛ خوف العَيلة.

وقيل: لا تقنطوا من التوبة.

وقيل: لا تقتحموا المهالك.

والباء في ﴿بِأَيۡدِيكُمۡ﴾: زائدة.

وقيل: التقدير: لا تلقوا أنفسَكم بأيديكم.

﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ﴾ أي: أكملوهما إذا ابتدأتم عملهما(١).

ابنُ عباس: إتمامهما(٢): إكمال المناسك.

عليٌّ: إتمامهما(٣): أن تحرم بهما من دارك.

ولا حجَّة فيه لمن أوجب العمرة؛ لأن الأمر إنما هو بالإتمام، لا بالابتداء.

---

(١) في ج، هـ: «أكملوها إذا ابتدأتم عملها».

(٢) في ب، ج، هـ: «إتمامها».

(٣) في ب، ج، هـ: «إتمامها».

﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ المشهور في اللغة: أحصره المرض -بالألف-، وحصَره العدوُّ.

وقيل: بالعكس.

وقيل: هما بمعنًى واحدٍ.

فقال مالك: ﴿أُحْصِرْتُمْ﴾ هنا: بالمرض على مشهور اللغة؛ فأوجب عليه الهديَ، ولم يوجبْه على من حصَره العدوُّ.

وقال الشافعي وأشهب: يجب الهدْيُ على من حصَره العدو، وحمَلا الآيةَ على ذلك، واستدلَّا بنحر النبي ﷺ الهدْيَ بالحديبية.

وقال أبو حنيفة: يجب الهديُ على المحصر بعدوٍّ وبمرض.

﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ﴾ أي: فعليكم ما استيسر من الهدي؛ وذلك شاةٌ.

﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ﴾ خطابٌ للمحصر بمرض عند مالك؛ لأنه لا يتحلَّل بالحلق حتى يبلغ الهديُ محلَّه أي: موضع نحره؛ وهو:

مكة أو منى عند مالك.

وقال الشافعي: محِلُّه: حيث أُحصر.

وقيل: هو[1] خطابٌ للمُحصَر وغيره.

﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾ الآيةَ؛ نزلت في كعب بن عُجْرة حين رآه النبيُّ ﷺ فقال له: «لعلَّك تؤذيك هوامُّ رأسك؟» فقال: نعم، فقال له

(١) في ب، ج، هـ «هي».

رسول الله ﷺ: «احلق رأسك، وصمْ ثلاثة أيام، أو أَطعِم ستة مساكين، أو انسُكْ بشاة»[١].

(فمعنى الآية: أنَّ من كان الحج واضطرَّهُ مرضٌ[٢] أو قَمْلٌ إلى حلق رأسه قبل يوم النحر: جاز له حلقه؛ وعليه صيام، أو صدقة، أو نسك)[٣] حسَبما تفسَّر في الحديث.

وقاس الفقهاء على حلق الرأس: سائرَ الأشياء التي يُمنَع الحاج منها، إلَّا الصيدَ، ووطء النساء.

وقصَر الظاهريةُ ذلك على حلق الرأس.

ولا بدَّ في الآية من مضمر لا يستقلُّ الكلام دونَه، وهو المسمى: فحوى الخطاب؛ وتقديرها: فمن كان منكم مريضًا أو به أذًى من رأسه فحلق رأسَه فعليه فديةٌ.

﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾ أي: من المرض؛ على قول مالك.

ومن العدوِّ؛ على قول غيره.

والمعنى: إذا كنتم بحال أمْن؛ سواءٌ تقدَّم مرض أو خوف عدوٍّ، أو لم يتقدَّمْ.

﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ﴾ التمتُّع عند مالك وغيره: هو أن يعتمر الإنسان في

---

(١) أخرجه البخاري (١٨١٤)، ومسلم (١٢٠١).

(٢) في د: «واضطرَّ لمرضٍ».

(٣) سقط من ب، ج، هـ.

أشهر الحج، ثم يحجَّ من عامِه؛ فهو قد تمتع بإسقاط أحد السفرين للحج أو العمرة.

وقال عبد الله بن الزبير: التمتع: هو أن يُحصَر عن الحج بعدوٍّ حتى يفوتَه الحج، فيعتمر عمرةً يتحلل بها من إحرامه، ثم يحج من قابل قضاءً لحجته؛ فهو قد تمتع بفعل الممنوعات في الحج من وقت تحلله بالعمرة إلى الحج القابل.

وقيل: التمتع: هو قِرَان الحج والعمرة.

﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾ شاة.

﴿ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ﴾ وقتُها: من إحرامه إلى يوم عرفة، فإن فاته: صامَ أيام التشريق.

﴿إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ أي: إلى بلادكم، أو في الطريق.

﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ﴾ فائدته: بيان أن السبعةَ تصام بعد الثلاثة؛ فتكون عشرة، ورفْعٌ لتوهُّمِ أنَّ السبعة بدلٌ من الثلاثة.

وقيل: هو مثل الفَذْلكة؛ وهو قول الناس بعد الأعداد: «فذلك كذا».

وقيل: كاملةٌ في الثواب.

﴿لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ يعني: غير أهل مكة وذي طُوى بإجماع.

وقيل: أهل الحرم كلِّه.

وقيل: من كان دون المواقيت.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارةٌ إلى الهدي أو الصيام؛ أي: إنما يجب الهدي - أو الصيام بدلًا منه - على الغرباء، لا على أهل مكة.

وقيل: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى التمتع.

[﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ
فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ
يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ
أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا
هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ
ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ
فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ
ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى
ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا
كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ۞ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى
يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ
إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى
قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ
وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ
جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ
وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا
تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا
جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ
فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾﴾].

﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ﴾ التقدير: أشهرُ الحج أشهرٌ.

أو: الحجُّ في أشهر.

وهي: شوَّال، وذو القَعدة، وذو الحِجة.

وقيل: العَشر الأوَّل منه.

وينبني على ذلك: من أخر طواف الإفاضة إلى آخر ذي حِجةٍ:

فعليه دمٌ على القول بالعَشر الأول.

ولا دمَ عليه على القول بجميع الشهر.

واختلف فيمن أحرم بالحج قبل هذه الأشهر:

فأجازه مالكٌ على كراهة.

ولم يُجزْه الشافعيُّ وداود؛ لتعيين هذا الأشهر لذلك؛ فكأنها كوقت الصلاة.

﴿فَمَن فَرَضَ﴾ أي: ألزم الحجَّ نفسَه.

﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ﴾ الرفث: الجماع. وقيل: الفحش من الكلام.

والفسوق: المعاصي.

والجدال: المراء مطلقًا.

وقيل: المجادلة في مواقف الحج.

وقيل: النسيءُ الذي كانت العرب تفعله.

﴿وَتَزَوَّدُوا﴾ قيل: احملوا زادًا في السفر.

وقيل: تزوَّدوا للآخرة بالتقوى، وهو الأرجح؛ لما بعده.

﴿فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡۚ﴾ التجارة في أيام الحج، أباحها الله تعالى.

وقرأ ابن عباس: «فضلًا من ربكم في مواسم الحج».

﴿أَفَضۡتُم﴾ اندفعتم جملةً واحدة.

﴿مِّنۡ عَرَفَٰتٖ﴾ اسمُ علَمٍ للموقف.

والتنوين فيه في مقابلة النون في جمع المذكر، لا تنوين صرْفٍ؛ فإن فيه التعريفَ والتأنيث.

﴿ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ﴾ المزدلفة.

والوقوف بها سُنَّة.

﴿كَمَا هَدَىٰكُمۡ﴾ الكاف للتعليل.

﴿وَإِن كُنتُم﴾ «إن» مخفَّفة من الثقيلة؛ ولذلك جاءت اللام في خبرها.

﴿مِّن قَبۡلِهِۦ﴾ أي: من قبل الهُدى.

﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه أمر للحُمْسِ[1]؛ وهم قريشٌ ومَن تبعهم، كانوا يقفون بالمزدلفة لأنها حرمٌ، ولا يقفون بعرفة مع سائر الناس؛ لأنها حِلٌّ، ويقولون: نحن أهل الحرم؛ فلا نقف إلَّا بالحرم، فأمرهم الله تعالى أن

---

(١) الحُمْس: لقب قريشٍ، ومن ولَدت قريشٌ وكنانةُ وجَديلةُ قيسٍ، وهم: فَهْمٌ وعَدوانُ ابنا عمرِو بن قيسِ غيلان، وبنو عامر بن صعصعة، سُمُّوا حُمْسًا؛ لتحمُّسهم في دينهم، أي: تشدُّدهم فيه، وكذا في الشجاعة فلا يطاقون، أو لالتجائهم بالحَمْساء، وهي الكعبةُ؛ لأن حجَرها أبيضُ إلى السَّواد. انظر: تاج العروس (١٥/ ٥٥٥).

يقفوا بعرفة مع الناس ويُفِيضوا منها.

وقد كان النبي ﷺ قبل ذلك يقف مع الناس بعرفة؛ توفيقًا من الله تعالى له.

والقول الثاني: أنها خطابٌ لجميع الناس؛ ومعناها: أفيضوا من المزدلفة إلى منى.

ف ﴿ثُمَّ﴾ على هذا القول: على بابِها من الترتيب.

وأما على القول الأوَّل: فليست للترتيب، بل للعطف خاصة.

قال الزمخشري: هي كقولك: «أحسن إلى الناس، ثم لا تحسن إلَّا إلى كريم»؛ فإنَّ معناها: التفاوت بين ما قبلها وما بعدها، وأن ما بعدها آكدُ[1].

﴿قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ﴾ فرَغتم من أعمال الحج.

﴿كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ﴾ لأن الإنسان كثيرًا ما يذكر آباءه[2].

وقيل: كانت العرب يذكرون آباءهم مفاخرةً عند الجمرة، فأُمروا بذكر الله عوضًا من ذلك.

﴿ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا﴾ كان الكفار إنما يدعون بخير الدنيا خاصةً؛ لأنهم لا يؤمنون بالآخرة.

﴿فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ **قيل**: العمل الصالح. **وقيل**: المال. **وقيل**: المرأة الصالحة.

---

(١) الكشاف (٣/ ٣٠٣).

(٢) في ب، ج، هـ: «أباه».

﴿وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً﴾ الجنة.

﴿نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا﴾ يَحتمل أن تكون «مِن»:

سببيةً؛ أي: لهم نصيب عند الله؛ من أجل ما كسبوا من الحسنات.

وأن تكون لبيان الجنس؛ أي: لهم نصيب من الحسنات التي اكتسبوها، والنصيب - على هذا -: الثواب.

﴿سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن يراد به: سرعةُ مجيءِ يوم القيامة.

والآخر: أن يراد به: سرعةُ وقوعِ الحساب يوم القيامة؛ لأنَّ الله لا يحتاج إلى عِدَّةٍ ولا فكرة.

وقيل لعليٍّ ﷺ: كيف يحاسب الله الناس على كثرتهم؟ قال: «كما يرزقهم على كثرتهم»[1].

﴿فِيٓ أَيَّامٍ مَّعۡدُودَٰتٍ﴾ ثلاثةٍ بعد يوم النحر؛ وهي أيام التشريق.

والذكر فيها: التكبير في أدبار الصلوات، وعند رمي الجمار، وغير ذلك.

﴿فَمَن تَعَجَّلَ﴾ أي: انصرف في اليوم الثاني من أيام التشريق.

﴿وَمَن تَأَخَّرَ﴾ أي: إلى اليوم الثالث فرمَى فيه بقيةَ الجمار.

---

(١) لم أقف عليه مسندًا.

وأما المتعجل: فقيل: يترك رمي جمار اليوم الثالث. وقيل: يقدِّمها في اليوم الثاني.

﴿فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ﴾ في الموضعين:

قيل: إنه إباحةٌ للتعجل والتأخر.

وقيل: إنه إخبارٌ عن غفران الإثم -وهو الذنب- للحاجِّ؛ سواءٌ تعجل أو تأخر.

﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ أمَّا على القول بأن معنى: ﴿فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ﴾ إباحةٌ؛ فالمعنى: أن الإباحة في التعجل والتأخر لمن اتقى أن يأثم فيهما؛ فقد أبيح له ذلك من غير إثم.

وأمَّا على القول: بأن معنى: ﴿فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ﴾ إخبار بغفران الذنوب؛ فالمعنى: أن الغفران إنما هو لمن اتقى الله في حجه؛ كقوله ﷺ: «من حج هذا البيت، فلم يرفث، ولم يفسق: خرج من ذنوبه كيومَ ولَدته أمه»[١].

فاللام متعلِّقة: إمَّا بالغفران، أو الإباحة[٢] المفهومَين من الآية.

﴿مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ﴾ الآيةَ؛ قيل: نزلت في الأخنس بن شَريق؛ فإنه أظهر الإسلام، ثم خرج فقتل دوابَّ المسلمين وأحرق لهم زرعًا.

وقيل: في المنافقين.

وقيل: عامة في كل من كان على هذه الصفة.

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٢٠)، ومسلم (١٣٥٠).

(٢) في د: «بالإباحة».

﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ﴾ متعلّق بـ ﴿قَوْلُهُۥ﴾؛ أي: يعجبك ما يقول في أمر الدنيا.

ويحتمل أن يتعلّق بـ ﴿يُعْجِبُكَ﴾.

﴿وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ﴾ أي: يقول: الله يعلم إنِّي لصادق.

﴿أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾ شديد الخصومة.

﴿تَوَلَّىٰ﴾ أدبر بجسده، أو أعرض بقلبه.

وقيل: صار واليًا.

﴿وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ﴾ على القول بأنها في الأخنس: فإهلاك الحرث: حرقه للزرع، وإهلاك النسل: قتله للدواب.

وعلى القول بالعموم: فالمعنى: مبالغةٌ في الفساد، وعبَّر عن ذلك بإهلاك الحرث والنسل؛ لأنهما قِوامُ معيشة بني آدم، فإن الحرث: هو الزرع والفواكه وغير ذلك من النبات، والنسل: هو الإبل والبقر والغنم، وغير ذلك مما يَتناسل.

﴿أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ﴾ المعنى: أنه لا يطيع مَن أمره بالتقوى؛ تكبرًا وطغيانًا.

والباء يَحتمل أن تكون: سببيةً، أو بمعنى «مع».

وقال الزمخشري: هي كقولك: أخذ الأمير الناسَ بكذا أي: ألزمَهم إيَّاه؛ فالمعنى: حملته العزة على الإثم[1].

(١) الكشاف (٣/٣١٨).

﴿مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ﴾ أي: يبيعها.

قيل: نزلت في صهيب. وقيل: على العموم.

وبيع النفس: في الهجرة، أو الجهاد.

وقيل: في تغيير المنكر، وأنَّ الذي قبلها: فيمن غُيِّر عليه فلم ينزجر.

﴿السَّلۡمِ﴾ بفتح السين:

المسالمة، والمراد بها هنا: عقد الذمة بالجزية.

فالأمر على هذا: لأهل الكتاب، وخوطبوا بـ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؛ لإيمانهم بأنبيائهم وكتبهم المتقدمة.

وقيل: هو الإسلام.

وكذلك هو بكسر السين.

فيكون الخطاب لأهل الكتاب؛ على معنى الأمر لهم بالدخول في الإسلام.

وقيل: إنها نزلت في قوم من اليهود أسلموا وأرادوا أن يعظِّموا السبت كما كانوا؛ فالمعنى على هذا: ادخلوا في الإسلام، واتركوا سواه[1].

ويَحتمل: أن يكون الخطاب للمسلمين؛ على معنى: الأمر بالثبوت عليه، أو[2] الدخول في جميع شرائعه من الأوامر والنواهي.

---

(١) في د: «ما سواه».

(٢) في أ، ب: «و».

﴿كَآفَّةً﴾ عموم في: المخاطبين، أو في شرائع الإسلام.

﴿فَاعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ تهديدٌ لمن زلَّ بعد البيان.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ أي: ينتظرون.

﴿يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ تأويله عند المتأوِّلين: يأتيهم عذاب الله في الآخرة، أو أمره في الدنيا.

وهي عند السلف الصالح ومن تبعهم: من المتشابه؛ فيجب الإيمان بها من غير تكييف.

ويَحتمل أن لا تكون من المتشابه؛ لأنَّ قوله: ﴿يَنظُرُونَ﴾ بمعنى: يطلبون ذلك بجهلهم؛ كقولهم: ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١١٨].

﴿فِى ظُلَلٍ﴾ جمع ظُلَّة؛ وهو: ما علاك من فوق.

فإن كان ذلك لأمرِ الله: فلا إشكال.

وإن كان لله: فهو من المتشابه(١).

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «(يأتيهم الله) تأويله عند المتأوِّلين: يأتيهم عذاب الله في الآخرة، أو أمره في الدنيا. إلخ، أقول: ذُكر في معنى قوله تعالى: ﴿يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ قولين:
الأول: تفسير المتأولين، بما ذكره من عذاب الله في الآخرة أو أمره في الدنيا، وهذه طريقة أهل التأويل من نفاة الصفات.
الثاني: أن الآية من المتشابه، والمتشابه عند المؤلف وأمثاله ما لا يعلم معناه إلا الله، وزعم ابن جزي أن هذا هو مذهب السلف ومن تبعهم، ونسبة هذا إلى السلف باطلة، فهذه الآية وأمثالها من نصوص الصفات عند السلف مفهومة المعنى، وهم يثبتون =

﴿ٱلْغَمَامِ﴾ السحابِ.

﴿وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ فُرِغ منه؛ وذلك كنايةٌ عن وقوع العذاب.

* * *

= ما دلت عليه من الصفات والأفعال، ولكن قول المؤلف: «فيجب الإيمان بها من غير تكييف» كلام حق يشبه ما جاء عن السلف في نصوص الصفات: أمروها كما جاءت من غير كيف. لكن يكون في كلام المؤلف نوع تناقض، فجعلها من المتشابه يقتضي عدم الفهم لمعناها، وقوله: «يجب الإيمان بها من غير تكييف» يقتضي فهمها وإثبات معناها، ففي تقريره لما زعم أنه مذهب السلف اضطراب.

وفي كلامه رحمه الله عن الآية اضطراب آخر، فبينما يتعلق الكلام في: ﴿يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ ينتقل إلى أن يكون متعلقا بقوله: ﴿يَنظُرُونَ﴾، وذلك في قوله: «ويحتمل أن لا تكون من المتشابه»، ثم يفسر ﴿يَنظُرُونَ﴾ يطلبون. والمعروف في اللغة والتفسير أن ينظرون المتعدي معناه: ينتظرون، كقوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾، وفي هذا تهديد للمكذبين، والصواب أن الآية تدل على أن الله يأتي يوم القيامة كيف شاء، كما قال: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾.

وقول المؤلف: «فإن كان ذلك لأمر الله فلا إشكال، وإن كان لله: فهو من المتشابه» لعله يريد إن كانت الظلل شيئا مخلوقا بأمر الله فلا إشكال، وهو كما قال، وإن كانت الظلل صفة لله فهي من المتشابه، ولا موجب لهذا التردد، بل الظلل مخلوقة قطعا، وهي بأمر الله، ولا يجوز أن تكون من ذات الله أو صفته، فلا موجب لهذا التردد، ومن أحسن ما عبر به عن قوله: (في ظلل) أي: مع ظلل. ففي على هذا بمعنى مع والله أعلم.

[﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾].

﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ على وجه التَّوبيخ لهم، وإقامةِ الحجة عليهم.

﴿مِّنْ ءَايَةٍۭ﴾ معجزات موسى، أو الدلالات[1] على نبوَّة محمد ﷺ.

﴿وَمَن يُبَدِّلْ﴾ وعيدٌ.

﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ كفارُ قريش سخروا من فقراء المسلمين، كبلالٍ وصهيب.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ هم المؤمنون الذين سخِر الكفارُ منهم.

﴿فَوْقَهُمْ﴾ أي: أحسنُ حالًا منهم.

---

(١) في ب، د: «الدلالة».

ويحتمل فوقيَّة المكان؛ لأنَّ الجنة في السماء.

﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ﴾ إن أراد في الآخرة: فـ ﴿مَن﴾ كنايةٌ عن المؤمنين.

والمعنى: ردٌّ على الكفار؛ أي: إنْ رزَقَ اللهُ الكفارَ في الدنيا؛ فإن المؤمنين يُرزقون في الآخرة.

وإن أراد في الدنيا: فيحتمل:

أن تكون ﴿مَن﴾ كنايةً عن المؤمنين؛ أي: سيرزقهم، ففيه وعدٌ لهم.

وأن تكون كنايةً عن الكافرين؛ أي: أنَّ رِزْقَهم في الدنيا بمشيئة الله، لا على وجه الكرامة لهم.

﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ إن كان للمؤمنين: فيحتمل أن يريد:

بغير تضييقٍ.

أو من حيث لا يحتسبون.

أو لا يحاسَبون عليه.

وإن كان للكفار: فمِن غير تضييق.

﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ أي: متَّفقين في الدين:

قيل: كفارٌ؛ في زمان نوح عليه السلام.

وقيل: مؤمنون؛ ما بين آدم ونوح، أو مَن كان مع نوح في السفينة.

وعلى ذلك يقدَّر: فاختلفوا بعد اتفاقهم؛ ويدلُّ عليه: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟﴾ [يونس: ١٩].

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ هنا: جنس، أو مع كل نبيٍّ كتابه[1].

﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ الضمير المجرور يعود: على ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾.

أو على الضمير المجرور المتقدم.

وقال الزمخشري: يعود على «الحق»[2].

وأما الضمير في ﴿أُوتُوهُ﴾: فيعود على ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾.

والمعنى: تقبيحُ الاختلاف بين الذين أوتوا الكتاب بعد أن جاءتهم البينات.

﴿بَغْيًا﴾ أي: حسدًا، أو عدوانًا.

وهو: مفعولٌ من أجله، أو مصدرٌ في موضع الحال.

﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يعني: أمَّةَ محمد ﷺ.

﴿لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ أي: للحقِّ فيما اختلفوا فيه.

فـ«ما» بمعنى: الذي، وقبلها مضاف محذوف.

والضمير في ﴿ٱخْتَلَفُوا۟﴾: لجميع الناس.

يريد: اختلافهم في الأديان، فهدى الله المؤمنين لدين الحق.

---

(١) في ج، هـ: «كتابٌ».

(٢) الكشاف (٣/ ٣٣٩).

وتقدير الكلام: فهدى الله الذين آمنوا لإصابة ما اختلف فيه الناس من الحق.

و«مِن» في قوله: ﴿مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ لبيان الجنس؛ أي[1]: جنسَ ما وقع فيه الخلاف[2].

﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ قيل: بعلمه. وقيل: بأمره.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ خطابٌ للمؤمنين على وجه التشجيع لهم، والأمرِ بالصبر على الشدائد.

﴿وَلَمَّا يَأْتِكُم﴾ أي: لا تدخلون الجنة حتى يصيبَكم مثلُ ما أصاب مَن كان قبلكم.

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ﴾ أي: حالهم، وعبَّر عنه بالمثَل؛ لأنه في شدَّته يُضرَب به المثل.

﴿وَزُلْزِلُوا۟﴾ بالتخويف والشدائد.

﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ يَحتمل:

أن يكون جوابًا للذين قالوا: متى نصر الله؟

أو أن يكون إخبارًا مستأنفًا.

وقيل: إن الرسول قال ذلك لمَّا قال الذين معه: متى نصر الله؟.

﴿فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ إن أُرِيد بالنفقة الزكاة: فذلك منسوخ.

---

(١) في ب، ج، هـ: «أعني».

(٢) كذا في د، وهامش أ ورمز له بـ«خ»، وفي أ، ب، ج، هـ: «جنسَ المختلَف فيه».

والصواب: أن المراد التطوُّع؛ فلا نسخ.

وقدَّم في الترتيب الأهمَّ فالأهم.

وورد السؤال عن المنفَق، والجواب عن مَصرِفه؛ لأنه كان المقصودَ بالسؤال، وقد حصل الجواب عن المنفَق في قوله: ﴿مِّنْ خَيْرٍ﴾.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ﴾ إن كان على الأعيان: فنسَخه: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً﴾ [التوبة: ١٢٢]، فصار القتال فرض كفاية.

وإن كان على الكفاية: فلا نسخ.

﴿كُرْهٌ﴾ مصدرُ: كَرِه[1]؛ للمبالغة، أو اسمُ مفعولٍ؛ كالخبز بمعنى: المخبوز.

﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟﴾ حضٌّ على القتال.

* * *

(١) كذا في أ، ب، د، وفي هامش أ: «خ: ذُكر»، وفي ج، هـ: «مصدرٌ ذَكَرَهُ».

[﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾﴾].

﴿ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ جنسٌ، وهي أربعة أشهر: رجب، وذو القَعدة، وذو الحِجة، والمحرم.

﴿قِتَالٍ فِيهِ﴾ بدلٌ من ﴿ٱلشَّهْرِ﴾؛ وهو مقصود السؤال.

﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ أي: ممنوعٌ؛ ثم نسخه: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥].

وذلك بعيد؛ فإن ﴿حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ عمومٌ في الأمكنة، لا في الأزمنة.

ويظهر أنَّ ناسخه: ﴿وَقَـٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ [التوبة: ٣٦] بعد ذكر الأشهر الحرم؛ فإن[1] التقدير: قاتلوا فيها؛ ويدلُّ عليه: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦].

ويَحتمل أن يكون المراد: وقوعَ القتال في الشهر الحرام؛ أي: إباحتَه حسَبما استقرَّ في الشرع؛ فلا تكون الآية منسوخةً، بل ناسخة لما كان في أوَّل الإسلام من تحريم القتال في الأشهر الحرم.

﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ابتداءٌ، وما بعده معطوف عليه، و﴿أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ خبرُ الجميع.

أي: أنَّ هذه الأفعال القبيحة التي فعلها الكفار أعظمُ عند الله من القتال في الشهر الحرام الذي عَيَّر به الكفارُ المسلمين في سرية عبد الله بن جحش حين قاتل في أوَّل يوم من رجب.

وقد قيل: إنه ظنَّه آخرَ يوم من جُمادَى.

﴿وَٱلْمَسْجِدِ﴾ عطفٌ على: ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

﴿حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ﴾ قال الزمخشري: «حتى» هنا: للتعليل[2].

﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ﴾ ذهب مالك إلى أن المرتدَّ يحبَط عمله بنفس الارتداد؛ سواءٌ رجع إلى الإسلام، أو مات على الارتداد، ومن ذلك: انتقاض وضوئه، وبطلان صومه.

---

(١) في د: «فكأنَّ».
(٢) الكشاف (٣/ ٣٥٠).

وذهب الشافعيُّ إلى أنه لا يحبط إلَّا إن مات كافرًا ؛ لقوله : ﴿فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾ .

وأجاب المالكية : بأنَّ قولَه : ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ : جزاءٌ على الردة، وقولَه : ﴿أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ : جزاءٌ على الموت على الكفر.

وفي ذلك نظر.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الآيةَ؛ نزلت في عبد الله بن جحش وأصحابه.

﴿ٱلْخَمْرِ﴾ كلُّ مسكر؛ من العنب وغيره.

﴿وَٱلْمَيْسِرِۖ﴾ القمار. وكان ميسر العرب بالقِداح في لحم الجزور.

ثم يَدخل في ذلك: النَّرْدُ والشَّطْرنج وغيرهما.

وروي: أنَّ السائلَ عنهما كان حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه.

﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ نصٌّ في التحريم وأنهما من الكبائر؛ لأن الإثم حرامٌ؛ لقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

خلافًا لمن قال: إنما حرَّمتْها آيةُ «المائدة»، لا هذه الآية.

﴿وَمَنَٰفِعُ﴾ في الخمر: التلذُّذ والطرب. وفي القمار: الاكتساب به.

ولا يدلُّ ذِكْر المنافع على الإباحة؛ قال ابن عباس: المنافع قبل التحريم، والإثم بعده.

﴿وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ﴾ تغليبٌ[١] للإثم على المنفعة، وذلك -أيضًا- بيانٌ للتحريم.

---

(١) في ج، هـ: «تغليبًا».

﴿قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ﴾ أي: السَّهلَ من غير مشقَّة.

وقراءة الجماعة: بالنصب، بإضمار فعلٍ؛ مشاكلةً للسؤال؛ (على أن يكون ﴿مَاذَا﴾ مركَّبًا مفعولًا بـ ﴿يُنفِقُونَۖ﴾.

وقرأ أبو عمرٍو: بالرفع بالابتداء؛ مشاكلةً للسؤال؛)[1] على أن يكون «ما» مبتدأً، و«ذا» خبره.

﴿تَتَفَكَّرُونَ ۝٢١٩ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۗ﴾ أي: في أمرِهما.

﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ﴾ كانوا قد تجنَّبوا اليتامى تورُّعًا؛ فنزلت إباحة[2] مخالطتهم بالإصلاح لهم.

فإن قيل: لم جاء ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ﴾ بالواو ثلاثَ مرات، وبغير واو ثلاث مرات قبلها؟

فالجواب: أن سؤالهم عن المسائل الثلاث الأُوَل وقع في أوقات متفرِّقة؛ فلم تأت[3] بحرف عطف، وجاءت الثلاثة الأخيرة بالواو؛ لأنها كانت متناسقةً[4].

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ﴾ تحذيرٌ من الفساد، وهو أكل أموال اليتامى.

(﴿لَأَعۡنَتَكُمۡۚ﴾ لضيَّقَ عليكم بالمنع من مخالطتهم.

---

(١) سقط من ب، ج، هـ.
(٢) في د: «فنزلت الآية بإباحة».
(٣) في ب، ج، هـ: «يأت».
(٤) انظر: الكشاف (٣/ ٣٧٤).

ابنُ عباس: لأهلككم بما سبق من أكلكم لأموال اليتامى)[1].

﴿وَلَا تَنكِحُوا۟﴾ أي: لا تتزوجوا.

والنكاح: مشترك بين الوطء والعقد.

﴿ٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ عُبَّاد الأوثان من العرب، فلا تتناول اليهودَ ولا النصارى المباحَ نكاحُهنَّ في «المائدة»، فلا تعارض بين الموضعين، ولا نسخ.

خلافًا لمن قال: آيةُ «المائدة» نسخت هذه.

ولمن قال: هذه نسخت آيةَ «المائدة»؛ فمنَع نكاح الكتابيَّات.

ونزلت الآية بسبب مَرثدٍ الغَنويِّ، أراد أن يتزوج امرأة مشركة.

﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ﴾ أي: أمةٌ لله؛ حرَّةً كانت أو مملوكةً.

وقيل: أمةٌ مملوكة مؤمنة خيرٌ من حرَّةٍ مشركة.

﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ في الجمال، والمال، وغير ذلك.

﴿وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أي: لا تُزوِّجوهم نساءَكم.

وانعقد الإجماع على أن الكافر لا يتزوَّج مسلمة؛ سواءٌ كان كتابيًا أو غيرَه.

واستدلَّ المالكية على وجوب الولاية في النكاح بقوله: ﴿وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾؛ لأنه أسند نكاح النساء إلى الرجال.

﴿وَلَعَبْدٌ﴾ أي: عبدٌ للهِ. وقيل: مملوكٌ.

---

(١) سقط من ب، ج، هـ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ المشركات والمشركون.

﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ إلى الكفر الموجِب للنار.

﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ أي: بإرادته، أو علمه.

* * *

[﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾].

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ سأل عن ذلك عبَّاد بن بِشْرٍ وأُسيد بن الحُضير؛ قالا لرسول الله ﷺ: ألا نجامع النساء في المحيض، خلافاً لليهود؟.

﴿هُوَ أَذًى﴾ مستقذَرٌ، وهذا تعليلٌ لتحريم الجماع في المحيض.

﴿فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ﴾ أي: اجتنبوا جماعَهنَّ.

وقد فَسَّر ذلك الحديثُ بقوله: «لتشدَّ عليها إزارها، وشأنك بأعلاها»[1].

﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ أي: ينقطعَ عنهنَّ الدم.

﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ أي: اغتسلنَ بالماء.

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (١٥٩).

وتعلَّق الحكمُ:

بالغاية الأخيرة عند مالك والشافعي؛ فلا يجوز عندهما وطءُ الحائض حتى تغتسلَ.

وبالغاية الأولى عند أبي حنيفة؛ فأجاز الوطءَ عند انقطاع الدم، وقبل الغُسل.

وقرئ: ﴿حَتَّىٰ يَطَّهَّرْنَ﴾: بالتشديد، ومعنى هذه القراءة: بالماء؛ فتكون الغايتان[١] بمعنًى واحدٍ، وذلك حجة لمالك.

﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ﴾ قُبُل المرأة.

﴿التَّوَّابِينَ﴾ من الذُّنوب.

﴿الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ بالماء، أو من الذُّنوب.

﴿حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ أي: موضعُ حرثٍ؛ وذلك تشبيه للجماع في إلقاء النطفة وانتظار الولد: بالحرث في إلقاء البَذر وانتظار الزرع.

﴿أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ أي: كيف شئتم من الهيئات، أو متى شئتم.

لا: أين شئتم؛ لأنه يُوهِم الإتيانَ في الدبر، وقد افترى مَن نسَب جوازه إلى مالك، وقد تبرَّأ هو من ذلك وقال: إنما الحرث في موضع الزرع.

﴿وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ﴾ أي: الأعمال الصالحة[٢].

---

(١) في ج، هـ: «الغاية».

(٢) في ب، د: «الصالحات».

﴿عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ﴾ أي: لا تكثروا الحلِفَ بالله فتبتذِلُوا اسمَه.

و﴿أَن تَبَرُّواْ﴾ على هذا: علةٌ للنهي؛ فهو مفعولٌ من أجله، أي: نُهِيتم[1] عن كثرة الحلف كي تبرُّوا.

وقيل: المعنى: لا تحلِفوا على أن تبرُّوا وتتقوا، وافعلوا البرَّ والتقوى دون يمين.

فـ﴿أَن تَبَرُّواْ﴾ على هذا: هو المحلوف عليه.

والعُرْضةُ على هذين القولين كقولك: «فلان عرضةٌ لفلان»: إذا أكثَرَ التعرُّضَ له.

وقيل: ﴿عُرۡضَةٗ﴾ مَانع؛ من قولك: «عرض له أمرٌ»: حالَ بينه وبين كذا.

أي: لا تمتنعوا بالحلِف بالله من فعل البرِّ والتقوى، ومن ذلك يمين أبي بكر الصديق أن لا ينفق على مِسْطَح.

فـ﴿أَن تَبَرُّواْ﴾ على هذا: علَّةٌ لامتناعهم؛ فهو مفعولٌ من أجله، أو مفعولٌ بـ﴿عُرۡضَةٗ﴾؛ لأنها بمعنى مانع.

﴿بِٱللَّغۡوِ﴾ الساقط.

وهو عند مالك: قولُك[2]: «نعم والله»، و«لا والله»، الجاري على اللسان من غير قصدٍ، وفاقًا للشافعي.

---

(١) في د: «نهيتكم».

(٢) في ب، د: «كقولك».

وقيل: أن يحلف على الشيء يظنُّه على ما حلف عليه، ثم يَظهر خلافَه، وفاقًا لأبي حنيفة.

وقال ابن عباس: اللغو: الحلِف حين الغضب.

وقيل: اللغو: اليمين على المعصية.

والمؤاخذةُ: العقاب، أو وجوب الكفارة.

﴿بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ أي: قصدتْ؛ فهو خلاف اللغو.

وقال ابن عباس: هو اليمين الغَموس؛ وذلك أن يحلف على الكذب متعمِّدًا. وهو حرام إجماعًا.

وليس فيه كفارةٌ عند مالك، خلافًا للشافعي.

﴿يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾ يحلفون على ترك وطئهنَّ.

وإنما تعدى بـ ﴿مِن﴾؛ لأنه تضمَّن معنى البعد منهن.

ويدخل في عموم قوله: ﴿لِّلَّذِينَ﴾: كل حالفٍ؛ حرًّا كان أو عبدًا.

إلا أن مالكًا جعل مدة إيلاء العبد شهرين، خلافًا للشافعي.

ويدخل في إطلاق الإيلاء: اليمينُ بكل ما يَلزم عنه حكمٌ، خلافًا للشافعي في قصرِه الإيلاءَ على الحلِف بالله؛ ووجهُه: أنها اليمين الشرعيَّة.

ولا يكون مُؤْلِيًا - عند مالك والشافعي - إلَّا إذا حلف على مدَّةٍ أكثرَ من أربعة أشهر.

وعند أبي حنيفة: أربعة أشهر فصاعدًا.

فإذا انقضت الأربعة الأشهر:

وُقِف المؤلي[1] عند مالك والشافعي، فإمَّا فاءَ، وإلَّا طلَّق.

فإن أبَى: طلَّق عليه الحاكم.

وقال أبو حنيفة: إذا انقضت الأربعة الأشهر: وقع الطلاق دون توقيف.

ولفظ الآية يَحتمل القولين.

﴿فَإِن فَآءُو﴾ رجعوا إلى الوطء، وكفَّروا عن اليمين.

﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: يغفر ما في الإيلاء من الإضرار بالمرأة.

﴿عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ﴾ العزيمة:

على قول مالك: التطليق، أو الإباية؛ فيطلِّقُ عليه الحاكم.

وعند أبي حنيفة: ترك الفيءِ حتى تنقضيَ الأربعة الأشهر.

والطلاق في الإيلاء:

رجعيٌّ عند مالك.

بائنٌ عند الشافعي وأبي حنيفة.

﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾ بيانٌ للعِدَّة، وهو عمومٌ مخصوص؛ خرجت منه:

الحاملُ بقوله: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤].

واليائسة والصغيرة بقوله: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ﴾ [الطلاق: ٤] الآيةَ.

---

(١) هذه الكلمة لم ترد في ب، ج، هـ.

والتي لم يُدخَل بها بقوله: ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ [الأحزاب: ٤٩].

فيبقى حكمها: في المدخول بها، وهي في سنِّ مَن تحيض.

وقد خصَّ مالك منها: الأمةَ؛ فجعل عدَّتها قُرأين.

و﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ خبرٌ بمعنى الأمر.

﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ انتصب ﴿ثَلَٰثَةَ﴾ على أنه مفعولٌ به؛ هكذا قال الزمخشري[١].

و﴿قُرُوٓءٍ﴾: جمع قُرْءٍ؛ وهو مشترك -في اللغة- بين الطُّهر والحيض.

فحمله مالك والشافعي على الطُّهر؛ لإثبات التاء في ﴿ثَلَٰثَةِ﴾، فإن الطهرَ مذكَّرٌ، والحيض مؤنث، ولقول عائشة: الأقراء هي الأطهار.

وحمله أبو حنيفة على الحيض؛ لأنه الدليل على براءة الرحم، وذلك مقصود العدَّة.

فعلى قول مالك: تنقضي العدة بالدخول في الحيضة الثالثة، إذا طلَّقها في طهر لم يمسَّها فيه.

وعند أبي حنيفة: بالطهر منها.

﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرْحَامِهِنَّ﴾ يعني: الحملَ والحيض.

﴿وَبُعُولَتُهُنَّ﴾ جمع بعْلٍ؛ وهو هنا الزوج.

﴿فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: في زمان العدة.

---

(١) الكشاف (٣/ ٣٩٤).

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ﴾ من الاستمتاع، وحسن المعاشرة.

﴿دَرَجَةٌ﴾ في الكرامةِ. وقيل: الإنفاقُ. وقيل: كونُ الطلاق بيده.

* * *

[﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٢٩ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٢٣٠ وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖۚ وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارٗا لِّتَعۡتَدُواْۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٣١ وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوۡاْ بَيۡنَهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ ذَٰلِكُمۡ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢٣٢﴾].

﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ﴾ بيانٌ لعدد الطلاق الذي يُرتَجع منه دون زوجٍ آخر.

وقيل: بيانٌ لعدد الطلاق الذي يجوز إيقاعه، وهو طلاق السُّنَّة.

﴿فَإِمۡسَاكُۢ﴾ ارتجاعٌ. وهو مرفوع: بالابتداء، أو بالخبر.

﴿بِمَعۡرُوفٍ﴾ حُسْنِ المعاشرة، وتوفيةِ الحقوق.

﴿أَوۡ تَسۡرِيحُۢ﴾ هو تركُها حتى تنقضيَ العدة، فتبِينَ منه.

﴿بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾ المتعة.

وقيل: التسريح هنا: الطلقة الثالثة بعد الاثنتين، وروي في ذلك حديث ضعيف[1].

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٤/ ١٣٠).

وهو بعيد؛ لأنَّ قوله تعالى بعد ذلك: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ هو الطلقة الثالثة، وعلى ذلك يكون تكرارًا، أو طلقةً رابعة لا معنى لها.

﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا﴾ الآيةَ؛ نزلت بسبب ثابت بن قيس، اشتكت به امرأته إلى رسول الله ﷺ فقال لها: «أتردِّين عليه حديقته؟» قالت: نعم، فدعاه فطلَّقها على ذلك[1].

وحكمها على العموم.

وهي خطاب للأزواج في حكم الفدية؛ وهي الخلع.

وظاهرها أنه: لا يجوز الخلع إلَّا إذا خاف الزوجان ألَّا يقيما حدود الله، وذلك إذا ساء ما بينهما وقبُحت معاشرتهما.

ثم إن المخالعةَ على أربعة أحوال:

الأول: أن تكون من غير ضرر من الزوج ولا من الزوجة:

فأجازها مالك وغيره؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾ الآيةَ [النساء: ٤].

ومنعها قومٌ؛ لقوله في هذه الآية: ﴿إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾.

والثاني: أن يكون الضرر منهما جميعًا:

فمنعه مالك في المشهور؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ [النساء: ١٩].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٤/ ١٣٩).

وأجازه الشافعي؛ لقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾.

الثالث: أن يكون الضرر من الزوجة خاصةً:

فأجازه الجمهور؛ لظاهر هذه الآية.

والرابع: أن يكون الضرر من الزوج خاصة:

فمنعه الجمهور؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾ الآيةَ [النساء: ٢٠].

وقد منع بعضهم الخلع مطلقًا؛ لقوله: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ﴾ الآيةَ.

وأجازه أبو حنيفة مطلقًا، وقوله في ذلك مخالف للكتاب والسنة.

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ خطاب للحكَّام والمتوسطين في هذا الأمر.

﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ هذه هي الطلقة الثالثة بعد الطلقتين المذكورتين في قوله: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾.

﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ أجمعت الأُمَّة على أن النكاح هنا هو العقد، مع الدخول والوطء؛ لقوله ﷺ للمطلَّقة ثلاثاً حين أرادت الرجوع إلى مطلِّقها قبل أن يمسَّها الزوج الآخر: «لا؛ حتى تذوقي عُسيلَته ويذوقَ عسيلتكِ»[1].

وروي عن سعيد بن المسيب أن العقد يُحِلُّها دون وطءٍ، وهو قول مرفوض؛ لمخالفته للحديث، وخرقه للإجماع.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٣٩)، ومسلم (١٤٣٣).

وإنما يُحِلُّ[(١)] عند مالك إذا كان:

النكاحُ صحيحًا لا شبهة فيه.

والوطءُ مباحًا في غير حيض، ولا إحرام، ولا اعتكاف، ولا صيام، خلافًا لابن الماجشون في الوطء غير المباح.

وأما نكاح المحلِّل: فحرام، ولا يُحِلُّ الزوجةَ لزوجها عند مالك، خلافًا لأبي حنيفة.

والمعتبَر في ذلك: نية المحلِّل، لا نية المرأة، ولا المحلَّل له.

وقال قوم: من نوى التحليل منهم أفسد.

﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ يعني: هذا الزوجَ الثاني.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ أي: على الزوجة والزوج الأول.

﴿أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ أي: أوامرَه فيما يجب من حقوق الزوجيَّة.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ الآيةَ؛ خطابٌ للأزواج.

وهو نهيٌ عن أن يطوِّل الرجل العدَّةَ على المرأة؛ مضارَّةً منه لها، بأن يرتجعَ قرب انقضاء العدَّة، ثم يطلِّقَ بعد ذلك.

ومعنى: ﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ في هذا الموضع: قاربن انقضاء العدَّة، وليس المراد: انقضاؤها؛ لأنه ليس بيده إمساكٌ حينئذٍ.

ومعنى ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾: راجعوهنَّ.

---

(١) في د: «تحلُّ».

و﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ هنا: قيل: هو الإشهاد. وقيل: النفقة.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ الآيةَ؛ هذه الأخرى خطابٌ للأولياء.

وبلوغ الأجل هنا: انقضاءُ العدة.

و﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ أي: لا تمنعوهنَّ.

﴿أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ أي: يراجعن الأزواج الذين طلقوهنَّ.

قال السهيلي: نزلت في مَعقِل بن يسار، كان له أخت، فطلَّقها زوجُها ثم أراد مراجعتها وأرادت هي مراجعته، فمنعها أخوها[1].

وقيل: نزلت في جابر بن عبد الله؛ وذلك أنَّ رجلًا طلق أخته وتركها حتى تمَّتْ عدتُها، ثم أراد ارتجاعها، فمنعها جابر وقال: تركتَها وأنت أملكُ بها، لا زَوَّجْتُكها أبدًا، فنزلت الآية.

و﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ هنا: الصداق. وقيل: الإشهاد.

وهذه الآية تقتضي ثبوتَ حقِّ الولي في إنكاح وليته، خلافًا لأبي حنيفة.

﴿ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ﴾ خطابٌ للنبي ﷺ، أو لكلِّ أحد على حِدَتِه؛ ولذلك وحَّد ضمير الخطاب.

﴿ذَلِكُمْ أَزْكَى﴾ خطابٌ للمؤمنين، والإشارة إلى ترك العَضْل.

ومعنى ﴿أَزْكَى﴾: أطيبُ للنفس.

ومعنى ﴿وَأَطْهَرُ﴾: للدين والعِرض.

---

(١) انظر: التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام، للسهيلي، تحقيق: النقراط، ص: ٦٩.

[﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ ﴾].

﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾ خبر بمعنى الأمر.

★ **وتقتضي الآية حكمين:**

★ **الأول: مَن يُرضِع الولد:**

مذهبُ[1] مالك: أن المرأة يجب عليها رضاعُ ولدها ما دامت في عصمة والده، إلَّا أن تكون شريفةً لا يُرضِع مثلُها، فلا يلزمها ذلك.

وإن كان والدهُ قد مات وليس للولد[2] مال:

لزمَها إرضاعُه في المشهور.

---

(١) في د: «فمذهب».

(٢) في د: «للابن» وكذا في هامش أ ورمز لها بـ«خ».

وقيل: أجرة رضاعه على بيت المال.

وإن كانت مطلقةً بائنًا[1]: لم يلزمْها رضاعُه؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٦]، إلَّا أن تشاء هي؛ فهي أحقُّ به بأجرة المثل.

وإن[2] لم يقبلْ غيرَها: وجب[3] عليها إرضاعُه.

ومذهب الشافعي وأبي حنيفة: أنها لا يلزمُها إرضاعه أصلًا، والأمر في هذه الآية عندهما على الندب.

وقال أبو ثور: يلزمها على الإطلاق؛ لظاهر الآية، فحمَلها على الوجوب.

وأما مالك: فحمَلها في موضع على الوجوب، وفي موضع على الندب، وفي موضع على التَّخيير، حسَبما ذكَرنا[4] من التقسيم في المذهب.

★ الحكم الثاني: مدَّةُ الرَّضاع:

وقد ذكرها في قوله: ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ وإنما وصفهما بكاملين؛ لأنه يجوز أن يقال في حولٍ وبعضِ آخر: حولان، فرَفع ذلك الاحتمال.

وأباح الفطام قبل تمام الحولين بقوله تعالى: ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾.

---

(١) في د: «طلقةً بائنة».

(٢) في ب، ج، هـ: «فإن».

(٣) في ب، ج، هـ: «فيجب».

(٤) في ب، ج، هـ: «ذكروا».

واشترط أن يكون الفطام عن تراضي الأبوين بقوله: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا﴾ الآيةَ.

فإن لم يكن على الولد ضررٌ في الفطام فلا جناح عليهما.

ومن دعا منهما إلى تمام الحولين: فذلك له.

وأما بعد الحولين: فمن دعا منهما إلى الفطام فذلك له.

وقال ابن عباس: إنما يَرضعُ حولين مَن مكَث في البطن ستةَ أشهر، فمن مكث سبعةً فرَضاعه: ثلاثة وعشرون شهرًا، وإن مكث تسعةً فرضاعه: أحَدٌ وعشرون؛ لقوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥].

﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ في هذه النفقة والكسوة قولان:

أحدهما: أنها أُجرة رضاع الولد، أوجبها الله للأمِّ على الوالد، وهو قول الزمخشريِّ[١] وابنِ العربي[٢].

والثاني: أنها نفقة الزوجات على الإطلاق، قال منذرُ بن سعيد البلُّوطيُّ: هذه الآية نصٌّ في وجوب نفقة الرجل على زوجته، وعلى هذا حملها ابن الفَرَس[٣].

﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ هنا: أي: على قدْر حال الزوج في ماله، والزوجةِ في منصبها، وقد بيَّن ذلك بقوله: ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

---

(١) انظر: الكشاف (٣/ ٤١٦).

(٢) انظر: أحكام القرآن، لابن العربي (١/ ٢٠٣).

(٣) انظر: أحكام القرآن، لابن الفرس (١/ ٣٤٠).

﴿لَا تُضَآرَّ وَالِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا﴾ قرئ:

بفتح الراء -لالتقاء الساكنين-؛ على النهي.

وبرفعهما؛ على الخبر، ومعناه النهي.

ويَحتمل على كل واحد من الوجهين:

أن يكون الفعل مسندًا إلى الفاعل؛، فيكون ما قبل الآخر مكسورًا قبل الإدغام.

أو يكون مسندًا إلى المفعول، فيكون مفتوحًا.

والمعنى على الوجهين: النهيُ عن إضرار أحد الوالدين بالآخر بسبب الولد.

ويدخل في عموم النهي: وجوهُ الضرر كلُّها.

والباء في قوله ﴿بِوَلَدِهَا﴾ و﴿بِوَلَدِهِۦ﴾: سببية.

والمراد بقوله: ﴿مَوْلُودٌ لَّهُۥ﴾: الوالد، وإنما ذكَره بهذا اللفظ؛ إعلامًا بأنَّ الولد يُنسَب له، لا للأم.

﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ اختلف في الوارث:

فقيل: وارث المولود له.

وقيل: وارث الصبي لو مات.

وقيل: هو الصبيُّ نفسه.

وقيل: مَن بَقِي مِن أبويه.

واختلف في المراد بقوله: ﴿مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾:

فقال مالك وأصحابه: عدم المضارَّة، وذلك يجري مع كلِّ قولٍ في الوارث؛ لأن ترك الضرر واجبٌ على كل أحد.

وقيل: المراد: أجرة الرضاع في النفقة والكسوة، ويختلف هذا القول بحسب الاختلاف في الوارث:

فأما على القول بأن الوارث هو الصبيُّ: فلا إشكال؛ لأن أجرة رضاعه في ماله.

وأما على سائر الأقوال:

فقيل: إن الآية منسوخة؛ فلا تجب أجرة الرضاع على أحدٍ غير الوالد.

وقيل: إنها مُحْكَمة؛ فتجب أجرة الرضاع على وارث الصبي لو مات، أو على وارث الوالد، وهو قول قتادة والحسن البصري.

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟﴾ إباحةٌ لاتخاذ الظِّئْر.

﴿إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم﴾ أي: دفعتم أجرةَ الرضاع.

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ الآيةَ؛ عمومٌ في كل متوفًّى عنها؛ سواءٌ توفي زوجُها قبل الدخول أو بعده.

إلَّا الحاملَ؛ فعِدَّتها وضعُ حملها؛ سواءٌ وضعتْه قبل الأربعة الأشهر والعشرِ أو بعدَها عند مالك والشافعي وجمهور العلماء.

وقال علي بن أبي طالب: عدَّتها أبعدُ الأجلَين.

وخصَّ مالكٌ من ذلك: الأمةَ؛ فعدَّتها في الوفاة: شهران وخمسُ ليالٍ.

و﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ معناه: عن التزوُّج.

وقيل: وعن[١] الزِّينة؛ فيكون أمرًا بالإحداد.

وإعراب ﴿وَالَّذِينَ﴾: مبتدأٌ، وخبرُه: ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ على تقدير: أزواجُهم يتربصْنَ.

وقيل: التقدير: وأزواجُ الذين يتوفون منكم يرتبصن.

وقال الكوفيون: الخبرُ عن ﴿وَالَّذِينَ﴾ متروكٌ، والقصد: الإخبار عن أزواجهم.

﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ﴾ من التزوج والزينة ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾[٢] هنا: إذا كان غير منكر.

وقيل: معناه الإشهاد.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ﴾ الآيةَ؛ إباحةٌ للتعريض بخِطبة المرأة المعتدَّة.

ويقتضي ذلك: النهيَ عن التَّصريح.

ثم أباح ما يُضمَر في النفس بقوله: ﴿أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ﴾.

﴿سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ أي: تذكرونهنَّ[٣] في نفوسكم، وبألسنتكم لمن يَخِفُّ عليكم.

---

(١) في د: «عن» بلا واو.

(٢) في ب، د، هـ: «فالمعروف».

(٣) في ب، ج، هـ: «تذكروهنَّ».

وقيل: أي ستخطبونهنَّ إن لم تُنهَوا[١] عن ذلك.

﴿لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ أي: لا تواعدوهنَّ في العِدَّة خُفيةً بأن تتزوجوهنَّ بعد العدة.

وقال مالك فيمن يَعِدُ[٢] في العِدَّة ثم يتزوج بعدها: فراقها أحب إليَّ، ثم يكون خاطبًا من الخُطَّاب.

وقال ابن القاسم: يجب فراقها.

﴿إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوْلًا مَّعْرُوفًاۚ﴾ استثناءٌ منقطع.

والقول المعروف: هو ما أُبيح من التَّعريض؛ كقوله: «إنكم لأكْفَاءٌ كرام»، وقوله: «إن الله سيفعل معكِ خيرًا»، وشبه ذلك.

﴿وَلَا تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾ الآيةَ؛ نهيٌ عن عَقد النكاح قبل تمام العدَّة.

و﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ هنا: القدْر الذي شُرع من المدَّة.

ومَن تزوَّج امرأةً في عدَّتها فرِّق بينهما اتفاقًا.

فإن دخل بها حرُمت عليه على التَّأبيد عند مالك، خلافًا للشافعي وأبي حنيفة.

واختُلف عن مالك في تأبيد التحريم إذا لم يدخل بها، أو إذا دخل ولم يطأها.

---

(١) في ج، د: «تنتهوا».

(٢) في د: «يواعد».

[﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾ حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾﴾].

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ الآيةَ؛ قيل: إنها إباحةٌ للطلاق قبل الدخول.

لـمَّا نُهي عن التزوُّج بمعنى الذَّوق، وأُمر بالتزوُّج طلبَ العصمة ودوامَ الصحبة: ظنَّ قومٌ أن من طلَّق قبل البناء وقع في المنهيِّ عنه، فنزلت الآية رافعةً للجُناح في ذلك.

وقيل: إنها في بيان ما يَلزم من الصَّداق والـمُتعة في الطلاق قبل الدخول.

وذلك أن مَن طلَّق قبل الدخول:

فإن كان لم يَفرِض لها صداقًا -وذلك في نكاح التَّفويض-: فلا شيءَ عليه من الصداق؛ لقوله: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ الآيةَ، فالمعنى: لا طلبَ عليكم بشيءٍ من الصداق.

ويؤمر بالمتعة؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾.

وإن كان قد فرَض لها: فعلية نصف الصداق؛ لقوله تعالى: ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾.

ولا مُتعة عليه؛ لأن المتعة إنما ذُكِرت لمن لم يفرض لها؛ فقوله: ﴿أَوْ تَفْرِضُوا۟﴾ «أو» فيه بمعنى الواو.

﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ أي: أحسنوا إليهنَّ، وأعطوهنَّ شيئًا عند الطلاق.

والأمر بالمتعة مندوبٌ عند مالك، واجبٌ عند الشافعي.

﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ﴾ أي: يُمتِّعُ كلُّ واحد على قَدْر ما يجد.

و﴿ٱلْمُوسِعِ﴾: الغني، و﴿ٱلْمُقْتِرِ﴾: الضَّيق الحال.

وقرئ بإسكان دال ﴿قَدَرُهُۥ﴾ وفتحها؛ وهما بمعنًى.

و﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ هنا: أي: لا حَمْل فيه، ولا تكلُّف على أحد الجانبين.

﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ تعلَّق الشافعي في وجوب المتعة بقوله: ﴿حَقًّا﴾.

وتعلق مالك في الندب بقوله: ﴿عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾؛ لأنَّ الإحسان تطوُّعٌ بما لا يَلزم.

﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ الآيةَ؛ بيانٌ أن المطلَّقة قبل الدخول لها نصف الصداق إذا كان قد فُرض لها صداقٌ مسمًّى، بخلاف نكاح التفويض.

﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ﴾ النون فيه: نون جماعة النسوة؛ يريد: المطلَّقاتِ.

والعفو هنا : بمعنى الإسقاط .

أي : للمطلقات قبل الدخول نصف الصداق ، إلّا أن يُسقِطْنَه ، وإنما يجوز إسقاط المرأة إذا كانت مالكةً أمر نفسِها .

﴿أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ﴾ قال ابن عباس ومالك وغيرهما : هو الوليُّ الذي تكون المرأة في حَجره ، كالأب في ابنته المحجورة ، والسيد في أَمَته ، فيجوز له أن يسقط نصف الصداق الواجبِ له بالطلاق قبل الدخول .

وأجاز شُريحٌ إسقاطَ غير الأب من الأولياء .

وقال علي بن أبي طالب والشافعي : ﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ﴾ هو الزوج .

وعفْوه : أن يعطيَ النصف الذي سقط عنه من الصداق .

ولا يجوز عندهم أن يُسقِط الأبُ النصف الواجب لبنته .

وحجة مالك : أن قوله : ﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ﴾ في الحال ؛ والزوج ليس بيده بعد الطلاق عقدةُ نكاحٍ .

وحجة الشافعي : قوله تعالى : ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۚ﴾ فإنَّ الزوج إذا تطوَّع بإعطاء النصف الذي لا يلزمه فذلك فضْلٌ ، وأما إسقاط الأب لحقِّ ابنته فليس فيه تقوى ؛ لأنه إسقاطُ[1] حقِّ الغير .

﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْۚ﴾ قيل : إنه يعني إسقاطَ المرأة نصفَ صداقها ، أو دفعَ الرجل النصف الساقط عنه .

---

(١) في ج ، د : «أسقط» .

واللفظ أعمُّ من ذلك.

﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ جرَّد ذكرها بعد دخولها في ﴿ٱلصَّلَوَٰتِ﴾؛ اعتناءً بها.

وهي:

الصبح عند مالك وأهل المدينة.

والعصر عند عليٍّ بن أبي طالب؛ لقوله ﷺ: «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر»[١].

وقيل: هي الظهر.

وقيل: المغرب.

وقيل: العشاء الآخرة.

وقيل: الجمعة.

وسُمِّيت وسطى:

لتوسُّطها في عدد الركعات، على القول بأنها المغرب؛ لأنها بين الركعتين والأربع.

أو لتوسُّط وقتِها:

على القول بأنها الصبح؛ لأنها متوسطةٌ بين الليل والنهار.

وعلى القول بأنها الظهر أو الجمعة؛ لأنها في وسَط النهار.

---

(١) أخرجه مسلم (٦٢٨).

أو لفضلِها ؛ من الوسط ؛ وهو الخيار ، وعلى هذا يجري اختلاف الأقوال فيها .

﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ﴾ معناه : في صلاتكم .

﴿قَـٰنِتِينَ﴾ هنا : ساكتين ؛ وكانوا يتكلّمون في الصلاة حتى نزلت .

قاله ابن مسعود، وزيد بن أرقم .

وقيل : خاشعين .

وقيل هنا : طول القيام .

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ من عدوٍّ ، أو سَبُعٍ ، أو غير ذلك مما يخاف منه على النفس .

﴿فَرِجَالًا﴾ جمع راجلٍ ؛ أي : على رجليه .

﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾ جمع راكبٍ .

أي : صلوا كيفما كنتم من ركوب أو غيره ، وذلك في صلاة المُسايَفة .

ولا يُنقَص فيها من ركعتين في السفر ، وأربع في الحضر عند مالك .

﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ الآيةَ ؛ قيل : المعنى : إذا زال الخوف فصلوا الصلاة التي عَلِمْتموها ؛ وهي التامَّة .

وقيل : إذا أمنتم فاذكروا الله كما علَّمكم هذه الصلاة التي تُجزِئكم في حال الخوف .

فالذكر :

على القول الأوَّل: بمعنى الصلاة .

وعلى الثاني: بمعنى الشكر.

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةٌ لِأَزْوَاجِهِم﴾ هذه الآية منسوخة.

ومعناها: أن الرجل إذا مات كان لزوجته أن تقيم في منزله سنةً، ويُنفَق عليها من ماله، وذلك وصيةٌ لها.

ثم نُسِخ إقامتُها سنةً: بالأربعة الأشهر والعشر.

ونُسِخت النفقة: بالربع أو الثمن الذي لها في الميراث؛ حسَبما ذُكِر في سورة «النساء».

وإعراب ﴿وَصِيَّةٌ﴾: مبتدأ، وخبره:

﴿لِأَزْوَاجِهِم﴾.

أو مضمرٌ تقديره: فعليهم وصيةٌ.

وقرئت بالنصب: على المصدر؛ تقديره: ليوصوا وصيةً.

و﴿مَتَاعًا﴾: نُصِب على المصدر.

﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ أي: ليس لأولياء الميت إخراجُ المرأة.

﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ معناه: إذا كان الخروج من قِبَل المرأة فلا جناح على أحد فيما فعلت في نفسها من تزوُّجٍ وزينة.

﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ﴾ عامٌّ في إمتاع كلِّ مطلَّقة؛ وبعمومه أخذ أبو ثور.

واستثنى الجمهور: المطلقةَ قبل الدخول، وقد فُرِض لها؛ بالآية المتقدمة.

واستثنى مالك: المختلِعة والملاعِنة.

﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ يدلُّ على وجوب المتعة؛ وهي الإحسان للمطلقات؛ لأن التقوى واجبةٌ.

ولذلك قال بعضهم: نزلت مؤكِّدةً للمتعة؛ لأنه نزل قبلها: ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، فقال رجل: فإن لم أرد أن أحسن لم أمتع، فنزلت: ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

[﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَـٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَـٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَـٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَـٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَـٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾﴾].

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ رؤية قلب.

﴿ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ﴾ وهم قومٌ من بني إسرائيل، أُمروا بالجهاد فخافوا الموت بالقتال، فخرجوا من ديارهم فرارًا من ذلك، فأماتهم الله؛ ليُعرِّفهم أنهم لا ينجيهم من الموت شيءٌ.

وقيل: بل فرُّوا من الطاعون.

﴿وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ جمع ألفٍ؛ قيل: ثمانون ألفًا. وقيل: ثلاثون ألفًا. وقيل: ثمانية آلاف.

وقيل: هو مِن الأُلْفة؛ وهذا ضعيف.

﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟﴾ عبارةٌ عن إماتتهم.

وقيل: إن ملَكين صاحا بهم: «موتوا!»، فماتوا.

﴿ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ﴾ ليستوفوا آجالهم.

﴿وَقَٰتِلُوا۟﴾ خطابٌ لهذه الأمة.

وقيل: للذين أماتهم الله ثم أحياهم.

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ﴾ استفهامٌ يراد به: الطلب، والحضُّ على الإنفاق.

وذكَر لفظ القَرْض؛ تقريبًا للأفهام؛ لأن المنفِق ينتظر الثواب، كما ينتظر المسلِف ردَّ ما أسلف.

وروي: أن الآية نزلت في أبي الدَّحداح حين تصدَّق بحائطٍ لم يكن له غيره.

﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ أي: خالصًا طيِّبًا من حلال، مِن غير مَنٍّ ولا أذى.

﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ﴾ قرئ:

بالتشديد والتخفيف.

وبالرفع: على الاستئناف، أو عطفًا على ﴿يُقْرِضُ﴾.

وبالنصب: في جواب الاستفهام.

﴿أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ عشرةً فما فوقها إلى سبع مئة.

﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ﴾ إخبارٌ يراد به: الترغيب في الإنفاق.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ﴾ رؤيةُ قلبٍ، وكانوا قومًا نالتهم الذِّلة من أعدائهم، فطلَبوا الإذن في القتال، فلما أُمروا به كَرهوه.

﴿لِنَبِيٍّ لَّهُمُ﴾ قيل: اسمه شَمْوِيل[1]. وقيل: شَمْعون.

﴿هَلْ عَسَيْتُمْ﴾ أي: قاربتم، وأراد النبيُّ المذكور أن يتوثَّق منهم.

ويجوز في السين من ﴿عَسَيْتُمْ﴾: الكسرُ، والفتح؛ وهو أفصح ولذلك انفرد نافعٌ بالكسر.

وأمَّا إذ لم يتصل بـ «عسى» ضمير: فلا يجوز فيها إلَّا الفتح.

﴿طَالُوتَ مَلِكًا﴾ قال وهب بن مُنَبِّه: أوحى الله إلى نبيهم إذا دخل عليك رجل فنشَّ الدُّهنُ[2] الذي في القَرْن[3]: فهو مَلِكُهم.

وقال السُّدِّيُّ: أرسل الله إلى نبيهم عصًا، وقال له: إذا دخل عليك رجلٌ على طول هذه العصا فهو ملكهم؛ فكان ذلك طالوت.

﴿وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾ روي أنه كان دبَّاغًا، ولم يكن من بيت المُلْك.

والواو في قوله: ﴿وَنَحْنُ﴾ واوُ الحال.

---

(١) في أ، ب، د: «سموبل».

(٢) نشَّ الماءُ والدهن وغيرهما يَنِشُّ نَشًّا ونَشِيشًا: صوَّتَ عند الغليان. انظر: لسان العرب (٨/ ٢٤٤).

(٣) قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في تعليقه على تفسير الطبري (٥/ ٣٠٧): «القرن: قرن الثور وغيره، وكأنه أراد هنا: القنينة التي يكون فيها الدهن والطيب، وكأنهم كانوا يتخذونها من قرون البقر وغيرها، وقد سموا المحجمة التي يحتجم بها «قرنا» ولم أجد هذا الحرف بهذا المعنى في كتب اللغة، ولكنه صحيح كما رأيت».

والواو في قوله: ﴿وَلَمْ يُؤْتَ﴾: لعطف الجملة على الأخرى.

﴿بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ كان عالمًا بالعلوم، وقيل: بالحروب. وكان أطولُ رجلٍ[١] يصل إلى مَنكِبيه.

﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ﴾ ردٌّ عليهم في اعتقادهم أن الملك يُستحَقُّ بالبيت أو المال.

﴿أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾ كان هذا التابوتُ قد تركه موسى عند يُوشَع، فجعله يوشع في البرِّية، فبعث الله ملائكةً حملته حتى جعلته[٢] في دار طالوت.

وفيه قَصصٌ كثيرٌ غير ثابت.

﴿فِيهِ سَكِينَةٌ﴾ قيل: ريحٌ لها رأسٌ ووجه كوجه الإنسان.

وقيل: طَسْتٌ مِن ذهب تُغسَل فيه قلوبُ الأنبياء.

وقيل: رحمةٌ.

وقيل: وقارٌ.

﴿وَبَقِيَّةٌ﴾ ابنُ عباس: هي عصا موسى ورُضَاض الألواح[٣].

وقيل: العصا والنَّعلان.

---

(١) في د: «الناس».

(٢) في ج، د، هـ: «جعلوه».

(٣) رُضاضُ الشي: كُسارُه أي: ما تكسَّر منه، وقِطَعه، وفُتاتُه، ورضَّ الشيءَ رَضًا: كسَره فصار قِطعًا. انظر: لسان العرب (٩/ ١٤).

وقيل: ألواحٌ من التوراة.

﴿ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾ يعني: أقاربَهما.

وقال الزمخشري: يعني الأنبياءَ من بني إسرائيل[١].

ويَحتمل أن يريد موسى وهارون، وأَقحم الآل.

* * *

(١) الكشاف (٣/ ٤٦٤).

[﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾ ۞ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾].

﴿فَصَلَ طَالُوتُ﴾ أي: خرج من موضعه إلى الجهاد.

﴿بِنَهَرٍ﴾ قيل: هو نهر فلسطين.

﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ﴾ الآيةَ؛ اختبر طاعتهم بمنعهم من الشرب.

﴿إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً﴾ رخَّص لهم في الغَرفة باليد.

وقرئ: بفتح الغين؛ وهو المصدر، وبضمها؛ وهو الاسم.

﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ قيل: كانوا ثمانين ألفًا، فشربوا منه كلُّهم إلَّا ثلاثَ مئةٍ وبضعةَ عشر، عددَ أصحاب بدر، فأمَّا من شرب فاشتدَّ عليه

العطش، وأما من لم يشرب فلم يعطَشْ.

﴿بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ كان كافرًا عدوًا لهم، وهو ملك العمالقة.

ويقال: إن البربر من ذرِّيته.

﴿يَظُنُّونَ﴾ أي: يوقنون؛ وهم أهل البصائر من أصحابه.

﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾ كان داود في جند طالوت، فقتل جالوتَ، فأعطاه الله ملك بني إسرائيل.

وفي ذلك قَصصٌ كثير غير صحيح.

﴿وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ هنا: النبوة، أو الزَّبور.

﴿وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ صنعةَ الدروع، ومنطق الطَّير، وغير ذلك.

﴿وَلَوۡلَا دِفَاعُ ٱللَّهِ﴾ الآيةَ؛ منَّةٌ على العباد بدفع بعضهم ببعض.

وقرئ: ﴿دِفَاعُ﴾ بالألف، و﴿دَفۡعُ﴾ بغير ألف؛ والمعنى متَّفقٌ.

﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ﴾ الإشارةُ إلى جماعتهم.

﴿فَضَّلۡنَا﴾ نصٌّ في التفضيل في الجملة، من غير تعيينِ مفضولٍ؛ كقوله ﷺ: «لا تخيروا بين الأنبياء»[1]، و«لا تفضلوني على يونس بن متَّى»[2]، فإنَّ معناه: النهيُ عن تعيين المفضول؛ لأنه تنقيصٌ له، وذلك غِيبةٌ ممنوعة.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤١٢)، ومسلم (٢٣٧٤).

(٢) هذا اللفظ حكم عليه شيخ الإسلام ابن تيمية بأنه «نقلٌ باطل»، انظر: مجموع الفتاوى (٢/ ٢٢٤). والثابت قوله ﷺ: «لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متَّى» أخرجه البخاري (٣٣٩٥)، ومسلم (٢٣٧٦).

وقد صرَّح ﷺ بفضله على جميع الأنبياء بقوله: «أنا سيد ولدِ آدم»[١] لا بفضله على واحدٍ بعينه؛ فلا تعارض بين الحديثين.

﴿مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ موسى عليه السلام.

﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ﴾ قيل: هو محمد ﷺ؛ لتفضيله على الأنبياء بأشياءَ كثيرةٍ.

وقيل: هو إدريس؛ لقوله: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾ [مريم: ٥٧]؛ فالرِّفعة على هذا: في المسافة.

وقيل: هو مطلقٌ في كل من فضَّله الله منهم.

﴿مِنۢ بَعْدِهِم﴾ أي: مِن بعد الأنبياء، والمعنى: بعدَ كلِّ نبيٍّ، لا بعد الجميع.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾ كرَّره تأكيدًا، و[٢]لِيبنيَ عليه ما بعده.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (٢٢٧٨) واللفظ له.

(٢) في ب، د: «أو».

[﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾].

﴿أَنفِقُواْ﴾ يعمُّ الزكاة والتطوُّع.

﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ﴾ أي: لا يتصرَّف أحدٌ في ماله، والمراد[1]: لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الإنفاق في الدنيا.

ويدخل فيه: نفيُ الفدية؛ لأنها شراءُ الإنسان نفسَه.

﴿وَلَا خُلَّةٌ﴾ أي: مودَّةٌ نافعة؛ لأن كل أحد يومئذٍ مشغولٌ بنفسه.

﴿وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ أي: ليس في يوم القيامة شفاعة إلَّا بإذن الله؛ فهي في الحقيقة رحمةٌ من الله للمشفوع فيه، وكرامةٌ للشافع، ليس فيها تحكُّمٌ على الله.

وعلى هذا يُحمَل ما ورد من نفي الشفاعة في القرآن؛ أعني: أنها لا تقع إلَّا بإذن الله؛ فلا تعارض بينه وبين إثباتها.

---

(١) في ب، د: «والمعنى».

وحيثما كان سياقُ الكلام في أهوال يوم القيامة، والتخويف بها: نُفِيت الشفاعة على الإطلاق؛ مبالغةً في التهويل.

وحيثما كان سياقُ الكلام تعظيمَ الله: نُفِيت الشفاعة إلَّا بإذنه.

﴿وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ قال عطاء بن دينار: الحمد لله الذي قال هكذا، ولم يقل: «الظالمون هم الكافرون»[١].

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ هذه آية الكرسيِّ، وهي أعظم آية في القرآن حسَبما ورد في الحديث[٢]، وجاء فيها فضلٌ كبير في الحديث الصحيح وفي غيره.

﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ تنزيهٌ لله تعالى عن الآفَات البشرية.

والفرق بين السِّنَة والنوم: أن السنةَ هي ابتداءُ النوم، لا نفسُه؛ كقول القائل:

.... في عينِه سِنَةٌ وليس بنائمِ[٣]

﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ استفهامٌ يراد به نفيُ الشفاعة إلَّا بإذن الله، فهي في الحقيقة راجعةٌ إليه.

﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ﴾ الضميران عائدان على مَن يعقل؛ ممَّن تضمَّنه قولُه: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٤/ ٥٢٦).

(٢) تقدم تخريجه في صفحة . .

(٣) هذا عجُز بيت لعَديِّ بن الرِّقاع العاملي، في ديوانه (ص: ١٢٢)، وصدُره: «وَسْنانُ أقْصَدهُ النُّعاسُ فرَنَّقَتْ»، وهو ضمن قصيدة يمدح بها الوليد بن عبد الملك.

والمعنى: يعلم ما كان قبلهم وما يكون بعدهم.

وقال مجاهد: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: الدنيا، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: الآخرة.

﴿مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ من معلوماته؛ أي: لا يعلم عبادُه من معلوماته إلَّا ما شاء هو أن يَعلموه(١).

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾ الكرسيُّ: مخلوقٌ عظيم بين يدي العرش، وهو أعظم من السموات والأرض، وهو بالنسبة إلى العرش كأصغر شيء.

وقيل: ﴿كُرْسِيُّهُ﴾: علمه.

وقيل: ﴿كُرْسِيُّهُ﴾: ملكه.

﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ﴾ أي: لا يُثقِلُه، ولا يَشقُّ عليه.

﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾ المعنى: أن دين الإسلام في غاية الوضوح وظهور

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: قوله: ﴿مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ من معلوماتِه إلخ؛ أقول: اقتصر المؤلفُ رحمه الله على أحد القولين، وهو أن المراد بعلمِهِ معلوماتُه سبحانه، وجعلَ المنفي عن العباد هو علمهم بمعلومات الرب، والمنفيُّ في الآية هو الإحاطة ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾، والإحاطة أخصُّ من مطلق العلم، ولكن كل منهما منتف عن العباد، فلا يعلم العباد إلا ما علمهم اللهُ، ولا يحيطون بشيء علما إلا بما شاء سبحانه، وفي الآية قول آخر، وهو أن المراد بالعلمِ هو المتعلِّقُ بذاتِه سبحانه وأسمائِه وصفاتِه، فعلى هذا يكون المراد من العلم العلمَ الإلهي، وهذا القول هو الراجح، وذلك لأمرين:
١- لأن قوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾، ورد في أثناء آية الكرسي، التي هي أعظم آية في كتاب الله؛ لأنها اشتملت على جماع أسماء الله وصفاته.
٢- أن لهذا القول شاهدًا من القرآن، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠].

البراهين على صحَّته، بحيث لا يُحتاج أن يُكرَه أحدٌ على الدخول فيه، بل يدخل فيه كلُّ ذي عقلٍ سليم من تلقاء نفسه، دون إكراهٍ؛ ويدلُّ على ذلك قوله: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾ أي: قد تبيَّن أن الإسلام رشدٌ، وأن الكفر غيٌّ؛ فلا يفتقر بعد بيانه إلى إكراه.

وقيل: معناها الموادَعة، وأن لا يُكرَه أحدٌ بقتالٍ على الدخول في الإسلام؛ ثم نُسِخت بالقتال، وهذا ضعيف؛ لأنها مدنية، وإنما آيات المسالمة وترك القتال بمكة.

﴿بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ العروة في الأَجْرام هي: موضع الإمساك وشدِّ الأيدي. وهي هنا تشبيهٌ واستعارة في الإيمان.

﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ لا انكسارَ لها، ولا انفصال.

﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ أي: من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان.

﴿أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾ جُمِع الطاغوت هنا، وأُفرِد في غير هذا الموضع؛ فكأنه اسم جنس لما عُبِد من دون الله، ولمن يُضِلُّ الناس من الشياطين وبني آدم[(١)].

---

(١) المقصود: أنه جمع الفعل المسند إلى ﴿ٱلطَّٰغُوتُ﴾ وهو ﴿أَوْلِيَآؤُهُمُ﴾ مع أن لفظ ﴿ٱلطَّٰغُوتُ﴾ مفرد؛ فكان مقتضى ذلك أن يقول: «وليُّهم»، وأجاب عن هذا بأن المراد به الجنس، فرُوعي فيهم معنى الجمع، وقوله: «وأُفرِد في غير هذا الموضع» كما في قوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ﴾ [النساء: ٦٠] فأعاد عليه ضمير المفرد ﴿بِهِۦ﴾ ولم يقل: «بها»؛ لأنه روعي فيه لفظ ﴿ٱلطَّٰغُوتِ﴾ وهو مفرد. انظر: الكشاف (٥/ ٤٥)، (٩/ ٧٢٥).

[﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾].

﴿ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ هو نُمْرُوذُ[1] الملك.

وكان يدَّعي الربوبية؛ فقال لإبراهيم: من ربك؟ قال: ﴿رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾.

فقال نُمروذ: ﴿أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ﴾، وأحضر رجلين فقتل أحدهما وترك الآخر، فقال: قد أحييتُ هذا وأمتُّ هذا.

---

(١) هذه الكلمة هنا وفي الموضعين الآتيين وردت في ب، ج، د كذا: «نمرود» بالدال المهملة، وهما وجهان في الكلمة، بالذال المعجمة والمهملة، قال الإمام ثعلب: «ونمروذ بالذال، وأهل البصرة يقولون: نمرود بالدال» مجالس ثعلب (١/ ١٨١)، وبعض اللغويين يرى أنه بالمعجمة لا غير. وانظر: تاج العروس (٩/ ٢٤٠).

فقال له إبراهيم: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾ ﴿فَبُهِتَ﴾ أي: انقطعَ، وقامت عليه الحجة.

فإن قيل: لم انتقلَ إبراهيم عن دليله الأوَّلِ إلى هذا الدليل الثاني، والانتقال علامة الانقطاع؟

فالجواب: أنه لم ينقطعْ، ولكنه لـمَّا ذكر الدليلَ الأوَّل وهو الإحياءُ والإماتة: كان له حقيقةٌ - وهو فعل الله -، ومجازٌ - وهو فعل غيره -، فتعلَّق نمروذُ بالمجاز؛ غلَطًا منه أو مغالطةً، فحينئذ انتقل إبراهيم إلى الدليل الثاني؛ لأنه لا مجازَ له، ولا يمكن الكافرَ عدولٌ عنه[1].

﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ تقديره: «أو رأيتَ مثل الذي»، فحُذِف؛ لدلالة ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ عليه؛ لأنَّ كلتيهما كلمةُ تعجيبٍ.

ويجوز أن يُحمَل على المعنى؛ كأنه قيل: أرأيتَ كالذي حاجَّ إبراهيم، أو كالذي مرَّ على قرية.

وهذا المارُّ:

قيل: إنه عُزير. وقيل: الخَضِر؛ فقوله: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ﴾ ليس إنكارًا للبعث، ولا استبعادًا، ولكنه:

استعظامٌ لقدرة الذي يحيي الموتى.

أو سؤالٌ عن كيفية الإحياء وصورتِه، لا شكٌّ في وقوعه؛ وذلك مقتضى كلمة ﴿أَنَّىٰ﴾، فأراه الله ذلك عِيانًا؛ ليزداد بصيرة.

---

(١) انظر: الكشاف (٣/ ٥٠٠).

وقيل: بل كان كافرًا، وقالها إنكارًا للبعث، واستبعادًا، فأراه الله الحياةَ بعد الموت في نفسه، وذلك أعظم برهان.

﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ أي: خالية من الناس.

وقال السُّدِّي: سقطت سُقُفُها -وهي العروش-، ثم سقطت الحيطان على السُّقف.

﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ﴾ ظاهر هذا اللفظ: إحياءُ هذه القرية بالعمارة بعد الخراب.

ولكن المعنى: إحياءُ أهلِها بعد موتهم؛ لأنَّ ذلك هو الذي يمكن فيه الشكُّ أو الإنكار؛ ولذلك أراه الله الحياةَ بعد موته.

والقرية كانت بيت المقدس، لما خرَّبه بُخْتُ نَصَّرَ[1].

وقيل: قرية الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوفٌ.

﴿كَمْ لَبِثْتَ﴾ سؤالٌ على جهة التَّقرير.

﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ استقلَّ مدَّة موته، قيل: أماته الله غُدْوةَ يوم، ثم بعثه قبل الغروب من يوم آخر بعد مئة عام، فظنَّ أنه يومٌ واحد، ثم رأى بقيَّةً من الشمس فخاف أن يَكذِب في قوله: ﴿يَوْمًا﴾ فقال: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾.

﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ﴾ قيل: إنَّ طعامه كان تينًا وعنبًا، وإنَّ

---

(١) في لسان العرب (٧/ ٦٨): «قال الأصمعيُّ: إنما هو بُوخَتُنَصَّر، فأُعرب، وبوُخَتُ: ابنُ، ونَصَّرُ: صنمٌ، وكان وُجد عند الصنم ولم يعرف له أبٌ، فقيل هو ابن الصنم».

شرابه كان عصيرًا، أو[1] لبنًا.

﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ معناه: لم يتغيَّرْ، بل بقي على حاله طولَ مئة عام، وذلك أُعجوبة إلهية.

واللفظ يَحتمل أن يكون مشتقًّا من السَّنة؛ لأن لامَها هاءٌ.

فتكون الهاء في ﴿يَتَسَنَّهْ﴾ أصليةً؛ أي: لم تغيِّرْه السُّنون.

ويَحتمل أن يكون مشتقًّا من قولك: تسنَّنَ الشيءُ: إذا فسَد؛ ومنه: «الحمأ المسنون»، ثم قلبت النون حرفَ علَّةٍ؛ كقولهم: «قَصَّيتُ أظفاري»، ثم حذف حرف العلة؛ للجزم.

والهاء على هذا: هاء السَّكت.

﴿وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾ قيل: بقي حماره حيًّا طول المئة عام، دون علَفٍ ولا ماء.

وقيل: مات، ثم أحياه الله وهو ينظر إليه.

﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ﴾ التقدير: فَعلْنا بك هذا؛ لتكون آية للناس.

وروي: أنه قام شابًّا على حالته يوم مات، فوجد أولادَه وأولادَهم شيوخًا.

﴿وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ﴾ هي عظام نفسِه.

وقيل: عظام الحمار؛ على القول بأنه مات.

---

(١) في أ، ب، ج، هـ: «و»، والمثبت موافق لما في الكشاف (٣/ ٥٠٧).

﴿نُنشِزُهَا﴾ -بالراء-: نُحييها.

وقرئ بالزاي؛ ومعناه: نرفعُها للإحياء.

﴿قَالَ أَعْلَمُ﴾ بهمزة قطع وضمّ الميم؛ أي: قال الرجل ذلك اعترافًا.

وقرئ: بألف وصل، والجزم؛ على الأمر؛ أي: قال له الملَك ذلك.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ الآيةَ؛ قال الجمهور: لم يشكَّ إبراهيم في إحياء الموتى، وإنما طلب المعاينة؛ لأنه رأى دابةً قد أكلتها السِّباع والحِيتان، فسأل ذلك السؤال؛ ويدلُّ على ذلك قوله: ﴿كَيْفَ﴾؛ فإنها سؤال عن حال الإحياء وصورتِه، لا عن وقوعه.

﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ أي: بالمعاينة.

﴿أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ﴾ قيل: هي الديك والطاوس والحمام والغراب، فقطَّعها، وخلَط أجزاءها، ثم جعل من المجموع جزءًا على كل جبل، وأمسك رؤوسَها بيده، ثم قال: تعالَيْنَ بإذن الله، فتطايرت تلك الأجزاء حتى الْتَأَمتْ، وبقيت بلا رؤوس، ثم كرَّر النداء، فجاءته تسعى حتى وضعت أجسادها في رؤوسها، وطارت بإذن الله.

﴿فَصُرْهُنَّ﴾ أي: ضُمَّهنَّ. وقيل: قطِّعهن.

﴿عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ﴾ قيل: أربعة جبال. وقيل: سبعة. وقيل: الجبال التي وصل إليها حينئذٍ من غير حصرٍ بعددٍ.

[﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾﴾].

﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ظاهرُه: الجهاد.

وقد يُحمَل على جميع وجوه البرِّ.

﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾ كلُّ ما يُزْدَرعُ[1] ويُقتات، وأشهرُه: القمح.

وفي الكلام حذفٌ؛ تقديره: مثَل نفقةِ الذين ينفقون كمثل حبة.

أو يقدَّر في آخِر[2] الكلام: كمثَلِ صاحب حبة.

---

(١) في ب: «يزرع» وهما بمعنًى واحد. انظر: القاموس المحيط مادة (زرع).

(٢) في ب، ج: «أجزاء».

﴿أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ﴾ بيانٌ أن الحسنة بسبع مئة؛ كما جاء في الحديث: أن رجلًا جاء بناقةٍ فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: «لك بها يوم القيامة سبعُ مئة ناقةٍ»[1].

﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ أي: يزيده على سبع مئة.

وقيل: هو تأكيد وبيان للسبع مئة.

والأول أرجح؛ لأنه ورد في الحديث ما يدل عليه.

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ﴾ الآيةَ؛ **قيل**: نزلت في عثمان. **وقيل**: في عليٍّ. **وقيل**: في عبد الرحمن بن عوف.

﴿مَنّٗا وَلَآ أَذٗى﴾ المنُّ: ذكر النعمة على معنى التَّعديد لها والتقريع بها. والأذى: السبُّ.

﴿قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ﴾ هو ردُّ السائل بجميلٍ من القول؛ كالدعاء له، والتَّأنيس.

﴿وَمَغۡفِرَةٌ﴾ أي: عفوٌ عن السائل إذا وُجِد منه جفاءٌ.

وقيل: مغفرة من الله بسبب الردِّ الجميل.

والمعنى: تفضيلُ عدمِ العطاء إذا كان بقولٍ معروف ومغفرة: على العطاء الذي يتبعه أذًى.

﴿لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم﴾ عقيدة أهل السنة: أن السيئات لا تُبطِل الحسنات؛ فقالوا في هذه الآية: إنَّ الصدقة التي يَعلم الله مِن صاحبها أنه يمُنُّ أو يؤذي لا تقبل منه.

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٩٢).

وقيل: إنَّ المنَّ والأذى دليلٌ على أن نيَّتَه لم تكن خالصةً؛ فلذلك بطَلت صدقتُه.

﴿كَالَّذِى يُنفِقُ﴾ تمثيلٌ لمن يمُنُّ ويؤذي بالذي ينفق رياءً وهو غير مؤمن.

﴿فَمَثَلُهُۥ﴾ أي: مثل المرائي في نفقته: كحجَرٍ عليه تراب، فيظنُّه من يراه أرضًا مُنبِتةً طيبةً، فإذا نزل عليه المطرُ انكشف التراب، فبقِيَ الحجر لا منفعةَ فيه.

فكذلك المرائي؛ يظنُّ أن له أجرًا، فإذا كان يومُ القيامة انكشف سرُّه ولم تنفعْه نفقتُه.

﴿صَفْوَانٍ﴾ حجرٌ كبير.

﴿وَابِلٌ﴾ مطرٌ كثير.

﴿صَلْدًا﴾ أملسَ.

﴿لَّا يَقْدِرُونَ﴾ أي: لا يقدرون على الانتفاع بثواب شيءٍ من إنفاقهم؛ وهو كسبُهم.

﴿وَتَثْبِيتًا﴾ أي: تيقُّنًا وتحقيقًا للثواب؛ لأن أنفسهم لها بصائرُ تحملهم على الإنفاق.

ويَحتمل أن يكون معنى التثبيت: أنهم يثبِّتون أنفسَهم على الإيمان؛ باحتمال المشقَّة في بذل المال.

وانتصابُ ﴿ٱبْتِغَآءَ﴾: على المصدر في موضع الحال، وعطف عليه ﴿وَتَثْبِيتًا﴾.

ولا يصحُّ في ﴿وَتَثْبِيتًا﴾ أن يكون مفعولًا من أجله؛ لأن الإنفاق ليس من أجل التثبيت؛ فامتنع ذلك في المعطوف عليه وهو ﴿ٱبْتِغَآءَ﴾.

﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾ تقديره: كمثل صاحب جنَّةٍ.

أو يقدر أوَّلًا: مثل نفقةِ الذين ينفقون.

﴿بِرُبْوَةٍ﴾ لأنَّ ارتفاع موضع الجنة أطيبُ؛ لتُربتِها وهوائها.

﴿فَطَلٌّ﴾ المطرُ الرَّقيق الخفيف؛ والمعنى: أنه يكفي هذه الجنةَ؛ لكرم أرضها.

﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ﴾ الآيةَ؛ مثلٌ ضرب للإنسان يعمل عملًا صالحًا، حتى إذا كان عند آخِر عُمرِه خُتِم له بعمل السُّوء.

أو مثلٌ للكافر، أو المنافق، أو المرائي المتقدِّم ذكرُه آنفًا، أو ذي المنِّ والأذى؛ فإنَّ كل واحد منهم يظن أنه ينتفع بعمله، فإذا كان وقتُ حاجته إليه لم يجد شيئًا.

فشبَّههم الله بمن كانت له جنة، ثم أصابتْها الجائحة المهلكة أحوجَ ما كان إليها؛ لشيخوخته، وضعف ذُرِّيته.

فالواوُ في قوله: ﴿وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ﴾: للحال.

﴿إِعْصَارٌ﴾ أي: ريحٌ فيها سَمُومٌ محرقةٌ.

[﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ٢٦٧ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٢٦٨ يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٦٩ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٍ ٢٧٠ إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمۡۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٢٧١ ۞ لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلِأَنفُسِكُمۡۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ٢٧٢ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ ضَرۡبٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗاۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ٢٧٣﴾].

﴿مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ﴾ الطيبات هنا عند الجمهور: الجيِّد غير الرديء.

فقيل: إنَّ ذلك في الزكاة؛ فيكون واجبًا.

وقيل: في التطوُّع؛ فيكون مندوبًا، لا واجبًا؛ لأنه كما يجوز التطوع بالقليل يجوز بالرديء.

﴿وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا﴾ النبات، والمعادن، وغير ذلك.

﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ﴾ أي: لا تقصِدوا الرديءَ.

﴿مِنۡهُ تُنفِقُونَ﴾ في موضع الحال.

﴿وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ﴾ الواو للحال.

والمعنى: أنكم لا تأخذونه في حقوقكم وديونكم، إلَّا بأن تتسامحوا في أخذه[١].

و﴿تُغْمِضُواْ﴾ من قولك: أَغمض فلانٌ عن بعض حقِّه: إذا لم يستوفِهِ، أو إذا غضَّ بصرَه.

﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ﴾ الآيةَ؛ دفعٌ لما يوسوس به الشيطان من خوف الفقر، ففي ضمن ذلك حضٌّ على الإنفاق.

ثم بيَّن عداوة الشيطان بأمره بالفحشاء؛ وهي: المعاصي.

وقيل: الفحشاء: البخل؛ والفاحش عند العرب: البخيل.

قال ابن عباس: في الآية اثنتان من الشيطان، واثنتان من الله.

والفضل: هو الرزق والتوسعة.

﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ﴾ قيل: هي المعرفة بالقرآن. وقيل: النبوة. وقيل: الإصابة في القول والعمل.

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾ الآيةَ؛ ذكر نوعين وهما:

ما يفعله الإنسان تبرُّعًا.

وما يفعله بعد إلزامِه نفسَه بالنذر.

وفي قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ وعدٌ بالثواب.

---

(١) في ب، ج، هـ: «تتسامحوا فيه».

وفي قوله: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ وعيدٌ لمن يمنع الزكاة، أو ينفق[1] لغير الله.

﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ﴾ هي التطوع عند الجمهور؛ لأنها يحسُن إخفاؤها، وإبداءُ الواجبة؛ كالصَّلوات.

﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾ ثناءٌ على الإظهار، ثم حكَم أنَّ الإخفاء خيرٌ من ذلك الإبداء.

و«ما» من «نِعِمَّا»: في موضع نصب، تفسير للمضمر؛ والتقدير: فنعم شيئًا إبداؤها.

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ قيل: إنَّ المسلمين كانوا لا يتصدَّقون على أهل الذمة؛ فنزلت الآية مبيحةً للصدقة على من ليس على دين الإسلام، وذلك في التطوع، وأما الزكاة فلا تدفع لكافر أصلًا.

فالضمير في ﴿هُدَاهُمْ﴾ على هذا القول: للكافر.

وقيل: ليس عليك أن تهديَهم لمَا أُمِروا به من الإنفاق، وتركِ المنِّ والأذى والرياء والإنفاق من الخبيث، إنما عليك أن تبلِّغَهم، والهدى بيد الله.

فالضمير على هذا: للمسلمين.

﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ﴾ أي: إنَّ منفعته لكم كقوله[2]: ﴿مَّنْ عَمِلَ

---

(١) في د زيادة: «مالَه».

(٢) في د: «القوله».

صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾ [فصلت: ٤٦].

﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ قيل: إنه خبر عن الصحابة أنهم لا ينفقون إلَّا ابتغاء وجه الله؛ ففيه تزكيةٌ لهم، وشهادةٌ بفضلهم.

وقيل: ما تنفقون نفقةً تُقبَل منكم، إلَّا ابتغاء وجه الله؛ ففي ذلك حضٌّ على الإخلاص.

﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾ متعلق بمحذوف؛ تقديره: الإنفاقُ للفقراء؛ وهم هنا: المهاجرون.

﴿أُحْصِرُوا﴾ حُبِسوا بالعدو، أو بالمرض.

﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يَحتمل: الجهادَ، أو الدخول في الإسلام.

﴿ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ هو التصرُّف في التجارة وغيرها.

﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ﴾ أي: يظنُّ الجاهلُ بحالهم أنهم أغنياءُ؛ لقلة سؤالهم.

و﴿ٱلتَّعَفُّفِ﴾ هنا: هو عن الطلب.

و﴿مِنَ﴾: سببية. وقال ابن عطية: لبيان الجنس[1].

---

(١) الذي ذكره ابن عطية أنها لابتداء الغاية، وهذا نصُّ عبارته: «و«مِن» في قوله: (من التعفُّف) لابتداء الغاية، أي: مِن تعفُّفهم ابتدأتْ محسبتُه، وليست لبيان الجنس»، ثم قال بعد ذلك: «وتحتمل الآية معنًى آخر «مِن» فيه لبيان الجنس سنذكره بعد». المحرر الوجيز (٢/ ٨٩).

﴿تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ﴾ علامةِ وجوههم؛ وهي ظُهور الجَهْد والفاقة، وقلَّةُ النعمة.

وقيل: الخشوع.

وقيل: السجود.

﴿لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗاۗ﴾ الإلحاف: هو الإلحاح في السؤال.

والمعنى: أنهم إذا سألوا يتلطَّفون ولا يُلِحُّون.

وقيل: هو نفيٌ للسؤال والإلحاح معًا.

وباقي الآية وعدٌ.

[﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾].

﴿بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ تعميمٌ لوجوه الإنفاق، وأوقاته.

ابنُ عباس: نزلت في عليٍّ؛ فإنه تصدَّق بدرهم بالليل، وبدرهم بالنهار، وبدرهم سرًّا، وبدرهم علانيةً.

أبو هريرة: نزلت في علف الخيل.

﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ أي: ينتفعون به، وعبَّر عن ذلك بالأكل؛ لأنه أغلب المنافع. وسواءٌ من أعطاه أو من أخذه.

والرِّبا في اللغة: الزيادة، ثم استعمل في الشريعة في بيوعات ممنوعة، أكثرُها راجعٌ إلى الزيادة؛ فإنَّ غالب الربا في الجاهلية قولهم للغريم:

أتَقضي أم تُرْبِي؟، فكان الغريم يزيد في عدد المال، ويصبر الطَّالب عليه.

ثم إن الربا على نوعين: ربا النسيئة، وربا التفاضل.

وكلاهما يكون في: الذهب والفضة، وفي الطعام.

فأما النسيئة؛ فتَحرُم في بيع الذهب بالذهب، وبيع الفضة بالفضة، وفي بيع الذهب بالفضة، وهو الصَّرف، وفي بيع الطعام بالطعام مطلقًا.

وأما التفاضل؛ فإنما يَحرُم في بيع الجنس الواحد بجنسه؛ من النَّقدين، ومن الطعام.

ومذهب مالك: أنه إنما يحرم التفاضل في المقتات المدَّخَر من الطعام.

ومذهب الشافعي: أنه يحرم في كل طعام.

ومذهب أبي حنيفة: أنه يحرم في المكيل والموزون؛ من الطعام وغيره.

﴿لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ أجمع المفسرون أنَّ المعنى: لا يقومون من قبورهم في البعث إلَّا كالمجنون.

و﴿يَتَخَبَّطُهُ﴾: يتفعَّله؛ من قولك: خبَط يخبِط.

و﴿ٱلْمَسِّ﴾: الجنون.

و﴿مِنَ﴾ تتعلَّق بـ ﴿يَقُومُ﴾.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ تعليلٌ للعقاب الذي يصيبهم، وإنما هذا للكفار؛ لأن قولهم: ﴿إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا﴾: ردٌّ على الشريعة وتكذيبٌ لها، ثم قد يأخذ العُصاة بحظٍّ من هذا الوعيد.

فإن قيل: فهلَّا قيل: «إنما الربا مثل البيع»؛ لأنهم قاسوا الربا على البيع في الجواز؟

فالجواب: أن هذا مبالغةٌ؛ فإنهم جعلوا الربا أصلًا حتى شبَّهوا به البيع[١].

﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ﴾ عمومٌ يَخرج منه: البيوع الممنوعة شرعًا، وقد عدَدْناها في الفقه ثمانين نوعًا[٢].

﴿وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ ردٌّ على الكفار، وإنكارٌ للتسوية بين البيع والربا.

وفي ذلك دليل على أن القياس يهدمه النص؛ لأنه جعل الدليلَ على بطلان قياسهم: تحليلَ الله وتحريمَه.

﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾ أي: له ما أخذ من الربا؛ (أي: لا يؤاخذُ بما فعل منه)[٣] قبل نزول التحريم.

﴿وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ الضمير عائد على صاحب الربا.

والمعنى: أن الله يحكم فيه يومَ القيامة، فلا تؤاخذوه في الدنيا.

وقيل: الضمير عائد على الربا.

والمعنى: أمرُ الربا إلى الله في تحريمه أو غير ذلك.

﴿وَمَنْ عَادَ﴾ الآيةَ؛ يعني: مَن عاد إلى فعل الربا، وإلى القول:

---

(١) انظر: الكشاف (٣/ ٥٤٤).

(٢) انظر: القوانين الفقهية، لابن جزي (ص: ٤٣٢) وما بعدها.

(٣) سقط من ب، ج، هـ.

«إنما البيع مثل الربا».

ولذلك حكَم عليه بالخلود في النار؛ لأنَّ ذلك القولَ لا يصدر إلَّا من كافر، فلا حجة فيها لمن قال بتخليد العصاة؛ لكونها في الكفار.

﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ يَنقُصه ويُذهِبه.

﴿وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ يُنميها؛ في الدنيا: بالبركة، وفي الآخرة: بمضاعفة الثواب.

﴿كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ أي: مَن يجمع بين الكفر والإثم بفعل الربا؛ وهذا يدل على أن الآية في الكفَّار.

﴿وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟﴾ سبب الآية أنه كان بين قريش وثَقيف ربًا في الجاهلية، فلما فتح رسول الله ﷺ مكة قال في خطبته: «كل ربًا كان في الجاهلية موضوع»، ثم إنَّ ثقيفًا أرسلت تطلب الربا الذي كان لهم على قريش، فأبَوا مِن دفعه وقالوا: قد وُضِع الربا، فتحاكموا إلى عتَّاب بن أَسِيد أمير مكة، فكتب بذلك إلى رسول الله ﷺ فنزلت الآية[1].

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ شرطٌ لمن خوطب به؛ من ثقيف وغيرهم.

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ﴾ أي: إن لم تنتهوا عن الربا حُوربتم.

ومعنى ﴿فَأْذَنُوا۟﴾: اعلَموا.

وقرئ بالمدِّ؛ أي: أعلِموا غيرَكم.

ولما نزلت قالت ثقيف: لا طاقة لنا بحرب الله ورسوله.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٥/ ٥٠).

﴿لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ أي: لا تَظلِمون بأخذِ زيادةٍ على رؤوس أموالكم، ولا تُظلَمون بالنقص منها.

﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ «كان» تامة؛ بمعنى: حضَر، أو وقَع.

وقرئ ﴿ذَا عُسْرَةٍ﴾؛ أي: إن كان الغريم ذا عسرة.

﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسُرَةٍ﴾ حكم الله للمُعسِر بالإنظار إلى أن يُوسِرَ، وقد كان قبل ذلك يباع فيما عليه.

و﴿نَظِرَةٌ﴾: مصدرٌ؛ معناه: التأخير.

وهو مرفوع على أنه:

خبر ابتداء؛ تقديره: فالواجبُ نظرةٌ.

أو مبتدأ.

و﴿مَيْسُرَةٍ﴾ أيضًا مصدر.

وقرئ بضم السين، وفتحها.

﴿وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ ندَب الله إلى الصدقة على المعسر بإسقاط الدَّين عنه، فذلك أفضل من إنظاره.

وباقي الآية وعظٌ.

وقيل: إنَّ آخِرَ آية نزلت آيةُ الربا.

وقيل: بل قوله: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ الآيةَ.

وقيل: آية الدَّين المذكورة بعدُ.

[﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ۝٢٨٢ ۞وَإِن كُنتُمۡ عَلَىٰ سَفَرٖ وَلَمۡ تَجِدُواْ كَاتِبٗا فَرِهَٰنٞ مَّقۡبُوضَةٞۖ فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥۗ وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ۝٢٨٣﴾].

﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ﴾ أي: إذا عامل بعضكم بعضًا بدَين.

وإنما ذَكر الدين وإن كان مذكورًا في ﴿تَدَايَنتُم﴾؛ ليعود عليه الضمير في ﴿فَٱكۡتُبُوهُۚ﴾، وليزول الاشتراك الذي في ﴿تَدَايَنتُم﴾؛ إذ قد يقال بمعنى: الجزاء.

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ دليلٌ على أنه لا يجوز إلى أجلٍ مجهول.

وأجاز مالك البيعَ إلى الجداد والحصاد؛ لأنه معروف عند الناس.

ومنعه الشافعي وأبو حنيفة.

قال ابن عباس: نزلت الآية في السَّلَم خاصةً؛ يعني: أن سَلَم أهل المدينة كان سبب نزولها.

قال مالك: وهذا يجمع الدَّين كلَّه؛ يعني: أنه يجوز التأخير في السلَم والسلَف وغيرهما.

﴿فَٱكْتُبُوهُ﴾ ذهب قومٌ إلى أن كتابة الدين واجبةٌ بهذه الآية.

وقال قوم: إنها منسوخة بقوله: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾.

وقال قوم: إنها على الندب.

﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ﴾ قال قومٌ: يجب على الكاتب أن يكتب.

وقال قوم: نُسِخ ذلك بقوله: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾.

وقال آخرون: يجب عليه إذا لم يوجد كاتب سواه.

وقال قوم: إنَّ الأمر بذلك على الندب؛ ولذلك جاز أخذ الأُجرة على كَتْب الوثائق.

﴿بِٱلْعَدْلِ﴾ يتعلَّق عند ابن عطية بقوله: ﴿وَلْيَكْتُب﴾[1].

وعند الزمخشري بقوله: ﴿كَاتِبٌ﴾[2].

فعلى الأول: تكون الكتابة بالعدل؛ وإن كان الكاتب غيرَ مرْضيٍّ.

وعلى الثاني: يجب أن يكون الكاتب مَرضيًّا في نفسه.

---

(١) المحرر الوجيز (٢/ ١١٢).

(٢) الكشاف (٣/ ٥٥٤).

قال مالك: لا يكتب الوثائق إلَّا عارفٌ بها، عدلٌ في نفسه، مأمونٌ.

﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ﴾ نهيٌ عن الإبابة، وهو يقوِّي الوجوب.

﴿كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ﴾ يتعلَّق بقوله: ﴿أَن يَكْتُبَ﴾، والكاف: للتَّشبيه؛ أي: يكتب مثلَ ما علَّمه الله.

أو للتَّعليل؛ أي: ينفع الناسَ بالكتابة كما علَّمه الله؛ كقوله: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧].

وقيل: يتعلَّق بقوله بعدها: ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾.

﴿وَلْيُمْلِلِ﴾ يقال: أملَلْتُ الكتاب، وأملَيتُه؛ فورد هنا على اللغة الواحدة، وفي قوله: ﴿تُمْلَىٰ عَلَيْهِ﴾ [الفرقان: ٥] على الأُخرى.

﴿ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ﴾ ؛ لأنَّ الشهادة إنما هي باعترافه.

فإنْ كُتِبتْ الوثيقة دون إملاله، ثم أقرَّ بها جاز.

﴿وَلَا يَبْخَسْ﴾ أمرَه الله بالتقوى فيما يُمِلُّ، ونهاه عن البَخْس؛ وهو نقص الحق.

﴿سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ﴾ السَّفيه: الذي لا يُحسِن النظرَ في ماله.

والضعيف: الصغير وشبهه.

والذي لا يستطيع أن يُمِلَّ: الأخرس وشبهه.

﴿وَلِيُّهُۥ﴾ أبوه، أو وصيه.

والضمير عائد على: ﴿ٱلَّذِى عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ﴾.

﴿وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ﴾ شهادة الرجلين جائزةٌ في كل شيءٍ، إلَّا في الزنا؛ فلا بد من أربعة.

﴿مِن رِّجَالِكُمۡۖ﴾ نصٌّ في رفض شهادة الكفار، والصِّبيان، والنساء.

وأما العبيد: فاللفظ يتناولهم؛ ولذلك أجاز ابن حنبل شهادتَهم.

ومنعها مالك والشافعي؛ لنقص الرِّقِّ.

﴿فَرَجُلٌ وَٱمۡرَأَتَانِ﴾ قال قومٌ: لا تجوز شهادة المرأتين إلَّا مع عدم الرجال؛ وقالوا: معنى الآية: ﴿فَإِن لَّمۡ يَكُونَا﴾: إن لم يوجَدَا.

وأجازه الجمهور؛ لأن المعنى: إن لم يشهد[1] رجلان فرجلٌ وامرأتان.

وإنما يجوز -عند مالك- شهادة الرجل والمرأتين في الأموال، لا في غيرها.

وتجوز عنده شهادةُ المرأتين دون رجلٍ فيما لا يطَّلع عليه الرجال، كالوِلادة، والاستهلال، وعيوب النساء.

وارتفع[2] ﴿فَرَجُلٌ﴾:

بفعل مضمر؛ تقديره: فليكن رجلٌ؛ فهو فاعل، أو تقديره: فليُستشهَد رجلٌ؛ فهو مفعول لم يُسمَّ فاعلُه.

أو بالابتداء؛ تقديره: فرجل وامرأتان يشهدون.

---

(١) في ب، ج، هـ: «يستشهد».

(٢) في ج، هـ: «وارتفاع».

﴿مِمَّن تَرۡضَوۡنَ﴾ صفة للرجل والمرأتين.

وهو مشترَطٌ -أيضًا- في الرجلين الشاهدين؛ لأنَّ الرِّضا مشترط في الجميع.

وهو العدالة؛ ومعناها: اجتناب الذنوب الكبائر، وتوقِّي الصغائر، مع المحافظة على المروءة.

﴿أَن تَضِلَّ﴾ مفعولٌ من أجله، والعامل فيه: هو المقدَّر العامل في ﴿فَرَجُلٌ وَٱمۡرَأَتَانِ﴾.

والضَّلال في الشهادة: هو نسيانُها، أو نسيان بعضها.

وإنما جُعِل ضلالُ إحدى المرأتين مفعولًا من أجله، وليس هو المراد؛ لأنه سببٌ لتذكير الأخرى لها، وهو المراد؛ فأُقيم السببُ مقام المسبَّب.

وقرئ: ﴿إِن تَضِلَّ﴾ بكسر الهمزة: على الشرط، وجوابه: الفاء في ﴿فَتُذَكِّرُ﴾.

ولذلك رفَعه مَن كسَر الهمزة، ونصبَه من فتحها على العطف.

وقرئ ﴿فَتُذَكِّرَ﴾ بالتشديد والتخفيف؛ والمعنى واحد.

﴿وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ﴾ أي: لا يمتنعوا إذا دعوا إلى أداء الشهادة، وقد ورد تفسيره بذلك عن النبي ﷺ[1]، واتَّفق العلماء أن أداء الشهادة واجبٌ إذا دعي إليها.

---

(١) لم أقف على تخريجه، وقال ابن عطية في المحرر الوجيز (٢/ ١٢٠): «وأسند النقَّاش إلى النبي ﷺ أنه فسر اللآية بهذا».

وقيل: إذا دعوا[١] إلى تحصيلِ الشهادة وكَتْبها.

وقيل: إلى الأمرين.

﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ﴾ أي: لا تملُّوا من الكتابة إذا تردَّدتْ وكثُرت؛ سواءٌ كان الحق صغيرًا أو كبيرًا.

ونُصب ﴿صَغِيرًا﴾ على الحال.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ إشارةٌ إلى الكتابة.

﴿أَقْسَطُ﴾ من القسط؛ وهو العدل.

﴿وَأَقْوَمُ﴾ بمعنى: وأشدُّ إقامةً.

وبُني أفعل فيهما من الرباعي؛ وهو قليل.

﴿وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ﴾ أي: أقرب إلى عدم الشك في الشهادة.

﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةٌ حَاضِرَةٌ﴾ «أن» في موضع نصب على الاستثناء المنقطع؛ لأن الكلام المتقدِّم في الدين المؤجَّل.

والمعنى: إباحةُ تركِ الكتابة في التجارة الحاضرة؛ وهي ما يباع بالنقد.

وقوله: ﴿تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ يقتضي: القبضَ، والبينونة.

﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ ذهب قومٌ إلى وجوب الإشهاد على كلِّ بيعٍ، صغيرٍ أو كبيرٍ، وهم الظاهرية، خلافًا للجمهور.

وذهب قوم إلى أنه منسوخ بقوله: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾.

---

(١) في ب، ج، د، هـ: «دعي».

وذهب قوم إلى أنه على الندب.

﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ **يَحتمل أن يكون ﴿كَاتِبٌ﴾ فاعلًا**؛ على تقدير كسر الرَّاء المدغمة من ﴿يُضَآرَّ﴾.

والمعنى على هذا: نهيٌ للكاتب والشهيد[1] أن يضرَّا صاحبَ الحقِّ أو الذي عليه الحق بالزيادة فيه، أو النقصان منه، أو الامتناع من الكتابة أو الشهادة.

ويَحتمل أن يكون ﴿كَاتِبٌ﴾ مفعولًا لم يسمَّ فاعلُه؛ على تقدير فتح الراء المدغمة، ويقوّي ذلك قراءة عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لا يُضارَرْ» بالتَّفكيك وفتح الراء.

والمعنى: النهيُ عن الإضرار بالكاتب والشَّهيد؛ بإذايتهما بالقول أو بالفعل.

﴿وَإِن تَفْعَلُواْ﴾ إن وقعْتم في الإضرار فإنَّه فُسوقٌ حالٌّ بكم.

﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ إخبارٌ على وجه الامتنان.

وقيل: معناه الوعد بأنَّ من اتقى علَّمه الله وألهمَه.

وهذا المعنى صحيح، ولكن لفظ الآية لا يُعطِيه؛ لأنه لو كان كذلك لجزمٌ ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ﴾ في جواب ﴿وَاتَّقُواْ﴾.

﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ الآيةَ؛ لما أمر الله تعالى بكتابة الديون: جعَل الرَّهن توثيقًا للحق، عوضًا من الكتابة حيث تتعذَّر الكتابة في السفر.

---

(١) في د: «والشاهد».

وقال الظاهرية: لا يجوز الرهن إلَّا في السفر؛ لظاهر الآية.

وأجازه مالك وغيره في الحضَر؛ لأن النبي ﷺ رهن دِرعَه بالمدينة[1].

﴿فَرِهَٰنٌ مَّقۡبُوضَةٞۖ﴾ يقتضي بينونة المرتهِن بالرَّهن.

وأجمع العلماء على صحةِ قبضِ المرتهن، وقبضِ وكيلِه.

وأجاز مالك والجمهور وضعَه على يد عدْلٍ.

والقبض للرهن شرطٌ في الصحة عند الشافعي وغيره؛ لقوله تعالى: ﴿مَّقۡبُوضَةٞۖ﴾.

وهو عند مالك شرط كمال.

﴿فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا﴾ الآيةَ؛ أي: إن أمن صاحبُ الحق المِدْيَانَ لحسن ظنه به: فليستغْنِ عن الكتابة وعن الرهن.

فأمر أولًا بالكتابة، ثم بالرهن، ثم بالائتمان؛ فللدَّين ثلاثة أحوال.

ثم أمر المديانَ بأداء الأمانة؛ ليكون عند ظن صاحبه به.

﴿وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ﴾ محمولٌ على الوجوب.

﴿فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ﴾ معناه: قد تعلَّق به الإثمُ اللاحقُ عن المعصية في كِتمان الشهادة.

وارتفع ﴿ءَاثِمٞ﴾ بأنه خبر «إنَّ»، و﴿قَلۡبُهُۥۗ﴾ فاعلٌ به.

ويجوز أن يكون ﴿قَلۡبُهُۥۗ﴾ مبتدأ، و﴿ءَاثِمٞ﴾ خبره.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٦٩).

وإنما أسند الإثم إلى القلب وإن كانت جملةُ الكاتم هي الآثمة: لأنَّ الكِتمان مِن فعل القلب؛ إذ هو يُضمِرها، ولئلا يُظَنَّ أن كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان.

* * *

[﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرٗا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾].

﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾ الآيةَ؛ مقتضاها: المحاسَبة على ما في نفوس العباد من الذنوب؛ سواءٌ أبدَوْه أم أخفَوْه، ثم المعاقبة على ذلك لمن شاء الله أو الغفران لمن شاء الله.

وفي ذلك إشكالٌ؛ لمعارضته لقول رسول الله ﷺ: «إنَّ الله تجاوز لأمتي ما حدَّثتْ به أنفسَها»[١].

ففي الحديث الصحيح عن أبي هريرة: أنه لما نزلت شقَّ ذلك على الصحابة وقالوا: هلكنا إن حوسبنا بخواطر أنفسنا، فقال لهم النبي ﷺ: «قولوا: سمعنا وأطعنا»، فقالوها، فأنزل الله بعد ذلك: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾، فكشف عنهم الكربة[٢]، ونسَخ بذلك هذه الآيةَ[٣].

(١) أخرجه البخاري (٥٢٦٩)، ومسلم (١٢٧).

(٢) في ج، هـ: «الكرب».

(٣) أخرجه مسلم (١٢٥).

وقيل: هي في معنى: كتم الشهادة وإبدائها؛ وذلك محاسَبٌ به.

وقيل: يحاسب الله خلقَه على ما في نفوسهم، ثم يغفر للمؤمنين ويعذِّب الكافرين والمنافقين.

والصحيح: التأويل الأوَّل؛ لوروده في الصحيح، وقد ورد -أيضًا- عن ابن عباس وغيره.

فإن قيل: إنَّ الآية خبرٌ، والأخبار لا يدخلها النسخ؟

فالجواب: أنَّ النسخ إنما وقع في المؤاخذة والمحاسبة؛ وذلك حكمٌ يصحُّ دخول النسخ فيه.

فلفظ الآية: خبر، ومعناها: حكم[1].

﴿فَيَغْفِرْ﴾ و﴿يُعَذِّبْ﴾ قرئ:

بجزمهما: عطفًا على ﴿يُحَاسِبْكُم﴾.

وبرفعهما: على تقدير: فهو يغفرُ.

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ الآيةَ؛ سببها: ما تقدَّم في حديث أبي هريرة؛ لما قالوا: سمعنا وأطعنا: مدَحهم الله بهذه الآية، وقدَّم ذلك قبل كشف ما شقَّ عليهم.

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ عطفٌ على ﴿ٱلرَّسُولُ﴾، أو مبتدأٌ:

فعلى الأول: يُوقَف ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

وعلى الثاني: يوقف ﴿مِن رَّبِّهِۦ﴾.

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (٢/ ١٣٣).

والأول أحسن.

﴿كُلٌّ ءَامَنَ﴾ إن كان ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ معطوفًا: فـ ﴿كُلٌّ﴾ عمومٌ في الرسول والمؤمنين.

وإن كان مبتدأً: فـ ﴿كُلٌّ﴾ عموم في المؤمنين.

ووحَّد الضمير في ﴿ءَامَنَ﴾ على معنى: كلٌّ واحدٍ منهم آمن.

﴿وَكُتُبِهِۦ﴾ قرئ بالجمع؛ أي كل كتاب أنزله الله.

وقرئ بالتوحيد؛ يريد: القرآن، أو الجنس.

﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ التقدير: يقولون: لا نفرِّق.

والمعنى: لا نفرِّق بين أحدٍ من الرسل وبين غيره في الإيمان، بل نؤمن بجميعهم، ولسنا كاليهود والنصارى الذين يؤمنون ببعضٍ ويكفرون ببعض.

﴿وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ حكايةُ قولِ المؤمنين؛ على وجه المدح لهم.

﴿غُفْرَانَكَ﴾ مصدرٌ، والعامل فيه مضمر. ونصْبُه:

على المصدرية؛ تقديره: اغفرْ غفرانك.

وقيل: على المفعولية؛ تقديره: نطلب غفرانك.

﴿وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ إقرارٌ بالبعث، مع تذلُّلٍ وانقياد. وهنا تمَّت حكاية كلام المؤمنين.

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ إخبارٌ من الله تعالى برفع تكليف ما لا يطاق.

وهو جائزٌ عقلًا عند الأشعريَّة، ومحالٌ عقلًا عند المعتزلة.

واتَّفقوا على أنه لم يقعْ في الشريعة.

﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ أي: من الحسنات.

﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ أي: من السيئات.

وجاءت العبارة بـ﴿لَهَا﴾ في الحسنات؛ لأنها مما يَنتفع العبدُ به، وجاءت في السيئات بـ﴿عَلَيْهَا﴾؛ لأنها مما يَضرُّ بالعبد.

وإنما قال في الحسنات ﴿كَسَبَتْ﴾ وفي الشرِّ[1] ﴿اكْتَسَبَتْ﴾:

لأنَّ في الاكتساب ضربًا من الاعْتمال والمعالجة، حسَبما تقتضيه صيغة: «افتعل»؛ فالسيئات فاعلُها يتكلَّف مخالفةَ أمر الله، ويتعدَّاه، بخلاف الحسنات؛ فإنه فيها على الجادَّة من غير تكلُّفٍ.

أو لأنَّ السيئات يجِدُّ في فعلها؛ لميل النفس إليها، فجعلت لذلك مُكتسَبة، ولمَّا لم يكن الإنسان في الحسنات كذلك: وُصِفت بما لا دلالةَ فيه على الاعتمال.

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ أي: قولوا ذلك في دعائكم[2].

ويَحتمل أن يكون مِن بقيَّةِ حكاية قولهم؛ كما حكى عنهم قولَهم: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾.

---

(١) في ب: «السيئات».

(٢) في د: «أي: قالوا ذلك في دعائهم».

والنِّسيان هنا: هو الذُّهولُ الغالبُ على الإنسان.

والخطأ: غير العمد؛ فذلك معنى قوله ﷺ: «رُفِع عن أمَّتي الخطأ والنسيان»[1].

وقد كان يجوز أن يُؤاخَذَ به لولا أنَّ الله رفَعه.

﴿وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا﴾ التكاليفَ الصعبة؛ كانت قد كُلِّفتْ لمن تقدَّم من الأمم؛ كقتل أنفسهم، وقَرْض أبدانهم، ورُفِعت عن هذه الأمة؛ قال تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وقيل: الإصرُ: المسخُ قردةً وخنازيرَ.

﴿وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ هذا الدعاء دليلٌ على جواز تكليف ما لا يطاق؛ لأنه لا يدعى برفع ما لا يجوز أن يقع، ثم إنَّ الشرع دفع وقوعه.

وتحقيقُ ذلك: أنَّ ما لا يطاق أربعةُ أنواع:

الأول: عقليٌّ محض؛ كتكليف الإيمان لمن علم الله أنه لا يؤمن: فهذا جائزٌ، وواقعٌ باتِّفاق.

والثاني: عاديٌّ؛ كالطَّيران في الهواء.

والثالث: عقليٌّ وعادي؛ كالجمع بين الضِّدَّين.

فهذان وقع الخلاف في جواز التكليف بهما، والاتفاق على عدم وقوعِه.

والرابع: تكليف ما يَشقُّ ويَصعُب:

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٠٤٣).

فهذا جائز اتفاقًا، وقد كلَّفه الله من تقدَّم من الأمم (ورفعه عن هذه الأمة)[١].

﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ﴾ ألفاظٌ متقاربةُ المعنى، وبينَها من الفرق:

أنَّ العفو: تركُ المؤاخذة بالذنب.

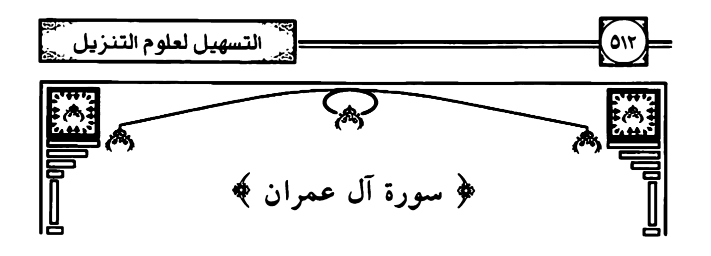
والمغفرة: تقتضي -مع ذلك- السَّترَ.

والرحمة: تجمع ذلك، مع التفضُّل بالإنعام.

﴿مَوْلَىٰنَا﴾ وليُّنا وسيدُنا.

* * *

(١) سقط من ب، ج، هـ.



﴿ سورة آل عمران ﴾

نزل صدرُها إلى نيِّفٍ وثمانين آيةً لما قدِم نصارى نجران المدينة يناظرون رسول الله ﷺ في عيسى بن مريم عليه السلام .

[﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٦﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٩﴾﴾] .

﴿الٓمٓ ﴿١﴾﴾ تقدَّم الكلام على حروف الهجاء[1] .

وقرأ الجمهور : بفتح الميم هنا في الوصل ؛ لالتقاء الساكنين ؛ نحو : «مِنَ الناس» .

---

(١) انظر صفحة ٢٦١.

وقال الزمخشريُّ: هي حركة الهمزة نُقِلت إلى الميم[١]. وهذا ضعيف؛ لأنها ألفُ وَصْلٍ تَسقط في الدَّرْجِ.

﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ ردٌّ على النصارى في قولهم: إنَّ عيسى هو الله؛ لأنهم زعموا أنه صُلِب؛ فليس بحيٍّ، وليس بقَيُّومٍ.

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ هنا: القرآن.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي: تَضمَّن الحقَّ؛ مِن الأَخبار والأَحكام وغيرها.

أو: بالاستحقاق.

﴿مُصَدِّقًا﴾ قد تقدَّم في: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ [البقرة: ٤١][٢].

﴿بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ الكتب المتقدِّمة.

﴿ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ أعجميان؛ فلا يصحُّ ما ذكرَه النُّحاة من اشتقاقهما ووزنهما.

﴿وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ هو القرآن؛ وإنما كرَّر ذكْرَه؛ ليصفه بأنه المفرِّق بين الحق والباطل.

ويَحتمل: أن يكون ذكَرَه أوَّلًا على وجه الإثبات لإنزاله بقوله: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾، ثم ذكره ثانيًا على وجه الامتنان بالهدى به؛ كما قال في التوراة والإنجيل: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾؛ فكأنه قال: «وأنزل الفرقان هدًى للناس»، ثم حَذف ذلك؛ لدلالة الهدى الأوَّل عليه.

---

(١) الكشاف (٤/ ٥).

(٢) انظر صفحة ٣٠٨.

فلما اختلف قصْدُ الكلام في الموضعين: لم يكن ذلك تَكرارًا.

وقيل: الفرقان هنا: كلُّ ما فرَّق بين الحق والباطل؛ من كتابٍ وغيره.

وقيل: هو الزَّبور؛ وهذا بعيد.

﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ﴾ خبرٌ عن إحاطة عِلْم الله بجميع الأشياء على التَّفصيل.

وهذه صفةٌ لم تكن لعيسى، ولا لغيره؛ ففي ذلك ردٌّ على النصارى.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ﴾ برهانٌ على إثبات علم الله المذكورِ قبلُ.

وفيه ردٌّ على النصارى؛ لأن عيسى لا يَقدِر على التَّصوير، بل كان مصوَّرًا؛ كسائر بني آدم.

﴿كَيْفَ يَشَآءُ﴾ مِن طولٍ، وقِصَرٍ، وحُسْن، وقبح، ولَوْن، وغيرِ ذلك.

﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ المُحْكَم من القرآن: هو البيِّنُ المعنى، الثابت الحكم.

والمتشابه: هو الذي يحتاج إلى تأويل، أو يكون مُستغلِقَ المعنى؛ كحروف الهجاء.

قال ابن عباس: المحكمات: النَّاسخاتُ والحلال والحرام، والمتشابهات: المنسوخات، والمقدَّم، والمؤخَّر.

وهذا تمثيلٌ لما قلنا.

﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: عُمدةُ ما فيه، ومُعْظَمه.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ﴾ نزلت في نصارى نجران؛ فإنهم قالوا للنبي ﷺ: أليس في كتابك أن عيسى كلمة الله وروحٌ منه؟ قال: «نعم»، قالوا: فحسْبُنا إذن[1]. فهذا من المتشابه الذي اتَّبعوه.

وقيل: نزلت في أبي ياسر ابن أخطبَ اليهودي وأخيه حُيَيٍّ.

ثم يَدخل في ذلك: كلُّ كافر، أو مبتدع، أو جاهل يتَّبع المتشابهَ من القرآن.

﴿ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ﴾ أي: ليفتنوا به الناسَ.

﴿وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ﴾ أي: يبتغون أن يتأوَّلوه على ما تقتضي مذاهبُهم.

أو: يبتغون أن يصِلوا من معرفة تأويله إلى ما لا يَصل إليه مخلوقٌ.

﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ إخبارٌ عن انفراد الله بعلمِ تأويل المتشابه من القرآن، وذمٌّ لمن طلَب عِلمَ ذلك من الناس.

﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ مبتدأٌ مقطوع مما قبله.

والمعنى: أن الرَّاسخين لا يعلمون تأويل المتشابه، وإنما يقولون: «آمنا به»؛ على وجه التَّسليم والانقياد والاعتراف بالعجز عن معرفته.

وقيل: إنه معطوفٌ على ما قبله.

وإن المعنى: أنهم يعلمون تأويلَه.

وكلا القولين مرويٌّ عن ابن عباس.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٥/ ٢٠٥-٢٠٦).

والأوَّل قول أبي بكر الصديق، وعائشة، وعروة بن الزبير؛ وهو أرجحُ.

وقال ابن عطية: المتشابه نوعان:

نوعٌ انفرد الله بعلْمه.

ونوعٌ يمكن وصول الخلق إليه.

فيكون ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾:

ابتداءً: بالنظر إلى الأول.

وعطفًا: بالنظر إلى الثاني(١).

﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ أي: المحكم والمتشابه من عند الله.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ حكايةٌ عن الراسخين.

ويَحتمل أن يكون مُنقطِعًا؛ على وجه التَّعليم.

والأول أرجح؛ لاتِّصال الكلام.

وأما قوله: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: فهو من كلام الله تعالى، لا حكايةُ قولِ الراسخين.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ استدلالٌ على البعث، ويَحتمل أن يكون:

من تمام كلام الراسخين.

أو منقطعًا؛ فهو من كلام الله تعالى.

---

(١) المحرر الوجيز (٢/ ١٦١).

[﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾].

﴿كَدَأْبِ﴾ في موضع رفعٍ؛ أي: دأبُ هؤلاء ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾؛ وفي ذلك تهديدٌ.

﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ عطفٌ على ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾، ويعني بهم: قومَ نوحٍ وعاد وثمودَ وغيرهم.

والضمير عائد على ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾.

﴿بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ البراهين، أو الكتب.

﴿سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ﴾ قرئ بتاء الخطاب:

ليهود المدينة.

وقيل: لكفَّار قريش.

وقرئ بالياء: إخباراً:

عن يهود المدينة.

وقيل: عن قريش.

وهو صادقٌ على كل قول:

أما اليهود فغُلبوا يوم قريظةَ والنَّضير وقَينُقاع.

وأما قريش ففي بدرٍ وغيرها.

والأشهرُ أنَّها في بني قينقاع؛ لأن رسول الله ﷺ دعاهم إلى الإسلام بعد غزوة بدر، فقالوا له: لا يغرَّنَّك أنك قتلت نفرًا من قريش لا يعرفون القتال، فلو قاتلْتنا لعرفتَ أنَّا نحن الناس، فنزلت الآية، ثم أخرجهم رسول الله ﷺ من المدينة.

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ﴾ قيل: خطابٌ للمؤمنين. وقيل: لليهود. وقيل: لقريش.

والأرجح[١] أنه لبني قينقاع الذين قيل لهم: ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾؛ ففيه تهديدٌ لهم وعبرةٌ بما[٢] جرى لغيرهم.

﴿فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا﴾ المسلمون والمشركون يوم بدر.

﴿تَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ﴾ قرئ: ﴿تَرَوْنَهُم﴾ بالتاء: خطابًا لمن خوطب بقوله: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ﴾.

والمعنى: ترون الكفارَ مِثْلَي المسلمين؛ ولكن الله أيَّد المسلمين بنصره على قلَّة عَددهم.

وقُرئ: بالياء؛ والفاعل في ﴿يَرَوْنَهُم﴾: هم المؤمنون، والمفعول به: هم المشركون، والضمير في ﴿مِّثْلَيْهِمْ﴾: للمؤمنين.

والمعنى: على حسَب ما تقدَّم.

فإن قيل: إنَّ الكفار كانوا يوم بدر أكثرَ مِن مِثْلَي المسلمين؟

فالجواب: من وجهين:

أحدهما: أن الكفار كانوا ثلاثة أمثال المؤمنين؛ لأن الكفار كانوا قريبًا من ألف، والمؤمنون ثلاث مئة وثلاثة عشر، ثم إنَّ الله تعالى قلَّل عدد الكافرين في أعين المؤمنين؛ حتى حسِبوا أنهم مثلَهم مرَّتين؛ ليتجاسروا على قتالهم، إذا ظهر لهم أنهم على ما أُمِروا به من قتال الواحد للاثنين من قوله: ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِاْئَتَيْنِ﴾ [الأنفال: ٦٦].

---

(١) في د: «والأول أرجح».

(٢) في د: «لما».

وهذا المعنى موافقٌ لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾ [الأنفال: ٤٤].

والآخر: أنه رجع قومٌ من الكفار حتى بقي منهم ستُّ مئة وستةٌ وعشرون رجلًا؛ وذلك قَدْرُ عدد المسلمين مرتين.

وقيل: إنَّ الفاعل في ﴿يَرَوْنَهُم﴾: ضمير المشركين، والمفعول: ضمير المؤمنين، وإن الضمير في ﴿مِّثْلَيْهِمْ﴾ يَحتمل أن يكون للمؤمنين أو للمشركين.

والمعنى على هذا: أنَّ الله كثَّر عدد المسلمين في أعين المشركين؛ حتى حسِب الكفارُ المؤمنين مثلَي الكافرين، أو مثلي المؤمنين، وهم أقلُّ من ذلك، وإنما كثَّرهم الله في أعينهم ليَرهَبُوهم.

ويردُّ هذا قوله تعالى: ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ [الأنفال: ٤٤].

﴿رَأْىَ ٱلْعَيْنِ﴾ نُصِب على المصدرية. ومعناه: معاينةً ظاهرةً لا شكَّ فيها.

﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ﴾ أي: أنَّ النصر بمشيئة الله، لا بالقِلَّة، ولا بالكثرة؛ فإن فئةَ المسلمين غَلبت فئةَ الكافرين؛ مع أنهم كانوا أكثرَ منهم.

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ﴾ قيل: المزيِّن هو الله، وقيل: الشيطان.

ولا تعارض بينهما؛ فتَزيين الله: بالإيجاد والتهيئة للانتفاع، وإنشاءِ الجِبِلَّة على الميل إلى الدنيا.

وتزيين الشيطان: بالوسوسة والخديعة.

﴿وَٱلْقَنَـٰطِيرِ﴾ جمع قنطار؛ وهو ألف ومئتا أوقية. وقيل: ألف ومئتا مثقال، وكلاهما مرويٌّ عن النبي ﷺ(١).

﴿ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾ مبنيَّةٌ من لفظ القنطار؛ للتأكيد؛ كقولهم: ألفٌ مؤلفة.

وقيل: المضروبةُ دنانيرَ أو دراهمَ.

﴿ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾ الراعية؛ من قولهم: سام الفرس وغيره: إذا جال في المسارح.

وقيل: المُعْلَمة في وجوهها شِياتٌ(٢)؛ فهي من السِّيما بمعنى العلَامة.

وقيل: المعَدَّة للجهاد.

﴿ذَٰلِكَ مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ تحقيرٌ لها؛ ليَزهد فيها الناس.

﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾ تفضيلٌ للآخرة على الدنيا؛ ليُرغب فيها.

وتمَّ الكلامُ في قوله: ﴿مِّن ذَٰلِكُمْ﴾، ثم ابتدأ قوله: ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا﴾؛ تفسيرًا لذلك.

فـ ﴿جَنَّـٰتٌ﴾ على هذا: مبتدأ، وخبره: ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا﴾.

وقيل: إنَّ قوله: ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا﴾ متعلِّق بما قبله، ويتمُّ الكلام في قوله: ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾.

فـ ﴿جَنَّـٰتٌ﴾ على هذا: خبرُ ابتداءٍ مضمرٍ.

---

(١) أخرجهما الطبري في تفسيره (٥/ ٢٥٥).

(٢) الشِّياتُ: جمع شِيَةٍ، وهي كل لونٍ يخالف معظم لون الفرس وغيره، وهي من: وَشَيَ، ففاؤه واو محذوفة، والهاء في آخره عوضٌ منها. انظر: لسان العرب (٢٠/ ٢٧١).

﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ﴾ زيادةٌ إلى نعيم الجنة، وهو أعظم من النعيم حسَبما ورد في الحديث[١].

﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ نعتٌ ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾، أو رُفِع بالابتداء، أو نُصِب بإضمار فعل.

﴿وَالصَّادِقِينَ﴾ في الأقوال والأفعال.

﴿وَالْقَانِتِينَ﴾ العابدين، أو المطيعين.

﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ﴾ الاستغفار: هو طلب المغفرة.

قيل لرسول الله ﷺ: كيف نستغفر؟ فقال: «قولوا: اللهم اغفر لنا وارحمنا وتُبْ علينا إنك أنت التوّاب الرحيم»[٢].

﴿وَبِالْأَسْحَارِ﴾ جمع سَحَرٍ؛ وهو آخر الليل؛ يقال: إنه الثلث الآخِر؛ وهو الذي ورد أن الله يقول حينئذٍ: «من يستغفرني فأغفر له»[٣].

﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ الآيةَ؛ شهادةٌ من الله سبحانه لنفسه بالوَحدانية.

وقيل: معناها: إعلامُه لعباده بذلك.

---

(١) عن أبي سعيد الخدري، أن النبي ﷺ قال: «إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك. فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أُحلُّ عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبدا» أخرجه البخاري (٧٥١٨)، ومسلم (٢٨٢٩).

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٩/ ١٧٣).

(٣) أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).

﴿وَالْمَلَٰئِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾ عطفٌ على اسم ﴿اللَّهُ﴾؛ أي: هم شهداءُ بالوَحدانية.

ويعني بأولي العلم: العارفين بالله، الذين يقيمون البراهينَ على وَحدانيته.

﴿قَائِمًا﴾ منصوبٌ على الحال من: اسم ﴿اللَّهُ﴾، أو من: ﴿هُوَ﴾.

أو منصوبٌ على المدح.

﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل.

﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ إنما كرَّر التَّهليل لوجهين:

أحدهما: أنه ذكَر أوَّلًا الشهادة بالوحدانية، ثم ذكرها ثانياً بعد ثبوتها بالشهادة المتقدمة[(١)].

والآخر: أن ذلك تعليمٌ لعباده؛ ليُكثِروا من قولها.

﴿إِنَّ الدِّينَ﴾ بكسر الهمزة: ابتداءٌ.

وبفتحها: بدلٌ مِن ﴿أَنَّهُ﴾، وهو بدل شيءٍ من شيء؛ لأن التوحيد هو الإسلام.

﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ﴾ الآيةَ؛ إخبارٌ أنهم اختلفوا بعد معرفتهم بالحقائق؛ من أجل البغي، وهو الحسد.

والآية في اليهود، وقيل: في النصارى، وقيل: فيهما.

---

(١) في د: «ثم ذكر ثانيًا ثبوتَها بالشهادة المتقدمة».

﴿سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ قد تقدَّم معناه في «البقرة»[1].

وهو هنا تهديدٌ؛ ولذلك وقع في جواب: ﴿وَمَن يَكْفُرْ﴾.

﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ﴾ أي: جادلوك في الدين.

والضمير: لليهود، ونصارى نجران.

﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ﴾ أي: أخلصتُ نفسي وجُملتي لله؛ وعبَّر بالوجه عن الجملة.

ومعنى الآية: إقامة الحجة عليهم؛ لأنَّ مَن أسلم وجهه لله فهو على الحق بلا شكٍّ، فسقطت حجَّةُ مَن خالفه.

﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ﴾ عطفٌ على التاء في ﴿أَسْلَمْتُ﴾.

ويجوز أن يكون مفعولًا معه.

﴿ءَأَسْلَمْتُمْۚ﴾ تقريرٌ بعد إقامة الحجة؛ أي: قد جاءكم من البراهين ما يقتضي أن تُسلِموا.

﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُۗ﴾ أي: إنما عليك أن تبلِّغَ رسالة ربك، فإذا بلَّغتها فقد فعلتَ ما عليك.

وقيل: إن فيها موادَعةً نسختها آية السيف.

---

(١) انظر صفحة ٤٢٣.

[﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢١ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٢٢ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ وَهُم مُّعۡرِضُونَ ٢٣ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۖ وَغَرَّهُمۡ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٢٤ فَكَيۡفَ إِذَا جَمَعۡنَٰهُمۡ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِ وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٥ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٢٧ لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨ قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٩ يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٣٠ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ﴾ الآية؛ نزلت في اليهود والنصارى؛ توبيخًا لهم، ووعيدًا على قبيح[1] أفعالهم، وأفعال أسلافهم.

﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ هم اليهود.

---

(١) في ب، د: «قُبح».

والكتاب هنا: التوراة، أو جنس.

﴿يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ ابنُ عباس: دخل رسول الله ﷺ على جماعةٍ من اليهود، فيهم النعمان بن عمرٍو، والحارث بن زيد، فقالوا له: على أيِّ دينٍ أنت؟ فقال: «على دين إبراهيم»، فقالوا: إنَّ إبراهيم كان يهوديًّا، فقال لهم رسول الله ﷺ: «فهلمُّوا إلى التوراة فهي بيننا وبينكم»، فأبوا عليه فنزلت الآية[1].

ف ﴿كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ على هذا: التوراة.

وقيل: هو القرآن؛ كان النبي ﷺ يدعوهم إليه فيُعرِضون عنه.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ الإشارةُ إلى إعراضهم عن كتاب الله.

والباء سببية.

والمعنى: أنَّ كفرهم بسبب اغترارهم وأكاذيبهم.

والأيام المعدودات قد ذُكِرت[2] في «البقرة»[3].

﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ﴾ أي: كيف يكون حالهم يوم القيامة؟

والمعنى: تهويلٌ واستعظام لما أُعِدَّ لهم.

﴿ٱللَّهُمَّ﴾ منادى، والميم فيه عوض مِن حرف النداء عند البصريين؛ ولذلك لا يجتمعان.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٥/ ٢٩٣).

(٢) في ب، ج، هـ: «ذكر».

(٣) انظر صفحة ٣٣٠.

وقال الكوفيون: أصله: «يا أللهُ أُمَّنَا بخيرٍ» فالميم عندهم من: «أُمَّنا».

﴿مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ﴾ منادى عند سيبويه.

وأجاز الزَّجَّاج أن يكون صفةً لاسم الله.

وقيل: إنَّ الآية نزلت ردًّا على النصارى في قولهم: إنَّ عيسى هو الله؛ لأن هذه الأوصاف ليست لعيسى.

وقيل: لما أخبر النبيُّ ﷺ أن أمته يفتحون مُلْك كسرى وقيصر: استبعدَ ذلك المنافقون، فنزلت الآية.

﴿بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُ﴾ قيل: المراد: «بيدك الخير والشر»، فحذف أحدهما؛ لدلالة الآخر عليه.

وقيل: إنما خصَّ الخير بالذكر؛ لأنَّ الآية في معنى دعاءٍ ورغبة؛ فكأنه يقول: بيدك الخير فأجزِل حظِّيَ منه.

﴿وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ﴾ عبد الله بن مسعود: هي النُّطفة؛ تَخرج من الرجل ميِّتة وهو حيٌّ، ويَخرج الرجل منها حيًّا وهي ميِّتةٌ.

وقال عكرمة: هو إخراج الدَّجاجة من البَيضة، والبيضة من الدَّجاجة.

وقيل: تُخرِج[١] المؤمن من الكافر، والكافرَ من المؤمن، فالحياة والموت على هذا: استعارة.

---

(١) في ب، د: «يخرج».

وفي ذِكْر الحيِّ مع الميت:

المطابقة؛ وهي من أدوات البيان.

وفيه -أيضًا- القلب؛ لأنه قدَّم الحيَّ على الميت، ثم عكس.

﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ بغير تضييق. وقيل: بغير محاسبة.

﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ الآيةَ؛ عامة في جميع الأعصار.

وسببها: مَيْلُ بعض الأنصار إلى بعض اليهود.

وقيل: كتاب حاطب إلى مشركي قريش.

﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ تبرُّؤٌ ممن فعل ذلك، ووعيدٌ على موالاة الكفار.

وفي الكلام حذف؛ تقديره: ليس من التقرُّب إلى الله في شيء.

وموضع ﴿فِي شَيْءٍ﴾: نصبٌ على الحال من الضمير في ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ﴾. قاله ابن عطية[1].

﴿إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ﴾ إباحةٌ لموالاتهم إن خافوا منهم.

---

(١) المحرر الوجيز (٢/ ١٩٢)، ونقل أبو حيان كلام ابن عطيَّة هذا، وعلَّق عليه بقوله: «وهو كلام مضطرب؛ لأن تقديرَه: «فليس من التقرُّب إلى الله» يقتضي أن لا يكون «من الله» خبرًا لـ«ليس»؛ إذ لا يستقلُّ، وقوله: «(في شيء) هو في موضع نصب على الحال» يقتضي أن لا يكون خبرًا؛ فيبقى «ليس» -على قوله- لا يكون لها خبر، وذلك لا يجوز»، وأعرَبها أبو حيان بقوله: «وخبر «ليس» هو ما استقلَّت به الفائدة، وهي (في شيء)، و(من الله) في موضع نصب على الحال؛ لأنه لو تأخَّر لكان صفةً لشيء، والتقدير: فليس في شيء من ولاية الله». البحر المحيط (٥/ ٢٨٦).

والمراد: موالاةٌ بالظاهر، مع البغضاء في الباطن.

﴿تُقَىٰةً﴾ وزنه: فُعَلَة -بضم الفاء وفتح العين-، وفاؤه واوٌ، أُبدِل منها تاءٌ، ولامه ياء أبدل منها ألف.

وهو منصوب على المصدرية.

ويجوز أن ينتصب على الحال من الضمير في ﴿تَتَّقُوا﴾.

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ تخويفٌ.

﴿يَوْمَ تَجِدُ﴾ منصوبٌ على الظرفية، والعامل فيه:

فعل مضمر؛ تقديره: اذكروا، أو خافوا.

وقيل: العامل فيه: ﴿قَدِيرٌ﴾.

وقيل: ﴿الْمَصِيرُ﴾.

وقيل: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ﴾.

﴿وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ﴾ مبتدأٌ، خبره: ﴿تَوَدُّ﴾.

أو معطوف.

﴿أَمَدًا﴾ أي: مسافةً.

﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ﴾ ذُكر بعد التَّحذير:

تأنيسًا؛ لئلا يُفرِطَ الخوفُ.

أو لأن التحذيرَ والتنبيه رأفةٌ.

﴿فَاتَّبِعُونِي﴾ جَعل اتِّباع النبي ﷺ:

علامةً على محبة العبد لله تعالى.

وشرطًا في محبة الله للعبد ومغفرتِه له.

وقيل: إنَّ الآية خطابٌ لنصارى نجران، ومعناها على العموم في جميع الناس.

* * *

[﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًاۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةًۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًاۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾ ﴾].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ الآيةَ؛ لما مضى صدرٌ من محاجَّة نصارى نجران: أخذ يبيِّن لهم ما اختلفوا فيه وأشكل عليهم من أمر عيسى عليه السلام، وكيفية وِلادته.

وبدأ بذِكْر آدم ونوحٍ عليهما السلام؛ تكميلًا للأمر؛ لأنهما أبوان لجميع الأنبياء.

ثم ذكَر إبراهيم؛ تدريجًا إلى ذكر عمران والدِ مريم أمِّ عيسى عليه السلام.

وقيل: إنَّ عمران هنا هو والد موسى، وبينهما ألف وثمان مئة سنة.

والأظهر أن المراد هنا: هو والد مريم؛ لذكر قصَّتِها بعد ذلك.

﴿وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ﴾ يحتمل أن يريد بالآل: القرابةَ، أو الأتباعَ.

وعلى الوجهين يدخل نبيُّنا محمد صلى الله عليه وسلم في آل إبراهيم.

﴿ذُرِّيَّةً﴾ بدلٌ مما تقدَّم، أو حال.

ووزنه فُعْلِيَّةٌ؛ منسوب إلى الذَّرِّ؛ لأن الله تعالى أَخرج الخلق من صلب آدم كالذر، وغُيِّر أوَّله في النَّسَب.

وقيل: أصل ذُرِّيَّةٍ: ذُرُّورَةٌ؛ وزنها: فُعُولَةٌ، ثم أُبدِل من الراء الأخيرة ياء، فصار: ذُرُّويَة، ثم أدغمت الواو في الياء وكسرت الراء فصار: ذُرِّيَّة.

﴿إِذْ قَالَتِ﴾ العامل فيه محذوف؛ تقديره: اذكر.

وقيل: ﴿عَلِيمٌ﴾.

وقال الزَّجَّاج: العامل فيه: معنى الاصطفاء.

﴿ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ﴾ اسمها: حَنَّةُ -بالنون-، وهي أم مريم، وعمران هنا: هو والد مريم.

﴿نَذَرْتُ﴾ أي: جعلت نذرًا عليَّ أن يكون هذا الولد الذي في بطني حَبِيسًا على خدمة بيتك؛ وهو بيت المقدس.

﴿مُحَرَّرًا﴾ أي: عَتِيقًا من كل شُغلٍ إلَّا خدمة المسجد.

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾ الآيةَ؛ كانوا لا يُحرِّرون الإناثَ لخدمة المساجد، فقالت: ﴿إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾؛ تحسُّرًا وتلهُّفًا على ما فاتها من النَّذر الذي نذَرتْ.

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ قرئ ﴿وَضَعَتْ﴾: بإسكان التاء، وهو من كلام الله؛ تعظيمًا لموضوعها.

وقرئ: بضم التاء وسكون العين؛ وهو -على هذا- من كلامهما.

﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ يَحتمل:

أن يكون من كلام الله.

فالمعنى: ليس الذكرُ الذي طلَبتِ كالأنثى التي وُهِبتْ لكِ.

وأن يكون من كلامها.

فالمعنى: ليس الذكر كالأنثى في خدمة المساجد؛ لأن الذكور كانوا يَخدمونها دون الأناث.

﴿سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ إنما قالت لربها: ﴿سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾؛ لأن مريم في لغتهم بمعنى: العابدة، فأرادت بذلك التقرُّبَ إلى الله.

ويؤخذ من هذا: تسميةُ المولود يوم ولادته.

وامتنع ﴿مَرْيَمَ﴾ من الصَّرف؛ للتعريف والتأنيث، وفيه -أيضًا- العُجْمة.

﴿وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا﴾ ورد في الحديث: «ما من مولود إلَّا نخَسه الشيطان حين يُولَد فيَستهلُّ صارخًا، إلَّا مريم وابنها؛ لقولها: ﴿وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ﴾ الآيَةَ»[١].

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا﴾ أي: رَضِيَها للمسجد مكانَ الذَّكَر.

﴿بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون مصدرًا على غير الصَّدْر[٢].

---

(١) تقدم تخريجه في صفحة.

(٢) في أ، د: «المصدر»، والمثبت هو الصواب، والصَّدْر: هو الفعل في اصطلاح الكوفيين، وهذا التعبير «مصدر على غير الصَّدر» مألوف الاستعمال عند العلماء، =

والآخر: أن يكون اسمًا لما يُقبَل به، كالسَّعوط: اسم[1] لما يُسعَط به.

﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ عبارةٌ عن حسن النشأة.

﴿وَكَفَلَهَا زَكَرِيَّآءُ﴾ أي: ضمَّها إلى إنفاقه وحَضانته، والكافل: هو الحاضن.

وكان زكرياءُ زوجَ خالتها، وقيل: زوج أختها.

وقرئ: ﴿وَكَفَّلَهَا﴾ بتشديد الفاء، ونصب ﴿زَكَرِيَّآءَ﴾، أي: جعَله الله كافلَها.

﴿ٱلْمِحْرَابَ﴾ في اللغة: أشرفُ المجالس، وبذلك سُمِّي موضع الإمام.

ويقال: إن زكرياءَ بنى لها غرفةً في المسجد؛ وهي المحراب هنا.

وقيل: المحراب: موضع العبادة.

﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ كان يجد عندها فاكهةَ الشتاء في الصَّيف، وفاكهةَ الصيف في الشتاء.

ويقال: إنها لم تَرضَعْ ثديًا قطُّ، وكان الله يرزقها.

= كما في أدب الكاتب لابن قتيبة، والمحرر الوجيز، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي، والبحر المحيط لأبي حيان، وغيرها، ومعناه: أن يكون المصدر على غير بناء الفعل، بأن يكون مصدرًا لفعل آخر، فالفعل في هذه الآية: «تقبَّل»، ومصدرُ هذا الفعل: «تقبُّلًا»، ولكنه جاء هنا «قبولًا» مصدرًا للفعل «قَبِلَ». وانظر: أدب الكاتب، لابن قتيبة (تحقيق: الدالي): (ص: ٣٣٣).

(١) هذه الكلمة سقطت من ب، ج، هـ.

﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ أي: كيف؟ ومن أين؟

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ﴾ من كلام مريم، أو من كلام الله تعالى.

﴿هُنَالِكَ﴾ إشارةٌ إلى مكان.

وقد يستعمل في الزمان؛ وهو الأظهر هنا، أي: لما رأى زكرياءُ كرامةَ الله تعالى لمريم: سأل مِن اللهِ الولد.

﴿فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أُنِّث رَعْيًا للجماعة.

وقرئ بالألف على التذكير.

وقيل: إن الذي ناداه جبريل وحده، وإنما قيل: ﴿ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ كقولهم: فلان يَركب الخيلَ؛ أي: جنس الخيل، وإن كان فرسًا واحدًا.

﴿بِيَحۡيَىٰ﴾ اسمٌ سمَّاه الله تعالى به قبل أن يولد، وهو اسم بالعِبرانية صادف اشتقاقًا وبناءً في العربية.

وهو لا ينصرف، فإن كان أعجميًّا: ففيه التعريف والعُجْمة، وإن كان عربيًّا: فالتعريف ووزن الفعل.

﴿مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: مصدِّقًا بعيسى ﷺ، مؤمنًا به.

وسُمِّي عيسى كلمةَ الله؛ لأنه لم يوجد إلَّا بكلمة الله وحدَها؛ وهي قوله: ﴿كُن﴾، لا بسبب آخر؛ وهو الوالد كسائر بني آدم.

﴿وَسَيِّدٗا﴾ السَّيِّد: الذي يسود قومَه؛ أي: يفوقهم في الشرف والفضْل.

﴿وَحَصُورٗا﴾ أي: لا يأتي النساء؛ فقيل: خلَقه الله كذلك، وقيل: كان يُمسِك نفسَه.

وقيل: الحصور: الذي لا يأتي الذُّنوب.

﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ تعجُّبٌ واستبعادٌ أن يكون له ولد مع شيخوختِه، وعُقْم امرأته، ويقال: إنه كان له تسعٌ وتسعون سنةً، ولامرأته ثمان وتسعون؛ فاستَبعدَ ذلك في العادة، مع علمه بقدرة الله تعالى على ذلك.

فسأله؛ لعلمه بقدرة الله، واستبعده؛ لأنه نادر في العادة.

وقيل: سأله وهو شابٌّ، وأُجِيب وهو شيخ؛ ولذلك استبعده.

﴿كَذَٰلِكَ اللَّهُ﴾ أي: مثلَ هذه الفِعْلة العجيبة: يَفعلُ الله ما يشاء؛ فالكاف لتشبيه أفعال الله العجيبة بهذه الفِعلة.

والإشارة بـ «ذلك»: إلى هبة الولد لزكرياءَ.

واسم ﴿اللَّهُ﴾ مرفوعٌ بالابتداء، و﴿كَذَٰلِكَ﴾ خبره؛ فيجب وصله معه.

وقيل: إن الخبر: ﴿يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾، ويَحتمل ﴿كَذَٰلِكَ﴾ - على هذا - وجهين:

أحدهما: أن يكون في موضع الحال من فاعل ﴿يَفْعَلُ﴾.

والآخر: أن يكون في موضع خبر مبتدإٍ محذوف؛ تقديره: «الأمر كذلك»، أو «أنتما كذلك».

وعلى هذا يوقف على ﴿كَذَٰلِكَ﴾.

والأول أرجح؛ لاتِّصال الكلام، وارتباط قوله: ﴿يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ مع ما قبله، ولأنَّ له نظائرَ كثيرةً في القرآن؛ منها قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ﴾ [هود: ١٠٢].

﴿ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةًۖ﴾ أي: علامةً على حَمل المرأة.

﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ﴾ أي: علامتك أن لا تقدر على كلام الناس ثلاثةَ أيامٍ، يُمنَع لسانه[1] عن ذلك، مع إبقاء قدرته على التكلُّم بذكر الله؛ ولذلك قال: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا﴾.

وإنما حُبِس لسانُه عن الكلام تلك المدَّة؛ لِيَخْلُصَ فيها لذكر الله؛ شكرًا على استجابة دعائه، ولا يُشغِلَ لسانَه بغير الشُّكر والذِّكر.

﴿إِلَّا رَمْزًاۗ﴾ إشارةً باليد، أو بالرأس، أو غيرهما؛ فهو استثناء منقطع.

﴿بِٱلْعَشِيِّ﴾: من زوال الشمس إلى غروبها، ﴿وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾: من طلوع الفجر إلى الضحى.

(١) في ج: «لسانك».

[﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ۞ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ ۖ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾].

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ﴾ اختُلف هل المراد جبريل أو جمعٌ من الملائكة؟.

والعامل في «إذ» مضمر.

﴿اصْطَفَاكِ﴾ أوّلًا حين تقبّلك من أمّكِ.

﴿وَطَهَّرَكِ﴾ من كل عيب في خَلْق أو خُلُق أو دين.

﴿وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ يحتمل:

أن يكون هذا الاصطفاءُ مخصوصًا بأن وهب لها عيسى من غير أبٍ.

فيكون ﴿عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ عامًّا.

وأن يكون الاصطفاء عامًّا.

فيُخصَّصُ[1] مِن ﴿نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: خديجة وفاطمة.

أو يكون المعنى: على نساء زمانِها.

وقد قيل بتفضيلها على الإطلاق.

وقيل: إنها كانت نبيَّةً؛ لتكليم الملائكة لها.

﴿ٱقۡنُتِي﴾ القنوت هنا: بمعنى الطاعة والعبادة.

وقيل: طول القيام في الصلاة؛ وهو قول الأكثرين.

﴿وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي﴾ أُمِرت بالصلاة؛ فذَكر القنوت والسجود؛ لكونهما[2] من هيئات الصلاة وأركانها، ثم قيل لها: ﴿وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ بمعنى: ولتكن صلاتك مع المصلين؛ أي: في الجماعة.

فلا يقتضي الكلامُ -على هذا- تقديمَ السجود على الركوع؛ لأنه لم يُرِد الركوع والسجود المنتظِمَيْنِ في ركعةٍ واحدة.

وقيل: أراد ذلك، وقدَّم السجود؛ لأن الواو لا تُرتِّبُ.

---

(١) في ج، د، هـ: «فيخص».

(٢) ب: «لأنهما».

ويَحتمل أن تكون الصلاةُ في ملَّتِهم بتقديم السجود على الركوع.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى ما تقدم من القَصَص، وهو خطابٌ للنبي ﷺ.

﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾ احتجاجٌ على نبوته ﷺ؛ لكونه أخبر بهذه الأَخبار وهو لم يحضر معهم.

﴿يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ﴾ أزْلامَهم[1]؛ وهي قِدَاحُهم.

وقيل: الأقلام التي كانوا يكتبون بها التوراة، اقترعوا بها على كفالة مريم؛ حرصًا عليها وتنافُسًا في كَفالتها.

وتدلُّ الآية على جواز القرعة، وقد ثبتت -أيضًا- من السنة.

﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ مبتدأٌ وخبرٌ، في موضع نصبٍ بفعل تقديره: يَنظرون أيُّهم.

﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ يختلفون فيمن يَكفُلها منهم.

﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ «إذ» بدلٌ من ﴿وَإِذْ قَالَتِ﴾، أو من ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾، أو العامل فيه مضمر.

﴿ٱسْمُهُ﴾ أعاد الضمير المذكَّر على «الكلمة»؛ لأن المسمَّى بها ذَكَرٌ.

﴿ٱلْمَسِيحُ﴾ قيل: هو مشتقٌّ من: ساحَ في الأرض؛ فوزنه: مَفْعِل.

وقال الأكثرون: مِن مَسَح؛ لأنه مُسِح بالبركة؛ فوزنه: فَعِيل.

---

(١) هذه الكلمة سقطت من ب، ج، هـ.

وإنما قيل[١]: ﴿عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ والخطاب لمريم؛ لِيَنسِبَه إليها؛ إعلامًا بأنه يولد من غير والد.

﴿وَجِيهًا﴾ نُصِب على الحال.

ووجاهتُه في الدنيا: النبوة، والتقدُّم على الناس، وفي الآخرة: الشفاعةُ وعُلوُّ الدرجة في الجنة.

﴿فِى ٱلْمَهْدِ﴾ في موضع الحال، ﴿وَكَهْلًا﴾ عطفٌ عليه.

والمعنى: أنه يكلِّم الناس صغيرًا؛ آيةً تدلُّ على براءة أمِّه مما قذفَها به اليهود، وتدلُّ على نبوته. ويكلِّمهم - أيضًا - كبيرًا؛ ففيه إعلامٌ بعَيشِه إلى أن يبلغ سنَّ الكهولة؛ وأوله: ثلاث[٢] وثلاثون سنةً. وقيل: أربعون.

﴿وَيُعَلِّمُهُ﴾ عطفٌ على ﴿يُبَشِّرُكِ﴾، أو على ﴿وَيُكَلِّمُ﴾.

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ هنا: جنسٌ. وقيل: الخط باليد.

﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ هنا: العلوم الدِّينية، أو الإصابة في القول والفعل.

﴿وَرَسُولًا﴾ حالٌ معطوفة على ﴿وَيُعَلِّمُهُ﴾؛ إذ التقدير: ومعلِّمًا الكتابَ. أو يُضمَر له فعل تقديره: أُرسِل رسولًا، أو جاء رسولًا.

﴿إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: أُرسِل إليهم عيسى عليه السلام مبيِّنًا لحكم التوراة.

﴿أَنِّى﴾ تقديره: بأني.

---

(١) في د: «قال».

(٢) في أ، ب، د، هـ: «ثلاثة».

﴿إِنِّيَ أَخْلُقُ﴾ بفتح الهمزة: بدلٌ من ﴿أَنِّ﴾ الأول، أو من ﴿بِئَايَةٍ﴾.

وبكسرها: ابتداءُ كلام.

﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾ ذكَّر هنا الضمير؛ لأنه يعود على الطّين[1]، أو على الكاف من ﴿كَهَيْـَٔةِ﴾.

وأنَّث في «المائدة»؛ لأنه يعود على الهيئة.

﴿فَيَكُونُ طَائِرًا﴾ قيل: إنه لم يخلق غير الخُفَّاش.

وقرئ ﴿طَيْرًا﴾ بياءٍ ساكنة: على الجمع، وبألف وهمزة: على الإفراد.

وكرَّر ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ رفعًا لوَهْمِ من توهَّم في عيسى الربوبيةَ.

﴿وَأُبْرِئُ﴾ روي أنه كان يجتمع إليه جماعةٌ من العُميان والبُرْصِ[2] فيدعو لهم فيبرَؤون.

﴿وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ روي أنه كان يَضرب بعصاه الميتَ أو القبر، فيقوم الميت ويكلِّمه.

وروي أنه أحيا سامَ بن نوح.

﴿وَأُنَبِّئُكُم﴾ كان يقول: يا فلان أكلتَ كذا، وادَّخرت في بيتك كذا.

﴿وَمُصَدِّقًا﴾ عطفٌ:

على ﴿وَرَسُولًا﴾.

---

(١) في ب، د: «الطير»، وماأثبتُّه موافق لما في المحرر الوجيز (٢/ ٢٢٨).

(٢) في أ، ب، د، هـ: «والبرصى»، والذي لسان العرب (٨/ ٢٧٠): «وجمع الأبْرص بُرْصٌ».

أو على موضع: ﴿بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾؛ لأنه في موضع الحال، وهو أحسن؛ لأنه من جملة كلام عيسى، فالتقدير: جئتكم[١] بآية، وجئتكم مصدِّقًا.

﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم﴾ عطفٌ على ﴿بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾.

وكانوا قد حُرِّم عليهم الشحمُ، ولحمُ الإبل، وأشياءُ من الحيتان والطيرِ، فأحلَّ لهم عيسى بعضَ ذلك.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى﴾ ردٌّ على مَن نسَب الربوبيةَ لعيسى.

وانتهى كلام عيسى عليه السلام إلى قوله: ﴿صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾، وابتداؤه من قوله: ﴿أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم﴾.

وكلُّ ذلك يَحتمل:

أن يكون مما ذكَرت الملائكةُ لمريم حكايةً عن عيسى عليه السلام أنه سيقولُه.

ويَحتمل أن يكون خطابُ مريم قد انقطع، ثم استؤنف الكلام مِن قوله: ﴿وَرَسُولًا﴾؛ على تقدير: جاء عيسى رسولًا بأني قد جئتكم بآية[٢]، ثم استمرَّ كلامُه إلى آخره.

﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ﴾ أي: عَلِم علمًا ظاهرًا، كعلم ما يُدرَك بالحواسِّ.

﴿مَنْ أَنصَارِىٓ﴾ طلَبَ النُّصرةَ[٣]. والأنصار: جمع ناصرٍ.

---

(١) في د زيادة: «من ربكم».

(٢) في د زيادة: «من ربكم».

(٣) في ب، ج: «طلبٌ للنصرة».

﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ تقديره: مَن يضيفُ أنفسَهم -في نصرتي- إلى الله؛ فلذلك قيل: «إلى» هنا بمعنى: «مع».

أو: يتعلَّق بمحذوف تقديره: ذاهبًا إلى الله، أو ملتجِئًا إلى الله.

﴿ٱلْحَوَارِيُّونَ﴾ حواريُّ الرجلِ: صِفْوَتُه وخالِصته؛ ولذلك قال رسول الله ﷺ: «لكل نبيٍّ حواريٌّ، وإن حواريَّ الزبير»(١).

وقيل: إنَّ الحواريين كانوا قَصَّارين(٢) يُحَوِّرُون الثيابَ -أي: يبيِّضونها- ولذلك سمَّاهم الحوَاريين.

﴿بِمَآ أَنزَلْتَ﴾ يريدون: الإنجيلَ، و﴿ٱلرَّسُولَ﴾ هنا: عيسى عليه السلام.

﴿مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ أي: مع الذين يشهدون بالحقِّ من الأمم.

وقيل: مع أمة محمد ﷺ؛ لأنهم يشهدون على الناس.

﴿وَمَكَرُوا۟﴾ الضمير لكفار بني إسرائيل، ومكْرُهم: أنهم وكَّلوا بعيسى مَن يقتله غِيلةً.

﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ أي: رفَع عيسى إلى السماء، وألقَى شَبَهَهُ على من أراد اغتياله حتى قُتِل عِوَضًا منه.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٤٦)، ومسلم (٢٤١٥).

(٢) قَصَر الثوبَ قِصارةً وقَصَّرَه: حوَّره ودقَّه، والقصَّار والمُقَصِّرُ: المحوِّر للثياب؛ لأنه يدقُّها بالقَصَرَة التي هي القطعة من الخشب، وتسمى أيضًا المِقصَرة، وحرفته: القِصَارة. انظر: لسان العرب (٦/ ٤١٥).

وعبَّر عن فِعْل الله بالمكر مشاكلةً لقوله: ﴿وَمَكَرُواْ﴾[١].

﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ أي: أقواهم، وهو فاعلٌ ذلك بحقٍّ، والماكر من البشر فاعلٌ بباطل.

* * *

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «عبَّر عن فعل الله» إلخ. أقول: معناه أن الله سمَّى ما يفعله بالكافرين من العقوبة مكرا مشاكلةً لفظية، ليوافق مكر الكافرين بالرسول ﷺ والمؤمنين في الاسم، فيكون الجزاء من جنس العمل لفظا. وهذا خطأٌ، والحامل عليه عند المؤلف وغيره: استقباحُ إضافة المكر إلى الله حقيقة، بناء على اعتقاد أن المكر كلَّه مذموم، وليس كذلك؛ بل من المكر ما هو محمودٌ، وهو ما كان على وجه المجازاة عدلا، ومن هذا مكرُ الله بأعدائه وأعداء رسله، جزاء وفاقا، وسنةُ الله أن يكون الجزاء من جنس العمل. ومن مكر الله بالكافرين الإملاء لهم واستدراجهم، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾﴾.

[﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْأٓيَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾﴾].

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ﴾ العامل فيه: فعلٌ مضمر، أو ﴿وَمَكَرَ﴾[1].

﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ قيل: وفاة موت، ثم أحياه الله في السماء.

وقيل: رُفِع حيًّا، ووفاةُ الموت: بعد أن ينزلَ إلى الأرض فيقتلَ الدَّجالَ.

وقيل: يعني: وفاةَ نومٍ.

وقيل: المعنى: قابضك من الأرض إلى السماء.

﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ أي: إلى سمائي[2].

---

(١) في جميع النسخ الخطية كذا: «أو يمكر»!، والمثبت هو لفظ الآية، وهو الموافق لما في المحرر الوجيز (٢/ ٢٣٧)، والكشاف (٤/ ١١٩).

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: قولُ ابن جزي في قوله تعالى في شأن عيسى ﷺ: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ قال: أي: «إلى سمائي»، أقول: هذا عدولٌ باللفظ عن =

﴿وَمُطَهِّرُكَ﴾ أي: من سوءِ جِوَارهم.

﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ﴾ هم المسلمون، وعُلوُّهم على الكفار: بالحجة وبالسيف في غالب الأمر.

وقيل: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ﴾[1]: النصارى، و﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾: اليهود؛ فالآية مخبِرةٌ عن عزَّة النصارى على اليهود، وإذلالهم لهم.

﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ﴾ إشارةٌ إلى ما تقدَّم من الأخبار.

﴿مِنَ ٱلْأَيَٰتِ﴾ المتلوَّة، أو المعجزات.

﴿وَٱلذِّكْرِ﴾ القرآنِ.

﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ الناطقِ بالحكمة.

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ﴾ الآيةَ؛ حجةٌ على النصارى في قولهم: كيف يكون ابنٌ دون أب؟، فمثَّله الله بآدم الذي خلَقه دون أمٍّ ولا أبٍ، وذلك أغرب مما استبعدوه؛ فهو أقطعُ لقولهم.

= ظاهره، بتفسيره بلازمِهِ؛ فإنَّ رفعَ عيسى ﷺ إلى الله الذي هو مدلولُ اللفظ، يستلزم رفعَه إلى السماء، والذي حمل ابنَ جزي وأمثالَه على هذا التأويل مذهبُهم في علوِّ الله، وهو أنه ليس سبحانه بذاتِه فوقَ سماواته، بل هو في كل مكان، كما تقدم في عددٍ من المواضع التي جرى التعليق عليها، وهذا خلافُ ما دلت عليه النصوصُ، وأجمع عليه أهلُ السنة، ورفعُ عيسى ﷺ إلى السماء التي وجده النبي ﷺ فيها ليلة الإسراء يتضمَّن تكريما وتقريبا، فمَن كان من العباد أعلى مكانا كان أقربَ إلى الله تعالى، فإبراهيم وموسى ﷺ أقربُ إلى الله من المسيح، فإنَّ إبراهيم في السماء السابعة، وموسى في السادسة، وعيسى في الثانية، كما في حديث أنس عند مسلم، (رقم ١٦٢). والله أعلم.

(١) في ب، ج، هـ: «الذين اتبعوه».

﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ تفسيرٌ لحال آدم.

﴿فَيَكُونُ﴾ حكايةُ حالٍ ماضية، والأصل لو قال: «خلقه من تراب ثم قال له كن فكان»، لكنه وضَع المضارعَ موضع الماضي؛ ليصوِّر في نفوس المخاطَبين أن الأمر كأنه حاضرٌ دائم.

﴿ٱلْحَقُّ﴾ خبر ابتداءٍ مضمر.

﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ﴾ أي: في عيسى، وكان الذي حاجَّه فيه وفدَ نجران من النصارى، وكان لهم سيِّدان يقال لأحدهما: السيد، وللآخر: العاقِب.

﴿نَبْتَهِلْ﴾ نلتعن، والبَهْلةُ: اللَّعنة؛ أي: نقول: «لعنةُ الله على الكاذب منَّا ومنكم»، هذا أصل الابتهال.

ثم استعمل في كل دعاءٍ يُجتهَدُ فيه، وإن لم يكن لعنةً.

ولما نزلت الآية أرسل رسول الله ﷺ إلى عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين، ودعا نصارى نجران إلى الملاعنة فخافوا أن يُهلِكَهم الله أو يَمسَخهم الله قردةً وخنازير، فأبَوا من الملاعنة، وأعطوا الجزية.

[﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾﴾].

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ خطابٌ لنصارى نجران، وقيل: لليهود.

﴿سَوَآءٍۭ﴾ أي عدْلٍ ونَصَفٍ.

﴿أَلَّا نَعْبُدَ﴾ بدلٌ من ﴿كَلِمَةٍ﴾.

أو رَفْعٌ على تقدير: هي.

ودعاهم ﷺ إلى توحيد الله، وتركِ ما عبدوا من دونه، كالمسيح والأحبار والرُّهبان.

﴿لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ قالت اليهود: كان إبراهيم يهوديًا، وقال النصارى: كان نصرانيًا، فنزلت الآية ردًا عليهم؛ لأن ملَّة اليهود والنصارى إنما وُجِدت بعد موت إبراهيم بمدَّةٍ طويلة.

﴿هَٰٓأَنتُمْ﴾ «ها» تنبيهٌ، وقيل: بدلٌ من همزة الاستفهام، و«أنتم» مبتدأ:

و﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ خبره، و﴿حَٰجَجْتُمْ﴾ استئناف.

أو: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ منصوب على التَّخصيص، و﴿حَٰجَجْتُمْ﴾ الخبر.

﴿فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ فيما نطَقتْ به التوراةُ والإنجيل.

﴿فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ ما تقدَّم على ذلك من حال إبراهيم.

﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ ردٌّ على اليهود والنصارى.

﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ نفيٌ للإشراك الذي هو عبادة الأوثان، ودخل في ذلك الإشراكُ الذي يتضمَّنه دينُ اليهود والنصارى.

﴿وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ﴾ عطف على ﴿لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾، أي: محمدٌ ﷺ أولى الناس بإبراهيم؛ لأنه على دينه.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي: أمة محمد ﷺ.

﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ﴾ هم اليهود؛ دعَوا حذيفةَ وعمارًا ومعاذًا إلى اليهوديَّة.

﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ أي: لا يعود وبال الإضلال إلَّا عليهم.

﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ أي: تعلمون أن محمدًا ﷺ نبيٌّ.

﴿لِمَ تَلْبِسُونَ﴾ أي: تَخلِطون.

والحق: نبوة محمد ﷺ، والباطل: الكفر به.

[﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾].

﴿ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ﴾ كان قومٌ من اليهود أظهروا الإيمان أولَ النهار، ثم كفروا آخِرَه؛ ليخدعوا المسلمين فيقولوا: ما رجع هؤلاء إلّا عن علم.

وقال السهيلي: إنّ هذه الطائفة هم عبد الله بن الصَّيْف، وعَديُّ بن زيد، والحارث بن عوف[(١)].

(١) انظر: التعريف والإعلام، للسهيلي، ص: ٧٥- ٧٦.

﴿أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ﴾ يحتمل:

أن يكون من تمام الكلام الذي أُمِر النبي ﷺ أن يقوله؛ فيكون متَّصلًا بقوله: ﴿إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾.

وأن يكون من كلام أهل الكتاب؛ فيكون متَّصلًا بقولهم: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾، ويكون ﴿إِنَّ ٱلْهُدَىٰ﴾ اعتراضًا بين الكلامين.

فعلى الأول: يكون المعنى: كراهةَ أن يؤتى أحدٌ مثلَ ما أوتيتم: قُلْتم ما قلتم، ودبَّرتم ما دبَّرتم من الخداع.

فموضع ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ﴾:

مفعولٌ من أجله.

أو منصوبٌ بفعل مضمر تقديره: فلا تنكروا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من الكتاب والنبوة.

وعلى الثاني: يكون المعنى: لا تؤمنوا أي: لا تُقِرُّوا بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ﴿إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾، واكتموا ذلك عمَّن لم يتبع دينَكم؛ لئلا يدعوهم إلى الإسلام.

فموضع ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ﴾:

مفعولٌ بـ ﴿تُؤْمِنُوٓا۟﴾ المضمَّنِ معنى: تُقِرُّوا.

ويمكن أن يكون في موضع المفعول من أجله؛ أي: لا تؤمنوا إلَّا لمن تبع دينكم؛ كراهةَ أن يؤتى أحدٌ مثل ما أوتيتم.

﴿أَوْ يُحَآجُّوكُمْ﴾ عطفٌ على ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ﴾، وضمير الفاعل: للمسلمين، وضمير المفعول: لليهود.

﴿إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ﴾ ردٌّ على اليهود في قولهم: لم يؤتِ الله أحدًا مثلَ ما أوتي بنو إسرائيل من النبوة والشرف.

﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الآيةَ؛ إخبارٌ أن أهل الكتب على قسمين: أمين، وخائن.

وذَكَر القنطارَ مثالًا[١] للكثير؛ فمن أدَّاه أدَّى ما دونه، وذكَر الدينارَ مثالًا للقليل؛ فمن منَعه منع ما فوقه بطريق الأولى.

﴿قَآئِمًا﴾ يَحتمل أن يكون:

من القيام الحقيقيِّ بالجسد.

أو من القيام بالأمر؛ وهو العزيمة عليه.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ الإشارةُ إلى خيانتهم، والباء: للتعليل.

﴿لَيْسَ عَلَيْنَا﴾ زعموا أنَّ أموال الأُمِّيين -وهم العرب- حلالٌ لهم.

﴿ٱلْكَذِبَ﴾ هنا: قولهم: إنَّ الله أحلها لهم في التوراة، أو كَذِبُهم على الإطلاق.

﴿بَلَىٰ﴾ أي: عليهم سبيلٌ وتِبَاعةٌ في أموال الأُمِّيين.

﴿بِعَهْدِهِۦ﴾ الضمير يعود على: ﴿مَنْ﴾، أو على ﴿ٱللَّهِ﴾.

---

(١) في ب، ج، هـ: «وذِكْرُ القنطارِ مثالٌ».

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ﴾ الآيةَ؛ قيل: نزلت في اليهود؛ لأنهم تركوا عهد الله في التوراة لأجل الدنيا.

وقيل: نزلت بسبب خصومةٍ بين الأشعث بن قيس وآخَرَ، فأراد خصمُه أن يحلف كاذبًا.

﴿وَإِنَّ مِنۡهُمۡ﴾ الضميرُ عائد على أهل الكتاب.

﴿يَلۡوُۥنَ أَلۡسِنَتَهُم﴾ أي: يحرِّفون اللفظَ، أو المعنى.

﴿لِتَحۡسَبُوهُ﴾ الضمير يعود على ما دلَّ عليه قوله: ﴿يَلۡوُۥنَ أَلۡسِنَتَهُم﴾، وهو الكلام المحرَّف.

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ الآيةَ؛ هذا النفي يتسلَّطُ[1] على ﴿ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ﴾، والمعنى: لا يدَّعي الربوبيةَ من آتاه الله النبوَّةَ.

والإشارة: إلى عيسى عليه السلام، ردٌّ على النصارى الذي قالو: إنه إلهٌ.

وقيل: إلى محمد ﷺ؛ لأن اليهود قالوا له: يا محمد أتريد أن نعبدك كما عبدت النصارى عيسى؟ فقال: «معاذ الله!، ما بذلك أمرتُ، ولا إليه دعوتُ»[2].

﴿رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ جمع ربَّانيٍّ؛ وهو العالِم.

وقيل: الرباني: الذي يربِّي الناسَ بصغار العلم قبل كِباره.

﴿بِمَا كُنتُمۡ﴾ الباء: سببية، و«ما»: مصدرية.

---

(١) في ب، ج، هـ: «متسلِّطٌ».

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٥/ ٥٢٤).

﴿تَعۡلَمُونَ﴾ بالتخفيف: تَعرِفون.

وقرئ بالتشديد: من التَّعليم.

﴿وَلَا يَأۡمُرُكُمۡ﴾ بالرفع: استئنافٌ، والفاعل: الله، أو البشر المذكور.

وقرئ بالنصب: عطفًا على ﴿أَن يُؤۡتِيَهُ﴾، أو على ﴿ثُمَّ يَقُولَ﴾، والفاعل على هذا: البشر.

[﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ۚ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۖ قَالُوا أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٩١﴾﴾].

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ معنى الآية: أن الله أخذ العهدَ والميثاق على كل نبيٍّ أن يؤمنَ بمحمد ﷺ وينصرَه إن أدركه، وتضمَّن ذلك أخذَ هذا الميثاق على أمم الأنبياء.

واللام في قوله: ﴿لَمَا آتَيْتُكُم﴾ لامُ التوطئة؛ لأنَّ أخذَ الميثاق في معنى الاستحلاف.

واللام في ﴿لَتُؤْمِنُنَّ﴾ جواب القسم.

و«ما» يَحتمل:

أن تكون شرطيةً، و﴿لَتُؤْمِنُنَّ﴾ سدَّ مَسدَّ جواب القسَم والشرط.

وأن تكون موصولةً؛ بمعنى: الذي آتيناكموه لَتؤمِنُنَّ به.

والضمير في: ﴿بِهِۦ﴾ و﴿وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾: عائدٌ على الرسول.

﴿ءَأَقْرَرْتُمْ﴾ اعترفتم.

﴿إِصْرِى﴾ عهدي.

﴿فَاشْهَدُوا﴾ أي: على أنفسكم، وعلى أُممكم بالتزام هذا العهد.

﴿وَأَنَا مَعَكُم﴾ تأكيدٌ للعهد بشهادة ربِّ العزة ﷻ.

﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أي: مَن تولَّى عن الإيمان بهذا النبي ﷺ بعد هذا الميثاق فهو فاسقٌ مُتمرِّدٌ[1] في كفره.

﴿أَفَغَيْرَ﴾ الهمزة: للإنكار، والفاء: عَطفت جملةً على جملة، و«غيرَ»: مفعولٌ؛ قُدِّم: للاهتمام به، أو للحصر.

﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ﴾ أي: انقادَ واستسلم.

﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ مصدرٌ في موضع الحال.

والطَّوع: للمؤمنين.

والكَره: للكافر إذا عاين الموتَ.

وقيل: عند أخذ الميثاق المتقدِّم.

---

(١) في ج: «مرتدٌّ»، وفي د: «مترَدٍّ»، والمثبت موافق لعبارة الكشاف (٤/ ١٦٧).

وقيل: إقرارُ كلِّ كافر بالصانع هو إسلامُه كَرهًا.

﴿قُلْ ءَامَنَّا﴾ أُمِر النبيُّ ﷺ أن يُخبِرَ عن نفسه وعن أمَّته بالإيمان.

﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ تعدَّى هنا بـ «على»؛ مناسبةً لقوله: ﴿قُلْ﴾.

وفي «البقرة» بـ «إلى»؛ لقوله: ﴿قَالُوٓاْ﴾؛ لأنَّ «على» حرف استعلاء يقتضي النزول من علْوٍ، ونزولُه على هذ المعنى مختصٌّ بالنبي ﷺ، و«إلى» حرف غاية؛ وهو مُوصَلٌ[1] إلى جميع الأمة.

﴿وَمَن يَبْتَغِ﴾ الآيةَ؛ إبطالٌ لجميع الأديان غير الإسلام.

وقيل: نَسخت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ [البقرة: ٦٢] الآيةَ.

﴿كَيْفَ﴾ سؤالٌ، والمراد به هنا: استبعادُ الهدى.

﴿قَوْمًا كَفَرُواْ﴾ نزلت في الحارث بن سُوَيدٍ وغيرِه؛ أسلموا ثم ارتدُّوا ولحِقوا بالكفار، ثم كتبوا إلى أهليهم: هل لنا من توبة؟ فنزلت الآية إلى قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾، فرجعوا إلى الإسلام.

وقيل: نزلت في اليهود والنصارى، شهدوا بصفة النبي ﷺ، وآمنوا به، ثم كفروا به لما بُعِث.

﴿وَشَهِدُوٓاْ﴾ عطف على ﴿إِيمَٰنِهِمْ﴾؛ لأنَّ معناه: بعد أن آمنوا.

وقيل: الواو للحال.

وقال ابن عطية: عطفٌ على ﴿كَفَرُواْ﴾، والواو لا ترتِّب[2].

---

(١) في ب: «موصول».

(٢) المحرر الوجيز (٢/ ٢٧٨).

﴿وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ عمومٌ بمعنى الخصوص في المؤمنين.

أو على عمومه؛ وتكون اللعنة في الآخرة.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ الضمير عائد: على اللَّعْنة.

وقيل: على النار وإن لم تُذْكَر؛ لأنَّ المعنى يَقتضيها.

﴿ثُمَّ ٱزْدَادُوا كُفْرًا﴾ قيل: هم اليهود؛ كفروا بعيسى بعد إيمانهم بموسى، ثم ازدادوا كفرًا بكفرهم بمحمد ﷺ.

وقيل: كفروا بمحمد ﷺ بعدما كانوا مؤمنين قبل مَبعثِه، ثم ازدادوا كفرًا بعداوتهم له وطعْنِهم عليه.

وقيل: هم الذين ارتدُّوا.

﴿لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ قيل: ذلك عبارةٌ عن موتهم على الكفر؛ أي: ليس لهم توبةٌ فتقبلُ، وذلك في قوم بأعيانهم ختم الله لهم بالكفر.

وقيل: لن تقبل توبتهم مع إقامتهم على الكفر؛ فذلك عامٌّ.

﴿فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم﴾ جزْمٌ بالعذاب لكلِّ مَن مات على الكفر.

والواو في قوله: ﴿وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾:

قيل: زائدةٌ.

وقيل: للعطف على محذوف؛ كأنه قال: لن يقبل مِن أحدهم لو تصدَّق به، ﴿وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾.

وقيل: نفَى أوَّلًا القَبول جملةً على الوجوه كلِّها، ثم خصَّ الفدية بالنفي؛ كقولك: أنا لا أفعل كذا أصلًا ولو رَغِبتَ إليَّ.

[﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُۚ قُلْ فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾].

﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ﴾ أي: لن تكونوا من الأبرار، و[1] لن تنالوا البرَّ الكامل حتى تنفقوا مما تحبونه من أموالكم.

ولما نزلت قال أبو طلحة: إنَّ أحبَّ أموالي إليَّ بَيْرَحى[2]، وإنها صدقة.

وكان ابن عمر يتصدَّق بالسُّكر؛ ويقول: إني لأُحبُّه.

---

(١) في هـ، د: «أو».

(٢) قال ابن الأثير في النهاية (١/ ٢٧٥): «هذه اللفظة كثيرًا ما تختلف ألفاظ المحدثين فيها، فيقولون بيْرحاء، بفتح الباء وكسرها، وبفتح الراء وضمِّها، والمد فيهما، وبفتحهما والقصر، وهي اسم مالٍ وموضعٍ بالمدينة»، وقال الزمخشري في «الفائق» (١/ ٩٣): «كأنها فَيْعَلى، من البَرَاح، وهي الأرض المنكشفة الظاهرة».

﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ﴾ الآيةَ؛ إخبارٌ أن الأطعمة كانت حلالًا لبني إسرائيل، إلَّا ما حرَّم أبوهُم على نفسه؛ وهو لحم الإبل ولبنُها.

ثم حُرِّمت عليهم أنواعٌ من الأطعمة كالشُّحوم وغيرها؛ عقوبةً لهم على معاصيهم.

وفيها ردٌّ عليهم في قولهم: إنهم على ملَّة إبراهيم عليه السلام، وإنَّ الأشياء التي هي محرمةٌ عليهم كانت محرمةً على إبراهيم.

وفيها دليلٌ على جواز النسخ ووقوعِه؛ لأنَّ الله حرَّم عليهم تلك الأشياءَ بعد حِلِّها، خلافًا لليهود في قولهم: إنَّ النسخ محالٌ على الله.

وفيها معجزةٌ للنبي ﷺ؛ لإخباره بذلك من غير تعلُّمٍ من أحدٍ.

وسبب تحريم إسرائيلَ لحومَ الإبل على نفسه: أنه مرض، فنذَر إن شفاه الله أن يُحرِّم أحبَّ الطعام إليه؛ شكرًا لله وتقرُّبًا إليه.

ويؤخذ من ذلك: أنه يجوز للأنبياء أن يحرِّموا على أنفسهم باجتهادهم.

﴿فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ تعجيزٌ لليهود، وإقامةُ حجة عليهم.

وروي: أنهم لم يَجسُروا على إخراج التوراة.

﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ أي: مَن زعَم بعد هذا البيان أن الشحم وغيرَه كان محرَّمًا على بني إسرائيل قبل نزول التوراة فهو الظَّالم المكابَر بالباطل.

﴿صَدَقَ ٱللَّهُ﴾ أي: الأمرُ كما وَصف، لا كما تَكذِبون أنتم؛ ففيه تعريضٌ بكَذِبهم.

﴿فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ إلزامٌ لهم أن يُسْلِموا؛ لما ثبت أنَّ ملَّة الإسلام هي ملةُ إبراهيم التي لم يحرَّم فيها شيءٌ مما هو محرَّمٌ عليهم.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ﴾ أي: أول مسجد بُني في الأرض.

وقد سأل أبو ذرٍّ النبيَّ ﷺ: أيُّ مسجد بني أولُ[1]؟ قال: «المسجد الحرام، ثم بيت المقدس»[2].

وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: المعنى: أنه أول بيت وُضِع مباركًا وهدًى، وقد كانت قبله بيوتٌ.

﴿بِبَكَّةَ﴾ قيل: هي مكة؛ والباء بدل من الميم.

وقيل: مكةُ: الحرم كلُّه، وبكَّةُ: المسجد وما حوله.

﴿مُبَارَكًا﴾ نُصِب على الحال، والعامل فيه:

على قول عليٍّ: ﴿وُضِعَ﴾؛ لأنه حالٌ من الضمير الذي فيه.

وعلى القول الأوَّل: هو حالٌ من الضمير الذي في المجرور، والعاملُ فيه: العامل في المجرور من معنى الاستقرار.

﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ﴾ آيات البيت[3] كثيرة:

منها: الحجَر الذي هو مقام إبراهيم، وهو الذي قام عليه حين رَفع القواعد من البيت، فكان كلَّما طال البناء ارتفع به الحجر في الهواء حتى

---

(١) في د: «أولًا»، ووردت بالوجهين في صحيح مسلم.
(٢) أخرجه البخاري (٣٣٦٦)، ومسلم (٥٢٠).
(٣) في ب، ج، هـ، د: «البينات».

أكمل البناء، وغَرِقت قدمُ إبراهيم في الحجر كأنها في طينٍ، وذلك الأثر باقٍ إلى اليوم.

ومنها: أن الطَّيرَ لا تعلُوه.

ومنها: إهلاكُ أصحاب الفيل، وردُّ الجبابرة عنه.

ونَبْعُ زمزم لهاجَرَ أمِّ إسماعيل بهمْز جبريل بعَقِبه، وحفْرُ عبد المطلب لها بعد دُثُورِها، وأنَّ ماءها يَنفع لما شُرِب به، إلى غير ذلك.

﴿مَقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾ قيل: إنه بدلٌ من الآيات، أو عطف بيان؛ وإنما جاز بدل الواحد من الجمع؛ لأن المقامَ يحتوي على آياتٍ كثيرة؛ لدلالته على قدرة الله تعالى، وعلى نبوة إبراهيم وغير ذلك.

وقيل: الآيات: مقامُ إبراهيم، وأَمْنُ مَن دخَله؛ فعلى هذا: يكون قوله: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ﴾ عطفًا.

وعلى الأول: استئنافًا.

وقيل: التقدير: منهنَّ مقامُ إبراهيم؛ فهو على هذا: مبتدأٌ.

والمقام: هو الحجَر المذكور.

وقيل: البيت كله.

وقيل: مكة كلها.

﴿كَانَ ءَامِنًاۗ﴾ أي: آمنًا من العقاب؛ فإنه كان في الجاهلية إذا فعل أحدٌ جَرِيرةً[1] ثم لجأ إلى البيت لا يُطلَبُ، ولا يُعاقَب.

---

(١) في د: «جريمة».

فأما في الإسلام: فإنَّ الحرم لا يَمنع من الحدود، ولا من القِصاص.

وقال ابن عباس وأبو حنيفة: ذلك الحكم باقٍ في الإسلام؛ إلَّا أنَّ مَن وجب عليه حدٌّ أو قصاصٌ فدخل الحرم لا يُطعَم ولا يُباع منه حتى يَخرج.

وقيل: آمنًا من النار.

﴿حَجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ بيانٌ لوجوب الحج، واختُلف هل هو على الفور أو على التراخي؟.

وفي الآية ردٌّ على اليهود؛ لمَّا زعموا أنهم على ملة إبراهيم قيل لهم: إن كنتم صادقين فحُجُّوا البيت الذي بناه إبراهيم ودعا الناس إليه.

﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ﴾ «مَن»: بدلٌ من ﴿ٱلنَّاسِ﴾.

وقيل: فاعلٌ بالمصدر؛ وهو ﴿حَجُّ﴾.

وقيل: شرطٌ مبتدأٌ؛ أي: من استطاع فعليه الحجُّ.

والاستطاعةُ:

عند مالك: هي القدرة على الوصول إلى مكة بصحَّةِ البدن، إمَّا راجلًا وإما راكبًا، مع الزاد المبلِّغ والطريق الآمن.

وقيل: الاستطاعة: الزاد والراحلة؛ وهو مذهب الشافعي وعبد الملك ابن حبيب، وروي في ذلك حديث ضعيف[1].

---

(١) أخرجه الدارقطني (٣/ ٢١٣)، والبيهقي (٩/ ٢٠٦).

﴿وَمَن كَفَرَ﴾ قيل: المعنى: من لم يحجَّ؛ وعبَّر عنه بالكفر تغليظًا؛ كقوله ﷺ: «من ترك الصلاة فقد كفر»[١].

وقيل: أراد اليهود؛ لأنهم لا يحجُّون.

وقيل: مَن زعم أن الحج ليس بواجب.

﴿لِمَ تَكْفُرُونَ﴾ توبيخٌ لليهود.

﴿لِمَ تَصُدُّونَ﴾ توبيخٌ أيضًا، وكانوا يمنعون الناس من الإسلام، ويرومون فتنة المسلمين عن دينهم.

و﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ هنا: الإسلام.

﴿تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ الضمير يعود على السبيل؛ أي: تطلبون لها الاعوجاجَ.

﴿وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ﴾ أي: تشهدون أن الإسلام حقٌّ.

﴿إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا﴾ الآيةَ؛ لفظها عام، والخطاب للأوس والخزرج؛ إذ كان اليهود يريدون فتنتَهم.

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ إنكارٌ واستبعاد.

* * *

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٢١)، والنسائي (٤٦٢)، وابن ماجه (١٠٧٩)، وأحمد (٢٢٩٣٧) (٢٣٠٠٧).

[﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ ﴾].

﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ قيل: نسخها: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

وقيل: لا نسخ؛ إذ لا تعارض، فإنَّ العباد أُمِروا بالتقوى على الكمال فيما استطاعوا؛ تحرُّزًا من الإكراه وشبهه.

﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾ أي: تمسَّكوا، والحبل هنا: مستعارٌ من الحبل الذي يُشَدُّ عليه اليدُ.

والمراد به هنا: القرآن، وقيل: الجماعة.

﴿وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ نهيٌ عن التدابر والتقاطع؛ إذ كان الأوس همُّوا بالقتال مع الخزرج، لما رام اليهود إيقاعَ الشرِّ بينهم.

ويَحتمل أن يكون نهيًا عن التفرُّق في أصول الدين.

ولا يدخل في النهي: الاختلافُ في الفروع.

﴿إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً﴾ كان بين الأوس والخزرج عداوةٌ وحروب عظيمة إلى أن جمعهم الله على الإسلام.

﴿شَفَا حُفْرَةٍ﴾ أي: حَرْفِ حفرةٍ، وذلك تشبيهٌ لما كانوا عليه من الكفر والعداوة التي تقودهم إلى النار.

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾ الآيةَ؛ دليلٌ على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبٌ.

وقوله: ﴿مِّنكُمْ﴾ دليلٌ على أنه فرض كفاية؛ لأن «مِن» للتبعيض.

وقيل: إنها لبيان الجنس، وأن المعنى: كونوا أمةً.

وتغييرُ المنكر يكون: باليد وباللسان وبالقلب، على حسَب الأحوال.

﴿كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا﴾ هم اليهود والنصارى، نهى الله المسلمين أن يكونوا مثلهم.

ورد في الحديث أنه ﷺ قال: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على ثنتين[١] وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلُّها في النار إلَّا واحدة» قيل: ومن تلك الواحدة؟ قال: «مَن كان على ما أنا وأصحابي عليه»[٢].

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ﴾ العامل فيه: محذوفٌ. وقيل: ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

---

(١) في أ، ب، هـ: «اثنين».

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٤١) واللفظ له، وأبو داود (٤٥٩٦)، وابن ماجه (٣٩٩٢)، وأحمد (١٢٤٧٩).

﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ أي: يقال لهم: ﴿أَكَفَرْتُم﴾.

والخطاب: لمن ارتدَّ عن الإسلام.

وقيل: للخوارج.

وقيل: لليهود؛ لأنهم آمنوا بصفة النبي ﷺ المذكورة في التوراة، ثم كفروا به لما بعث.

[﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ۞ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾].

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾ «كان» هنا: هي التي تقتضي الدّوام، كقوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

وقيل: كنتم في علم الله.

وقيل: كنتم فيما وُصِفتم به في الكتب المتقدِّمة.

وقيل: «كنتم» بمعنى: «أنتم».

والخطاب: لجميع المؤمنين. وقيل: للصَّحابة خاصةً.

﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾ أي: بالكلام خاصة، وهو أهون المضرَّة.

﴿يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ إخبارٌ بغيب ظهر في الوجود صِدْقُهُ.

﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ إخبارٌ مستأنَفٌ، غير معطوف على ﴿يُوَلُّوكُمُ﴾، وفائدة ذلك: أنَّ توليتَهم الأدبارَ مقيَّدةٌ بوقت القتال، وعدمَ النصر على الإطلاق.

وعُطِفت الجملة على جملة الشرط والجزاء.

و﴿ثُمَّ﴾ لترتيب الأحوال؛ لأن عدم نصرهم على الإطلاق أشدُّ من توليتِهم الأدبارَ حين القتال.

﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ هو هنا: العهد والذمة.

﴿لَيْسُواْ سَوَآءً﴾ أي: ليس أهلُ الكتاب مستوِينَ[1] في دينهم.

﴿أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾ أي: قائمةٌ بالحقِّ، وذلك فيمن أسلم من اليهود، كعبد الله بن سلَام، وثعلبة بن سعيةَ وأخيه أسد وغيرهم.

﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ يدلُّ أن تلاوتَهم للكتاب في الصلاة.

﴿فَلَن تُكْفَرُوهُ﴾ أي: لا تُحرَمون ثوابَه.

﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ﴾ الآيةَ؛ تشبيهٌ لنفقة الكفَّار بزرعٍ أهلكته ريحٌ باردة، فلم

---

(١) في أ: «مستويين».

ينتفعْ به أصحابُه، فكذلك لا ينتفعُ الكفار بما ينفقون.

وفي الكلام حذف تقديره:

مثَل ما ينفقون كمثل مُهلَكِ ريحٍ.

أو: مثل إهلاكِ ما ينفقون كمثل إهلاك ريحٍ.

وإنما احتيج لهذا؛ لأنَّ ما ينفقون ليس شبيهًا بالريح، إنما هو شبيهٌ بالزرع الذي أهلكته الريح.

﴿صِرٌّ﴾ أي: بردٌ.

﴿حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ أي: عصَوْا الله فعاقبهم بإهلاك حرثهم.

﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ الضمير:

للكفار والمنافقين.

أو لأصحاب الحرث.

والأول أرجح؛ لأن قوله: ﴿أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ فعلُ حالٍ فدلَّ[1] على أنه للحاضرين.

﴿بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾ أي: أولياءَ من غيركم؛ فالمعنى: نهيٌ عن استخلاص الكفار وموالاتهم.

وقيل لعمر رضي الله عنه: إن هنا رجلًا من النصارى لا أحدَ أحسنُ خطًّا منه،

---

(١) في ب: «يدلُّ».

أفلا يكتب عنك؟ فقال: إذَن أتَّخذُ بطانةً من دون المؤمنين(١).

﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ أي: لا يُقصِّرون في فسادكم، والخبال: الفساد.

﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: تمنَّوْا مضرَّتَكم، و«ما» مصدرية.

وهذه الجملة والتي قبلها:

صفةٌ للبطانة.

أو استئنافٌ.

﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾ أي: بكلِّ كتابٍ أنزله الله، واليهود لا يؤمنون بقرآنكم.

﴿عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ﴾ عبارةٌ عن شدَّة الغيظ مع عدم القدرة على إنفاذه.

و﴿الْأَنَامِلَ﴾: جمع أنملة بضم الميم وفتحها.

﴿مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾ تقريعٌ وإغاظة، وقيل: دعاء.

﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ﴾ الحسنة هنا: الخيرات من النصر والرزق وغير ذلك، والسيئة: ضدها.

﴿لَا يَضِرْكُمْ﴾ من الضَّيْر؛ بمعنى الضُّرّ.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١٤/ ٢٨٩).

[﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾﴾].

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ نزلت في غزوة أحد، وكان غُدوُّ رسول الله ﷺ للقتال صبيحةَ يوم السبت، وخرج من المدينة يوم الجمعة بعد الصلاة، وكان قد شاور أصحابه قبل الصلاة.

﴿تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ تُنزِلهم، وذلك يوم السبت حين حضَر القتال.

وقيل: ذلك يوم الجمعة بعد الصلاة حين خرج من المدينة، وذلك ضعيف؛ لأنه لا يقال: «غدوت» فيما بعد الزوال إلَّا على المجاز.

وقيل: ذلك يوم الجمعة قبل الصلاة حين شاور الناس، وذلك ضعيف؛ لأنه لم يبوِّئ حينئذٍ مقاعدَ للقتال؛ إلَّا أن يراد أنه بوَّأهم بالتَّدبير حين المشاورة.

﴿مَقَٰعِدَ﴾ مواضع، وهو جمع مَقعَدٍ.

﴿طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ﴾ هما: بنو حارثةَ مِن الأوس، وبنو سَلِمةَ مِن الخزرج

لمَّا رأَوا كثرة المشركين وقلَّة المسلمين همُّوا بالانصراف؛ فعصمهم الله ونهضوا مع رسول الله ﷺ.

﴿أَن تَفۡشَلَا﴾ الفشَل في البدن: هو الإعياء، والفشل في الرأي: هو العجز والحيرة وفساد العزم.

﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗ﴾ أي: مُثبِّتُهما.

وقال جابر بن عبد الله: ما وددنا أنها لم تنزلْ؛ لقوله: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗ﴾[1].

﴿وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٍ﴾ تذكيرٌ بنصر الله يوم بدر؛ لتقوى قلوبُهم.

﴿وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ﴾ هذه الذِّلةُ: هي قلة عَددهم وضعف عُددهم؛ كانوا يوم بدر ثلاثَ مئة وثلاثةَ عشر رجلًا، ولم يكن لهم إلَّا فرسٌ واحد، وكان المشركون ما بين التسع مئة والألف، وكان معهم مئةُ فرسٍ، فقُتل من المشركين سبعون، وأُسر منهم سبعون، وانهزم سائرُهم.

﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ متعلِّقٌ: بـ ﴿نَصَرَكُمُ﴾، أو بـ ﴿فَٱتَّقُواْ﴾، والأوَّل أظهر.

﴿إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ كان هذا القولُ: يوم بدر.

وقيل: يوم أحد.

فالعامل في «إذ»:

على الأول: محذوف.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٥١)، ومسلم (٢٥٠٥).

وعلى الثاني: هي بدلٌ من: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ﴾.

﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ﴾ تقريرٌ، جوابُه: ﴿بَلَىٰٓ﴾.

وإنما جاوب المتكلِّمُ؛ لصحة الأمر وبيانه؛ كقوله: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ﴾ [الرعد: ١٦].

﴿وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ﴾ الضمير للمشركين، والفَوْر: السُّرعة[(١)].

أي: من ساعتهم.

وقيل: المعنى: من سفرهم.

﴿بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ﴾ بأكثر من العدد الذي يكفيكم[(٢)]؛ ليزيدَ ذلك في قوَّتكم[(٣)].

فإن كان هذا يومَ بدر: فقد قاتلتْ فيه الملائكة.

وإن كان يومَ أحد: فقد شَرط قولَه: ﴿إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟﴾، فلما خالفوا الشَّرطَ لم تنزل الملائكة.

﴿مُسَوِّمِينَ﴾ - بفتح الواو وكسرها - أي: مُعْلَمِين، أو مُعْلِمِين أنفسَهم أو خيلَهم.

وكانت سِيما الملائكة يوم بدر عمائمَ بيضاء، إلَّا جبريل فإنه كانت عِمامتُه صفراءَ.

---

(١) في هـ، ج: «الساعة»، والمثبت هو الصواب كما في الكشاف (٤/ ٢٥٢).

(٢) في ج، د: «يكفيهم».

(٣) في هـ، د: «قوتهم».

وقيل: كانوا بعمائمَ صفرٍ، وكانت خيلهم مجزوزةَ الأذناب.

وقيل: كانوا على خيل بُلْقٍ.

﴿وَمَا جَعَلَهُ﴾ الضمير عائد على: الإنزال و[1] الإمداد.

﴿وَلِتَطْمَئِنَّ﴾ معطوف على ﴿بُشْرَىٰ﴾؛ لأنه هذا الفعل بتأويل المصدر.

وقيل: يتعلَّق بفعل مضمر يدلُّ عليه ﴿جَعَلَهُ﴾.

﴿لِيَقْطَعَ﴾ يتعلَّق:

بقوله: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾.

أو بقوله: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ﴾.

﴿لَيْسَ لَكَ﴾ جملةٌ اعتراضية بين المعطوفَين.

ونزلت لما دعا رسول الله ﷺ في الصلاة على أحياءَ من العرب، فترك الدعاء عليهم[2].

﴿أَوْ يَتُوبَ﴾ معناه: يُسلِمون.

---

(١) في أ: «أو».

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٦٩).

[﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ ﴾].

﴿أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً﴾ كانوا يزيدون فيه كلما حلَّ، عامًا بعد عام.

﴿سَارِعُوٓا۟﴾ بغير واو: استئنافٌ، وبالواو: عطف على ما تقدَّم.

﴿إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ﴾ أي: إلى الأعمال التي تستحقُّون بها المغفرةَ.

﴿عَرْضُهَا﴾ ابنُ عباس: تُقْرَنُ السموات والأرض بعضُها إلى بعض كما تُبسَط الثياب، فذلك عَرْضُ الجنة، ولا يعلم طولَها إلَّا الله.

وقيل: ليس العرضُ هنا خلافَ الطول، وإنما المعنى: سعتُها كسعة السموات والأرض.

﴿فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ في العسر واليسر.

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ حُذِف مفعولُه، وتقديره: وهم يعلمون أنهم قد أذنبوا.

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ﴾ خطابٌ للمؤمنين؛ تأنيسًا لهم.

وقيل: للكفَّار؛ تخويفًا لهم.

﴿فَٱنظُرُواْ﴾ من نظر العين عند الجمهور.

وقيل: هو بالفكر.

﴿وَلَا تَهِنُواْ﴾ تقويةٌ لقلوب المؤمنين.

﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ إخبارٌ بعلُوِّ كلمة الإسلام.

﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾ الآيةَ؛ معناها: إن مسَّكم قتلٌ أو جراح في أُحُد فقد مسَّ الكفارَ مثلُه في بدر.

وقيل: قد مسَّ الكفار يومَ أحد مثلُ ما مسكم فيه؛ فإنهم نالُوا منكم ونِلتم منهم.

وذلك تسلية[١] للمؤمنين بالتأسِّي.

﴿نُدَاوِلُهَا﴾ تسليةٌ أيضًا عما جرى يوم أحد.

---

(١) في د: «تأنيس».

﴿وَلِيَعْلَمَ﴾ متعلِّق بمحذوف؛ تقديره: أصابكم ما أصابَ يوم أحد؛ لِيَعلمَ.

والمعنى: ليعلمَ ذلك علمًا ظاهرًا لكم تقوم به الحجة.

﴿شُهَدَآءَ﴾ مَن قُتل مِن المسلمين يوم أحد.

﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾ أي: يُطهِّر، وقيل: يُميِّز.

وهو معطوف على ما تقدَّم من التعليلات لقصة أحد.

والمعنى: أن إدالة الكفارِ على المسلمين إنما هي لتمحيص المؤمنين، وأنَّ نصْرَ المؤمنين على الكفار إنما هو ليمحق الله الكافرين؛ أي: يُهلِكَهم.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ «أم» هنا منقطعة، مقدَّرة بـ «بل» والهمزة عند سيبويه.

وهذه الآيةُ وما بعدها معاتبةٌ لقوم من المؤمنين صدرت منهم أشياءُ يوم أحد.

﴿تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ﴾ خوطب به قومٌ فاتتهم غزوة بدر، فتمنَّوا حضور قتال الكفار مع النبي ﷺ؛ ليستدركوا ما فاتهم من الجهاد، فعلى هذا: إنما تمنَّوا الجهاد، وهو سبب الموت.

وقيل: تمنَّوا الشهادة في سبيل الله.

[﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًاۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَاۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾].

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ المعنى: أن محمدًا ﷺ رسولٌ كسائر الرسل؛ قد بلَّغ الرسالة كما بلَّغوا، فيجب عليكم التمسُّك بدينه في حياته وبعد موته.

وسببها: أنه صرخ صارخٌ يوم أحد: إنَّ محمدًا قد مات، فتزلزل بعض الناس.

﴿أَفَإِيْن مَّاتَ﴾ دخلت ألف التوبيخ على جملة الشرط والجزاء، ودخلت الفاء؛ لتربطَ الجملةَ الشرطية بالجملة التي قبلها.

والمعنى: أنَّ موت رسول الله ﷺ أو قتْله لا يقتضي انقلابَ أصحابه على أعقابهم؛ لأن شريعته قد تقرَّرت، وبراهينه قد صحَّت، فعاتبهم على تقدير أنْ لو صدَر منهم انقلابٌ لو مات ﷺ، أو قُتِل، وقد عَلم أنه لا يُقتَل؛ ولكنه[1] ذكَر ذلك لما كان قد صرخ به صارخ ووقع في نفوسهم.

﴿ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ قال علي بن أبي طالب ﷺ: الثابتون على دينهم.

---

(١) في ب، ج، هـ: «ولكن»

﴿كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ نُصِب على المصدر؛ لأنَّ المعنى: كُتِب الموتُ كتابًا.

وقال ابن عطية: نصب على التمييز[(١)].

﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ في ثواب الدنيا مقيَّدٌ بالمشيئة؛ بدليل قوله: ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨].

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قُتِلَ﴾ الفعل مسندٌ إلى ضمير النبيِّ، و﴿مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ﴾ على هذا في موضع الحال.

وقيل: إنه مسند إلى الرِّبِّيين، فيكون[(٢)] ﴿رِبِّيُّونَ﴾ على هذا مفعولًا لما لم يُسمَّ فاعلُه.

فعلى الأول: يوقف على قوله: ﴿قُتِلَ﴾.

ويَترجَّح الأوَّل: بما صرخ به الصارخ يوم أحد: إن محمدًا قد قُتل، فضرب لهم المثل بنبيٍّ قُتل.

ويترجح الثاني: بأنه لم يُقتَل قطُّ نبيٌّ في محارَبة.

﴿رِبِّيُّونَ﴾ علماءُ؛ مثل ﴿رَبَّٰنِيِّۦنَ﴾.

وقيل: جموعٌ كثيرة.

﴿فَمَا وَهَنُوا۟﴾ الضمير لـ ﴿رِبِّيُّونَ﴾؛ على إسناد القتل للنبي.

وهو لمن بقي منهم؛ على إسناد القتل إليهم.

---

(١) المحرر الوجيز (٢/ ٣٧٤).

(٢) في أ، د: «ويكون».

﴿وَمَا اسْتَكَانُوا﴾ أي: لم يذِلُّوا للكفَّار.

قال بعض النحاة: استكانَ مشتقٌّ من السُّكون، ووزنه افتَعَلُوا؛ مُطِلتْ[1] فتحةُ الكاف فحدَث عن مَطْلِها ألفٌ، وذلك كالإشباع.

وقيل: أنه مِن: كان يكون، فوزنه استفعلوا[2].

وقوله: ﴿فَمَا وَهَنُوا﴾ وما بعده: تعريضٌ بما صدر من بعض الناس يوم أحد.

﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ أي: في الحرب.

﴿ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ النصر.

﴿ثَوَابِ الْآخِرَةِ﴾ الجنة.

---

(١) المطْل: المدُّ. كما في القاموس المحيط، مادة (م ط ل).

(٢) قال ابن عطية في المحرر الوجيز (٢/ ٣٨١): «أصله: استكْوَنوا، نُقلت حركة الواو إلى الكاف، وقُلبت ألفًا.. والمعنى: إنَّهم لم يضعفوا ولا كانوا قريبًا من ذلك».

[﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّـٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَـٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَـٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَـٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَـٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾].

﴿إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ هم المنافقون الذين قالوا في قضيَّة[1] أحد ما قالوا.

وقيل: مشركو قريش.

وقيل: اليهود.

---

(١) في د: «قصة».

﴿ٱلرُّعْبَ﴾ قيل: ألقى الله الرعبَ في قلوب المشركين بأحد، فرجعوا إلى مكة من غير سبب.

وقيل: لما كانوا ببعض الطريق همُّوا بالرجوع ليستأصلوا المسلمين، فألقى الله الرعب في قلوبهم فأمسكوا.

والآية بعدُ تتناول جميع الكفَّار؛ لقوله ﷺ: «نُصِرتُ بالرُّعب»[١].

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ كان رسول الله ﷺ قد وعد المسلمين عن الله بالنصر، فنصرهم الله أوَّلًا، وانهزم المشركون وقُتِل منهم اثنان وعشرون رجلًا، وكان رسول الله ﷺ قد أمر الرُّماة أن يَثبتوا في مكانهم ولا يَبرَحوا، فلما رأوا المشركين قد انهزموا طَمِعوا في الغنيمة وأَتْبَعُوهم، وخالفوا ما أُمِروا به من الثُّبوت في مكانهم، فانقلبت الهزيمة على المسلمين.

﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم﴾ أي: تقتلونهم قتلًا ذريعًا؛ يعني: في أوَّل الأمر.

﴿وَتَنَٰزَعْتُمْ﴾ وقع التنازع بين الرماة، فثبت بعضُهم كما أُمِروا، ولم يثبت بعضهم.

﴿وَعَصَيْتُم﴾ أي: خالفتم ما أمرتم به من الثبوت.

وجاءت المخاطبة في هذا لجميع المؤمنين، وإن كان المخالفُ بعضَهم؛ وعْظًا للجميع، وسترًا على مَن فعل ذلك.

وجواب ﴿إِذَا﴾: محذوفٌ؛ تقديره: انهزمتم.

﴿مَن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا﴾ الذين حرَصوا على الغنيمة.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١).

﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ معناه: ليَنزِل بكم ما نزل من القتل والتَّمحيص.

﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾ إعلامٌ بأن الذنب كان يستحقُّ أكثرَ مما نزل بهم؛ لولا عفو الله عنهم، فمعناه: لقد أبقى عليكم.

وقيل: هو عفوٌ عن الذنب.

﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ العامل في «إذ»:

﴿عَفَا﴾؛ فيُوصَل ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ مع ما قبله.

ويَحتمل أن يكون العامل فيه مضمرًا.

﴿وَلَا تَلْوُنَ﴾ مبالغةٌ في صفة الانهزام.

﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾ كان رسول الله ﷺ يقول[1]: «إليَّ عبادَ الله»، وهم يفرون[2].

﴿فِي أُخْرَاكُمْ﴾ في ساقَتِكم.

وفيه مدحٌ للنبي ﷺ؛ فإنَّ الآخِر هو موقفُ الأبطال[3].

﴿فَأَثَابَكُمْ﴾ أي: جازاكم.

﴿غَمًّا بِغَمٍّ﴾ قيل: أثابكم غمًّا بسبب الغمِّ الذي أدخلتموه على رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين إذ عصيتم وتنازعتم.

---

(١) في د: «ينادي».

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٦/ ١٤٧).

(٣) في هـ، ج: «فإن الآخر موقوف على الأبطال».

وقيل: أثابكم غمًّا متَّصلًا بغمٍّ؛ وأحد الغمَّين: ما أصابهم من القتل والجراح، والآخر: ما أُرجف به من قتل رسول الله ﷺ.

﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ من النَّصر والغنيمة.

﴿مَآ أَصَٰبَكُمْ﴾ من القتل والجراح والانهزام.

﴿أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ قال ابن مسعود: نعَسنا يوم أحد، والنُّعاس في الحرب أمنٌ من الله[1].

﴿يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾ هم المؤمنون المخلصون، غَشِيهم النعاس؛ تأمينًا لهم.

﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ هم المنافقون، كانوا خائفين من أن يرجع إليهم أبو سفيان والمشركون.

﴿غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ معناه: يظنُّون أن الإسلام ليس بحقٍّ، وأن الله لا ينصره.

و﴿ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ بدلٌ؛ وهو على حذف موصوفٍ، تقديره: ظنَّ المدَّةِ الجاهلية، أو الفِرقة الجاهلية.

﴿هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ﴾ قالها عبد الله بن أبيّ بن سلول، والمعنى: ليس لنا رأيٌ، ولا يُسمَع قولنا.

أو: لسنا على شيءٍ من الأمر الحقِّ؛ فيكون قولهم هذا كفرًا.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسير (٦/ ١٦٣) بلفظ: «النعاس في القتال أمنة، والنعاس في الصلاة من الشيطان».

﴿يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ يَحتمل أن يريد:

الأقوالَ التي قالوها.

أو الكفرَ.

﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ قاله مُعَتِّبُ بن قُشَيرٍ، ويَحتمل من المعنى ما احتَمل قولُ عبد الله بن أبيٍّ.

﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ الآية؛ ردٌّ عليهم، وإعلامٌ بأنَّ أجَل كلِّ إنسان إنما هو واحد، وأن من لم يُقتَل يموتُ لأجله، ولا يؤخَّر، وأنَّ مَن كُتب عليه القتل لا ينجيه منه شيءٌ.

﴿وَلِيَبْتَلِيَ﴾ يتعلَّق بفعلٍ، تقديره: ليبتليَ فعَل بكم ذلك.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا﴾ الآية؛ نزلت فيمن فرَّ يومَ أحد.

﴿اسْتَزَلَّهُمُ﴾ أي: طلب منهم أن يَزِلُّوا.

ويَحتمل أن يكون معناه: أزلَّهم؛ أي: أوقعهم في الزَّلَل.

﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ أي: كانت لهم ذنوبٌ عاقبهم الله عليها؛ بأن مكَّن الشيطانَ[1] من استزلالهم.

﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ أي: غفر لهم ما وقعوا فيه من الفِرار.

---

(١) في ج: «مكنهم الشيطان».

[﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْۗ وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْۖ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾﴾].

﴿لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ هم المنافقون.

﴿لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾ هم[1] إخوة القرابة؛ لأن المنافقين كانوا من الأوس

---

(١) في هـ، ج: «هي».

والخزرج، وكان أكثر المقتولين يوم أحد منهم، ولم يُقتَل من المهاجرين إلَّا أربعة.

﴿إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: سافروا.

وإنما قال: «إذا» التي للاستقبال مع ﴿قَالُواْ﴾؛ لأنه على حكاية الحال الماضية.

﴿أَوْ كَانُواْ غُزًّى﴾ جمع غازٍ، ووزنه فُعَّل -بضم الفاء وتشديد العين-.

﴿لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا﴾ اعتقادٌ منهم فاسد؛ لأنَّهم ظنُّوا أن إخوانَهم لو كانوا عندهم لم يموتوا ولم يُقتَلوا، وهذا قول من لا يؤمن بالقدَر والأجل المحتوم. ويَقرب منه مذهب المعتزلة في القول بالأجلين[1].

﴿لِيَجْعَلَ﴾ يتعلَّق بـ ﴿قَالُواْ﴾؛ أي: قالوا ذلك فكان حسرةً في قلوبهم، فاللام لام الصيرورة لبيان العاقبة.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى قولهم واعتقادهم الفاسد الذي أوجب لهم الحسرةَ؛ لأن الذي يتيقَّنُ بالقدَر والأجل تذهب عنه الحسرة.

﴿وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ ردٌّ على قولهم واعتقادهم.

﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ﴾ الآيةَ؛ إخبارٌ أن مغفرة الله ورحمتَه لهم إذا قُتِلوا أو ماتوا في سبيل الله خيرٌ لهم مما يجمعون من الدنيا.

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: ذكروا أن المعتزلة يقولون: المقتول مقطوعٌ عليه أجله الذي قدِّر له، أو إن له أجلين: أحدهما: ما حصل بسبب القتل، والآخر: هو الذي لو عاش لبلغه.

﴿وَلَئِن مُّتُّمْ﴾ الآيةَ؛ إخبارٌ أن من مات أو قتل فإنه يُحشَر إلى الله.

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ﴾ «ما» زائدةٌ للتأكيد.

﴿لَانفَضُّوا﴾ أي: تفرَّقوا.

﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ فيما يختصُّ بك.

﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ فيما يختصُّ بحقِّ الله.

﴿وَشَاوِرْهُمْ﴾ المشاورة مأمورٌ بها شرعًا، وإنما يشاوِر النبي ﷺ الناسَ في الرأي؛ في الحروب وغيرها، لا في أحكام الشريعة[1].

وقرأ ابن عباس: «وشاورهم في بعض الأمر».

﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ التوكُّل: هو الاعتماد على الله في تحصيل المنافع، أو حفظها بعد حصولها، وفي دفع المضرَّات، أو رفعها بعد وقوعها.

وهو من أعلى المقامات؛ لوجهين:

أحدهما: قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾.

والآخر: الضَّمَان الذي في قوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

وقد يكون واجبًا؛ لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، فجعله شرطًا في الإيمان، ولِظاهرِ قوله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ

---

(١) في هـ، ج: «الأحكام الشرعية».

﴿ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾؛ فإن الأمر محمولٌ على الوجوب.

واعلمْ أن الناس في التوكُّل على ثلاث مراتب:

الأولى: أن يعتمد العبد على ربِّه، كاعتماد الإنسان على وكيله المأمون عندَه الذي لا يشُكُّ في نصيحته له، وقيامه بمصالحه.

والثانية: أن يكون العبد مع ربه كالطفل مع أمِّه؛ فإنه لا يعرف سواها، ولا يلجأ إلَّا إليها.

والثالثة: أن يكون العبد مع ربه: كالميت بين يدي الغاسل، قد أسلم نفسه إليه بالكلية.

(**فصاحب الدرجة الأولى**: عنده حظٌّ من النظر لنفسه، بخلاف صاحبِ الثانية.

وصاحبُ الثانية: له حظٌّ من المراد والاختيار، بخلاف صاحب الثالثة)[1][2].

---

(١) ما بين القوسين سقط في هـ، ج.

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «واعلم أن الناس في التوكل على ثلاث مراتب» إلخ، أقول: التوكل من أعمال القلوب، وهو من تحقيق توحيد الربوبية، ومن مقامات العبودية القلبية، وجعلُه ثلاث درجات طريقة الصوفية، والحق أنه درجتان: الأولى: توكل المقتصدين، والثانية: توكل المقربين، وهذا يوافق معنى ما ذكره المؤلف في الدرجة الأولى والثانية؛ فإنه لا إشكال فيهما، وأما الدرجة الثالثة فهي من بدع الصوفية التي خالفوا فيها الحس والعقل والشرع، فكون الإنسان يصل إلى حالة يكون فيها كالميت بين يدي الغاسل، بحيث لا تكون له إرادة في جلبٍ ولا دفعٍ حالةٌ ممتنعة حسًّا وعقلًا، وغير مطلوبة شرعا، قال شيخ الإسلام ابن تيمية تعليقا على قول بعض =

وهذه الدَّرجات مبنيَّةٌ على التوحيد الخاصِّ الذي تكلَّمنا عليه في قوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣][(١)]، فهي تقْوَى بقوَّته، وتَضعف بضَعْفه.

فإن قيل: هل يُشترطُ في التوكل تركُ الأسباب أم لا؟

فالجواب: أنَّ الأسباب على ثلاثة أقسام:

أحدها: سببٌ معلومٌ قطعًا، قد أجراه الله تعالى، فهذا لا يجوز تركه، كالأكل لدفع الجوع، واللِّباس لدفع البرد.

والثاني: سبب مظنونٌ، كالتجارة وطلب المعاش، وشبه ذلك، فهذا لا يقدحُ فعلُه في التوكل؛ فإن التوكل من أعمال القلب، لا من أعمال البدن، ويجوز تركه لمن قوي على ذلك.

والثالث: سبب موهومٌ بعيد، فهذا يقدحُ فعلُه في التوكل.

ثم إنَّ فوقَ التوكل التفويضُ؛ وهو الاستسلام لأمر الله تعالى بالكلية، فإن المتوكل له مرادٌ واختيار، وهو يطلب مرادَه باعتماده على ربه، وأما المفوِّض فليس له مرادٌ ولا اختيار، بل أَسند الاختيارَ إلى الله تعالى، فهو أكملُ أدبًا مع الله تعالى.

= الصوفية: (إن العارف يصير كالميت بين يدي الغاسل)، أي في استسلامه للقدر، قال الشيخ: «فهذا إنما يمدح منه سقوطُ إرادته التي لم يؤمر بها، وعدمُ حظه الذي لم يؤمر بطلبه، وأنه كالميت في طلب ما لم يؤمر بطلبه، وترك دفع ما لم يؤمر بدفعه. ومن أراد بذلك أنه تبطل إرادته بالكلية، وأنه لا يُحس باللذة والألم والنافع والضار، فهذا مخالفٌ لضرورة الحس والعقل، ومن مَدح هذا فهو مخالف لضرورة الدِّين والعقل» اهـ من العقيدة التدمرية (ص ٢٢٠).

(١) انظر صفحة ٣٨٣.

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يُغَلَّ﴾ هو من الغُلول، وهو أخذ الشيءِ في خفْيةٍ من المغانم وغيرها.

وقرئ بفتح الياء وضم الغين، ومعناه: تبرئةٌ للنبي ﷺ من الغلول.

وسببها: أنه فُقِدت من المغانم قطيفة حمراء، فقال بعض المنافقين: لعلَّ رسول الله ﷺ أخَذها.

وقرئ بضم الياء وفتح الغين:

أي: ليس لأحد أن يَغُلَّ نبيًا؛ أي: يخونَه في المغانم.

وخصَّ النبي بالذِّكر وإن كان ذلك محظورًا مع الأمراء؛ لشُنْعة الحال مع النبي؛ لأن المعاصيَ تَعظُم بحضْرته.

وقيل: معنى هذه القراءة: أن يوجد غالًا، كما تقول: أَحمدتُ الرجلَ؛ إذا أصبتَه محمودًا، فعلى هذا القول يرجع معنى هذه القراءة إلى معنى فتح الياء.

﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ﴾ وعيدٌ لمن غلَّ بأن يسوق يوم القيامة على رقبته الشيءَ الذي غلَّ.

وقد جاء ذلك مفسَّرًا في الحديث، قال رسول الله ﷺ: «لا أُلفِينَّ أحدَكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير، لا ألفين أحدكم على رقبته فرس، لا ألفين أحدكم على رقبته رِقاع، لا ألفين أحدكم على رقبته صامت[1]، لا ألفين أحدكم على رقبته إنسان، فيقول: يا رسول الله أغثني!، فأقول: لا أملك

---

(١) يعني: الذهب والفضة، خلاف الناطق وهو الحيوان. انظر: النهاية (٦/ ٢٣٧٥).

لك من الله شيئًا، قد بلَّغتُك»[١].

﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ﴾ الآيةَ؛ قيل: إن الذي اتَّبع رضوان الله: من لم يَغلَّ، والذي باء بالسَّخط: من غلَّ.

وقيل: الذي اتبع الرضوان: من استُشهِد بأحد، والذي باء بالسخط: المنافقون الذين رجعوا عن الغزو.

﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ﴾ أي: ذووا درجات، والمعنى:

تفاوتُ ما بين منازل أهل الرِّضوان وأهل السَّخط.

أو التفاوت بين درجات أهل الرضوان، فإن بعضَهم فوقَ بعض، وكذلك[٢] درجات أهل السخط.

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ﴾ الآيةَ؛ إخبارٌ بفضل الله على المؤمنين ببعث رسوله محمد ﷺ.

﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ معناه: في الجنس واللسان، فكونه من جنسهم: يوجِب الأُنسَ به، وقلَّةَ الاستيحاش منه، وكونه بلسانهم: يُوجِب حسنَ الفهم عنه، ولكونه منهم يعرفون حسَبَه وصدقه وأمانته ﷺ، ويكون هو ﷺ أشفقَ عليهم وأرحم بهم من الأجنبيين.

﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ الآيةَ؛ عتابٌ للمسلمين على كلامهم فيمن أصيب منهم يوم أحد.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٧٣)، ومسلم (١٨٣١).

(٢) في ب، ج، هـ: «فكذلك».

ودخلت ألف التوبيخ على واو العطف.

والجملة معطوفة على:

ما تقدَّم من قصة أحد.

أو على محذوف.

﴿قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾ قُتِل من المسلمين يوم أحد سبعون، وكان قد قُتِل من المشركين يوم بدر سبعون، وأُسِر سبعون.

﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ قيل: معناه أنهم عوقبوا بالهزيمة؛ لمخالفتهم رسولَ الله ﷺ حين أراد أن يقيم بالمدينة ولا يَخرجَ إلى المشركين، فأبَوا إلَّا الخروج.

وقيل: بل ذلك إشارةٌ إلى عصيان الرماة حسَبما تقدَّم.

﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ أي: جَمْعُ المسلمين والمشركين يوم أحد.

﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا﴾ الآيةَ؛ كان رأيُ عبد الله بن أبيٍّ بن سلول أن لا يخرج المسلمون إلى المشركين، فلما طلَب الخروجَ قومٌ من المسلمين فخرج رسول الله ﷺ غضب عبد الله، وقال: أطاعهم وعصاني!، فرجع ورجع معه ثلاث مئة رجلٍ، فمشى في أَثَرهم عبد الله بن عَمرٍو بن حرامٍ الأنصاري، فقال لهم: ارجعوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا!، فقال له عبد الله بن أبي: ما أرى أن يكون قتالٌ، ولو علمنا أنه يكون قتال لكنَّا معكم.

﴿أَوِ ادْفَعُوا﴾ أي: كثِّروا السَّواد وإن لم تقاتلوا.

﴿الَّذِينَ قَالُوا﴾ بدلٌ من ﴿الَّذِينَ نَافَقُوا﴾.

و﴿ لِإِخْوَانِهِمْ ﴾: في النَّسب؛ لأنهم كانوا من الأوس والخزرج.

﴿قُلْ فَادْرَءُوا﴾ أي: ادفعوا، والمعنى: ردٌّ عليهم.

* * *

[﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾].

﴿بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ إعلامٌ بأن حالَ الشهداء حالُ الأحياء؛ من التمتُّع بأرزاق الجنة، بخلاف سائر الأموات من المؤمنين؛ فإنهم لا يتمتَّعون بالأرزاق حتى يدخلوا الجنة يوم القيامة.

﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم﴾ المعنى: أنهم يفرحون بإخوانهم الذين

بقُوا في الدنيا من بعدهم؛ لأنهم يرجون أن يُستَشهدوا مثلهم، فينالوا مثل ما نالوا من السَّعادة.

﴿أَلَّا خَوْفٌ﴾ في موضع المفعول من أجله، أو بدلٌ من ﴿ٱلَّذِينَ﴾.

﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ كُرِّر ليُذكَر ما تعلَّق به من النعمة والفضل.

﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟﴾ صفةٌ لـ ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، أو مبتدأ وخبره: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾ الآيةَ.

ونزلت في الذين خرجوا مع رسول الله ﷺ في اتِّباع المشركين بعد غزوة أحد، فبلغ بهم إلى حمراءِ الأسد، وهي على ثمانية أميال من المدينة، وأقام بها ثلاثة أيام، وكانوا قد أصابتهم جراحاتٌ وشدائدُ، فتجلَّدوا وخرجوا، فمدحهم الله بذلك.

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ الآيةَ؛ لما خرج رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد بعد أحد، بلغ ذلك أبا سفيان، فمرَّ عليه ركْبٌ من عبد القيس يريدون المدينة بالمِيرة، فجعل لهم حِمْلَ بعيرٍ من زبيب على أن يثبِّطوا المسلمين عن اتِّباع المشركين، فخوَّفوهم بهم، فقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، وخرجوا.

فـ ﴿ٱلنَّاسُ﴾ الأول: ركْب عبد القيس، و﴿ٱلنَّاسَ﴾ الثاني: مشركو قريش.

وقيل: نادى أبو سفيان يوم أحد: موعدنا بدرٌ في العام القابل، فقال رسول الله ﷺ: «إن شاء الله»، فلما كان العامُ القابل خرج رسول الله ﷺ إلى بدر للميعاد، فأرسل أبو سفيان نُعيمَ بن مسعود الأشجعيَّ ليثبِّط المسلمين.

فعلى هذا: ﴿ٱلنَّاسُ﴾ الأول: نعيم، وإنما قيل له: «الناس» وهو واحد؛ لأنه من جنس الناس، كقولك: ركبت الخيل؛ إذا ركبتَ فرسًا.

﴿فَزَادَهُمْ﴾ الفاعل ضمير المَقُول، وهو: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ﴾.

والصحيح أن الإيمان يزيد وينقص، فمعناه هنا: قَوِي يقينُهم وثقتُهم بالله.

﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ كلمةٌ يُدفَع بها ما يخاف ويكره، وهي التي قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقِي في النار.

ومعنى: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾ كافينا الله وحده؛ فلا نخاف غيرَه.

ومعنى: ﴿وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ ثناءٌ على الله، وأنه خير مَن يَتوكَّل العبدُ عليه ويلجأ إليه.

﴿فَٱنقَلَبُوا۟﴾ أي: رجعوا بنعمة السَّلامة وفضل الأجر.

﴿وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾ لخروجهم مع رسول الله ﷺ.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ المراد به هنا: أبو سفيان، أو نعيمٌ الذي أرسله أبو سفيان أو إبليس.

و﴿ذَٰلِكُمُ﴾ مبتدأ، و﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ خبره، وما بعده استئنافٌ.

أو: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ نعتٌ، وما بعده خبر.

﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ أي: يخوِّفُكم أيها المؤمنون أولياءَه؛ وهم الكفار، فالمفعول الأول محذوف، ويدل عليه: قولُه: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾، وقراءةُ ابن عباس وابن مسعود: «يخوفكم أولياءَه».

وقيل: المعنى: يخوِّفُ المنافقين - وهم أولياؤه - مِن كفار قريش، فالمفعول الثاني على هذا محذوف.

﴿وَلَا يُحْزِنكَ﴾ تسلية للنبي ﷺ.

وقرئ بفتح الياء وضم الزاي حيث وقع مضارعًا، مِن: «حَزَن» الثلاثي، وهو أشهر في اللغة مِن «أحزن».

﴿ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ أي: يبادرون إلى أقواله وأفعاله، وهم: المنافقون، أو الكفار.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟﴾ الآيةَ؛ هم: المذكورون قبل، أو على العموم في جميع الكفار.

﴿أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ﴾ أي: نُمهِلهم.

و«أنَّ» مفعول بـ﴿يَحْسِبَنَّ﴾، و«ما» اسم «أنَّ»؛ فحقُّها أن تكتب منفصلةً، و﴿خَيْرٌ﴾ الخبر.

﴿إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ﴾ «ما» هنا كافَّة، والمعنى: ردٌّ عليهم؛ أي: أن الإملاءَ لهم ليس خيرًا لهم، إنما هو استدراجٌ؛ ليكتسبوا الآثام.

﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآيةَ؛ خطاب للمؤمنين، والمعنى: ما كان الله ليدع المؤمنين مختلِطين بالمنافقين، ولكنه ميَّز هؤلاء من هؤلاء؛ بما ظهر في غزوة أحد من الأقوال والأفعال، التي تدلُّ على الإيمان أو على النفاق.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ أي: ما كان الله ليُطلِعَكم على ما في القلوب من الإيمان والنفاق.

أو: ما كان الله ليطلعكم على أنكم تَغلبون أو تُغلبون.

﴿يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ﴾ أي: يختار مَن شاء مِن رسله، فيطلعه على ما شاء من غَيبه.

﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ يمنعون الزكاةَ وغيرها.

﴿هُوَ خَيْرًا﴾: ﴿هُوَ﴾ فصْلٌ، و﴿خَيْرًا﴾ مفعول ثان، والأول محذوف؛ تقديره: لا يَحسبَنَّ[1] البخلَ خيرًا لهم.

﴿سَيُطَوَّقُونَ﴾ أي: يُلزَمون إثمَ ما بخلوا به.

وقيل: يُجعَلُ ما بَخِل به حيَّةً يُطوَّقُها في عنقه يوم القيامة.

(١) في أ، د: «تحسبنَّ».

[﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾﴾].

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ﴾ الآيةَ؛ لما نزل: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٤٥] قال بعض اليهود -وهو فِنْحَاصُ، أو حُيي بن أخطب، أو غيرهما-: إنما يَستقرِضُ الفقيرُ من الغني، فالله فقير ونحن أغنياء، فنزلت هذه الآية، وكان ذلك القول منهم اعتراضًا على القرآن، أوجبه قلَّةُ فهمهم، أو تحريفُهم للمعاني، فإن كانوا قالوه باعتقادٍ فهو كفر، وإن قالوه بغير اعتقاد: فهو استخفاف، وعناد.

﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ أي: تكتبه الملائكة في الصحف.

﴿وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ﴾ أي: قتْلَ آبائِهم للأنبياء، وأُسنِد إليهم؛ لأنهم راضون به، ومتَّبعون لمن فعَله من آبائهم.

﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ﴾ صفةٌ لـ ﴿ٱلَّذِينَ﴾، وليس صفةً ﴿لِّلْعَبِيدِ﴾.

﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ﴾ كانوا إذا أرادوا أن يعرفوا قَبولَ الله لصدقةٍ أو غيرها جعلوه في مكان، فتنزل نارٌ من السماء فتحرِقُه، وإن لم تنزل فليس بمقبول، فزعموا أن الله جعل لهم ذلك علامةً على صدق الرُّسل.

﴿قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ﴾ الآيةَ؛ ردٌّ عليهم بأن الرسل قد جاؤوهم بمعجزات توجب الإيمان بهم، وجاؤوهم أيضًا بالقُربان الذي تأكله النار، ومع ذلك كذَّبوهم وقتَلوهم، فذلك يدلُّ على أن كفرَهم عنادٌ، وأنهم كذَبوا في قولهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ﴾.

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ﴾ الآيةَ؛ تسليةٌ للنبي ﷺ بالتأسِّي بغيره.

﴿فَمَن زُحْزِحَ﴾ أي: نُحِّي[1] وأُبعد.

﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾ الآيةَ؛ خطابٌ للمسلمين، والبلاء في الأنفس: بالموت والأمراض، وفي الأموال: بالمصائب والإنفاق.

﴿وَلَتَسْمَعُنَّ﴾ الآيةَ؛ سببها: قولُ اليهود: «إن الله فقير»، وسبُّهم للنبي ﷺ وللمسلمين.

﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ ابنُ عباس: هي لليهود؛ أُخذ عليهم العهد في أمر محمد ﷺ فكتموه.

---

(١) في ج، د: «نجا».

وقيل: هي عامَّةٌ في كل من علَّمه الله علمًا.

﴿الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا﴾ الآيةَ؛ ابنُ عباس: نزلت في أهل الكتاب؛ سألهم النبي ﷺ عن شيءٍ فكتموه إياه وأخبروه بغيره، فخرجوا وقد أرَوه أن قد أخبرُوه بما سألهم عنه، واستَحمدوا إليه بذلك، وفرحوا بما أَتوا من كِتْمانهم إياه ما سألهم عنه.

وقال أبو سعيد الخدري: نزلت في المنافقين؛ كانوا إذا خرج النبي ﷺ إلى الغزوِ تخلَّفوا عنه، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله، وإذا قَدِم النبي ﷺ اعتذروا إليه، وأحبُّوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا.

﴿فَلَا تَحْسِبَنَّهُم﴾ بالتاء وفتح الباء: خطاب للنبي ﷺ.

وبالياء وضم الباء: أسند الفعل لـ ﴿الَّذِينَ يَفْرَحُونَ﴾؛ أي: لا يحسبون أنفسَهم[1] بمفازةٍ من العذاب.

ومن قرأ: ﴿لَا يَحْسِبَنَّ﴾ بالتاء: فهو أيضًا خطاب للنبي ﷺ و﴿الَّذِينَ يَفْرَحُونَ﴾ مفعول به، و﴿بِمَفَازَةٍ﴾ المفعول الثاني، وكرَّر ﴿فَلَا تَحْسِبَنَّهُم﴾ للتأكيد.

ومن قرأ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ بالياء من أسفل: فإنه حذف المفعولين؛ لدلالة مفعولي ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم﴾ عليهما.

* * *

---

(١) في د: «أنهم».

[﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾].

﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ ذكر في «البقرة»[١].

﴿قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ أي: يذكرون الله على كل حال؛ فكأنَّ هذه الهيئات حصرٌ لحال ابن آدم.

---

(١) انظر صفحة ٣٨٧.

وقيل: إن ذلك في الصلاة؛ يصلُّون قيامًا، فإن لم يستطيعوا صلُّوا قعودًا، فإن لم يستطيعوا صلُّوا على جنوبهم.

﴿رَبَّنَا﴾ أي: يقولون: ربنا ما خلقت هذا لغير فائدة، بل خلقتَه وخلقت البشر؛ لينظروا فيه فيعرفوكَ فيعبدوكَ.

﴿سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾ هو النبيُّ ﷺ.

﴿مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ أي: على أَلسِنة رسلِك.

﴿مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ «من»: لبيان الجنس، وقيل: زائدةٌ؛ لتقدُّم النفي.

﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ أي: الرجال والنساء سواءٌ في الأجور والخيرات.

﴿وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ﴾ هم المهاجرون؛ آذاهم المشركون بمكة حتى خرجوا منها.

﴿ثَوَابًا﴾ منصوبٌ على المصدرية.

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ﴾ الآيةَ؛ تسليةٌ للنبي ﷺ؛ أي: لا تظنَّ أن حال الكفار في الدنيا دائمةٌ فتهتمَّ لذلك، وأنزل ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ﴾ منزلةَ: «لا يَحزُنكَ».

﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾ أي: تقلُّبهم في الدنيا قليلٌ؛ بالنظر إلى ما فاتهم في الآخرة.

﴿نُزُلًا﴾ منصوبٌ:

على الحال من ﴿جَنَّٰتٌ﴾.

أو على المصدرية.

﴿لِّلْأَبْرَارِ﴾ جمع بارٍّ أو بَرٍّ، ومعناه: العاملون بالبرِّ؛ وهو غاية التقوى والعمل الصالح.

قال بعضهم: الأبرار: هم الذين لا يؤذون الذَّرَّ[١].

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ الآيةَ؛ قيل: نزلت في النجاشيِّ ملكِ الحبشة، فإنه كان نصرانيًا فأسلم.

وقيل: في عبد الله بن سلَام وغيره ممن أسلم من اليهود.

﴿لَا يَشْتَرُونَ﴾ مدحٌ لهم، وفيه تعريضٌ بذمِّ غيرهم ممن اشترى بآيات الله ثمنًا قليلًا.

﴿وَصَابِرُوا﴾ أي: صابروا أعداءَكم[٢] في القتال.

﴿وَرَابِطُوا﴾ أقيموا في الثُّغور رابطين خيلَكم، مستعدِّين للجهاد.

وقيل: هو مرابطةُ العبد فيما بينه وبين الله؛ أي: معاهدتُه على فعل الطاعة وترك المعصية.

والأول أظهر وأشهر؛ قال ﷺ: «رباط يوم في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه»[٣].

وأما قوله -في انتظار الصلاة-: «فذلكم الرِّباط»[٤] فهو تشبيهٌ بالرباط في سبيل الله؛ لعِظَم أجره.

---

(١) قال ذلك الحسن البصري، أورده بإسناده الإمام أحمد في الزهد (٦٣٢)، والطبري في تفسيره (٢٤/ ٢٠٦).

(٢) في ب: «عدوكم».

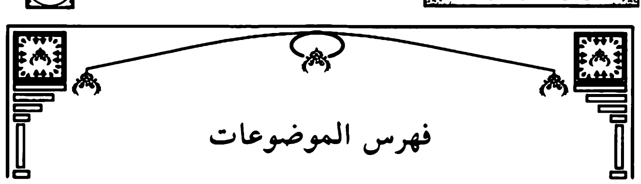
(٣) أخرجه مسلم (١٩١٣).

(٤) أخرجه مسلم (٢٥١).

والمرابط عند الفقهاء: هو الذي يسكن الثغور؛ ليرابطَ فيها، وهي غيرُ موطنِه.

فأمَّا سكَّانُها دائمًا بأهليهم لمعايشهم فليسوا بمرابطين، ولكنهم حُماةٌ. حكاه ابن عطية[١].

(١) المحرر الوجيز (٢/ ٤٥٨).



فهرس الموضوعات